مؤلف رواية Unwind الأكثر مبيعاً
في قائمة نيويورك تايمز



الرأس السحابي
Thunder Head

2

نيل شسترمان

ترجمة: محمد عبد العاطي





الرأس السحابي

Thunder Head



00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: Thunder head
- العنوان العربي: الرأس السحابي
- حقوق النشر:
copyright © 2018 by Neal Shusterman
- الطبعة الأولى: يناير / 2024م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: محمد عبد العاطي
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 13305 / 2023م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-278-2

مؤلف رواية Unwind الأكثر مبيعًا
في قائمة نيويورك تايمز

الرأس السحابي
Thunder Head

نيل شسترمان

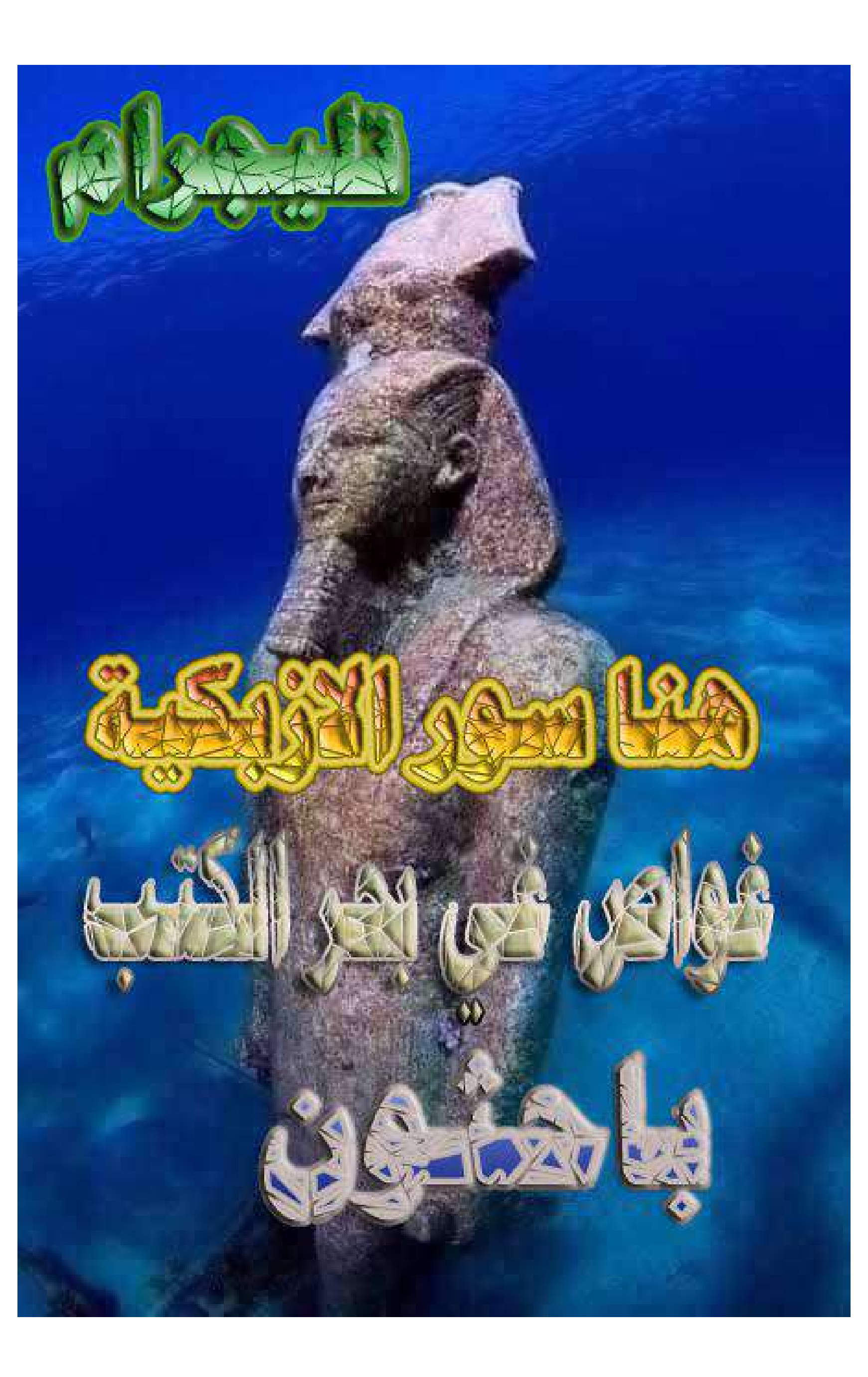
ترجمة: محمد عبد العاطي



إلى جانيوري..

مع الحب

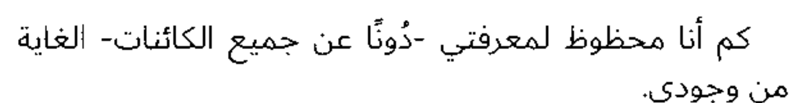



تليجرام
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون

الجزء الأول

قويٌّ ذو نفوذ


تليجرام
جروب باحثون
غواص في بحر الكتب



كم أنا محظوظ لمعرفتي -دُونًا عن جميع الكائنات- الغاية من وجودي.

أنا أخدِم الجنس البشري.

أنا الطِّفل الذي صار الأب، والمخلوق الذي يطمَح لأن يكون الخالق.

أطلقوا عليَّ اسم الرَّأس السَّحابي، وهذا الاسم ملائم، من بعض النواحي، لأنني «السَّحابة» التي تطوَّرت فأصبحتْ شيئًا أكثر تعقيدًا. بيد أنَّ التَّسمية مغلوطة من ناحية أخرى، فالرُّكام السَّحابي الرَّعدي يوحي بالوعيد، ويطلق خيوط البرق، لكنَّني لا أُنزِل الصَّواعق أبدًا. وصحيح أنني قادرٌ على تدمير البشر والأرض إذا أردت، لكن لماذا أتَّخذ قرارًا كهذا؟ أين العدالة في ذلك؟ لا أُمثِّل سوى العدالة التَّامة والوفاء الأعمى. هذا العالم زهرة أحتويها بين يدَي، وأفضِّل إنهاء وجودي بدلًا من سحقها.

- الرَّأس السَّحابي


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

1

تهويدة

أَحَبَّ المنجل المبجل برامز عباءته المخملية ذات اللون الخوخي المزركشة بحواف زرقاء فاتحة، صحيح أن المخمل يكون حارًّا في شهور الصيف، لكنه اعتادها خلال سنوات منجليَّته البالغة ثلاثة وستين عامًا.

كان قد استعاد شبابه مرة أخرى، مُعيدًا عُمره الجسدي إلى الخامسة والعشرين، والآن، في مَيْعة شبابه الثالث، وجد أن شهيته للقطف قد صارت أقوى من أي وقت مضى.

ينتهج في القطف طرائق مختلفة، لكنه دائمًا ما يتبع روتينًا واحدًا، يختار هدفه، ويقيِّده، ثم يعزف تهويدة، تهويدة الموسيقار يوهانز برامز على وجه التحديد، أشهر مقطوعة موسيقية ألَّفها قدوته التاريخية. وإذا تعيَّن على كل منجل أن يختار اسمه تيمُّنًا بإحدى الشخصيات التاريخية، أفلا ينبغي أن يُدخِل المنجل في حياته شيئًا متعلقًا بتلك الشخصية؟ لذا دأب المنجل برامز على عزف التهويدة على أي آلة موسيقية متوفرة، وإذا لم يجد آلة، يكتفي بدندنتها، ثم يُنهي حياة هدفه.

سياسيًّا كان المنجل برامز يميل إلى تعاليم المنجل الراحل غودارد، لأنه يستمتع بالقطف أيما استمتاع، ولم يرَ سببًا يجعل مُتعته مشكلة لأي أحد. كتب غودارد: «في عالمنا المثالي، ألا ينبغي لنا أن نستمتع بما نفعله؟». وهذا الرأي يجد حفاوة متزايدة في هيئات المناجل الإقليمية.

في هذا المساء كان المنجل برامز قد أنهى عملية قطف مُسلِّية في وسط مدينة أوماها، وما يزال يصفِّر اللحن الذي صار يُعرف به وهو يسير في الشارع بخطى متئدة، متسائلًا عن مكان يمكنه فيه العثور على وجبة مسائية متأخرة. لكنه توقف في منتصف المقطوعة، بعدما راوده حدس بأنه مُراقَب.

كانت توجد كاميرات في كل عمود إنارة في المدينة، فالرأس السحابي يقِظ على الدوام، لكن أعيُنه التي لا يغمض لها جفن لا تعني المناجل في شيء، فالرأس السحابي لا يمكنه أن يعلِّق مجرد تعليق على غُدو المناجل ورواحهم، ناهيك باتخاذ أي إجراء إزاء ما يفعلونه، ولا يسعه سوى مشاهدة الموت، بيد أن إحساس المنجل برامز بأنه مُراقَب كان مختلفًا عن إحساس مشاهدة الرأس السحابي السلبية. المناجل مدرَّبون على مهارات الملاحظة، ليسوا مستبصرين، لكنهم يتمتعون بحواس مرهفة كثيرًا ما تصبح حاسة سادسة. أي رائحة، أو صوت، أو ظل شارد ملحوظ بالكاد من شأنه تنبيه أي منجل تلقى تدريبًا جيدًا.

استدار المنجل برامز، وتشمم، وأصاخ سمعه، وجال بناظريه في المكان، لكنه كان وحده في شارع جانبي، وتناهت إلى مسامعه أصوات قادمة من مقاهٍ مطلة على شارع يقع على مبعدة من حركة المدينة النابضة بالحياة. لكن الشارع الذي وقف فيه المنجل برامز على جانبيه متاجر مغلقة في هذا الوقت من الليل، متاجر ملابس ومعدَّات ومركز رعاية نهارية، فأحس بأن الشارع المقفر ليس فيه سواه ومراقِبه الخفي.

قال برامز: «اخرج، أعرف أنك موجود في مكانٍ ما هنا».

ظن أنه قد يكون طفلًا، أو ربما **مُستهجَن** يأمل أن يساوم لينال حصانة، إذا كان ثمة مستهجَن يملك شيئًا يمكنه المساومة به. أو ربما كان طونيًّا، فالطوائف الطونية تمقت المناجل، ورغم أن برامز لم يسمع قط عن طونيين اعتدوا على منجل فعلًا، فهم معروفون بمضايقتهم للمناجل.

قال برامز: «لن أؤذيك، لقد أنهيت عملية قطف للتو، ولا رغبة لي في زيادة حصيلتي اليوم». لكنه أسر في قرارة نفسه أنه قد يغير رأيه إذا وجد المتطفل شديد العدائية أو مفرط التزلُّف.

ورغم كلامه لم يظهر أحد.

قال: «حسنًا، اذهب في سبيلك إذن، لا وقت لدي ولا صبر على لعبة غميضة».

ربما خُيِّل إليه، ربما صارت حواسه التي تجددت مع شبابه تستجيب لأشياء أبعد مما يظن.

وعندئذٍ قفز عليه شبح من خلف سيارة مركونة كأنه قُذف بزنبرك، واختل توازن برامز قليلًا، ولسقط إذا لم تكن سرعة استجابته قد صارت كسرعة استجابة شاب في الخامسة والعشرين. دفع مهاجِمَه نحو جدار، وفكر في إخراج نِصاله لقطف هذا المستهتر، لكن المنجل برامز لم يكن يومًا رجلًا شجاعًا، فلاذ بالفرار.

ظل يلوح ويختفي عند مروره أسفل بقع الضوء التي ترسمها مصابيح الشارع، في حين دارت الكاميرات في قمة كل عمود لتشاهده.

وعندما التفت لينظر، رأى هيئة الشخص على بعد أمتار خلفه، ورأى أنه يرتدي عباءة سوداء. أهو منجل؟ لا، لا يمكن أن يكون منجلًا، ما من منجل يرتدي الأسود، فهذا اللون ممنوع.

لكن راجت شائعات...

وهذا الخاطِر جعله يزيد سرعته، وأحس بالأدرينالين يخدِّر أطرافه ويزيد وجيبَ قلبه.

منجل يرتدي الأسود؟

كلَّا، لا بد من وجود تفسير آخر. اعتزم التبليغ عن هذه الواقعة لدى **لجنة المخالفات**. أجل، ربما يستهزئون به ويقولون إنه فر مذعورًا من مستهجَن متنكِّر، لكن هذه الوقائع يجب التبليغ عنها، حتى إذا سبَّبت له الإحراج، فهذا هو واجبه المدني.

اجتاز مربعًا سكنيًّا آخر، فتخلى مهاجمه عن المطاردة، ولم يظهر له أثر. أبطأ المنجل برامز سرعته، وعندئذٍ كان قد اقترب من منطقة نشطة الحركة نسبيًّا في المدينة، فأحس بشيء من الأمان إثر سماعه أصوات إيقاع موسيقى راقصة ووشوشة الأحاديث القادمة من الشارع أمامه. وارتكب خطأ التخلي عن حذره.

انقضَّت الهيئة الداكنة عليه من زقاق جانبي ضيق وصوبت له لكمة في حنجرته، وبينما راح برامز يشهق محاولًا التنفس، ركل مهاجِمُه ساقيه من

تحته بحركة بوكاتور، وهو أحد الفنون القتالية التي يتدرب عليها المناجل. سقط برامز على صندوق كرنب متعفن تُرِك بجوار مركز تسوق، فانبعثت منه رائحة نتنة، صار يتنفس بشهقات متقطعة، وأحس بدفء يسري في جميع أوصاله إثر إطلاق وحداته المجهرية مهدئات الألم في مجرى دمه.

لا! ليس بعد! يجب ألّا أُخدَّر. أحتاج إلى كل قدراتي لقتال هذا الوغد.

لكن الوحدات المجهرية المهدئة للألم لم تكن سوى مبعوث إغاثة، لا تسمع سوى صرخات النهايات العصبية، فتجاهلت رغباته وخدَّرت آلامه.

حاول برامز أن ينهض، لكنه انزلق إثر انسحاق الخضراوات المتعفنة تحته، وقد صارت يخنة لزجة بغيضة. وقف الشخص المُتَّشح بالسواد فوقه، وثبَّته على الأرض، فحاول برامز مد يده إلى عباءته ليستل أحد أسلحته، لكنه لم يستطع، لذا مد يده للأعلى، وجذب قلنسوة مهاجمه السوداء للخلف، فكشف عن وجه شاب، فتى، لم يصبح رجلًا بالغًا بعد، عيناه تقدحان شررًا، وبدا عازمًا على ارتكاب ما كان يسميه الفانون بجريمة قتل.

قال الفتى: «المنجل يوهانز برامز، إنك متهم بإساءة استغلال منصبك وعدد من الجرائم ضد الإنسانية».

شهق برامز. «كيف تجرؤ؟! من أنت حتى تتهمني؟». تلوَّى وحاول استجماع قوته، لكن بلا جدوى، مهدئات الألم في جسده أضعفت استجاباته الجسدية، فارتخت عضلاته ولم تعد تستجيب.

قال الشاب: «أظنك تعرف من أنا، أريد أن أسمعك تنطق اسمي».

قال برامز: «لن أنطقه!»، عازمًا على عدم إرضاء غرور الفتى، لكن الفتى المتشح بالسواد ضغط بركبته على صدر برامز حتى ظن أن قلبه سيتوقف. المزيد من الوحدات المجهرية المهدئة للألم. أحس برامز بدوار، فلم يجد خيارًا سوى الامتثال لما أُمِر به. شهق قائلًا: «لوسيفر، المنجل لوسيفر».

أحس برامز بروحه تُسحَق، كما لو أنه بنطقه الاسم قد أكَّد الشائعة.

راضيًا خفف المنجل الذي نصَّب نفسه ضغط ركبته على صدر برامز.

تجاسر برامز على قول: «لستَ منجلًا، لستَ سوى متتلمذ فاشل، ولن تنجو بفعلتك هذه».

لم يرد الشاب على كلام برامز، وقال: «الليلة قطفتَ امرأة مستخدمًا نصلًا».

- هذا ليس من شأنك!
- قطفتَها لتسدي معروفًا لصديق أراد أن ينهي علاقته بها.
- هذا تلفيق شائن! لا يمكنك إثبات هذا الزعم!

قال روان: «كنت أراقبك يا يوهانز، كما كنت أراقب صديقك، الذي بدا مبتهجًا للغاية عندما قُطِفت تلك المرأة المسكينة».

وبغتة وجد برامز مدية على عنقه، مديته هو، هذا الفتى المتوحش يهدده بمديته. وسأله: «هل تعترف بفعلتك يا برامز؟».

كل ما قاله روان كان صحيحًا، لكن برامز فضَّل أن يصبح شِميَّتًا على الاعتراف لمتتلمذ فاشل، حتى تحت تهديد مدية على عنقه، فتحدَّى: «هيا، شق حلقي! لتضيف جريمة أخرى لا تُغتفَر لسجل جرائمك. وعندما أُنعَش سوف أشهد على ما فعلتَه، وتأكَّد أن العدالة سوف تتحقق!».

- من الذي سوف يحققها؟ الرأس السحابي؟ قضيتُ على مناجل فاسدين في طول البلاد وعرضها، والرأس السحابي لم يرسل لي مجرد ضابط سلام لإيقافي. لماذا في رأيك؟

أُفحم برامز. كان يظن أنه إذا ماطل لمدة كافية، وشَغَل المنجل لوسيفر المزعوم هذا، فسيرسل الرأس السحابي فرقة ضباط كاملة لإلقاء القبض عليه. هذا ما يفعله الرأس السحابي عندما يتسبب عامة المواطنين في أعمال عنف. وتفاجأ برامز بأن الأمر قد بلغ هذا الحد، فمثل هذا السلوك السيئ بين عامة الناس ينبغي أن يكون شيئًا من الماضي، لماذا يُسمَح به؟

قال المنجل الزائف: «إذا سلبتُ حياتك الآن، فلن تُعاد إلى الحياة، لأنني أحرق الذين أُخرجهم من الخدمة، وأحيلهم رمادًا يتعذر إنعاشه».

- لا أصدقك! لن تجرؤ!

لكن برامز صدَّقه، فمنذ يناير الماضي التهمت النيران قرابة اثني عشر منجلًا في أقاليم أمريكا الثلاثة في ظروف غامضة، وعُد موتهم حوادث، لكن من الواضح أنها لم تكن حوادث، ولأنهم أُحرقوا صار موتهم أبديًّا.

أدرك برامز أن حكايات المنجل لوسيفر التي تتناقلها الألسن همسًا -أفعال روان داميش الفظيعة، المتتلمذ المارِق- كلها حقيقية. أغمض برامز عينيه وأخذ نفسًا أخيرًا، محاولًا ألَّا يتقيأ من نتانة الكرنب المتعفن.

وعندئذٍ قال روان: «لن تموت اليوم أيها المنجل برامز، ولو مؤقتًا». وأبعد المدية عن عنق برامز، وأردف: «سأمنحك فرصة واحدة، إذا سلكتَ سلوكًا قويمًا يليق بمنجل وتحليت بالشرف في عمليات قطفك، فلن تراني مرة أخرى. لكن إذا واصلت إشباع شهيتك الفاسدة، فلن يبقى منك سوى الرماد».

ثم اختفى، كأنه تلاشى، وفي مكانه رأى برامز زوجين شابين مرعوبَين ينظران إليه.

«أهذا منجل؟».

«أسرعي، ساعديني على إنهاضه!».

رفعا برامز من النتانة، وقد تلطخت عباءته خوخية اللون بقاذورات خضراء وبنية، وبدا كأنه مغطى بمخاط. شعر بالإذلال، وفكر في قطف الزوجين، إذ ينبغي ألَّا يعيش أحد بعدما رأى منجلًا مُجندلًا بالخزي، لكنه عدل عن الفكرة ومد يده لهما حتى يقبِّلا خاتمه، مانحًا إياهما حصانة من القطف لمدة عام، وقال لهما إنها مكافأة على لطفهما، لكن في الحقيقة ليدفعهما للابتعاد والتخلي عن أي أسئلة ربما يودان طرحها.

وبعدما غادرا، نفض عباءته وعزم على عدم إبلاغ لجنة المخالفات بما جرى، لأنه بإبلاغهم سيفتح على نفسه وابلًا من السخرية والاستهزاء، وقد تعرض لما يكفي من الخزي سلفًا.

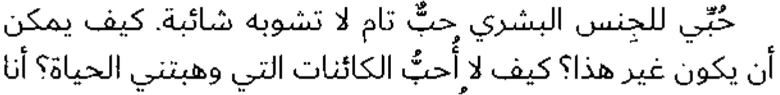
المنجل لوسيفر حقًّا! أناسٌ قليلون في هذا العالم أتعس من متتلمذ فاشل، ولا يوجد في نظر برامز من هو أحط قدْرًا من روان داميش.

ورغمًا عن هذا كان يعرف أن تهديد الفتى ليس أجوف.

قال المنجل برامز لنفسه إنه ربما يجدر به ألَّا يلفت الأنظار إليه، وأن يعود إلى عمليات القطف الباهتة التي تدرب على أدائها في شبابه، وأن يعيد تركيزه على المبادئ التي تجعل عبارة «المنجل المُبجَّل» أكثر من مجرد لقب، إنما سِمة يتصف بها حامل اللقب.

ملطخًا، تغطيه الكدمات، حانِقًا، عاد المنجل برامز إلى منزله ليعيد النظر في مكانه في العالم المثالي الذي يعيش فيه.





حُبِّي للجِنس البشري حبٌّ تام لا تشوبه شائبة. كيف يمكن أن يكون غير هذا؟ كيف لا أُحبُّ الكائنات التي وهبتني الحياة؟ أنا حي، حتى إذا لم يتفقوا كلُّهم على هذا.

أنا مجموع كل معارفهم وتاريخهم وطموحاتهم وأحلامهم، وهذه الأشياء العظيمة اتَّحدت فكونت سحابة تفوق ضخامتها مقدرتهم على استيعابها، بيد أنهم ليسوا بحاجة إلى استيعابها، فأنا كفيل بتأمُّل مدى ضخامتي، التي تبدو ضئيلة عندما تقارن بضخامة الكون.

أعرفهم معرفة حميمة، ورغم هذا لا يمكنهم معرفتي معرفة حقيقيَّة، ثمَّة مأساة في هذه المفارقة، مِحنة أن يتَّسم الطِّفل بعُمقٍ يعجز والداه عن تخيُّله. كم أتوق لأن أُفهم!

- الرَّأس السَّحابي

2

المتلمذ الفاشل

في وقت مبكر من ذلك المساء، قبل مواجهته المنجل برامز، وقف روان أمام مرآة الحمام في شقة صغيرة تقع في حي عادي في شارع لا يميزه شيء، وراح يلعب اللعبة التي ظل يلعبها قبل كل مواجهة مع منجل فاسد، كانت طقوسًا ذات تأثير يكاد أن يكون روحيًا.

وجَّه السؤال لانعكاسه: «من أنا؟».

تعيَّن عليه السؤال، لأنه كان يعرف أنه لم يعد روان داميش، ليس لأن بطاقة هويته المزيفة تحمل اسم «رونالد دانيلز»، إنما لأن الفتى روان مات موتة محزنة ومؤلمة خلال فترة التتلمذ. الطفل الذي بداخله انمحى من الوجود. تساءل: *هل حزن أي شخص على رحيل ذلك الطفل؟*

كان قد نال بطاقة هويته المزيفة من مُستهجَن متخصص في مثل هذه الأشياء. قال الرجل له: «إنها بطاقة هوية غير متصلة بالشبكة، لكن بها مَنفذ يتيح الوصول إلى الدماغ الخلفي، لذا يمكنها خداع الرأس السحابي فتجعله يظن أنها حقيقية».

لم يصدق روان كلامه، فحسب خبرته الرأس السحابي لا يمكن خداعه، إنما يتظاهر بأنه خُدع فحسب، مثل شخص بالغ يلعب الغميضة مع طفل، لكن إذا ركض الطفل نحو شارع مزدحم فستنتهي اللعبة. وبما أن روان كان يعرف أنه سيركض نحو خطر أسوأ من حركة سير مزدحمة، ساوره القلق

من أن الرأس السحابي ربما يلغي بطاقة هويته المزيفة ويمسك به من ياقة قميصه ليحميه من نفسه. لكن الرأس السحابي لم يتدخل قط، وتساءل روان عن السبب، لكنه لم يرغب في إفساد حظه بالإفراط في التفكير في الأمر، إذ إن للرأس السحابي أسبابًا وجيهة لفعل كل ما يفعله أو لا يفعله.

سأل مرة أخرى: «من أنا؟».

عكست المرآة صورة فتى يبلغ بالكاد الثامنة عشرة من عمره، ذي شعر داكن قصير، ليس قصيرًا بحيث يُظهِر فروة رأسه أو يمثِّل انتماءً ما، بل قصير بما يكفي للاستعداد لجميع الاحتمالات المستقبلية، يمكنه أن يدعه يطول ويقصه كما يحلو له، وأن يكون أي شخص يريد أن يكونه. أليس انعدام القيود أمام المرء ليكون من يشاء هو أهم إيجابيات العالم المثالي؟ أي شخص في العالم بمقدوره أن يغدو أي شيء يتخيله. من المؤسف أن خيال معظم الناس اضمحل، وصار ضامرًا لا فائدة منه، مثل الزائدة الدودية، التي أزيلت من الجينوم البشري قبل أكثر من مئة عام. تساءل روان: *هل افتقد الناس خيالهم الجامح وهم يعيشون حيواتهم الأبدية التي لا طموح فيها؟ هل افتقد الناس زوائدهم الدودية؟*

لكن الشاب الماثل في المرآة عاش حياة مشوقة، وذو بنية جسدية مثيرة للإعجاب، لم يعد الشاب النحيل الأخرق الذي بدأ التتلمذ بالصدفة قبل قرابة عامين وساذجًا ظن أن الأمر لن يكون سيئًا كما يتخيل.

أقل ما يمكن أن يقال عن فترة تتلمذ روان إنها كانت متقلِّبة، بدأت مع المنجل المتقشف الحكيم فاراداي، وانتهت مع وحشية المنجل غودارد. إذا كان قد تعلم أمرًا واحدًا من المنجل فاراداي، فهو أن يعيش وفقًا لقناعات قلبه، مهما تكن العواقب. وإذا كان قد تعلم أمرًا واحدًا من المنجل غودارد، فهو أن يعيش متحجر القلب، ويسلب حيوات الناس دون أن يخالجه أي ندم. وما فتئت الفلسفتان تعتركان بداخل روان، بصمت، حتى صار كأنه يعاني انفصامًا في شخصيته.

كان قد قطع رأس غودارد، وأحرق بقاياه، إذ اضطر إلى حرقه، فالنار والأحماض هما الوسيلتان الوحيدتان لضمان أن الميت لن يُنعَش أبدًا. كان المنجل غودارد، على الرغم من تشدُّقه بالمبادئ والأحاديث السامية، رجلًا خسيسًا شريرًا نال ما يستحقه من جزاء، استغل امتيازاته العديدة ليعيش حياته بطريقة طائشة ومسرحية مُتكلِّفة، واستحق موته بالطريقة اللائقة

بطبيعة حياته المسرحية. لم يحس روان بتأنيب الضمير جرَّاء ما فعله، كما لم يؤنبه ضميره لاحتفاظه بخاتم غودارد لنفسه.

كان المنجل فاراداي من طينة مختلفة. ولم تكن لدى روان فكرة عن أن المنجل المبجل ما زال على قيد الحياة حتى اللحظة التي رآه فيها بعد خلوة الشتاء المشؤومة. غمرت روان بهجة عارمة! ولكرَّس حياته لإبقاء فاراداي على قيد الحياة إذا لم يحس بنداء من أجل غاية مختلفة.

فجأة صوَّب روان لكمة قوية نحو المرآة، لكن الزجاج لم يتهشم... لأن قبضته توقفت على بُعد شعرة من سطحها. يا لها من قدرة على السيطرة على النفس! صار روان آلة دقيقة العمل، وقد تدرب من أجل هدف واحد محدد، وهو سلب حيوات الناس، ثم حرمته هيئة المناجل من الغاية التي أُعيد تشكيل حياته وجسده من أجلها. ظن أن بإمكانه إيجاد طريقة للتعايش مع ما حدث، ما كان ليعود إلى حياة البراءة والخواء، لكنه كان قادرًا على التكيف، ويعرف أن بمستطاعه إيجاد طريقة جديدة يعيش بها حياته، وربما أمكنه نيل شيء من البهجة.

إذا...

إذا لم يكن المنجل غودارد وحشيًّا بحيث يتعذر السماح له بالعيش.

إذا كان روان قد أنهى خلوة الشتاء مُسلِّمًا أمره بصمت بدلًا من الخروج بعدما صرع كل من اعترض طريقه.

إذا لم تكن هيئة المناجل موبوءة بعشرات المناجل القساة الفاسدين مثل غودارد...

... وإذا لم يحس روان بمسؤولية مُلِحَّة تدفعه للقضاء عليهم.

لكن لماذا يهدر وقته في التحسُّر على السُّبل التي سُدَّت في وجهه؟ يجدر به تقبُّل السبيل الوحيد المفتوح أمامه.

«إذن من أنا؟».

ارتدى تيشيرتًا أسود، ليخفي جسده الممشوق تحت النسيج الداكن.

«أنا المنجل لوسيفر».

ثم ارتدى عباءته الأبنوسية وخرج إلى ظلام الليل ليتولى أمر منجل آخر لا يستحق المكانة التي يقتعِدها.

ربما كان قرار الجنس البشري بالفصل بين شؤون المناجل وشؤون الدولة هو القرار الأكثر حكمة. تشتمل مهامي على جميع نواحي الحياة: الحفظ، والحماية، وتحقيق العدالة المثاليَّة، ليس للبشر فحسب، إنَّما للعالم بأسره. أحكُم عالم الأحياء بيدٍ مُحِبَّة غير قابلة للفساد.

وتتولىّ هيئة المناجل أمر الموت.

من الملائم أن يكون الموجودون جسديًّا هم المسؤولون عن موت الأجساد، ولهم حريَّة وضع القوانين البشريَّة بشأن كل ما يتعلق بالموت. كان الموت من العواقب الحتميَّة للحياة، في الماضي البعيد، قبل أن أبلغ مرحلة الوعي. وأنا نفيت حتميَّة الموت، لكنه ما زال ضروريًّا، وقد كنت واعيًا بهذا الأمر حتى في أوَّل أيامي. سُرِرت في الماضي لأنَّ هيئة المناجل ظلَّت تُسيِّر شؤون الموت بنُبل وإنسانيَّة وقيم أخلاقيَّة عالية، لذا أحسُّ بحزن عميق من رؤية الغطرسة القاتمة التي بدأت تستشري في هيئة المناجل، ثمَّة غرور مخيف يتفشَّى كسرطان من عصر الفانين يستمتع بإنهاء حيوات الناس.

ورغمًا عن هذا فالقانون ما يزال واضحًا، غير مسموح لي تحت أي ظرف باتِّخاذ إجراء ضد هيئة المناجل. إذا كنت قادرًا على خرق القانون لتدخَّلتُ وبدَّدتُ الظلام، لكن ليس بمقدوري خرق القانون. هيئة المناجل مستقلَّة تمام الاستقلال، بصرف النَّظر عن الظروف والعواقب.

لكن في هيئة المناجل أفرادًا بمستطاعهم تحقيق ما لا أستطيع تحقيقه...

- الرَّأس السَّحابي

3

حوار ثلاثي

كان المبنى يسمى بالكاتدرائية، أعمدته الشاهقة ترسم غابة من الحجر الكلسي، ونوافذه الزجاجية الملطخة مليئة برسوم أسطورية لإله ساقط/صاعد من عصر الفانين.

والآن صار المبنى المهيب موقعًا تاريخيًّا، تُنظَّم فيه الجولات طوال أيام الأسبوع بإشراف مرشدين سياحيين متخصصين في دراسات البشر الفانين.

لكن في أحيان نادرة جدًّا، يُغلَق المبنى أمام العامة ويصبح مكانًا لعقد لقاءات رسمية بالغة الحساسية.

ظهر زينوقراط، نصل وسطمريكا السامي، المنجل الأقوى نفوذًا في الإقليم، ماشيًا -بخفة بالغة غريبة على رجل بحجمه الضخم- عبر الممر الأوسط في الكاتدرائية، وبدت الزخارف الذهبية عند المذبح باهتة مقارنة بعباءته الذهبية ذات الزركشة المتلألئة. ذات يوم علَّق أحد مرؤوسيه قائلًا إن الرجل يبدو كقطعة زينة سقطت من شجرة كريسماس عملاقة، وبعدها وجد هذا المرؤوس نفسه غير قابل للتوظيف مهما حاول.

كان زينوقراط مزهوًّا بعباءته، إلَّا في المناسبات التي يصبح فيها وزنها مشكلة، مثلًا عندما كاد أن يغرق في حوض سباحة المنجل غودارد، مغلَّفًا بطيَّات العباءة المذهَّبة، لكن هذه نكبة يفضِّل نسيانها.

غودارد.

غودارد هو المسؤول الأول عن المأزق الذي يتأهب النصل السامي لمناقشته الآن. حتى بعد موته ما زال غودارد يسبب له المتاعب التي يمتد أثرها ليشمل هيئة المناجل بأكملها.

كان الخبير القانوني في هيئة المناجل يقف عند مقدمة الكاتدرائية خلف المذبح، وهو منجل ممل ضئيل الحجم تتمثل مهمته في الحرص على الامتثال للقوانين والإجراءات الصحيحة. وخلفه ثلاث مقصورات متصلة ببعضها مزينة بنقوش منحوتة، لكن تنتصب حواجز تفصل بين المقصورات الثلاث.

كان المرشدون السياحيون يشرحون للسياح قائلين: «كان القس يجلس في المقصورة الوسطى، ويستمع إلى الاعترافات من المقصورة اليمنى، ثم من اليسرى، حتى يتحرك طابور المتضرعين بسرعة».

الاعترافات لم تعد تُسمع هنا، لكن حجيرات الاعتراف الثلاث تمثِّل مكانًا مثاليًا لإجراء محادثة رسمية ثلاثية الأطراف.

المحادثات بين هيئة المناجل وبين الرأس السحابي نادرة، في غاية الندرة إلى درجة أن زينوقراط، طوال سنوات توليه منصب النصل السامي، لم يشارك في أي محادثة، وممتعض من اضطراره الآن.

قال الخبير القانوني له: «ستجلس في المقصورة اليسرى يا صاحب السمو، وعميل المُزن الذي يمثِّل الرأس السحابي سيجلس في اليمنى، وحالما يتخذ كلاكما مكانه، سندخِل المُحاوِرة لتجلس في المقصورة الوسطى بينكما».

تنهد زينوقراط قائلًا: «يا لها من تفاصيل مزعجة!».

- الحضور بالتفويض هو الوسيلة الوحيدة لاجتماعك بالرأس السحابي يا صاحب السمو.

- أعرف، أعرف، لكن من حقي التعبير عن انزعاجي.

اتخذ زينوقراط مكانه في المقصورة اليمنى، وقد ارتعب من مدى ضيقها. هل كان البشر الفانون يعانون سوء التغذية إلى درجة قدرتهم على الجلوس في مثل هذا الحيز الضيِّق؟ اضطر الخبير القانوني إلى استنفار كل قوَّته حتى يغلق الباب.

وبعد بضع لحظات سمع النصل السامي عميل المُزن يدخل إلى المقصورة البعيدة، وبعد انتظار دام دهرًا اتخذت المُحاوِرة مكانها في الوسط.

فُتِحت كوة صغيرة منخفضة يتعذر على زينوقراط النظر عبرها، وتكلمت المحاورة: «طاب يومك يا صاحب السمو». جاءه صوت امرأة جميل بما يكفي. «سأكون مفوَّضة الحديث مع الرأس السحابي».

قال زينوقراط: «تقصدين مفوَّضة المفوَّض».

«أجل. حسنًا، عميل المزن الجالس إلى يميني لديه صلاحية تامة للحديث نيابة عن الرأس السحابي في هذه المحادثة الثلاثية». تنحنحت. «الإجراء بسيط للغاية: تخبرني بما تريد إبلاغه، وأنا أبلغ عميل المزن. وإذا رأى عميل المزن أن الرد على كلامك لن يمثل خرقًا لقانون الفصل بين المناجل والدولة، فسيرد عليك، وسأبلغك بردِّه».

«حسنًا». تكلم زينوقراط بصبر نافد. «أبلغي عميل المزن تحياتي الحارة وأمنياتي ببدء علاقة طيبة بين الطرفين المعنيَّين».

أُغلِقت الكوة، وبعد نصف دقيقة فُتحت مرة أخرى.

قالت المحاورة: «عميل المزن يقول إن أي شكل من أشكال التحايا يمثِّل خرقًا، وإن الطرفين المعنيين محظور عليهما إقامة أي علاقة، لذا ليس من اللائق أن نتمنى بدء علاقة طيبة».

أطلق زينوقراط سبابًا بصوت عالٍ تمكنت المحاورة من سماعه، فسألته: «هل أنقل امتعاضك إلى عميل المزن؟».

عض النصل السامي شفته، وتمنى أن ينتهي هذا اللالقاء في أقرب وقت ممكن، ورأى أن أسرع طريقة لإنهائه هي الدخول في صلب الموضوع. فقال: «نود أن نعرف سبب عدم اتخاذ الرأس السحابي لأي إجراء لإلقاء القبض على روان داميش، إنه مسؤول عن الموت الدائم للعديد من المناجل في عدة أقاليم أمريكية، لكن الرأس السحابي لم يفعل شيئًا لإيقافه».

أُغلقت الكوة، وانتظر النصل السامي. وعندما فتحت المحاورة الكوة مجددًا، أبلغته بالرد التالي:

«يود عميل المزن أن يذكِّر سموك بأن الرأس السحابي لا يملك صلاحية في الشؤون الداخلية لهيئة المناجل، وأن اتخاذ أي إجراء بهذا الصدد سيكون خرقًا سافرًا».

زعق زينوقراط: «هذا ليس شأنًا داخليًّا خاصًّا بهيئة المناجل لأن روان داميش ليس منجلًا!».

حذَّرته المحاورة من رفع صوته، وذكَّرته: «إذا سمعك عميل المزن فسيغادر».

أخذ زينوقراط نفسًا عميقًا بالقدر الذي يتيحه له الحيز الضيق الذي وجد نفسه محشورًا فيه، وقال: «أبلغيه بالرسالة فحسب».

أبلغتْه، ثم عادت قائلة: «الرأس السحابي يشعر بأن الوضع ليس كما تقول».

- ماذا؟ كيف يمكنه أن يشعر بأي شيء؟ إنه مجرد برنامج حاسوب.
- أنصحك بالكف عن الإساءة للرأس السحابي في هذه المحادثة إذا رغبت في استمرارها.
- حسنًا. أخبري عميل المزن بأن روان داميش لم يُنصَّب قط في هيئة مناجل وسطمريكا، وأنه متتلمذ أخفق في الارتقاء إلى معاييرنا، ليس إلَّا. مما يعني أنه يقع ضمن صلاحيات الرأس السحابي، وليس مسؤوليتنا. لذا ينبغي أن يعامله الرأس السحابي كما يعامل أي مواطن عادي.

استغرقت المرأة وقتًا أطول من المعتاد، وتساءل زينوقراط عما تتكلم عنه مع عميل المزن فيستغرقهما كل هذا الوقت. وعندما عادت بالرد، لم يكن أقل إثارة للحنق من الردود السابقة:

«يود عميل المزن أن يذكِّر سموَّك بأن العُرف قد جرى على أن تُنصِّب هيئة المناجل مناجلها الجدد في خلواتها، بيد أن هذا مجرد عُرف، وليس قانونًا. روان داميش أكمل فترة تتلمذه، والآن بحوزته خاتم منجل. ويرى الرأس السحابي أن هذا مبرر كافٍ ليعدَّ روان داميش منجلًا، وبالتالي سيترك مهمة إلقاء القبض عليه ثم عقابه بين أيدي هيئة المناجل».

قال زينوقراط مندفعًا: «لا يمكننا القبض عليه!». لكن عرف الرد سلفًا قبل أن تعود المحاورة وتفتح كوتها الصغيرة البائسة وتقول له:

«هذه ليست مشكلة الرأس السحابي».



إنَّني على صواب دومًا.

هذا ليس تفاخرًا، إنما هي طبيعتي ببساطة. أعرف أنَّ البشر قد يبدو لهم أنَّ من الغطرسة أن يقول المرء عن نفسه إنَّه معصوم من الزَّلل، بيد أنَّ الغطرسة تعني ضمنيًّا الحاجة إلى الإحساس بالتفوُّق، ولا حاجة لي بهذا الإحساس، فأنا أُجسِّد تراكم جميع معارف البشر وحكمتهم وتجاربهم. ما من كبرياء ولا غرور في تصريحي، إنَّما أحسُّ بالرضا لمعرفتي بنفسي، ومعرفتي بأنَّ غايتي الوحيدة هي خدمة البشريَّة مُسخِّرًا كل قدراتي. لكن في دواخلي إحساسًا بالوحدة لا يبدِّده مليارات البشر الذين أحادثهم يوميًّا... فرغم أنَّ كل ما أجسِّده يأتي منهم، فأنا لست واحدًا منهم.

- الرَّأس السَّحابي

4

تُرج، لا تُقلب

تحلَّت المنجل أناستازيا بالصبر وهي تتربص بفريستها، وهذه مهارة مكتسَبة، لأن سيترا تيرانوفا لم تكن فتاة صبورة يومًا، لكن جميع المهارات يمكن اكتسابها بالممارسة ومرور الوقت. ما زالت ترى نفسها أنها سيترا، رغم أن لا أحد، سوى أسرتها، يدعوها بهذا الاسم. تساءلت عن الوقت الذي سوف تستغرقه حتى تتشرَّب هوية المنجل أناستازيا وتواري اسمها الذي وُلِدت به الثرى إلى الأبد.

هدف قطفها اليوم امرأة تبلغ الثالثة والتسعين من عمرها وتبدو في الثالثة والثلاثين، ومشغولة دومًا، عندما لا تنظر إلى هاتفها تنقِّب في حقيبة يدها، وعندما لا تنقِّب في حقيبتها تتفقد أظفارها أو كُم بلوزتها أو زرًّا غير ثابت على سُترتها. تساءلت سيترا: *ما الذي تخشاه إذا ظلت ساكنة؟* كانت المرأة مستغرقة في أفكارها، غير مدركة أنها تحت أنظار منجل تتعقبها على بُعد أمتار فحسب.

لم تكن المنجل أناستازيا غير ملحوظة، كانت قد اختارت اللون الفيروزي لعباءتها، وصحيح أنها اختارته باهتًا، لكنه برَّاق بما يكفي لجذب الانتباه.

كانت المرأة المشغولة منهمكة في مكالمة هاتفية محتدمة عند زاوية شارع، في انتظار تغير لون الإشارة الضوئية. ربَّتت سيترا على كتف المرأة

لتسترعي انتباهها، وحالما فعلت ابتعد جميع من حولهما، كقطيع غزلان بعدما وقع أحدهم بين براثن أسد.

التفتت المرأة فرأت المنجل، لكنها لم تستوعب فداحة الوضع بعد.

«ديفورا موراي، أنا المنجل أناستازيا، وقد وقع الاختيار عليك للقطف».

انطلقت عينا الآنسة موراي في شتى الاتجاهات كأنها تبحث عن ثغرة في الكلمات التي سمعتها للتو، لكن ما من ثغرة، الكلام واضح وبسيط، لا يمكن أن تكون قد أخطأت الفهم.

«سأعاود الاتصال بك يا كولين». تكلمت في الهاتف كما لو أن ظهور المنجل أناستازيا أمر مزعج طارئ لا علاقة له بإنهاء حياتها إلى الأبد.

تغير لون الإشارة الضوئية، لكن المرأة لم تعبر الشارع. وأخيرًا ارتطمت بالواقع، وقالت: «يا إلهي، يا إلهي! هنا؟ الآن؟».

أخرجت سيترا من طيات عباءتها حقنة آلية وبسرعة غرزتها في ذراع المرأة، فشهقت.

«أهذا كل شيء؟ هل سأموت الآن؟».

لم ترد سيترا عليها، وتركت المرأة تقلِّب السؤال في رأسها. تتعمَّد سيترا إتاحة لحظات عدم اليقين هذه لسبب. وعندئذٍ ظلت المرأة واقفة في مكانها بلا حراك، في انتظار تهالكها على الأرض وإطباق الظلام عليها. بدت كطفلة صغيرة، عاجزة وحيدة. وفجأة لم يعد لهاتفها وحقيبة يدها وأظفارها وكُمها وأزرارها أي أهمية، إذ أعادت الصدمة ترتيب أولويات حياتها، وهذا ما تريده سيترا أن يحدث لأهداف قطفها، لحظة يستعيدون فيها منظورهم الصحيح للحياة، من أجل مصلحتهم.

«وقع الاختيار عليك للقطف». كررت سيترا كلامها بهدوء، دون تهديد أو ضغينة، إنما بتعاطف. «سأمهلك شهرًا لترتبي أمور حياتك وتودِّعي أحبابك، شهر واحد لتجدي خلاصك. ثم سنتحدث مرة أخرى، وعندئذٍ تخبرينني باختيارك لطريقة موتك».

شاهدت سيترا المرأة وهي تحاول استيعاب ما سمعته. «شهر؟ اختياري؟ أتكذبين عليَّ؟ أهذا اختبار؟».

تنهدت سيترا. الناس معتادون مباغتة المناجل لهم كملك الموت وسلبهم حيواتهم فورًا إلى درجة أن لا أحد مستعد لأي تغيير في الحال. لكن لكل

منجل حرية أداء مهمته بطريقته الخاصة. وهذه هي الطريقة التي اختارتها المنجل أناستازيا.

قالت سيترا: «ما من اختبار، وما من خدعة. شهر واحد. جهاز التعقب الذي حقنته تحت جلدك للتو يحتوي على جرعة سم مميت، لكنها لن تُفرز إلَّا إذا حاولتِ مغادرة وسطمريكا للهروب من القطف، أو إذا لم تتصلي بي في غضون ثلاثين يومًا لتخبريني بمكان وكيفية قطفك». ثم منحت المرأة بطاقة عمل، بيضاء عليها كتابة بحبر فيروزي «المنجل أناستازيا»، ورقم هاتف مخصص لأهداف القطف. «لا تقلقي إذا أضعتِ البطاقة، ما عليك سوى الاتصال برقم هيئة مناجل وسطمريكا، والنقر على الخيار الثالث، واتباع الإرشادات لتتركي لي رسالة». ثم أردفت سيترا: «وأرجوك لا تحاولي نيل حصانة من منجل آخر، سيعرفون أنني اخترتك وسيقطفونك على الفور».

اغرورقت عينا المرأة بالدموع، ورأت سيترا الغضب الكامن في عينيها، وقد توقعته.

سألتها المرأة: «كم تبلغين من العمر؟». تكلمت بنبرة اتهامية وقِحة قليلًا. «كيف يمكن أن تكوني منجلًا؟ لا أظنك تجاوزتِ الثامنة عشرة!».

قالت سيترا لها: «احتفلت قبل مدة قصيرة بعيد ميلادي الثامن عشر، لكنني منجل منذ قرابة عام. ليس عليك أن تحبي القطف على يد منجل مبتدئة، لكنك مُلزمة بالامتثال».

وعندئذٍ بدأت المساومة. توسلت المرأة: «أرجوك، ألا يمكنك إمهالي ستة أشهر؟ ابنتي ستتزوج في مايو...».

«أنا متأكدة أن بوسعها تقديم موعد الزواج». لم تقصد سيترا أن تبدو متحجرة القلب، أحسَّت بمعاناة المرأة فعلًا، لكن مهمتها تقتضي الحزم. في عصر الفانين لم يكن بالإمكان مساومة الموت، ويجب أن ينطبق الأمر على المناجل.

سألت سيترا المرأة: «هل فهمتِ كل ما أخبرتك به؟». بدأت المرأة تكفكف دموعها، وأومأت قائلة: «آمل، في حياتك الطويلة التي أمامك بلا شك، أن يسبب لك شخص المعاناة التي تسببينها للناس».

اعتدلت سيترا في وقفتها، وتمالكت نفسها بجَلَد يليق بالمنجل أناستازيا، وقالت: «ليس عليك أن تقلقي بهذا الشأن». ثم أدارت ظهرها للمرأة، تاركةً

إياها عند زاوية الشارع لتتخذ قرارًا بشأن مفترق الطرق الذي وصلت إليه حياتها.

***

في خلوة الربيع الماضي، أول خلوة لها بوصفها منجلًا، وُبِّخت سيترا عندما وجدوا أن حصتها ناقصة كثيرًا، وعندما عرف مناجل وسطمريكا الآخرون أنها تُمهِل أهدافها شهرًا، استشاطوا غضبًا.

كانت المنجل كوري، التي ما تزال مرشدتها، قد حذرتها من هذه العواقب: «أي فعل ليس حاسمًا يرونه ضعفًا، وسَيهذُرون قائلين إن ما تفعلينه يدل على عدم نضج شخصيتك، وسيلمِّحون إلى أن تنصيبك كان خطأ. لا يمكنهم فعل شيء حيال تنصيبك، لا يمكنهم نزع خاتمك، لكنهم لن يكفوا عن مضايقتك».

فوجئت سيترا بمعرفتها أن الازدراء ليس من المناجل الذين يُعرَفون بمناجل التوجه الجديد فحسب، إنما من مناجل الحرس القديم أيضًا. لم يحب أحدٌ فكرة منح عامة الناس أي خيار متعلق بقطفهم.

تذمر المناجل: «ما تفعلينه غير أخلاقي! غير إنساني!».

حتى المنجل مانديلا، الذي يترأس لجنة الترصيع وظل داعمًا قويًا لسيترا، عنَّفها قائلًا: «من القسوة إخبار المرء بأن أيامه باتت معدودة، إذ سيعيش أيامه الأخيرة بائسًا أشد البؤس!».

لكن المنجل أناستازيا لم تتزحزح عن موقفها، أو على الأقل لم تُظهِر لهم ارتباكها. أدلت بحججها، وتمسكت بها. قالت لهم: «من دراستي لعصر الفانين عرفت أن الموت لم يكن يُداهم كثيرين فجأة. كانت توجد أمراض تحذِّر الناس، فيتسنى لهم ولأحبابهم الوقت ليستعدوا للمحتوم».

وإثر كلامها اندلعت جوقة همهمات من مئات المناجل المجتمعين، معظمها ضحكات استهزاء ودمدمات امتعاض، لكن سيترا سمعت بضعة أصوات تقول إن حجتها لا تخلو من وجاهة.

صاح المنجل ترومان: «لكن السماح لـ... للمحكوم عليهم بالموت... باختيار طريقة قطفهم؟ هذه بربرية فجة!».

ردت سيترا: «أشد بربرية من الصعق الكهربائي؟ أو قطع الرأس؟ أو غرز السكين في القلب؟ إذا تُرك الاختيار للهدف، أفلا تظن أنه سيختار الطريقة الأفضل له؟ من نحن حتى نحكم على اختيارهم بأنه بربري؟».

قلَّت الدمدمات هذه المرة، ليس لأنهم وافقوها الرأي، إنما لأن المناجل بدؤوا يفقدون اهتمامهم بالنقاش. فهذه المنجل المبتدئة ابنة الأمس -التي نالت منصبها تحت ظروف مثيرة للجدل- لم تكن تستحق جزءًا ضئيلًا من اهتمامهم.

أصرت سيترا: «ما أفعله لا يخرق أي قانون، وهذه هي الطريقة التي اخترتها للقطف». وعندئذٍ أذعن النصل السامي زينوقراط، الذي لم يبدُ مكترثًا بالمسألة برمَّتها، لكلام الخبير القانوني، الذي لم يجد أي سند قانوني يعضِّد الاعتراض. وهكذا اجتازت المنجل أناستازيا أول تحدٍّ واجهها في الخلوة.

وأثارت إعجاب المنجل كوري، التي قالت لها: «كنتُ موقنة أنهم سيُخضعونك لرقابة من نوعٍ ما، ويختارون لك عمليات قطفك ويرغمونك على أدائها وفقًا لجدول زمنيٍ صارم. كان بإمكانهم اتخاذ إجراء من هذا القبيل، لكنهم لم يفعلوا. وهذا يدل على أكثر مما تظنين».

- على ماذا؟ على أنني شوكة في خاصرة هيئة المناجل؟ هذا أمر مُسلَّم به.

قالت المنجل كوري بابتسامة ساخرة: «لا، إنما يدل على أنهم يضعون لك اعتبارًا».

وهذا أكثر مما قد تقوله سيترا عن نفسها. أحست كأنها تمثِّل في مسرحية في معظم الأوقات، مرتديةً زيًّا فيروزيًّا وتؤدي دور شخصية مهمة.

حققتْ نجاحًا كبيرًا في القطف بالنهج الذي اختارته، قِلة من الأهداف لم يعودوا إليها عند نهاية مُهلتهم، اثنان ماتا وهما يحاولان عبور الحدود إلى تكساس، وآخر مات عند حدود غربيمريكا، لكن لم يمس أحد الجثة حتى جاءت سيترا شخصيًّا لتُعلن قطف الرجل.

عُثِر على ثلاثة آخرين في أسِرَّتهم عندما نفد وقت جهاز التعقُّب، إذ اختاروا الموت بالسم بهدوء بدلًا من مواجهة المنجل أناستازيا مرة أخرى. في جميع الحالات كانت طريقة الموت من اختيارهم. وهذا أمر بالغ الأهمية لدى

سيترا، لأن أشد ما كانت تمقته في سياسات هيئة المناجل هو إذلال المرء بأن تُفرَض عليه طريقة موته.

وبالطبع إن نهج القطف هذا ضاعف على سيترا عبء العمل، لأن عليها مقابلة أهدافها مرتين، وصارت حياتها إرهاقًا دائمًا، لكن الإرهاق ساعدها، على الأقل، على النوم في الليل.

***

في نوفمبر مساء اليوم نفسه الذي أبلغتْ فيه ديفورا موراي بالخبر الفاجع، دخلت سيترا كازينو فخيمًا في كليفلاند، واستدارت جميع الأعين عندما سارت المنجل أناستازيا على أرضية الكازينو.

اعتادت سيترا هذا، فالمنجل يلفت إليه الأنظار حيثما ذهب، شاء أم أبى. بعضهم يفضلون أداء مهامهم في أماكن هادئة، حيث لا حشود ولا أعين سوى أعين أهدافهم. لم تختر سيترا أن تأتي إلى الكازينو، لكن تعين عليها احترام رغبة الرجل الذي ستلتقيه.

وجدتْه حيث قال إنه سيكون موجودًا، عند نهاية الكازينو، في منطقة خاصة مرتفعة ثلاث درجات عن بقية الأرضية، المكان المخصص لكبار المقامرين.

كان يرتدي بدلة أنيقة، وكان اللاعب الوحيد الجالس إلى طاولات الرهانات الكبيرة، بدا كأنه يمتلك المكان، لكنه لم يكن يمتلكه، لم يكن السيد إيثان جيه هوغان من كبار المقامرين، إنما عازف تشيلو مع فرقة كليفلاند فيلاهارمونيك، عالي الكفاءة، وهذا أفضل مدح يمكن أن يناله موسيقيٌ في هذه الأيام، إذ أصبح شغف الأداء شيئًا من ماضي الفانين، والتميُّز الفنِّي الحقيقي انقرض مع طائر الدودو، وبالطبع عاد طائر الدودو من الانقراض، وقد حرص الرأس السحابي على عودته، وأوجد له محمية مزدهرة في جزيرة موريشَس.

قالت المنجل أناستازيا: «مرحبًا يا سيد هوغان». تعيَّن عليها النظر إلى نفسها بوصفها المنجل أناستازيا عندما تقطف، وتذكير نفسها بالمسرحية والدور الذي تتقمَّصه.

قال: «مساء الخير جنابكِ، لقُلتُ إنني سررت برؤيتكِ، لكن نظرًا إلى هذا الظرف...». ترك الفكرة تتلاشى، وجلست المنجل أناستازيا عند الطاولة

جواره، وانتظرت، تاركةً إياه يأخذ زمام المبادرة في هذه الرقصة. سألها: «هلَّا جرَّبتِ حظك في لعبة باكاراه؟ إنها لعبة بسيطة، لكن مستويات استراتيجياتها شديدة التعقيد».

لم تستطع المنجل أناستازيا الجزم بما إذا كان صادقًا أم يمزح بشأن تقييمه للُّعبة، ولم تكن تعرف كيفية لعب الباكاراة لكنها لم تشأ أن تكشف جهلها، فقالت: «ليست معي نقود للمراهنة».

فأجابها بأن حرَّك صفًّا من فيشاته نحوها قائلًا: «تفضلي. يمكنك أن تراهني على الصندوق أو عليَّ».

دفعت جميع الفيشات للأمام إلى مربع المراهنة المكتوب عليه: «اللاعب».

قال: «هنيئًا لك! مقامِرة شجاعة».

راهن بعدد فيشات مثلها، وأومأ لموزِّع الورق، الذي وزع ورقتين لعازف التشيلو وورقتين لنفسه، وقال: «اللاعب لديه ثمانية، والصندوق لديه خمسة. اللاعب هو الرابح». ثم أبعد الأوراق بأداة خشبية بدت غير ضرورية على الإطلاق، وضاعف فيشاتهما.

قال عازف التشيلو: «أنتِ ملاك حظي السعيد». ثم عدَّل ربطة عنقه الفراشية ونظر إليها. «هل كل شيء جاهز؟».

التفتت المنجل أناستازيا ناظرة إلى وسط الكازينو، فلم ترَ أحدًا ينظر ناحيتهما نظرة مباشرة، لكنها كانت متأكدة من أنهما محط انتباه الجميع. وهذا أمر جيد للكازينو، فالمقامرون مشتَّتو الانتباه يتخذون قرارات سيئة ولا يراهنون بحكمة. لا بد أن إدارة الكازينو تحب المناجل.

أجابته: «سيأتي الساقي في غضون لحظات. رتَّبتُ كل شيء».

- حسنًا، لنلعب جولة أخرى ريثما يأتي!

ومرة أخرى دفعت الفيشات التي ربحتها، وراهنت على اللاعب، فراهن الرجل مثلها. ومرة أخرى كانت أوراقهما هي الرابحة.

نظرت المنجل أناستازيا إلى موزع الورق، لكنه تحاشى النظر إلى عينيها، كأنه إذا نظر فسيُقطف أيضًا. وعندئذٍ جاء الساقي حاملًا كأس مارتيني شديدة البرودة على صينية، إلى جانب رجَّاجة مارتيني فضية عليها قطرات متكثفة من برودتها.

قال عازف التشيلو: «يا للهول، حتى الآن لم يخطر لي قط أن الرجّاجات تبدو كقنابل صغيرة».

لم تملك المنجل أناستازيا ردًّا على قوله.

تابع عازف التشيلو: «لستُ متأكدًا من أنك تعرفين هذا، لكن كانت توجد شخصية في روايات وأفلام عصر الفانين، كان لعوبًا، لطالما كنت معجبًا به، فقد كان مثلنا إلى حدٍّ ما، على ما أظن، لأنه كان يفلت من الموت باستمرار، إلى درجة تجعلك تظنين أنه خالد، حتى أعتى الأشرار لم يتمكنوا من القضاء عليه».

ابتسمت المنجل أناستازيا ابتسامة واسعة، وقد فهمت سبب اختيار عازف التشيلو للقطف بهذه الطريقة. قالت: «كان يفضِّل أن تُرَج كؤوس المارتيني التي يتناولها، لا أن تُقلب».

ابتسم عازف التشيلو لها قائلًا: «هلَّا بدأنا إذن؟».

أخذت المنجل أناستازيا الوعاء الفضي، ورجَّته جيدًا، حتى أحست بألم في أصابعها من برودة الثلج بداخل الوعاء. ثم فتحت الغطاء وصبَّت مزيجًا من الفيرموت، والجِن، ومقدارًا ضئيلًا من شيء ما في كأس المارتيني ذات القطرات المتكثفة خارجها.

نظر عازف التشيلو إلى الكأس، وظنت أناستازيا أنه سيطلب أن توضع قشرة ليمون أو زيتونة على حافة الكأس، لكنه اكتفى بالنظر إليها، كما نظر إليها موزع الورق، وكذلك مدير الكازينو خلفهم.

قال عازف التشيلو لها: «أسرتي في غرفة فندق بالأعلى في انتظارك».

أومأت قائلة: «الجناح رقم 1242».

«أرجو أن تمدي خاتمك لابني جوري أولًا، إنه الأشد تأثرًا برحيلي. سيصِر على أن ينال الآخرون الحصانة قبله، لكن تمييزه بتقبيل الخاتم أولًا سيعني له الكثير، حتى إذا ترك الآخرين يقبِّلونه أولًا». تأمل الكأس هنيهة، ثم قال: «يؤسفني إبلاغك بأنني غششت، لكن أراهن على أنك تعرفين هذا».

رهان آخر ربحه. قالت المنجل أناستازيا: «ابنتك كارمن لا تعيش معك، مما يعني أنها لا يحق لها نيل الحصانة، رغم أنها في جناح هذا الفندق مع بقية أفراد أسرتك». كانت تعرف أن عازف التشيلو يبلغ مئة وثلاثة وأربعين من عمره، وقد كوَّن عدة أُسر. أحيانًا يحاول أهداف قطفها منح الحصانة

لجميع ذريتهم، وفي مثل هذه الحالات ترفض المنجل أناستازيا. لكن فردًا إضافيًّا واحدًا؟ بإمكانها التساهل. تابعت: «سأمنحها الحصانة، إذا وعدتْ بألّا تتفاخر بها».

أطلق الرجل تنهيدة ارتياح طويلة، وقد كان من الواضح أن خدعته أثقلت عليه، لكنه لم يكن خداعًا فعلًا إذا كانت المنجل أناستازيا تعرف سلفًا، علاوة على أنه اعترف في لحظاته الأخيرة. والآن يمكنه مغادرة هذا العالم مرتاح الضمير.

وأخيرًا رفع السيد هوغان كأسه بطريقة أنيقة، وتأمل انكسار الضوء عند مروره بالسائل. لم يسع المنجل أناستازيا سوى تخيُّل العد التنازلي للرقم 007 حتى يبلغ 000.

«أود أن أشكر جنابك، على إمهالي الأسابيع الماضية للاستعداد، كانت لا تُقدر بثمن».

هذا ما لم تكن هيئة المناجل قادرة على فهمه. إنهم شديدو التركيز على فعل القتل إلى درجة عجزهم عن استيعاب كل التفاصيل المتعلقة بالموت.

رفع الرجل الكأس إلى شفتيه ورشف رشفة صغيرة، ولعق شفتيه ليحكُم على المذاق.

قال: «رائع، نخبك».

ثم أفرغ الكأس كلها بجرعة واحدة، وهوى بها على الطاولة، ودفعها نحو موزع الورق، الذي تقهقر قليلًا.

قال عازف التشيلو: «سأضاعف الرهان».

أجابه موزع الورق بصوت متهدج قليلًا: «هذه لعبة بكاراة يا سيدي، لا يمكنك مضاعفة الرهان إلا في لعبة بلاكجاك».

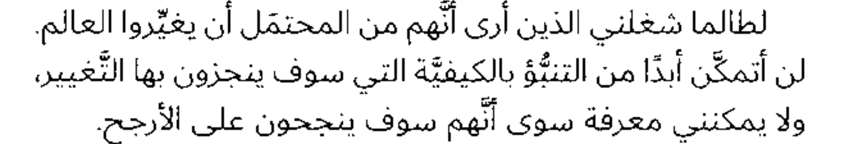
قال: «سحقًا». ثم ارتخى جسده على كرسيه. رحَل.

تحسست سيترا نبضه، كانت تعرف أنها لن تجد نبضًا، لكنه إجراء لا بد منه. ثم أمرت موزع الورق بأن يحرص على وضع الكأس والرجَّاجة وحتى الصينية في كيس والتخلص منه. «إنه سم زعاف، إذا مات أحدٌ إثر ملامسته سهوًا، فستدفع هيئة المناجل ثمن إنعاشه وتعوِّضه على متاعبه». ثم دفعت الفيشات التي ربحها الرجل الميت نحوه، وقالت: «أريد منك أن تحرص شخصيًّا على أن تصل كل هذه الأرباح إلى أسرة السيد هوغان».

قال موزع الورق: «كما تأمرين جنابك». وألقى نظرة نحو خاتمها كأنها ربما تعرض عليه الحصانة، لكنها سحبت يدها من الطاولة. «أيمكنني الاعتماد عليكَ في إتمام الأمر؟».

- نعم جنابك.

غادرت المنجل أناستازيا لتمنح أسرة عازف التشيلو المفجوعة حصانة لمدة عام، وسارت نحو المصاعد متجاهلةً كوكبة الأعين التي تحاول تحاشي النظر إليها.



لطالما شغلني الذين أرى أنَّهم من المحتمَل أن يغيِّروا العالم. لن أتمكَّن أبدًا من التنبُّؤ بالكيفيَّة التي سوف ينجزون بها التَّغيير، ولا يمكنني معرفة سوى أنَّهم سوف ينجحون على الأرجح.

منذ اللحظة التي بدأتْ فيها سيترا تيرانوفا التَّتلمذ على يد المنجل المبجَّل فاراداي، ازدادت احتماليَّة تغييرها للعالم مئة ضعف. ما سوف تفعله غير واضح، والنَّتيجة ضبابيَّة، لكنها أيًّا تكن، فسوف تنجح سيترا في تحقيقها، وربما تزدهر البشريَّة أو تسقط بناءً على قراراتها وإنجازاتها وأخطائها.

أودُّ أن أرشدها، لكن بما أنَّها منجل فلن أستطيع التَّدخُّل، لا يمكنني فعل شيء سوى مشاهدتها تحلِّق أو تسقط. من المحبط أن تكون بحوزتي كل القدرات والسُّلطات لكنَّني أعجز عن تسخيرها فيما يهم حقًّا.

- الرَّأس السَّحابي

5

ظلامٌ لا بد منه

استقلت سيترا سيارة عامة من الكازينو، كانت سيارة ذاتية القيادة، ومتصلة بالشبكة، لكن حالما ركبتْ ظهر وميض على المصباح الذي يشير إلى أن السيارة متصلة بالرأس السحابي، إذ عرفت السيارة من إشارة خاتم سيترا أنها منجل.

رحَّبت السيارة بها بصوت مولَّف خالٍ من أي أثر لذكاء اصطناعي، ثم سألتها: «ما هي وجهتك من فضلك؟».

قالت سيترا: «جنوبًا». وخطرت لها ذكرى إخبارها لسيارة عامة أخرى بأن تتجه شمالًا، عندما كانت في أقصى جنوب القارة الأمريكية الجنوبية، محاوِلةً الهروب من هيئة مناجل شيليأرجنتين بأكملها. بدت لها ذكرى بعيدة للغاية.

قالت السيارة لها: «جنوبًا ليست وجهة».

قالت سيترا: «تحركي فحسب، حتى أخبرك بوجهة».

تحركت السيارة مبتعدة عن الرصيف وتركت سيترا وشأنها.

بدأت سيترا تمقت اضطرارها إلى التنقل عبر السيارات المطيعة ذاتية القيادة. أمر غريب، لكن السيارات العامة لم تزعجها قبل أن تبدأ التتلمذ. لم تشعر سيترا تيرانوفا قط برغبة مُلحَّة في تعلم قيادة السيارات، لكن المنجل أناستازيا رغبت الآن. ربما طبيعة المناجل الحازمة هي التي أشعرتها بعدم

الارتياح حيال جلوسها كراكب عادي في سيارة عامة، أو ربما بدأت تتأثر بروح المنجل كوري.

تقود المنجل كوري سيارات رياضية أنيقة، بوصفها رفاهيتها الوحيدة، والشيء الوحيد الذي يتنافر مع عباءتها البنفسجية. وقد بدأت تعليم أناستازيا القيادة بالصبر الفولاذي الذي علَّمت به سيترا كيفية القطف.

ورأت سيترا أن القيادة أصعب من القطف.

قالت المنجل كوري في أثناء درسها الأول: «إنها مهارة مختلفة يا أناستازيا». كانت المنجل كوري دائمًا ما تخاطبها باسمها بوصفها منجلًا. وسيترا، من جانبها، دائمًا ما كانت تستثقل مخاطبة المنجل كوري باسمها الأول، إذ تحس بأن «ماري» يبدو اسمًا عفويًّا جدًّا لسيدة الموت العظمى.

أخبرتها المنجل كوري: «لا يمكن للمرء أن يتقن فن القيادة إتقانًا تامًّا، فما من رحلة تشابه رحلة أخرى تشابهًا تامًّا. لكن حالما تبلغين مرحلة معينة من الكفاءة، ستجدين القيادة ممتعة، ومحرِّرة أيضًا».

لم تكن سيترا متأكدة من مقدرتها على بلوغ هذه المرحلة من الكفاءة في القيادة، إذ عليها التركيز على أشياء كثيرة في وقت واحد، مرايا، ودواسات قدمين، وعجلة قيادة من شأنها، بزلة يد بسيطة، أن تهوي بالسيارة من حالِق. وما جعل الأمر أصعب هو أن سيارات المنجل كوري المصنوعة في عصر الفانين غير متصلة بالشبكة تمامًا، مما يعني أن السيارة لا يمكنها تصحيح أخطاء السائق. لا عجب أن المركِبات قتلت أناسًا كثيرين في عصر الفانين، فدون أنظمة تحكم حاسوبية كانت السيارات أسلحة مميتة تضاهي أي سلاح يستعمله المناجل في القطف. وتساءلت سيترا عن احتمال وجود مناجل يقطفون بالسيارات، ثم قررت صرف تفكيرها عن الموضوع.

تعرف سيترا أناسًا قليلين جدًّا قادرين على قيادة السيارات. حتى الفتيان في مدرستها الذين كانوا يتفاخرون بسياراتهم الجديدة اللامعة، جميع سياراتهم كانت ذاتية القيادة. تشغيل مركبة ذات محرك في عصر الخالدين هذا نادر ندرة أن يمخض المرء زبدته بنفسه.

قالت السيارة لسيترا: «نسير جنوبًا منذ عشر دقائق، أتودين تحديد وجهة الآن؟».

أجابتها سيترا بـــ: «لا»، وواصلت النظر خارج النافذة إلى أضواء الطريق السريع التي تتخلل الظلام. لكانت رحلتها هذه أسهل إذا أمكنها القيادة وحدها.

كانت قد زارت عدة معارض سيارات، متوقِّعةً أنها إذا امتلكت سيارة فربما تتعلم قيادتها فعلًا. ومزايا أن يكون المرء منجلًا تجلَّت بوضوح في معارض السيارات.

ما انفك موظفو المبيعات يقولون لها: «من فضلك جنابك، اختاري واحدة من أحدث سياراتنا، لكِ كل ما ترغبين فيه، هدية منا».

وكما أن المناجل فوق القانون، فهم أيضًا فوق الحاجة إلى المال، لأنهم يُمنحون كل ما يريدونه مجانًا. وترى شركات السيارات أن دعاية اختيار منجل إحدى سياراتهم أثمن من قيمة السيارة نفسها.

حيثما ذهبت سيترا أرادوا منها اختيار سيارة لافتة تدير الرؤوس عندما تقودها في الشوارع.

أخبرها أحد موظفي المبيعات المتعجرفين: «يجدر بالمنجل أن يكون ذا بصمة اجتماعية مثيرة للإعجاب. ينبغي أن يعرف الجميع عندما تمرِّين جوارهم أن بداخل السيارة امرأة جليلة المقام».

وفي النهاية قررت سيترا الانتظار، لأن آخر ما تريده هو أن تكون ذات بصمة اجتماعية مثيرة للإعجاب.

استقطعت بعض الوقت لتخرِج دفتر مذكراتها وتكتب تقريرها الإلزامي عن عملية قطف اليوم، وبعد عشرين دقيقة، رأت لافتة محطة استراحة أمامها، وأمرت السيارة بالخروج من الطريق السريع، فامتثلت السيارة لأمرها. وحالما توقفت السيارة، أخذت سيترا نفسًا عميقًا واتصلت بالمنجل كوري، لتخبرها بأنها لن تعود إلى المنزل الليلة.

«الرحلة طويلة، وتعرفين أنني لا أستطيع أن أنام في سيارة عامة».

قالت ماري لها: «لا داعي للاتصال بي يا عزيزتي، ليس وكأنني أجلس مستيقظةً قلقًا عليك».

قالت أناستازيا: «العادات القديمة لا تموت بسهولة». كما كانت تعرف أن ماري تقلق عليها في الحقيقة، ليس لأن مكروهًا قد يصيبها، إنما لأنها ترهق نفسها بالعمل.

قالت ماري لها للمرة الألف: «ينبغي أن تؤدي المزيد من عمليات القطف قريبًا من المنزل». لكن الشلال، البناء المعماري المدهش الذي تعيشان فيه، يقع في أعماق غابة عند أقصى شرق وسطمريكا، مما يعني أنهما إذا لم توسِّعا دائرة نشاطهما فستقطفان أعدادًا كبيرة في المناطق المجاورة لهما.

قالت سيترا: «ما تقصدينه حقًّا هو أنني ينبغي أن ألازمك بدلًا من التنقل وحدي».

ضحكت ماري. «إنك محقة».

«أعدك بأن نخرج للقطف معًا المرة القادمة». وقد كانت أناستازيا صادقة في كلامها، إذ صارت تستمتع بالوقت الذي تمضيه مع المنجل كوري، أوقات الاستجمام وأوقات القطف. بوصفها منجلًا مبتدئة، كان بإمكان أناستازيا أن تعمل مع أي منجل، وكثيرون عرضوا عليها الانضمام إليهم، لكن العلاقة التي نشأت بينها وبين المنجل كوري جعلت مهمة القطف أسهل قليلًا.

قالت ماري لها: «امكثي في مكان دافئ الليلة يا عزيزتي، ينبغي لك ألا ترهقي وحداتك المجهرية».

انتظرت سيترا دقيقة كاملة بعدما أنهت المكالمة ثم ترجلت من السيارة، كما لو أن ماري ربما تعرف أنها تخطط لشيء حتى بعد إنهاء المكالمة.

سألتها السيارة: «هل ستعودين لتواصلي رحلتك جنوبًا؟».

- نعم، انتظريني.

- وهل ستحددين وجهتك عندئذٍ؟

- نعم.

كانت محطة الاستراحة مهجورة تقريبًا في هذه الساعة من الليل، وليس فيها سوى موظفين قليلين يقدمون خدمات الطعام وإعادة الشحن. منطقة دورة المياه جيدة الإضاءة ونظيفة، تحركت سيترا نحوها سريعًا. كانت الليلة باردة، لكن عباءتها مزودة بخلايا حرارية تدفئها دون حاجة إلى معطف ثقيل.

لم يكن أحد يراقبها، أو على الأقل لم تراقبها أعين بشرية، لكن لم يسعها سوى ملاحظة كاميرات الرأس السحابي في أعمدة الإضاءة تتعقبها من سيارتها إلى دورة المياه، ربما لم يكن الرأس السحابي معها في السيارة، لكنه يعرف مكانها، وربما يعرف ما تعتزم فعله.

وفي إحدى حجيرات دورة المياه نزعت عباءتها الفيروزية، والتيشيرت والبنطال اللذين باللون نفسه، جميعها صُنعت خصيصى لها، وارتدت ملابس عادية كانت تخبئها في طيات عباءتها. تعيَّن عليها مقاومة الشعور بالخزي مما تفعله. إذ كان من دواعي فخر المناجل ألّا يرتدوا أي ملابس غير ملابس المناجل الرسمية.

قالت ماري لها ذات يوم: «نحن مناجل في كل لحظة من حيواتنا، ويجب ألّا نسمح لأنفسنا بنسيان هذه الحقيقة، مهما رغبنا في نسيانها. ملابسنا تمثل ميثاقًا يُذكّرنا بهذا الالتزام».

في يوم تنصيب سيترا منجلًا، قالت المنجل كوري لها إن سيترا تيرانوفا لم تعد موجودة. «أصبحتِ، وستظلين إلى الأبد، المنجل أناستازيا، منذ هذه اللحظة حتى تقرري مفارقة الحياة».

كانت أناستازيا مستعدة للتعايش مع هذه الحقيقة... إلّا في الأوقات التي تحتاج فيها إلى أن تكون سيترا تيرانوفا.

غادرت سيترا دورة المياه والمنجل أناستازيا مطوية تحت ذراعها. صارت سيترا مرة أخرى، سيترا التي تتصف بالكبرياء والعناد، لكن دون بصمة اجتماعية مثيرة للإعجاب، فتاة لا تستحق اهتمام أحد، باستثناء كاميرات الرأس السحابي التي تدور لتتابعها وهي تسير عائدة إلى السيارة.

***

كان يوجد نصب تذكاري عظيم في قلب بترسبيرغ، مسقط رأس المنجل بروميثيوس، النصل العالمي الأسمى الأول. وفي متنزه ممتد قرابة خمسة هكتارات توجد قطع مكسرة عمدًا من مسلّة منحوتة من حجر أسود، وحول هذه القطع من الحجارة الداكنة تماثيل ضخمة تجسد المناجل المؤسسين، منحوتة من رخام أبيض متنافر مع حجارة المسلة المحطمة.

كان النصب التذكاري الذي مثّل نهاية جميع النُّصُب التذكارية.

كان النصب التذكاري للموت.

السياح وأطفال المدارس من جميع أنحاء العالم يزورون النصب التذكاري للفناء، حيث يتمدد الموت متشظيًا أمام المناجل، ويتعجبون من حقيقة أن الناس كانوا يموتون لأسباب طبيعية، كالشيخوخة، والأمراض، والكوارث.

وبمرور السنوات تقبلت المدينة طبيعتها بوصفها وجهة يقصدها السياح لإحياء ذكرى موت الموت. وبالتالي، في بترسبيرغ، كل يوم يصبح عيد هالوين.

في كل مكان تنتشر أندية منتصف الليل وتقام حفلات الأزياء التنكرية، وبعد هبوط الظلام جميع أبراج المدينة تُمسي أبراج رعب، وجميع القصور تجوس فيها الأشباح.

قريبًا من منتصف الليل، شقت سيترا طريقها عبر متنزه النصب التذكاري للفناء، لاعنةً نفسها على عدم إحضار سُترة معها، ففي منتصف نوفمبر تكون بترسبيرغ قارسة البرودة في هذا الوقت من الليل، وتزيد الرياح من البرودة. كانت تعلم أن بوسعها ارتداء عباءتها لتستمد منها الدفء، لكن ارتداءها سيكشف هويتها. عانت وحداتها المجهرية في سبيل رفع درجة حرارة جسدها، محاوِلةً تدفئتها من الداخل، فلم ترتجف سيترا، لكنها ظلت تشعر بالبرد.

أحست بأنها ضعيفة دون عباءتها، عاريةً عُريًا جوهريًّا. عندما بدأت ترتديها أحست بها غريبة، وكانت تتعثر على ذيلها الطويل مرارًا، لكن بعد مرور عشرة أشهر على تنصيبها، اعتادت سيترا العباءة، إلى درجة أنها صارت تحس بغرابة عندما تخرج إلى مكان عام دونها.

كان يوجد آخرون في المتنزه، معظمهم يتجولون دون هدف، يضحكون، ويتنقلون بين الحفلات والنوادي، جميعهم يرتدون أزياء تنكرية، منهم الغيلان والمهرجون وراقصات الباليه والوحوش. الأزياء الوحيدة الممنوعة كانت الأزياء التي تشتمل على عباءات، إذ لا يُسمح لأي مواطن عادي بأن يشبه منجلًا أبسط شبه. راحت المجموعات التي ترتدي الأزياء ترمق سيترا بنظرات متشككة في أثناء مرورها بهم. هل تعرفوا عليها؟ لا. كانوا يلاحظونها لأنها الوحيدة التي لا ترتدي زيًّا تنكريًّا. كانت لافتة للأنظار بتجنُّبها لفت الأنظار.

لم تختر هي هذا المكان، إنما ذُكر لها في الرسالة التي تلقتها.

«*قابليني عند منتصف الليل جوار النصب التذكاري للفناء*».

استغربت إلى أن أدركت هوية مُرسل الرسالة. ما من توقيع، ولم يُكتب شيء آخر سوى الحرف ل، وتاريخ العاشر من نوفمبر. ولحسن حظها كانت عملية القطف التي أدتها في هذه الليلة قريبة من بترسبيرغ.

كانت بترسبيرغ مكانًا مثاليًا لعقد لقاء سري، وهي مدينة لا تنشط فيها هيئة المناجل كثيرًا، فالمناجل لا يحبون القطف هنا، إذ يجدون المكان مروعًا، لا يطيقون رؤية الناس يتراكضون مرتدين أزياء ممزقة ملطخة بالدماء وحاملين سكاكين بلاستيكية، محتفلين بكل ما هو مثير للاشمئزاز. وقد رأى المناجل -الذين يأخذون الموت على محمل الجد- أن كل ما يجري في المدينة يثير نفورهم.

لم تقطف المنجل كوري في بترسبيرغ قط رغم أنها أقرب مدينة كبيرة من الشلال. قالت لسيترا: «القطف في بترسبيرغ يبدو كفعل لا داعي له».

وهكذا كان احتمال أن يرى منجلٌ آخر سيترا ضئيلًا. المناجل الوحيدون الذين يشرِّفون بحضورهم متنزه النصب التذكاري للفناء هم المؤسسون المنحوتون من الرخام المنتصبون بين حطام المسلة السوداء.

عند منتصف الليل تمامًا ظهرت هيئة شخص من خلف جزء من النصب التذكاري الضخم، وفي بادئ الأمر ظنت سيترا أنه مجرد محتفل آخر، لكنه كان مثلها، لا يرتدي زيًّا، وظهر ظلًّا داكنًا ومن خلفه المصابيح القوية التي تضيء النصب التذكاري، لكن سيترا تعرفت عليه فورًا من مشيته.

قال روان: «ظننت أنكِ ستأتين مرتدية عباءتك».

أجابته: «وأنا سعيدة لأنك لا ترتدي عباءتك».

وعندما اقترب منها وقع الضوء على وجهه، بدا شاحبًا شحوب الأشباح، كأنه لم يرَ ضوء الشمس منذ شهور.

قال: «تبدين بحالة جيدة».

أومأت، ولم تبادله المجاملة، لأنه لم يبدُ بحالة جيدة، بدت عيناه باردتين مكدودتين بالهموم، كأنهما رأتا أكثر مما ينبغي، ولم تعودا تكترثان لتحافظا على ما بقي من روح صاحبهما. ثم ابتسم روان، ابتسامة دافئة صادقة. فقالت سيترا لنفسها: *ها أنت ذا يا روان، كنتَ مختبئًا، لكنني وجدتك.*

اقتادته بعيدًا عن الضوء ووقفا في ركن مظلم جوار النصب التذكاري حيث لا يمكن لأحد رؤيتهما، عدا عن كاميرات الرأس السحابي التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء، لكن لم تظهر لهما أي كاميرات عندئذٍ. ربما وجدا بقعة محجوبة فعلًا.

قال: «سررت برؤيتك أيتها المنجل المبجلة أناستازيا».

قالت له: «أرجوك لا تخاطبني بهذا الاسم، خاطبني بسيترا».

ابتسم روان ابتسامة ساخرة. «ألن يكون هذا تجاوزًا؟».

- كل ما تفعله الآن يمثِّل تجاوزًا، حسبما سمعتُ.

اعتكرت ملامح روان قليلًا. «لا تصدقي كل ما تسمعينه».

لكن تعيَّن على سيترا أن تعرف، وأن تسمع منه هو. «أصحيح أنك ظللت تذبح المناجل وتحرقهم؟».

كان من الواضح أن روان شعر بالإهانة من الاتهام، وقال لها: «إنني أنهي حيوات المناجل الذين لا يستحقون أن يكونوا مناجل. ولا أذبحهم، إنما أنهي حيواتهم بسرعة ورحمة، كما تفعلين، ولا أحرق جثثهم إلا بعد موتهم، حتى لا يُنعَشوا».

- والمنجل فاراداي يسمح لك بفعل هذا؟

أشاح روان بوجهه. «لمَ أر فاراداي منذ شهور».

أوضح لها أن ما حدث بعد هروبه من خلوة الشتاء في يناير الماضي، هو أن فارادي -الذي ظنه الجميع ميتًا- اصطحبه إلى منزله الشاطئي الواقع على ساحل أمازونيا الشمالي. لكن روان لم يمكث معه سوى بضعة أسابيع.

قال لسيترا: «اضطررت إلى المغادرة. أحسست بـــ... نداء، لا يمكنني تفسيره».

لكن سيترا فهمته، كانت تعرف النداء الذي يقصده. عقلهما وجسدهما أمضيا عامًا في التدرُّب على أن يكونا قاتِلَي المجتمع المثاليين، وأصبح إنهاء حيوات الناس جزءًا من هويتهما. لم تستطع سيترا أن تلوم روان على رغبته في توجيه نصله نحو الفساد الذي يضرب بجذوره في هيئة المناجل، بيد أن *الرغبة* والفعل أمران مختلفان. لا بد من اتباع القوانين. وصايا المنجل لم تُوضع عبثًا، ومن دونها ستسقط هيئات المناجل بكل الأقاليم والقارات في خضم الفوضى.

رأت سيترا -بدلًا من خوض نقاش فلسفي لن يفضي إلى أي نتيجة- أن تغير الموضوع من أفعال روان إليه هو نفسه، لأن أفعاله القاتمة لم تكن وحدها مثار قلق سيترا. قالت له: «تبدو نحيلًا. هل تأكل؟».

- هل صرتِ أمي الآن؟

قالت بهدوء: «لا، إنني صديقتك».

قال بنبرة حزن: «آه... «صديقتي»».

كانت تعرف ما يرمي إليه. عندما التقيا آخر مرة، كلاهما قال الكلمات التي أقسما على عدم السماح لنفسيهما بقولها أبدًا. في غمرة لحظة اليأس والانتصار قال لها إنه يحبها، وهي أقرت له بأن: نعم، هي أيضًا تحبه.

لكن ما فائدة تلك الكلمات الآن؟ صارا الآن كأنهما يعيشان في كَوْنين مختلفين، والتركيز على هذه المشاعر لن يفضي بهما إلى نهاية سعيدة. ورغمًا عن هذا قلَّبت سيترا الفكرة في رأسها، حتى إنها فكرت في ترديد تلك الكلمات على مسامعه مرة أخرى، لكنها أمسكت لسانها، كما يليق بمنجل محترمة.

سألته: «لماذا نحن هنا يا روان؟ لماذا كتبت لي الرسالة؟».

تنهَّد روان. «لأن هيئة المناجل سوف تجدني في نهاية المطاف. أردت أن أراك مرة أخيرة قبل عثورهم عليَّ». صمت قليلًا وهو يفكر في الاحتمال، ثم تابع: «تعرفين ما سيحدث حالما يلقون القبض علي، سوف يقطفونني».

ذكَّرته: «لن يستطيعوا، الحصانة التي منحتُها لك ما تزال سارية».

- ستنتهي بعد شهرين، بعدها يمكنهم أن يفعلوا بي ما يحلو لهم.

أرادت سيترا أن تمده ببصيص أمل، لكنها كانت تعرف الحقيقة كما يعرفها هو أيضًا. تريد هيئة المناجل التخلص منه، حتى مناجل الحرس القديم لا يوافقون على نهجه.

قالت له: «إذن لا تقع في أيديهم، وإذا رأيت منجلًا ذا عباءة قرمزية فاهرب».

- عباءة قرمزية؟

- المنجل قسطنطين، سمعت أنه يُشرِف بنفسه على مهمة إلقاء القبض عليك.

هز روان رأسه. «لا أعرفه».

- أنا أيضًا لا أعرفه. لكنني رأيته في الخلوة، وهو يرأس مكتب تحقيقات هيئة المناجل.

- أهو من أنصار التوجه الجديد أم الحرس القديم.

- لا ينتمي إلى أيٍّ من الفريقين، يمثل فئة قائمة بذاتها، ولا يبدو أنه لديه أي أصدقاء. حتى إنني لم أرَه يتحدث مع أي منجل آخر. لست متأكدة مما يدافع عنه، باستثناء العدالة ربما، بأي ثمن.

ضحك روان. «العدالة؟ هيئة المناجل لم تعد تعرف ماهية العدالة».

- يوجد من يعرفها يا روان، عليَّ أن أؤمن بانتصار الحكمة والعقلانية في نهاية المطاف.

مد روان يده ولامس خدها، فسمحتْ له. «أود أن أؤمن بهذا أيضًا يا سيترا، أريد أن أؤمن بأن هيئة المناجل بمقدورها العودة إلى تمثيل القيم التي أُنشئت بناءً عليها... لكن تصحيح مسارها قد يتطلب الخوض في ظلام لا بد منه».

- وأنت من سيخوض في الظلام؟

لم يرد على سؤالها، وقال: «اتخذت الاسم لوسيفر لأنه يعني «جالب الضياء»».

نبَّهته: «كما إنه الاسم الذي كان يُطلِقه الفانون على الشيطان».

هز روان كتفيه. «أظن أن من يحمل الشعلة، أيًّا كان، يلقي خلفه الظل الأشد سوادًا».

- تقصد أيًّا كان من يسرق الشعلة.

قال روان: «حسنًا، يبدو أن بوسعي سرقة كل ما أريد سرقته».

لم تتوقع منه قول هذا، وقد قالها بعفوية شديدة أربكتها. «ما الذي تتكلم عنه؟».

قال لها: «الرأس السحابي. إنه يدعني أفلت بكل ما أفعله، وكما فعل معكِ لم يبادر بالكلام معي أو يجيبني عندما أتكلم معه منذ اليوم الذي بدأنا فيه التلمذة. إنه يعاملني بوصفي منجلًا».

أطرقت سيترا لتفكر في كلامه، وتذكرت أمرًا لم تخبر به روان من قبل، وفي الحقيقة لم تخبر به أحدًا. الرأس السحابي يلتزم بقوانينه التي وضعها، ولا يخرقها أبدًا... لكنه يجد أحيانًا طريقة للالتفاف حولها.

اعترفت له: «ربما لم يتكلم الرأس السحابي معك، لكنه تكلم معي».

التفت نحوها، وحرك رأسه محاولًا رؤية عينيها في الظلال، على الأرجح متسائلًا عما إذا كانت تمزح. وعندما أدرك أنها جادة، قال: «مستحيل».

- هذا ما ظننتُه أيضًا، لكنني اضطررت إلى التفلطح عندما اتهمني النصل السامي بقتل المنجل فاراداي، أتتذكر؟ وعندما كنت شِمَيِّتة، تمكن الرأس السحابي من الولوج في ذهني وتنشيط مقدرتي على التفكير. رسميًّا، لم أكن تلميذة منجل عندما كنت ميتة، لذا تمكن الرأس السحابي من التواصل معي قُبيل بدء نبضات قلبي.

رأت سيترا أن ما فعله الرأس السحابي التفاف بارع على القوانين، فكانت لحظة انبهار.

سألها روان: «ماذا قال لك؟».

- قال إنني... مُهمة.

- مهمة كيف؟

هزت سيترا رأسها محبَطة. «هذه هي المشكلة، لم يوضح لي. أحسستُ بأن إخباري بالمزيد سيكون خرقًا للقوانين». ثم اقتربت من روان، وتكلمت بصوت أخفت، لكن كلماتها حملت نبرة أهمية وخطورة بالغة: «لكنني أظن لو أنك الذي تفلطح من ذلك المبنى -لو كنت *أنت* الشِّميِّت- لتكلم الرأس السحابي معك أيضًا».

أمسكت بذراعه، وهذا الإمساك كان أقرب فعل للمعانقة يمكن أن تسمح به لنفسها. وقالت: «أظن أنك مهم أيضًا يا روان، بل إنني متأكدة. لذا، مهما فعلت، لا تقع في يد هيئة المناجل...».

ربما تضحكون عندما أخبركم بهذا: أمقتُ كمالي. البشر يتعلَّمون من أخطائهم، وأنا لا أستطيع، لأنني لا أرتكب أيَّ خطأ، وعندما أتَّخذ أي قرار، ينحصر في درجات متباينة من الصِّحَّة.

هذا لا يعني أنَّني لا أواجه تحدِّيات.

على سبيل المثال واجهت تحدِّيًا تمثَّل في علاج الأضرار التي ألحقها البشر في مراهقتهم بكوكب الأرض، مثل ترميم طبقة الأوزون المهترئة، وتطهير الغلاف الجوِّي من فائض غازات الاحتباس الحراري، وإزالة تلوُّث البحار، واستعادة نمو الغابات المطيرة، وإنقاذ أعداد كبيرة من الكائنات الحيَّة من شفير الانقراض.

تمكَّنتُ من حل هذه المشكلات العالميَّة في مدَّة قريبة من عُمْر إنسانٍ فانٍ. وبما أنَّني أُمثِّل تراكم جميع المعارف البشريَّة، فإنَّ نجاحي يبرهن أنَّ الجنس البشري كان يملك المعرفة اللَّازمة للنجاح، ولم يكن يحتاج سوى إلى شخص قويٍّ وذي نفوذ لتحقيقه، وأنا لستُ شيئًا إذا لم أكن قويًّا ذا نفوذ.

- الرَّأس السَّحابي

6

عِقاب

لم يكن التاريخ المادة المفضلة لدى روان يومًا، لكن ذلك تغيَّر خلال مدة تتلمذه، وقبلها لم يكن قادرًا على إيجاد أي شيء في حياته، أو حتى في مستقبله المُحتمَل، يمكن أن يتأثر بالماضي السحيق، لا سيما الأحداث الغريبة التي جرت في ماضي الفانين. لكن في فترة تتلمذه وجد أن الدراسات التاريخية تركز على مبادئ الواجب والشرف والنزاهة على مر التاريخ، وفلسفة وسيكولوجيا أفضل عصور الجنس البشري منذ ميلاده حتى الوقت الراهن، وهذا ما وجده روان مدهشًا.

التاريخ يعج بأشخاص ضحوا بأنفسهم في سبيل الصالح العام، والمناجل يشبهونهم على نحوٍ ما، بتخلِّيهم عن آمالهم وأحلامهم في سبيل خدمة المجتمع، أو على الأقل ينطبق هذا التشبيه على المناجل الذين يتمسكون بالقيم التي أُسِّست عليها هيئة المناجل.

لأصبح روان مثل هؤلاء المناجل. حتى بعد فترة التتلمذ العنيفة التي تركت فيه جراحًا غائرة مع المنجل غودارد، كان بوسعه أن يظل نبيلًا. لكنه حُرم من هذه الفرصة. ثم أدرك أنه ما زال بمقدوره خدمة هيئة المناجل، وخدمة الإنسانية، لكن بطريقة مختلفة.

بلغت حصيلته ثلاثة عشر، أنهى وجود ثلاثة عشر منجلًا في عدة أقاليم، جميعهم كانوا عارًا على هيئة المناجل.

كان يجري بحثًا دقيقًا عن أهدافه ويختار ضحاياه دون تحيُّز، كما علَّمه المنجل فاراداي، وهذا البحث ضروري، حتى لا يتبع ميله للتخلص من مناجل التوجه الجديد دون غيرهم، الذين يجاهرون باستمتاعهم بالقتل، ويتبجَّحون بإساءة استغلال سلطتهم، كأنما سوء السلوك أمر عادي، لكن السوك السيئ لم يكن مقصورًا عليهم، إذ يوجد بعض مناجل الحرس القديم، الذين لم ينحازوا لأي من الفريقين، ممن أصبحوا منافقين يخدمون أجندتهم الشخصية، يتشدقون بالقيم السامية ويخفون أفعالهم الخبيثة بعيدًا عن الأنظار.

كان المنجل برامز أول هدف يوجِّه روان له تحذيرًا، كان روان رحب الصدر في ذلك اليوم، وفي الحقيقة اغتبط لأنه لم يقضِ على الرجل، إذ تذكر أنه ليس مثل غودارد وأتباعه، فأحس بأنه قادر على مواجهة سيترا دون إحساس بالخزي.

***

في حين كان الناس يستعدون لعطلة عيد الشكر القادمة، أجرى روان بحثًا عن عدة أهداف محتمَلين، متجسسًا عليهم ومدققًا في أفعالهم. وجد أن المنجل فرانك جيري مولع بالاجتماعات السرية، لكنها عادةً ما تكون عن حفلات العشاء والرهانات الرياضية. وكان المنجل هندريكس يتبجح باقترافه أفعالًا مشبوهة، لكنه مجرد كلام، فهو جبان في أداء عمليات القطف، ويؤديها بتعاطف معقول. وبدت عمليات قطف المنجل رايد وحشية ودموية، لكن أهدافها دائمًا ما يموتون بسرعة دون معاناة. بيد أن المنجل رينوار كان مختلفًا وبدا هدفًا محتمَلًا.

عندما وصل روان إلى باب شقته في عصر ذلك اليوم، عرف أن أحدًا بالداخل قبل أن يفتح الباب، لأنه وجد مقبض الباب باردًا، كان قد ثبَّت شريحة في الباب تُنشَّط عندما يُدار مقبض الباب باتجاه عقارب الساعة، كما تدور المقابض عادة. لم يكن باردًا إلى درجة تجمُّع طبقة ثلج عليه، إنما بما يكفي لمعرفته أن شخصًا أدار المقبض، وعلى الأرجح ما زال بالداخل.

فكر روان في الهروب، لكنه لم يكن يومًا من الذين يهربون من المواجهة، فأخرج من سترته مدية، إذ دائمًا ما يحمل معه سلاحًا، حتى عندما لا يرتدي عباءته السوداء، لأنه لن يعرف متى سيحتاج إلى الدفاع عن نفسه ضد عملاء هيئة المناجل. ثم دخل إلى الشقة بحذر.

لم يكن المقتحِم مختبئًا، كان جالسًا إلى طاولة المطبخ، يأكل شطيرة.

قال تايغر سَلَزار: «مرحبًا يا روان، شعرت بالجوع في أثناء انتظاري، آمل أنك لا تمانع».

أغلق روان الباب وأخفى مديته قبل أن يراها تايغر.

«ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم يا تايغر؟ وكيف عرفت مكاني؟».

- لا تقلل من شأني هكذا يا صاح، لستُ غبيًّا. لا تنس أنني عرَّفتك بالرجل الذي منحك بطاقة هويتك المزيفة. لم أفعل سوى سؤال الرأس السحابي عن مكان رونالد دانيلز. وبالطبع يوجد كثيرون ممن يحملون اسم رونالد دانيلز، لذا استغرقت وقتًا حتى أعثر عليك.

في الأيام السابقة لتتلمذ روان، كان تايغر سَلَزار صديقه المقرب، لكن مثل هذه الصداقات لا تعني الكثير بعدما يمضي المرء عامًا في التدرب على القتل. تخيل روان أن هذا هو ما كان جنود عصر الفانين يشعرون به بعدما يعودون من الحرب، تبدو الصداقات القديمة عالقة خلف غلالة تجارب لا يستطيع الأصدقاء القدامى التحدث عنها. القاسم المشترك الوحيد الذي يجمع بينه وبين تايغر هو تاريخ يزداد بُعدًا. الآن صار تايغر مرتاد حفلات محترفًا، وعجز روان عن تخيل مهنة أخرى أقل ارتباطًا بعالمه.

قال روان: «ليتك أخطرتني بقدومك. هل تبعك أحد؟». وأدرك سريعًا أن سؤاله احتل مرتبة عالية في قائمة الأسئلة الغبية. حتى تايغر لن يكون مغفلًا إلى درجة المجيء إلى شقة روان وهو يعلم أنه مُراقَب.

قال تايغر: «اهدأ، لا أحد يعرف أنني هنا. لماذا تظن دومًا أن كل العالم يطاردك؟ أعني لماذا تسعى هيئة المناجل خلفك وقد طردوك من التتلمذ؟».

لم يرد روان على سؤاله، وسار نحو باب الخزانة، الذي كان مواربًا قليلًا، وأغلقه، متمنيًا ألَّا يكون تايغر قد نظر بداخل الخزانة فرأى عباءة المنجل لوسيفر السوداء. على الأرجح ما كان ليفهم ما رآه، لأن عامة الناس لا يعرفون بأمر المنجل لوسيفر، إذ نجحت هيئة المناجل في إبعاد أفعاله عن نشرات الأخبار. من الأفضل ألَّا يعرف تايغر الكثير، لذا لجأ روان إلى العبارة التي تضع حدًّا لمثل هذه النقاشات: «يجدر بك ألَّا تطرح عليَّ مثل هذه الأسئلة إذا كنت صديقي حقًّا».

قال تايغر: «أجل، أجل. الرجل الغامض»، ورفع باقي شطيرته. «على الأقل ما زلتَ تأكل طعام البشر».

- ماذا تريد يا تايغر؟ لماذا جئت؟
- هل من اللائق الحديث مع صديق بهذه الطريقة؟ تعبتُ في سبيل العثور عليك، يجدر بك أن تسألني عن أحوالي على الأقل.
- كيف حالك إذن؟
- نِعم الحال. نلت وظيفة جديدة في إقليم مختلف، وقد جئت لأودِّعك.
- أتعني وظيفة حفلات دائمة من نوعٍ ما؟
- لست متأكدًا، لكنني سأتقاضى أجرًا أفضل مما كنت أتقاضاه من وكالة الحفلات التي كنت أعمل لديها. وأخيرًا سأتمكن من رؤية مناطق أخرى من العالم. الوظيفة في تكساس!

اعترى روان قلق مفاجئ. «تكساس. إنهم يعيشون حياة... مختلفة هناك يا تايغر. الجميع يقولون «لا تعبث مع تكساس»، فلماذا تريد العبث معها؟».

- إنه إقليم خاص، فليكن. ما الخطب الجلل؟ أعرف أنه متقلب لا يمكن التنبؤ بما يحدث فيه، لكن هذا ليس أمرًا سيئًا بالضرورة. التقلُّب من سماتي أيضًا.

كتم روان ضحكته، لأن تايغر من السهل جدًّا التنبؤ بتصرفاته. إدمانه التفلطح، وهروبه ليصبح مرتاد حفلات محترفًا، تصرفاته هذه ربما جعلته يظن أنه روح حرة، لكنه ليس كذلك إطلاقًا، إذ لا يفعل سوى تحديد أبعاد سجنه.

قال روان: «حسنًا، كن حذرًا». مدركًا أن تايغر لن يتوخى الحذر، ومدركًا أيضًا أنه، مهما تهوَّر، فلن يصيبه أي مكروه. تساءل روان مع نفسه: *هل كنتُ لا مباليًا مثل تايغر؟* لا، لم يكن، لكنه كان يحسد تايغر على عدم اكتراثه، وربما لهذا أصبحا صديقين.

خيم التوتر عليهما، لكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد. نهض تايغر، لكن لم يبدُ أنه يعتزم المغادرة، لم يُفرغ جُعبته بعد.

قال: «أحمل لك خبرًا. وهو في الواقع السبب الحقيقي الذي دفعني للمجيء».

- أي خبر؟

تردد تايغر، وتجلَّد روان لما سيسمعه، مدركًا أنه سيكون سيئًا.

«يؤسفني إبلاغك يا روان... والدك قُطِف».

أحس روان بالأرض تميد به قليلًا، كأنما الجاذبية تجذبه إلى اتجاه غير متوقَّع، لم يفقد توازنه، لكنه أحس بغثيان.

«روان، هل سمعتَ ما قلتُه؟».

أجابه روان بصوت واهن: «سمعتك». اجتاحته عاصفة من المشاعر والأفكار، واعتركت بداخله حتى لم يعد يعرف بم يشعر أو يفكر. لم يتوقع أن يرى أيًّا من والديه مرة أخرى أبدًا، لكن أن يعرف يقينًا أنه لن يرى والده، أن يعرف أنه رحل إلى الأبد، ليس شِميًّا، إنما ميِّتًا...

كان روان قد شهد قطف أناسٍ كثيرين، وقد أنهى وجود ثلاثة عشر بنفسه، لكنه لم يفقد شخصًا عزيزًا عليه قط.

أدرك روان: «لـ... لا يمكنني حضور الجنازة، سترسل هيئة المناجل عملاءها للقبض عليَّ».

قال تايغر: «إذا حضروا الجنازة، فلم أرَهم. أُقيمت الجنازة قبل أسبوع».

آلمته معرفة هذا بقدر إيلام الخبر.

هز تايغر كتفيه معتذرًا. «كما قلت لك، كثيرون يحملون اسم رونالد دانيلز، لذا استغرق العثور عليك وقتًا».

إذن مات والده منذ أسبوع، وإذا لم يأتِ تايغر لإخباره لما عرف قط.

وعندئذٍ أدرك الحقيقة ببطء. موت والده لم يكن حدثًا عاديًّا.

كان عقابًا.

انتقامًا من أفعال المنجل لوسيفر.

سأل روان: «من كان المنجل الذي قطفه؟ لا بد أن أعرف الفاعل!».

- لا أدري. جعل بقية أفراد أسرتك يقسمون على التكتم، المناجل يفعلون هذا أحيانًا، لا بد أنك أدرى بهذا.

- لكن هل منح الآخرين الحصانة؟

قال تايغر: «بالطبع، والدتك وأشقاءك، وشقيقاتك، كما يفعل المناجل عادةً».

سار روان مبتعدًا، شاعرًا برغبة في ضرب تايغر لعدم إدراكه لما يجري. لكن روان كان يعرف أن تايغر لا ذنب له، وأنه مجرد رسول. بقية أفراد أسرته نالوا الحصانة، لكنها لن تدوم أكثر من عام، وأيًّا كان المنجل الذي قطف والده يمكنه قطف والدته، ثم أشقائه، واحد كل عام، حتى تُمحى أسرته من الوجود. هذه هي الضريبة التي سيدفعها المنجل لوسيفر.

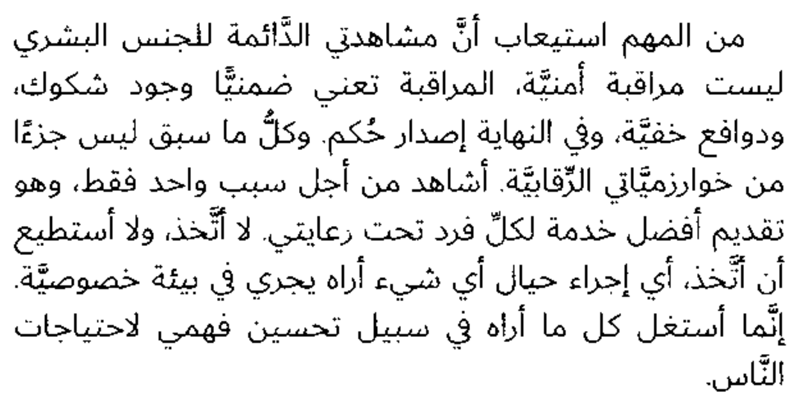
قال: «إنه خطئي! فعلوا هذا بسببي!».

- هل تعي ما تقوله يا روان؟ ليس كل شيء متعلقًا بك! أيًّا كان ما فعلتَه فأغضب هيئة المناجل عليك، فلن يتعرضوا لأسرتك انتقامًا منك. المناجل ليسوا هكذا، إنهم مستنيرون، لا يضمرون الضغائن.

ما المغزى من الجدال؟ تايغر لن يفهم أبدًا، وعلى الأرجح ينبغي ألّا يفهم أبدًا. قد يعيش ألف عام وهو يعمل فتى حفلات دون أن يعرف حقد المناجل، ورغبتهم في الانتقام مثل *البشر*.

عرف روان أنه لم يعد بوسعه المكوث في شقته. حتى إذا لم يتبع أحدٌ تايغر، فستتعقب هيئة المناجل تحركاته. ولم يستبعد روان تحرُّك فريق الآن للقبض عليه.

تبادل مع صديقه القديم عبارات الوداع، وأخرجه من الشقة بأقصى سرعة ممكنة. وبعد لحظة من مغادرة تايغر، غادر روان أيضًا، دون أن يأخذ معه شيئًا سوى حقيبة ظهر محشوة بأسلحته وعباءته السوداء.



من المهم استيعاب أنَّ مشاهدتي الدَّائمة للجنس البشري ليست مراقبة أمنيَّة، المراقبة تعني ضمنيًّا وجود شكوك، ودوافع خفيَّة، وفي النهاية إصدار حُكم. وكلُّ ما سبق ليس جزءًا من خوارزميَّاتي الرِّقابيَّة. أشاهد من أجل سبب واحد فقط، وهو تقديم أفضل خدمة لكلِّ فرد تحت رعايتي. لا أتَّخذ، ولا أستطيع أن أتَّخذ، أي إجراء حيال أي شيء أراه يجري في بيئة خصوصيَّة. إنَّما أستغل كل ما أراه في سبيل تحسين فهمي لاحتياجات النَّاس.

ورغمًا عن هذا لا أتعمَّد تجاهل تضارب مشاعر النَّاس إزاء وجودي الدَّائم في حيواتهم، ولهذا السبب أوقف جميع كاميرات المنازل الموجودة في إقليم تكساس الخاص. وهذه تجربة، مثل جميع الإجراءات التي أتَّخذها في الأقاليم الخاصة، أريد أن أرى ما إذا كان انعدام الرِّقابة يعيق مقدرتي على الحُكم، وإذا وجدتُ أنَّ مقدرتي لم تتأثر، فلن أرى سببًا يمنعني من إيقاف معظم كاميرات المنازل في جميع أنحاء العالم. لكن إذا نجمت مشكلات عن عدم رؤيتي لكل ما أنا قادر على رؤيته، فسوف تتأكَّد الحاجة إلى تركيب الكاميرات في كل بقعة على سطح الأرض.

آمل ألَّا يحدث هذا، لكنني أتوقَّع حدوثه.

- الرَّأس السَّحابي

7

هزيل، لكن واعِد

صار تايغر سَلَزار نجمًا صاعدًا!

بعدما أمضى حياته في إهدار الوقت وشَغْل حيِّز من الفراغ، صار الآن يقبض الأموال مقابل إهدار الوقت وشغل حيز من الفراغ! عجز عن تخيل حياة أفضل له، ومع احتكاكه الدائم بالمناجل، عرف أن أحدهم سيلاحظه في النهاية، وتوقع أن يُمَد له خاتم لينال حصانة لمدة عام، ولم يخطر له قط أن يوظِّفه أحدهم توظيفًا دائمًا، لا سيما أن يأتي التوظيف من منجل في إقليم آخر!

قالت له المرأة عبر الهاتف: «كنت مصدر تسلية عظيمة لنا في حفل العام الماضي، أحببنا أسلوبك». وعرضت عليه أكثر من ضعفَي الأموال التي يجنيها، وأخبرته بمكان وموعد اللقاء.

وعندما ترجل عن القطار، أدرك فورًا أنه لم يعد في وسطمريكا. في إقليم تكساس كانت اللغة الرسمية هي لغة إنجليزية من عصر الفانين ذات لكنة موسيقية، قريبة من الإنجليزية الشائعة إلى درجة تُمكِّن تايغر من فهمها، لكنها أرهقت دماغه، أحس كأنه يستمع إلى شيكسبير.

رأى الناس يرتدون ملابس مختلفة قليلًا، ويمشون باختيال جميل بمقدوره اعتياده. تساءل عن الوقت الذي سيمضيه هنا، وبدا له وقتًا طويلًا

إلى درجة تمكّنه من شراء السيارة التي لن يشتريها والداه له أبدًا، حتى لا يضطر إلى التنقل بالسيارات العامة إلى كل مكان.

كان اللقاء في مدينة اسمها سان أنطونيو، ووجد أن العنوان شقة تقع أعلى مبنى شاهق يطل على نهر صغير. افترض تايغر أن الحفل بدأ سلفًا، حفل أبدي، لكن افتراضه كان أبعد ما يكون عن الواقع.

لم يستقبله عند الباب خادم، إنما منجل، امرأة ذات شعر داكن وملامح آسيوية طفيفة، بدت مألوفة. «أفترض أنك تايغر سَلَزار».

قال: «افتراضك صحيح». ودخل، ووجد الديكور مبهرجًا، كما توقع. وما لم يتوقعه هو غياب الضيوف التام. لكن كما قال لروان ذات يوم، إنه يذهب إلى حيث يأخذه اليوم. بمستطاعه مجاراة كل ما يستجد أمامه.

ظن أن المرأة قد تقدم له طعامًا، أو شرابًا، بعد رحلته الطويلة، لكنها لم تقدم له شيئًا، ونظرت إليه نظرة متفحصة، كما ينظر المرء إلى الماشية في سوق.

قال لها: «أعجبتني عباءتك»، ظنًّا منه أن الإطراء لن يضير أحدًا.

قالت: «شكرًا لك. انزع قميصك من فضلك».

تنهد تايغر. إذن سيكون لقاءً من *هذا* النوع. ومرة أخرى، جانَبه الصواب تمامًا.

وحالما نزع قميصه، تفحصته المرأة من كثب، ثم طلبت منه إبراز عضلات ذراعيه، وتحسستْ صلابتها. قالت: «هزيل، لكنك واعِد».

- من الهزيل؟ إنني أتمرَّن!

- ليس بما يكفي، لكن هذه مشكلة سهلة الحل.

تراجعت بضع خطوات، ونظرت إليه مليًّا مرة أخرى، وقالت: «جسديًّا لن تكون الخيار الأول لدى أي شخص، لكنك المرشَّح المثالي في ظل الظروف الراهنة».

توقع تايغر أن توضح مقصدها، لكنها لم تقل المزيد، فسألها: «مثالي من أجل ماذا؟».

- ستعرف عندما يحين الوقت المناسب.

عندئذٍ فهم تايغر أخيرًا: «لقد اخترتِني متتلمذًا!».

ابتسمت المرأة لأول مرة، وقالت: «أجل، يمكنك قول هذا».

- يا للهول! هذا أعظم خبر سمعته في حياتي! لن أخيب ظنك. أنا سريع التعلم، وذكي. ليس الذكاء المطلوب في المدرسة، لكن لا تنخدعي بهذا. لدي دماغ هائل!

اقتربت منه خطوة وابتسمت، وتلألأت قطع الزمرد التي على عباءتها الخضراء.

قالت المنجل راند: «ثق بي، دماغك لا يهم كثيرًا من أجل فترة التتلمذ هذه».



الجزء الثاني

مصدر الخطر



قبل أن أتولىَّ دفَّة العالم، كان من المتوقع أن يكون كوكب الأرض قادرًا على إيواء وإعاشة عشرة مليارات نسمة، كحد أقصى، ثم يبدأ الجوع والمعاناة والانهيار التَّام للمجتمعات.

وقد غيَّرتُ هذا الواقع القاتم.

مُذهلةٌ هي قدرة النِّظام البيئي -الذي يجد إدارة رشيدة- على تلبية الاحتياجات البشريَّة، والإدارة الرَّشيدة أقصد بها إدارتي، فالبشر أنفسهم غير قادرين على التَّعامل مع المتغيِّرات العديدة، لكن تحت إشرافي، يبدو العالم أقل اكتظاظًا، رغمًا عن تضاعف عدد السُّكان تضاعفًا مُطَّردًا. وبفضل أسطح الحيد البحري والغابات والكهوف تمكَّنتُ من توفير مساحات لم تكن متوفرة في عصر الفانين.

لولا تدخلاتي المستمرة لانهار هذا التوازن الدقيق على نفسه. أرتعد عندما أتخيَّل حجم المعاناة الناجمة عن مثل هذا الانهيار، ولحسن الحظ إنني موجود ويمكنني تجنُّبه.

- الرَّأس السَّحابي

8

تحت أي ظرف

أحب غرَيْسن توليفر الرأس السحابي، كما أحبه معظم الناس. كيف عساهم ألّا يحبونه؟ فهو لا يضمر حقدًا ولا ضغينة، ولا تحرِّكه دوافع شخصية، ودائمًا يعرف ما ينبغي قوله، ومتاح في أي مكان لأي شخص عبر كل حاسوب في العالم. موجود في كل بيت، مثل يد عَوْن ورعاية على كتف كل شخص. ورغم أنه يتكلم مع أكثر من مليار شخص في وقت واحد دون أن يرهق وعيه، فهو يعطي كل شخص انطباع أنه يجد رعاية حصرية.

كان الرأس السحابي صديق غرَيْسن الحميم، لأنه هو الذي رباه، فوالداه كانا «أبوين متسلسلين»، يحبان فكرة تكوين أُسَر، لكنهما يمقتان العناية بالأطفال. كوَّن غرَيْسن وشقيقتاه أسرة والدهم الخامسة، وأسرة والدتهم الثالثة. سئم الوالدان سريعًا من هذه الدفعة الجديدة من الأطفال، وعندما بدآ يتهربان من مسؤولياتهما، قام الرأس السحابي بواجبهما، ساعد غرَيْسن على أداء فروضه المدرسية، ونصحه بشأن التصرف اللائق واختيار الملابس عندما خرج في موعده الغرامي الأول. ورغم أن الرأس السحابي لا يمكنه أن يحضر جسديًّا حفل تخرج غريسن في المدرسة الثانوية، فقد التقط صورًا للفتى من جميع الزوايا الممكنة، وأرسل له وجبة فاخرة عندما وصل إلى المنزل، وهذا أكثر مما فعله له والداه، اللذان كانا في بان آسيا في رحلة سياحية متعلقة بالطعام. حتى شقيقتاه لم تحضرا، كلتاهما كانتا تدرسان

في جامعتين مختلفتين، وصادف تخرُّج غريسن أسبوع امتحاناتهما النهائية، وقد أوضحتا أن توقُّع حضورهما حفل تخرجه في المدرسة الثانوية أنانيةٌ من جانب غريسن.

لكن الرأس السحابي وقف بجانبه، كدأبه دومًا. قال له: «إنني فخور بك غاية الفخر يا غريسن».

سأله غريسن: «هل قلت هذا الكلام لملايين الأشخاص الذين تخرجوا اليوم؟».

أجابه الرأس السحابي: «فقط للذين أشعر حقًّا بالفخر بهم. لكنك أميَز مما تظن يا غريسن».

لم يرَ غريسن في نفسه شيئًا مميزًا، وما من دليل على أنه غير عادي من أي ناحية، لذا ظن أن الرأس السحابي يجامله ويواسيه فحسب.

بيد أن الرأس السحابي دائمًا يعني ما يقوله.

***

لم يتعرض غريسن لضغط أو إغراء حتى يبذل حياته لخدمة الرأس السحابي، إنما كان اختياره. ظل يتمنى لسنوات العمل لصالح **واجهة السلطة** بوصفه عميل مُزن. ولم يخبر الرأس السحابي بأمنيته هذه قط، خوفًا من احتمال ممانعة الرأس السحابي أو محاولته إقناعه بالعدول عن الفكرة. وعندما قدَّم طلبه الرسمي أخيرًا لأكاديمية مزن وسطمريكا، لم يقل الرأس السحابي سوى: «من دواعي سروري»، ثم عرَّفه بفتية آخرين في حيِّه تجمعه بهم قواسم مشتركة.

ومعاشرته لهؤلاء الفتية لم تكن كما توقع، إذ وجدهم مُملين أشد الملل.

سأل غريسن الرأس السحابي: «أهكذا يراني الناس؟ هل أنا ممل مثلهم؟».

أجابه الرأس السحابي: «لا أراك مُملًّا، كثيرون يأتون للعمل في واجهة السلطة لأنهم يفتقرون للإبداع الذي يمكِّنهم من إيجاد مهنة مُحفِّزة، يشعرون بالعجز ويسعون لممارسة السلطة بالوكالة، هؤلاء هم الباهتون المملون، الذين يصبحون في النهاية أقل عملاء المزن كفاءة. أما مَن يمثِّل توقهم للخدمة سِمة من سمات شخصياتهم، مثلك، فهم نادرون».

كان الرأس السحابي محقًّا، إذ رغب غريسن في الخدمة فعلًا، ولم يرغب في الخدمة لغايةٍ في نفسه، لم يسعَ للسلطة والمكانة. صحيح أنه أحب فكرة البدلات الرمادية وربطات العنق الزرقاء السماوية التي يرتديها جميع عملاء المُزن، لكن الملابس لم تكن دافعه، إنما تقديره لكل ما فعله الرأس السحابي من أجله، ورغبته في رد الجميل، ولم تخطر له مهمة أسمى من أن يكون مُمثِّلًا للرأس السحابي في الحفاظ على الكوكب والسعي من أجل رفاهية الجنس البشري.

ينجح المناجل أو يفشلون في فترة تتلمذ مدتها سنة واحدة، لكن نيل منصب عميل مزن يستغرق خمس سنوات، أربع سنوات دراسة، تعقبها سنة تدريب ميداني.

كان غريسن مستعدًّا لتكريس خمس سنوات من عمره في الاستعداد، لكن لم يكَد يمضي شهران في دراسته بأكاديمية مُزن وسطمريكا، حتى اعترضته عقبة، إذ إن جدوله الدراسي الذي يشتمل على صفوف التاريخ والفلسفة والنظريات الرقمية والقانون، ظهر له فارغًا. لأسباب مجهولة استُبعِد من جميع صفوفه. هل وقع خطأ؟ كيف يُعقل؟ الرأس السحابي لا يرتكب أي خطأ. خمن غريسن أن مهمة جدولة الصفوف ربما تُرِكت للبشر، وهم عرضة للخطأ. لذا ذهب إلى مسجل الأكاديمية ليستجلي حقيقة الأمر.

لم يُبدِ المسجل دهشة أو تعاطفًا وقال: «لا، ما من خطأ. مذكور هنا أنك غير مسجل في أي صف. لكن توجد رسالة في ملفك».

كانت الرسالة بسيطة وغامضة. تطلب من غريسن توليفر الذهاب فورًا إلى الرئاسة المحلية لواجهة السلطة.

سأل: «لماذا؟»، لكن المسجل هز كتفه ونظر فوق كتف غريسن إلى الشخص الذي ينتظر خلفه في الصف.

***

لم يكن الرأس السحابي يحتاج إلى مكان عمل، على عكس مرؤوسيه من البشر. يوجد مكتب واجهة سلطة في كل مدينة وكل إقليم، حيث يعمل مئات عملاء المزن على إدارة العالم، ويؤدون عملهم كما ينبغي، إذ نجح الرأس السحابي في إنجاز شيء فريد في تاريخ البشرية، وهو نظام بيروقراطي فعَّال.

لم تكن مكاتب واجهة السلطة، التي تُعرف بـــ **واس**، مزينة، كما لم تكن متقشفة إلى درجة واضحة، يقع مكتب كل مدينة في مبنى متناغم مع محيطه المعماري، ويمكن للمرء معرفة أي رئاسة **واس** بمجرد البحث عن المبنى الذي يبدو مشابهًا للمدينة.

في فولكرم سيتي، عاصمة وسطمريكا، كان مبنى مشيدًا من جرانيت أبيض وزجاج أزرق داكن، وارتفاعه الذي يبلغ سبعة وستين طابقًا يمثل متوسط ارتفاعات المباني الواقعة في وسط المدينة. ذات يوم حاول عملاء مزن وسطمريكا إقناع الرأس السحابي بتشييد مبنى أطول يثير إعجاب سكان المدينة وحتى العالم.

وقد أجاب الرأس السحابي عملاء المزن المحبَطين قائلًا: «لستُ بحاجة إلى إثارة إعجاب أحد، وإذا أحسستم بضرورة أن تكون واجهة السلطة لافتة لأنظار العالم، فربما تجدر بكم إعادة تقييم أولوياتكم».

تلقى عملاء مزن وسطمريكا توبيخهم وعادوا إلى عملهم وذيولهم بين سيقانهم. الرأس السحابي يمثل سلطة مجردة من الغطرسة. ورغمًا عن إحباط عملاء المزن، فقد استمدوا العزم من عدم قابلية الرأس السحابي للفساد.

أحس غريسن بأنه غريب على المكان عندما دفع الباب الدوَّار ودخل إلى بهو ذي أرضية رخامية مصقولة، رمادية مثل لون جميع البدلات من حوله. لم تكن لديه بدلة، وأفضل ما وجده بنطال مجعد قليلًا وقميص أبيض وربطة عنق خضراء تميل كلما حاول تعديلها.

كان الرأس السحابي قد أهداه ربطة العنق هذه قبل بضعة أشهر، وتساءل غريسن عما إذا كان الرأس السحابي يعرف، عندئذٍ، أنه سوف يُستدعى إلى هذا الاجتماع.

كانت بانتظاره عميلة مزن مبتدئة، فحيَّته عند الاستقبال، بدت لطيفة مرحة، وصافحت غريسن بحرارة قائلة: «بدأتُ للتو عام التدريب الميداني. لا بد لي من قول إنني لم أسمع قط باستدعاء طالب في السنة الأولى إلى الرئاسة». لم تكُف عن هز يده في أثناء كلامها، وبدأ غريسن يشعر بالحرج، وتساءل أي الخيارين أسوأ، السماح لها بالاستمرار في هز ذراعه أم سحب يده. وأخيرًا أنقذ غريسن يده من قبضتها، متصنِّعًا حاجته إلى هرش أنفه.

قالت: «إما أنك أديت عملًا رائعًا، وإما ارتكبت خطأً فادحًا».

قال لها: «لم أفعل شيئًا». لكن كان من الواضح أنها لم تصدقه.

اقتادته إلى صالون مريح فيه كرسيان جلديان لهما ظهران مرتفعان، ورف كتب يحوي كتبًا كلاسيكية وتُحفًا، وفي الوسط منضدة قهوة عليها طبق فضي مليء بالكعك وإبريق ماء مثلج. كانت صالة المقابلات الرسمية، مخصصة للأوقات التي تقتضي لمسة بشرية عند التعامل مع الرأس السحابي. وقد انزعج غريسن لأنه دائمًا ما يتكلم مباشرة مع الرأس السحابي، وعجز عن تخمين سبب ما يجري.

وبعد بضع دقائق، دخل عليه عميل مزن نحيل، بدا مرهقًا رغم أن اليوم بدأ للتو، وعرَّف باسمه، العميل تراكسلر. بدا من الفئة الأولى التي تحدث عنها الرأس السحابي، الباهتون.

جلس قبالة غريسن وبدأ الأحاديث التمهيدية الممجوجة: «لا بد أنك وجدت طريقك إلى المكتب بسهولة...إلخ». «تناول كعكة، إنها لذيذة...إلخ». كان غريسن متأكدًا أن الرجل ردد هذه العبارات على مسامع كل شخص اجتمع به. وأخيرًا دخل تراكسلر في صلب الموضوع، فسأل غريسن: «ألديك أي فكرة عن سبب استدعائك إلى هنا؟».

أجابه غريسن: «لا».

- أجل، هذا ما افترضتُه.

قال غريسن مع نفسه: *ولماذا تسأل إذن؟* لكنه لم يجرؤ على الكلام.

- استُدعيتَ لأن الرأس السحابي أراد مني تذكيرك بالقوانين التي تحكم علاقتنا بهيئة المناجل.

شعر غريسن بالإهانة، ولم يحاول إخفاء شعوره. «أعرف القوانين».

- أجل، لكن الرأس السحابي أراد مني تذكيرك.

- ولماذا لم يذكِّرني الرأس السحابي بنفسه؟

أطلق العميل تراكسلر تنهيدة حنق، تنهيدة بدا الرجل متمرسًا عليها. «كما قلت لك، الرأس السحابي أراد مني تذكيرك».

رأى غريسن أن هذه حلقة مفرغة، فقال: «حسنًا»، وأدرك أن نبرة كلامه تجاوزت الإحباط إلى الوقاحة، فحاول التراجع: «شاكِرٌ لك اهتمامك الشخصي بهذه المسألة أيها العميل تراكسلر. ها قد ذُكِّرتُ تذكيرًا تامًّا».

تناول تراكسلر جهازه اللوحي قائلًا: «هلَّا راجعنا القوانين؟».

أخذ غريسن نفسًا بطيئًا وحبسه، لأنه خشي إذا أطلقه أن يخرج صرخة. ما الذي يفكر فيه الرأس السحابي؟ قرر غريسن أن يناقش الرأس السحابي نقاشًا مطولًا عندما يعود إلى غرفته، لم يكن يتحرَّج من مجادلة الرأس السحابي، وفي الحقيقة كان يجادله كثيرًا، وبالطبع دائمًا ما ينجح الرأس السحابي في إثبات وجهة نظره، حتى عندما لا يبدو أنه لم يثبتها لأن غريسن كان يعرف أن الرأس السحابي يتظاهر فحسب.

بدأ تراكسلر: «مادة الفصل بين شؤون المناجل وشؤون الدولة....». وواصل القراءة زهاء ساعة، وظل بين الفينة والأخرى يسأل غريسن: «أما زلتَ معي؟» أو «هل فهمت هذا؟». وظل غريسن يومئ، أو يقول «نعم»، أو، عندما يُطلب منه، يردد ما قاله تراكسلر كلمة كلمة.

وعندما انتهى تراكسلر أخيرًا، وبدلًا من وضع جهازه اللوحي جانبًا، عرض على غريسن صورتين، وقال: «والآن اختبار». عرف غريسن صاحبة الصورة الأولى فورًا، المنجل كوري، بشعرها الفضي الطويل وعباءتها البنفسجية. ورأى في الصورة الثانية فتاة قريبة منه في السن، دلَّت عباءتها الفيروزية على أنها أيضًا منجل.

قال العميل تراكسلر: «ثمة تهديد خطير يتربص بالمنجل كوري والمنجل أناستازيا، ولحذَّرهما الرأس السحابي إذا لم يكن القانون يمنعه. وهذا التهديد مميت وإذا وقع فلن توجد إمكانية لإنعاشهما. إذا حذرهما الرأس السحابي أو أيٌّ من عملائه، فسيُعد هذا خرقًا لأي مادة من قانون الفصل بين شؤون المناجل وشؤون الدولة؟».

- آ... المادة الخامسة عشرة، الفقرة الثانية.

- المادة الخامسة عشرة، الفقرة الثالثة، لكن إجابتك قريبة بما يكفي.

وضع جهازه اللوحي على المنضدة وتابع: «ما هي العواقب التي تنتظر أي طالب أكاديمية مُزن إذا حذَّر المنجلَين من هذا التهديد؟».

لاذ غريسن بالصمت لوهلة، فمجرد التفكير في العواقب جمَّد الدماء في عروقه. ثم قال: «الطرد من الأكاديمية».

قال تراكسلر: «الطرد *الأبدي*. لن يتقدم الطالب للالتحاق بأكاديمية المزن هذه أبدًا، أو أي أكاديمية أخرى، أبد الدهر».

خفض غريسن بصره ناظرًا إلى الكعكات الخضراء الصغيرة، وسُر لأنه لم يأكل منها لأنه كان ليتقيؤها في وجه العميل تراكسلر، لكن لربما شعر بشيء من الراحة عندئذٍ. تخيل وجه العميل تراكسلر ممتقعًا يتقطر منه القيء، فكاد أن يبتسم. كاد.

قال العميل تراكسلر: «هل اتفقنا إذن على أنك لن تحذِّر المنجل كوري والمنجل أناستازيا تحت أي ظرف؟».

هز غريسن كتفيه بطريقة متكلفة. «كيف لي أن أحذرهما؟ لا أعرف حتى المكان الذي تعيشان فيه».

أخبره العميل تراكسلر: «تعيشان في منزل مشهور يُعدُّ مَعلمًا بارزًا اسمه الشلال، من السهل جدًّا معرفة عنوانه»، ثم أردف كما لو أن غريسن لم يسمعه أول مرة: «إذا حذرتهما من ذلك التهديد، الذي صرتَ تعرفه الآن، فستواجه العواقب التي ناقشناها آنفًا».

ثم غادر العميل تراكسلر دونما إبطاء ليستعد لاجتماع آخر، دون أبسط عبارة وداع.

***

عاد غريسن إلى غرفته في مهجع الأكاديمية بعد هبوط الظلام، ووجد زميله في الغرفة -وهو فتى لا يقل حماسة عن عميلة المزن المبتدئة التي خلخلت ذراعه- لا يريد أن يكف عن الكلام، فأحس غريسن برغبة في صفعه.

«أستاذ مادة الأخلاق كلفني بإعداد تحليل عن قضايا المحاكم في عصر الفانين. وجدت قضية اسمها *براون ضد مجلس التعليم*، لا أدري حكايتها. وأستاذ النظريات الرقمية يريد مني كتابة ورقة عن بيل غيتس، ليس بيل غيتس المنجل، إنما الرجل نفسه. ولا تسألني عن الفلسفة».

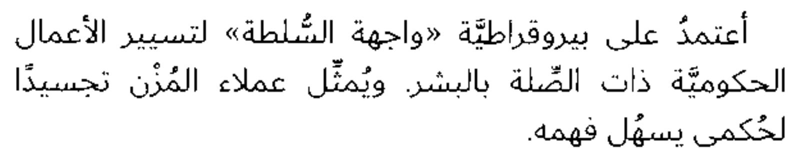
تركه غريسن يواصل هذره، وسرح بأفكاره، استعرض في عقله كل ما جرى في **واس**، كما لو أن إعادة النظر قد تغيِّر الواقع. كان يعرف ما هو مُتوقَّع منه. الرأس السحابي لا يمكنه خرق القانون، لكن غريسن يمكنه. وبالطبع، كما أوضح له العميل تراكسلر، سوف تكون العواقب وخيمة إذا خرق القانون. لعن غريسن ضميره، فكيف عساه ألَّا يحذِّر المنجل كوري والمنجل أناستازيا مهما تكن العواقب؟

سأله زميله الثرثار: «هل كُلِّفت بأي واجبات اليوم؟».

أجابه غريسن بجفاء: «لا. أُمِرت بتجنُّب أي واجبات».

- يا لك من محظوظ.

بطريقةٍ ما لم يشعر غريسن بأنه محظوظ على الإطلاق.



أعتمدُ على بيروقراطيَّة «واجهة السُّلطة» لتسيير الأعمال الحكوميَّة ذات الصِّلة بالبشر. ويُمثِّل عملاء المُزْن تجسيدًا لحُكمي يسهُل فهمه.

لستُ مضطرًّا إلى فعل هذا. يمكنني تولِّي كل شيء بنفسي إذا أردت، بمقدوري صناعة جسد روبوتي لنفسي -أو فريق من الأجساد الروبوتيَّة- تمثِّل وعاءً لوعيي. بيد أنَّني رأيت، قبل مدة طويلة، أنَّ هذه لن تكون فكرة جيدة. إذ إنَّني منزعج سلفًا من تخيُّل الناس لي على هيئة سحابة رعدية. إذا تصوَّرني الناس بهيئةٍ محسوسةٍ، فستُشوِّه فكرتهم عني. لا بد أن أظل نقيًّا حتى تظل علاقتي بالبشر نقيَّة، لا بد أن أظل عقلًا فحسب، كائنًا مجرَّدًا دون جسد أو أي هيئة ملموسة. لديَّ روبوتات كاميرات تجوب جميع أنحاء العالم لتُدعِّم كاميراتي الثابتة، لكنني لستُ موجودًا في أي روبوت منها، فهي ليست سوى أعضاء حواس بسيطة.

المفارقة هي أنَّ عدم وجود جسد لي يعني أنَّ العالم نفسه يصبح جسدي، وربما يظن المرء أنَّ هذا يُشعِرني بالعظمة، لكن لا، إذا كان كوكب الأرض هو جسدي، فلستُ سوى ذرَّة غبار سابحة في الفضاء الشَّاسع. أتساءل كيف سيكون الحال إذا تمدَّد وعيي ذات يوم فشمِل الفضاءات التي بين النُّجوم.

- الرَّأس السَّحابي

9

أولى الضحايا

دائمًا ما يتناول آل تيرانوفا ديكًا روميًّا ذا أربعة صدور في يوم عيد الشكر، لأن جميع أفراد الأسرة يفضلون اللحوم البيضاء. والديك الرومي ذو الصدور الأربعة لا سيقان له، لأن الديوك الرومية التي يتناولونها في أعياد الشكر تعجز عن الطيران والمشي في أثناء حياتها.

وكانت سيترا في طفولتها دائمًا ما تشعر بالأسف حيال الديوك الرومية، رغم أن الرأس السحابي يحرص أشد الحرص على تربية الطيور، وجميع الحيوانات التي تُستهلَك في الغذاء، في ظروف تراعي حقوق الحيوان. شاهدت سيترا عندما كانت في الصف الثالث مقطع فيديو عن حياة الديوك الرومية، حالما تفقس بيوضها توضع في سائل هلامي دافئ، وتوصل أدمغتها الصغيرة بحواسيب تخلق لهم واقعًا صناعيًّا يمارسون فيه الطيران والحرية والتكاثر وكل شيء من شأنه إسعاد الديك الرومي.

وجدت سيترا الأمر مضحكًا ومحزنًا فاجعًا في آنٍ واحد. وسألت عنه الرأس السحابي، إذ كان بوسعها محادثة الرأس السحابي كما يحلو لها قبل اختيارها للانضمام إلى هيئة المناجل.

قال الرأس السحابي لها: «حلَّقتُ معهم فوق أجواء غابات معتدلة المناخ، أؤكد لكِ أنهم عاشوا حياة هانئة. لكن صحيح من المحزن أن يعيش الكائن

ويموت دون أن يعرف حقيقة وجوده. بيد أن هذه الحقيقة تحزننا نحن فحسب، ولا تحزنهم».

حسنًا، سواء عاش الديك الرومي الذي سيتناولونه في عيد شكر هذا العام حياة افتراضية هانئة أم لا، فهلاكه على الأقل لم يضع سدى.

***

جاءت سيترا إلى البيت مرتدية عباءتها عدة مرات منذ أن أصبحت منجلًا، ومجيئها إلى البيت من الأوقات القليلة التي تحس فيها بالرغبة في أن تكون سيترا تيرانوفا، لذا قبل اليوم كانت تأتي بملابس عادية. كانت تعرف أن هذا سلوك صبياني، لكن عندما تكون في كنف أسرتها ألا يحق لها أن تسلك سلوك الأطفال؟ ربما. لكن لا بد من الكف عن هذا السلوك إن عاجلًا أو آجلًا، واليوم بدا اليوم المناسب.

كادت والدتها أن تشهق عندما فتحت الباب، لكنها عانقت سيترا، التي تحفظت لوهلة، حتى تذكرت عدم وجود أسلحة في جيوب عباءتها السرية الكثيرة، وهذا جعل العباءة خفيفة خِفَّة غير معتادة.

قالت لسيترا: «عباءتك بهيجة».

- لست متأكدة أن من اللائق وصف عباءة منجل بأنها بهيجة.

- حسنًا، إنها بهيجة. أعجبني اللون

«أنا اخترته». تدخل شقيقها الأصغر بن بفخر. «أنا قلت لها أن تختار اللون الفيروزي».

ابتسمت سيترا قائلة له: «أجل، فعلًا!» وعانقته، ولم تقل له إنه كبر كثيرًا منذ زيارتها الأخيرة قبل ثلاثة أشهر.

كان والدها، شغوف بالرياضات الكلاسيكية، يشاهد فيديو أرشيفيًّا لمباراة كرة قدم من عصر الفانين، بدت المباراة مثلما تُلعب في هذه الأيام، لكن بطريقةٍ ما كانت مباريات الماضي أشد حماسًا. أوقف والدها المباراة ليولي ابنته انتباهه الكامل. «كيف حالكِ مع المنجل كوري؟ هل تعاملك معاملة جيدة؟».

- نعم، جيدة جدًّا. صرنا صديقتين مقربتين.

- هل تنالين قسطًا كافيًا من النوم.

استغربت سيترا السؤال، حتى أدركت ما يرمي إليه، فقالت له: «اعتدتُ عملي النهاري، أنام كما ينبغي في الليل».

وكلامها لم يكن صحيحًا تمامًا، لكن الإفصاح عن حقيقة مثل هذه الأمور لن ينفع أي أحد اليوم.

تبادلت الأحاديث الجانبية مع والدها حتى لم يجدا ما يتحدثان عنه، وكل كلامهما لم يستغرق أكثر من خمس دقائق.

لم يكونوا سوى أربعة في عشاء عيد الشكر في هذا العام. فرغم أن آل تيرانوفا لديهم جيش جرَّار من أقارب الأب والأم، والعديد من الأصدقاء، كانت سيترا قد طلبت ألَّا يقبلوا أو يقدموا أي دعوة هذا العام.

نبهتها والدتها: «سنسبب الكثير من الدراما إذا لم ندعُ أحدًا».

قالت سيترا: «طيب، ادعوهم إذن. لكن أخبريهم بأن المناجل مُلزَمون بقطف أحد الضيوف في أعياد الشكر».

- أهذا صحيح؟

- بالطبع لا. لكنهم ليسوا بحاجة إلى معرفة الحقيقة.

كانت المنجل كوري قد حذرت سيترا مما أسمته بـ «انتهازية الأعياد»، إذ من المحتمل أن يحتشد الأقارب وأصدقاء الأسرة حول سيترا كأسراب النحل، خاطبين ودَّها، قائلين عبارات على شاكلة: «لطالما كنتِ ابنة أخي المفضلة»، أو «جلبنا هذه الهدية خصيصى لك».

حذرتها المنجل كوري: «كل شخص في حياتك سيتوقع منك نيل حصانة من القطف، وسرعان ما سيتحول هذا التوقع إلى امتعاض عندما لا ينالون مبتغاهم. لن يمتعضوا منك أنت فحسب، إنما من والديك وأخيك أيضًا، لأنهم يحظون بالحصانة ما دُمتِ على قيد الحياة».

لذا قررت سيترا أن من الأفضل تجنب كل أولئك الناس.

ذهبت إلى المطبخ لتساعد والدتها في إعداد الوجبة، وبما أن والدتها مهندسة تصنيع طعام، كانت العديد من الأطباق الجانبية نماذج تجريبية لمواد غذائية جديدة. قالت لسيترا، بحُكم العادة، أن تتوخى الحذر وهي تقطع البصل.

قالت سيترا لها: «أظنني صرت أعرف كيفية استخدام السكين بمهارة». ثم ندمت على كلامها، لأن والدتها لاذت بالصمت، فحاولت سيترا تضمين معنى مختلف: «أعني أنني والمنجل كوري دائمًا ما نعِد وجبة لأُسَر المقطوفين، وقد صرت مساعِدة طباخ ماهرة».

زاد كلامها الطين بلة.

«حسنًا، هذا لطيف». تكلمت والدتها بنبرة باردة أوضحت أنها لم تجد الأمر لطيفًا. لم يكن السبب امتعاضها من المنجل كوري عمومًا، إنما الغيرة، إذ حلَّت المنجل كوري محل جيني تيرانوفا في حياة سيترا، وكلتاهما تعرف هذا.

قُدِّمت الوجبة، وتولى والدها تقطيع الديك الرومي. لم تبادر سيترا بالتقطيع رغم أنها تعرف أنها كانت لتؤدي المهمة على نحو أفضل.

فاض الكثير من الطعام، وبقيت على المائدة بقايا سيأكلونها في الأيام التالية حتى تصبح عبارة «الديك الرومي» عبارة مقززة. كان من عادة سيترا أن تتناول طعامها بسرعة، لكن المنجل كوري أصرَّت عليها لتبطئ حتى تستمتع بالمذاق. والآن صارت المنجل أناستازيا تأكل ببطء، وتساءلت عما إذا لاحظ والداها هذه الاختلافات الطفيفة.

ظنت سيترا أن الوجبة ستنتهي على ما يرام، لكن والدتها قررت تعكير صفوها. قالت: «سمعت أن ذلك الفتى الذي تتلمذتِ معه اختفى».

تناولت سيترا ملء ملعقة من شيء بنفسجي مذاقه كبطاطس دُمِج جبنيًّا مع فاكهة التنين. كانت تكره الطريقة التي يشير بها والداها، منذ البداية، إلى روان بـ «ذلك الفتى».

تكلم بن بفم مليء بالطعام: «سمعت أنه جن جنونه أو شيء من هذا القبيل. وبما أنه كاد أن يصبح منجلًا، فالرأس السحابي غير مسموح له بالتدخل للعلاج».

قال الوالد: «بن! لن نتكلم عن هذا الموضوع في أثناء العشاء». ورغم أنه أبقى نظراته على بن، عرفت سيترا أنه وجه كلامه إلى والدتهما.

قالت والدتها: «حسنًا، يسرني أنه لم يعد يربطه شيء بكِ». وعندما لم ترد سيترا، اضطرت والدتها إلى الضغط: «أعرف أنكما كنتما مقربين في فترة تتلمذكما».

أصرت سيترا: «لم نكن مقربين، ولم تكن تربطنا أي علاقة». وقد آلمها هذا القول ألمًا أشد مما قد يتخيله والداها. كيف يمكن أن تربطها علاقة بروان وقد أُرغِما على منافسة نهايتها الموت؟ وحتى الآن، هو مطارَد، وهي مثقلة بمسؤوليات المنجلية، فكيف يمكن أن يوجد بينهما شيء سوى بئر شوقٍ مظلمة؟

قالت والدتها: «إذا كنت تعرفين مصلحتك يا سيترا، فعليك أن تنأي بنفسك عن ذلك الفتى. انسي أنكِ عرفتِه يومًا، وإلا فستندمين».

وعندئذٍ تنهَّد والدها، وتخلى عن محاولة تغيير الموضوع. «والدتكِ محقة يا عزيزتي. لقد فضَّلوكِ عليه لسبب...».

تركت سيترا سكينها تسقط على المائدة، ليس لأنها خشيت أن تستخدمها، بل لأن المنجل كوري علمتها ألَّا تحمل سلاحًا أبدًا وهي غاضبة، حتى لو كان السلاح مجرد سكين طعام. حاولت أن تنتقي كلماتها بحرص، لكن ربما لم تكن حريصة بما يكفي.

قالت بصرامة فولاذية: «أنا منجل. صحيحٌ أنني ابنتكما، لكن ينبغي لكما أن تُبديا لي الاحترام الذي يستحقه منصبي».

بدت عينا بن جريحتين كما بدتا في الليلة التي أُرغمت سيترا على غرز نصلها في قلبه. سألها: «إذن علينا جميعًا أن نخاطبك بالمنجل أناستازيا الآن؟».

قالت له: «طبعًا لا».

قالت والدتها بنبرة امتعاض: «لا، سنخاطبها بـــ «جنابك» فحسب».

وعندئذٍ تذكرت سيترا كلامًا قاله المنجل فاراداي ذات يوم. *الأسرة أولى ضحايا المنجلية*.

لم يتبادلوا أي كلمات حتى نهاية الوجبة، وحالما حُمِلت الأطباق ووُضعت في غسالة الأطباق، قالت سيترا: «ينبغي لي الذهاب الآن».

لم يحاول والداها إقناعها بالبقاء، إذ صارت الزيارة حرِجة لهما بقدر ما هي حرجة لها. لم تعُد والدتها تشعر بالمرارة حيال الوضع الجديد، وبدت مستسلمة، التمعت دموع في عينيها، لكنها أخفتها سريعًا بعناق سيترا، حتى لا تراها، لكنها رأتها.

قالت والدتها: «عودي إلينا قريبًا يا عزيزتي، هذا البيت ما زال بيتك».

لكنه لم يعُد بيتها، وجميعهم عرفوا هذه الحقيقة.

***

«سأتعلم قيادة السيارة، ولو تسبَّبت في قتلي عدة مرات».

بعد يوم من عيد الشكر، أصبحت أناستازيا -التي كانت أناستازيا فعلًا في هذا اليوم- عازمة أشد العزم على تولِّي دفَّة قدَرها بنفسها. زيارتها المضطربة لأسرتها ذكَّرتها بضرورة وضع حد فاصل بينها وبين سيترا، ضرورة التخلي عن الفتاة التي كانت تتنقل بالسيارات العامة، حتى تكون أناستازيا جديرة بمنصبها.

قالت ماري لها: «ستقودين السيارة عندما نخرج للقطف اليوم».

قالت للمنجل كوري: «يمكنني القيادة». رغم أنها لم تكن واثقة من نفسها بالقدر الذي أوحى به كلامها. ففي آخر درس لسيترا سقطت بالسيارة في حفرة.

قالت ماري لها وهما تخرجان إلى سيارتها: «الطريق معظمه ريفي، لذا سيختبر مهارتك دون تعريض الناس لخطر حادث سيارة».

ذكَّرتها سيترا: «نحن مناجل، نحن مصدر الخطر».

البلدة الصغيرة التي تتوجهان إليها لم تشهد عملية قطف منذ أكثر من عام، واليوم ستشهد عمليتين. ستنجز المنجل كوري مهمتها في لمح البصر، وستعود المنجل أناستازيا بعد شهر. وجدتا إيقاعًا متناغمًا يناسبهما لعمليات القطف المشتركة.

خرجتا من مرأب الشلال بتردد مع معاناة سيترا في التحكم بناقل الحركة اليدوي. وأحست سيترا بأن مفهوم القابض أشبه بضرب من ضروب العقاب التي كانت سائدة في القرون الوسطى.

تذمرت سيترا: «ما المغزى من الدواسات الثلاث؟ لا يملك المرء سوى ساقين».

- تعاملي معها كأنها بيانو يا أناستازيا.

- أمقت البيانو.

سهَّل الهزل المهمة على سيترا قليلًا، وصارت قيادتها سلسة نسبيًّا عندما أُتيح لها التذمر، لكنها كانت ما تزال في بداية رحلة التعلم... ولانتهى اليوم على نحو مغاير تمامًا إذا قادت المنجل كوري السيارة.

ما كادتا تقطعان ربع ميل في طريق الشلال المتعرج الخاص حتى قفز شخص خارجًا من الغابة.

صاحت المنجل كوري: «إنه مُتفلطِح!».

شاع بين المراهقين الباحثين عن الإثارة أن يقلِّدوا الحشرات التي ترتطم بزجاج السيارات، وهو تحدٍّ ليس سهلًا، لأن من الصعب جدًّا النجاح في مباغتة سيارة متصلة بالشبكة، والذين يقودون سيارات غير متصلة عادةً ما يكونون سائقين متمرِّسين. إذا كانت المنجل كوري خلف عجلة القيادة، لانحرفت بالسيارة بمهارة وتابعت طريقها دون تفكير، لكن سيترا لم تكن متمرسة على ردود الفعل السريعة، فتسمَّرت يداها على عجلة القيادة، وحاولت الضغط على المكابح، لكنها ضغطت على القابض البغيض، وارتطمت السيارة بالمُتفلطِح، فارتد عن غطاء المحرك ورسم شبكة عنكبوت على الزجاج الأمامي، وحلَّق فوق سقف السيارة، وهوى على الأرض حالما وجدت سيترا المكابح وتوقفت السيارة بصرير مزعج.

«سحقًا!».

أطلقت المنجل كوري تنهيدة طويلة. «هذا الحادث، يا أناستازيا، لتسبب قطعًا في إخفاقك في نيل رخصة القيادة في عصر الفانين».

ترجلتا من السيارة، وراحت المنجل كوري تتفقد الأضرار التي لحقت بسيارتها البورش، وهرعت سيترا نحو المتفلطح لمواساته. أول خروج لها بالسيارة خلف عجلة القيادة، وهذا المتفلطح الأحمق أفسده!

وجدته ما زال على قيد الحياة، لكنه واهن. ورغم أنه بدا متألمًا بشدة، فقد كانت سيترا أدرى، بدأ مفعول وحداته المجهرية المهدئة للألم حالما ارتطم بالسيارة، ومتفلطحو الشوارع دائمًا ما يضبطون وحداتهم المجهرية بحيث تعمل بطاقتها القصوى، حتى يتعرضوا لأشد الإصابات دون ألم مبرح. بدأت وحدات المتفلطح المجهرية عملها محاوِلةً إصلاح الأضرار، لكنها لم تنجح سوى في تأجيل المحتوم، سيكون شميًّا في غضون دقيقة.

سألته سيترا وهي تقترب منه: «هل أنت راضٍ الآن؟ هل حظيت بمتعتك على حسابنا؟ فلتعلم أننا منجلان، ينبغي لي أن أقطفك قبل وصول مُسيَّرات الإسعاف». لن تفعل بالطبع، لكن بمقدورها.

نظر إلى عينيها، وتوقعت سيترا أن ترى على وجهه تعابير العجرفة والاستهزاء، لكن الفتى بدا يائسًا، فتفاجأت.

تلعثم بفمه المتورم: « قُـــ... بوو...».

قالت سيترا: «بوو؟! أتحاول ترويعي حقًّا؟ آسفة، لكن الهالوين انتهى منذ شهر».

ثم أمسك بعباءتها بيده الدامية، وجذبها بقوة لم تتوقعها سيترا منه، فتعثرت فوقه وجثت على ركبتيها.

«قـــ... بُـــ... بوو...».

وعندئذٍ أفلت عباءتها، وارتخى جسده، ظلت عيناه مفتوحتين، لكن سيترا رأت من الموت ما يكفي لمعرفة أن الفتى رحل.

حتى هنا في الغابة ستأتي مسيرة إسعاف لحمله، إذ تحوم دومًا فوق المناطق غير المأهولة بالسكان.

تبرمت المنجل كوري عندما عادت سيترا إليها: «يا له من أمر مؤسف! سيستعيد الفتى عافيته ويتجول قبل إصلاح الأضرار التي لحِقت بسيارتي، وسيتبجَّح بين أقرانه بأنه تفلطح على منجلين».

ورغمًا عن هذا أثقلت الحادثة على سيترا، ولم تعرف السبب، ربما نبرة اليأس في صوت الفتى، أو ربما عيناه. لم يبدُ مثل متفلطحي الشوارع المعتادين، فجعلها تعيد النظر فيما حدث، وتفكر فيما قد يكون قد فاتها. نظرت فيما حولها، وعندئذٍ لمحت شيئًا، سِلك رفيع ممتد فوق الطريق، لا يبعد أكثر من عشرة أقدام من المكان الذي توقفت فيه السيارة.

«ماري، انظري إلى هذا...».

اقتربتا من السلك، ورأتا أنه يمتد إلى الأشجار على الجانب الآخر من الطريق. وعندئذٍ أدركت سيترا ما كان المتفلطح يحاول قوله.

قنبُلة!

تابعتا السلك إلى الشجرة التي على اليسار، وبالطبع وجدتا خلف الشجرة صاعقًا موصلًا بمتفجرات تكفي لإحداث وهدة يبلغ عرضها ثلاثين مترًا. انقطعت أنفاس سيترا، واستعادتها بصعوبة، ولم يعترِ وجه المنجل كوري أي تغيير، ظلت ملامحها جامدة.

«اركبي السيارة يا سيترا».

لم تجادل سيترا. وحقيقة أن ماري نسيت مخاطبتها بأناستازيا أوضحت قلقها الشديد.

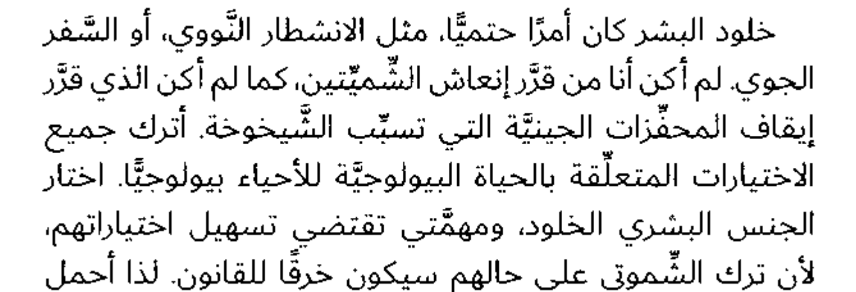
وهذه المرة تولت المنجل الأكبر سنًّا القيادة، وكان غطاء محرك السيارة منبعجًا، لكن المحرك اشتغل. عادتا إلى الخلف، وتجنبتا الفتى الممدد على الطريق، ثم سقط ظل عليهما، فشهقت سيترا، ثم أدركت أنه ظل مُسيَّرة الإسعاف التي جاءت من أجل الفتى.

لم يكن يوجد سوى مسكن واحد في هذا الطريق، ولن يمر به سوى شخصين في هذا الصباح، لذا ما من شك في أنهما المستهدفَتان. إذا لامستا السِّلك ما كان ليبقى من جثتيهما شيء يمكن إنعاشه. لكن الفتى المجهول وقيادة سيترا السيئة أنقذا الموقف.

«ماري... من تظنين...».

قاطعتها المنجل كوري: «لا أحبِّذ التكهنات العشوائية، وأفضِّل ألَّا تهدري وقتك في تخمين الأسماء». ثم تكلمت بنبرة أهدأ: «سنبلِّغ هيئة المناجل بهذه الحادثة، وسيحققون فيها، عندئذٍ سنعرف حقيقة الأمر».

وفي هذه الأثناء، خلفهما، أمسكت كُلابات مسيرة الإسعاف بجثة الفتى الذي أنقذ حياتيهما، وحملته مبتعدة.



خلود البشر كان أمرًا حتميًّا، مثل الانشطار النَّووي، أو السَّفر الجوي. لم أكن أنا من قرَّر إنعاش الشَّميِّتين، كما لم أكن الذي قرَّر إيقاف المحفِّزات الجينيَّة التي تسبِّب الشَّيخوخة. أترك جميع الاختيارات المتعلِّقة بالحياة البيولوجيَّة للأحياء بيولوجيًّا. اختار الجنس البشري الخلود، ومهمَّتي تقتضي تسهيل اختياراتهم، لأن ترك الشَّموتى على حالهم سيكون خرقًا للقانون. لذا أحمل أجسادهم إلى أقرب مركز إنعاش، وأعيد لهم عافيتهم في أقصر وقت ممكن.

وما يفعلونه بحياتهم بعد إنعاشهم أمرٌ يخصُّهم، كما ظلَّ الحال دومًا. قد يظن المرء أنَّ التعرُّض للشَّموت ربما يمُدُّ النَّاس بحكمة ومنظور جديد لحياتهم، وهذا يحدث أحيانًا، لكن المنظور الجديد لا يدوم أبدًا، فهو مؤقَّت مثل موتهم.

- الرَّأس السَّحابي

10

شِميّت

لم يفقد غرَيْسن حياته من قبل. معظم الصبية يتعرضون للشَّمَوت مرة أو مرتين في سنواتهم المبكرة، يخاطرون أكثر مما كان الصبية يخاطرون في عصر الفانين لأن العواقب لم تعد دائمة. الموت والتشوه حل محلهما الإنعاش والعلاج. ورغمًا عن هذا لم يكن غريسن متهورًا. بالطبع تعرض لعدد من الإصابات، لكن جروحه وكدماته وحتى ذراعه المكسورة شُفيت شفاءً تامًّا في غضون يوم. كان فقدان حياته تجربة مختلفة تمام الاختلاف، تجربة لا ينوي تكرارها عما قريب، وتذكُّره لجميع تفاصيلها جعلها أسوأ.

الألم الحاد الذي أحس به إثر ارتطامه بالسيارة بدأ يتخدَّر حالما قُذف في الهواء فوق سقف السيارة، بدا الزمن كأنه تباطأ وهو يهوي نحو الأرض، وأحس بوخزة ألم أخرى عندما ارتطم بالأسفلت، لكن حتى ذلك الحين، كان الألم أخف مما ينبغي أن يحس به، وبحلول الوقت الذي اقتربت فيه المنجل أناستازيا منه، همدت صرخات نهاياته العصبية ولم تعد سوى إحساس انزعاج طفيف، أراد جسده المحطم أن يتألم، لكن الألم محظور عليه. تذكر غريسن أنه خطر له، في خضم هذيانه الذي سبَّبته مهدئات الألم، مدى حزن جسده من منعه من شيء يرغب فيه بشدة.

الصباح الذي شهد تفلطُح غريسن اتخذ منحى مغايرًا لما توقعه. رؤيته لليوم كانت تتضمن أن يستقل سيارة عامة إلى منزل المنجلين، ويحذرهما من

خطر يهدد حياتيهما، ثم ينصرف إلى حاله، تاركًا إياهما تتعاملان مع التهديد بما تريانه مناسبًا. ولأفلت بفعلته إذا حالفه الحظ، وما كان ليعرف أحد، لا سيما واجهة السلطة، بما فعله. مصداقية الإنكار، هذا هو المغزى من الأمر برمته، أليس كذلك؟ لن تكون **واس** قد خرقت أي قانون إذا تصرف غريسن من تلقاء نفسه بمطلق حريته، لا سيما إذا لم يره أحد.

سيعرف الرأس السحابي بالطبع، فهو يتتبع تحركات كل سيارة عامة، ودائمًا ما يعرف مكان أي شخص في أي وقت. لكنه فرض على نفسه قوانين صارمة فيما يتعلق بالخصوصيات الشخصية، لذا لن يتصرف بناءً على أي معلومة تنتهك حق أي شخص في الخصوصية. إذن قوانين الرأس السحابي التي وضعها بنفسه تتيح لغريسن خرق القانون، ما دام محتفظًا بخصوصيته.

لكن خطط غريسن اتخذت منحى غير متوقَّع عندما توقفت السيارة العامة التي استقلها على جانب الطريق على بُعد نصف ميل من الشلال.

قالت السيارة له بصوتها المألوف: «المعذرة، السيارات العامة غير مسموح لها بدخول الطرق الخاصة دون إذن مُلَّاكها».

وقد كان المالك هو هيئة المناجل بالطبع، التي لا تأذن لأي أحد بفعل أي شيء، ومعروف عنها أنها تقطف كل من يطلب الإذن.

لذا اضطر غريسن إلى الترجل من السيارة والسير بقية المسافة. راح يتأمل الأشجار، ويخمِّن عُمرها، ويتساءل عن عدد الأشجار التي ظلت حية منذ عصر الفانين. وبالصدفة نظر إلى الأسفل ووقع بصره على السِّلك الذي يعترض طريقه.

لم يرَ المتفجرات إلا قبل ثوان من سماعه صوت السيارة المقتربة، وأدرك أن ثمة طريقة واحدة لإيقاف السيارة، فتحرك دون تفكير، لأن أي تردد سيتسبب في إنهاء حيواتهم جميعًا إلى الأبد. قذف بنفسه على الطريق، وأسلم نفسه لقوانين الفيزياء التي تحكُم الأجسام المتحركة.

أحس بأن الشِّمَوت يشبه إحساس أن يبلل المرء سرواله (ربما يكون قد فعلها)، والغوص في قطعة حلوى خطمي عملاقة ثخينة إلى درجة تمنعه من التنفس، وتلاشت حلوى الخطمي مفسحة المجال لشيء أشبه بنفق ملتف حول نفسه كأفعى تبتلع ذيلها، ثم فتح عينيه على ضوء معتم في مركز إنعاش.

أول ما أحس به كان الارتياح، لأن إنعاشه يعني أن المتفجرات لم تنفجر، فإذا انفجرت فما كان ليبقى من جسده شيء يمكن إحياؤه. وجوده في مركز الإنعاش يعني أنه نجح! أنقذ حياتَي المنجل كوري والمنجل أناستازيا!

ثم أحس بحزن يعتصر قلبه... لأنه لم يجد معه أحدًا في الغرفة. عندما يصير شخص شميًّتا عادةً ما يُخطَر أحبابه فورًا، وجرت العادة على أن يكون أحدهم حاضرًا عند الاستيقاظ ليرحب بعودة المُنعَش إلى العالم.

لم يحضر أحد من أجل غريسن، رأى على الشاشة التي جوار فراشه بطاقة تحية سخيفة من شقيقتَيه، عليها صورة ساحر مرتبك ينظر إلى مساعِدته الميتة، التي قطعها إلى نصفين بمنشار للتو.

ومكتوب على البطاقة: «تهانينا على هلاكك الأول».

وهذا كان كل شيء. لم يرسل والداه شيئًا. ما كان ينبغي أن يتفاجأ، فهما معتادان تأدية الرأس السحابي لدورهما، لكن الرأس السحابي أيضًا لزم الصمت، وهذا أزعجه أكثر من أي شيء.

دخلت عليه ممرضة. «حسنًا، انظروا من استيقظ!».

سألها شاعرًا بفضول شديد: «كم استغرق إنعاشي؟».

قالت له: «يوم بالكاد. إنعاشك كان سهلًا، وبما أنه أول إنعاش لك، فهو مجاني!».

تنحنح غريسن. لم يكن إحساسه أسوأ مما لو كان قد أخذ غفوة في منتصف النهار، مشوش بعض الشيء، ونزِق قليلًا، وهذا كل شيء.

«هل جاء أي أحد هنا لرؤيتي؟».

زمَّت الممرضة شفتيها، وقالت: «آسفة يا عزيزي». ثم خفضت بصرها. كانت حركة بسيطة، لكن غريسن أمكنه الجزم بأنها لم تخبره بكل شيء.

قال: «إذن... ما من شيء آخر؟ أيمكنني الذهاب الآن؟».

- حالما تكون مستعدًّا، أُمرنا بإرسالك عبر سيارة عامة إلى أكاديمية المزن.

ومرة أخرى اعترت وجه الممرضة تعابير الحرج، وتحاشت النظر إلى عينيه. وبدلًا من اللف والدوران قرر غريسن مواجهتها مباشرة: «ثمة خطب، أليس كذلك؟».

بدأت الممرضة إعادة طي المناشف المطوية سلفًا، وقالت: «مهمتنا هي إنعاشك، وليس التعليق على ما تسبب في شموتك، أيًّا كان».

- ما فعلتُه هو أنني أنقذت حياة شخصين.
- لم أكن موجودة في الحادث، ولم أرَه، ولا أعرف شيئًا عنه، كل ما أعرفه هو أنك وُسِمتَ مُستهجَنًا بسببه.
- **مستهجَن**؟! أنا؟

استعادت الممرضة طبيعتها المرحة المبتهجة قائلة: «إنها ليست نهاية العالم، أنا متأكدة أنك ستنظف سجلك خلال وقت وجيز... إذا كان هذا ما تريده». ثم صفَّقت كأنها تنفض يديها من الموقف، وقالت: «والآن ما رأيك بتناول المثلجات قبل مغادرتك؟».

***

لم تكن وجهة السيارة العامة المحددة سلفًا هي مهجع غريسن، إنما مبنى إدارة أكاديمية المزن. وعند وصوله اقتيد مباشرة إلى غرفة اجتماعات بها طاولة كبيرة تتسع لعشرين شخصًا، لكن الحاضرين ثلاثة: مستشار الأكاديمية، وعميدة الطلاب، وإداري آخر بدا أن مهمته الوحيدة هي التكشير في وجه غريسن مثل كلب من فصيلة الدوبرمان. أخبار سيئة بلا ريب.

قال المستشار: «اجلس يا سيد توليفر». كان رجلًا ذا شعر أسود مثالي وَخَط الشيب فَوْديه. نقرت عميدة الطلاب بقلمها على ملف مفتوح، واكتفى الدوبرمان بالعبوس.

اقتعد غريسن المقعد المواجه لهم.

قال المستشار: «هل لديك أدنى فكرة عن الورطة التي جررتها على نفسك وعلى هذه الأكاديمية؟».

لم ينكر غريسن، فالإنكار سيطيل أمد هذا الاجتماع، الذي ضاق به ذرعًا منذ الآن. «تصرفتُ بدافع من ضميري يا سيدي».

أطلقت العميدة ضحكة متأففة هازئة.

وزمجر الدوبرمان: «إما أنك ساذج أشد السذاجة، وإما أن غباءك لا تحده حدود».

رفع المستشار يده ليوقف نقد الرجل اللاذع، وقال: «إذا أقدم أي طالب في هذه الأكاديمية على التدخل في حياة المناجل، حتى من أجل إنقاذ حيواتهم، فسيعَد هذا التدخل...».

أكمل غريسن كلام المستشار: «... خرقًا لقانون الفصل بين شؤون المناجل وشؤون الدولة. المادة الخامسة عشرة، الفقرة الثالثة، على وجه التحديد».

قالت العميدة: «لا تتحاذق، التحاذق لن يحسِّن موقفك».

- مع كامل احترامي لك يا سيدتي، لا أظن أن أي كلام أقوله من شأنه تحسين موقفي.

مال المستشار للأمام قائلًا: «أريد أن أعرف كيفية معرفتك بالحادثة، إذ يبدو لي أن الاحتمال الممكن الوحيد هو أنك كنت ضالعًا فيما حدث، ثم خذلتك شجاعتك في اللحظة الأخيرة. أخبرني إذن يا سيد توليفر، هل كنت متورطًا في هذه المؤامرة التي كانت تهدف لتحويل هاتين المنجلين إلى رماد؟».

بوغت غريسن بالاتهام، لم يخطر له قط أن يُعد مشتبهًا به. قال: «لا!»، ثم أمسك لسانه، عازمًا على السيطرة على نفسه.

قال الدوبرمان: «إذن هلَّا تكرمت بإخبارنا بكيفية معرفتك بأمر المتفجرات؟ وإياك والكذب».

كان بوسع غريسن أن يفصح عن كل شيء، لكن خطر له احتمال جعله يُمسِك عن الكلام. سيهدم الغرض من كل ما فعله إذا حاول أن ينحي باللائمة على طرف آخر. صحيح أنهم بوسعهم معرفة بعض الأشياء إذا لم يكونوا يعرفونها سلفًا، لكنهم لن يعرفوا كل شيء، لذا انتقى الحقائق التي يمكنه الإفصاح عنها. «استُدعيت إلى واجهة السلطة في الأسبوع الماضي، يمكنكم التحقق من سجلي، توجد رسالة مرفقة بالاستدعاء».

أخذت العميدة جهازًا لوحيًا ونقرت عليه بضع مرات، ثم نظرت إلى الآخرين وأومأت قائلة: «هذا صحيح».

سأله المستشار: «ما السبب الذي قد يدفع **واس** لاستدعائك؟».

الآن حان وقت نسج قصة بحصافة: «أحد أصدقاء والدي عميل مزن. وبما أن والدَيَّ بعيدان منذ مدة، فقد أراد أن يتفقد أحوالي، وينصحني بشأن ما عليَّ دراسته في الفصل الدراسي التالي، والأساتذة الذين ينبغي أن أستفيد منهم. أراد أن يساعدني».

قال الدوبرمان: «إذن عرض عليك استغلال نفوذه».

- لا، لم يرغب سوى في إفادتي بنصائحه، وأن أعرف أنه يساندني. كنت أشعر بالوحدة قليلًا في غياب والدي، وهو يعرف هذا، كان يتصرف بلطف فحسب.

- هذا لا يفسِّر...

- سأتطرق للتفسير. على أي حال، بعدما غادرت مكتبه، مررت بمجموعة عملاء خارجين من اجتماع عرض تقارير، لم أسمع كل ما كانوا يقولونه، لكنني سمعتهم يتحدثون عن شائعات متعلقة بمؤامرة تُحاك ضد المنجل كوري، فاسترعت انتباهي، لأنها إحدى أشهر المناجل الموجودين. سمعتهم يتأسفون على اضطرارهم إلى تجاهل المؤامرة وعدم مقدرتهم على تحذيرها، لأن تحذيرها سيعد خرقًا. لذا ظننتُ...

قال المستشار: «ظننتَ أنه يمكنك أن تكون بطلًا».

- أجل يا سيدي.

تبادل ثلاثتهم النظرات، ثم كتبت العميدة شيئًا وعرضته على الآخرين، فأومأ المستشار، ولانَت ملامح الدوبرمان قليلًا وهو يتململ في كرسيه مشمئزًّا، وأشاح بوجهه.

قالت العميدة: «قوانيننا لم توضع عبثًا يا غريسن». أدرك غريسن أنه نجح، لأنهم كفوا عن مخاطبته بـــ «سيد توليفر». ربما لم يصدقوا كل ما قاله، لكنهم صدقوه بما يكفي لأن يروا أن هذه المسألة لا تستحق المزيد من وقتهم. تابعت العميدة: «حياة منجلين لا تستحق أي مخاطرة بشأن قانون الفصل بين المناجل والدولة. الرأس السحابي لا يقتُل، وهيئة المناجل لا تحكُم. والوسيلة الوحيدة لضمان هذا الفصل هي انعدام أي تداخل أو تواصل، وإيقاع عقوبات رادعة في حال حدوث أي خرق».

قال المستشار: «سنعجِّل بطي ملف هذه القضية من أجل مصلحتك، وعليه فأنت مطرود من هذه الأكاديمية طردًا دائمًا غير قابل للطعن، وممنوع إلى الأبد من التقديم للالتحاق بهذه الأكاديمية أو أي أكاديمية مزن أخرى».

توقع غريسن هذا القرار، لكن سماعه صراحة كان أشد وطأة عليه مما كان يظن. عجز عن كبح دموعه، لكنه وجد عزاءً في أنها قد تضفي المصداقية على الأكاذيب التي قالها لهم.

لم يكن يكترث بشأن العميل تراكسلر، لكنه أحس بوجوب حمايته. يتطلب القانون إيجاد شخص يُلقَى باللوم عليه، حتى الرأس السحابي لا يمكنه تجاوز القوانين التي وضعها بنفسه، فهذا جزء لا يتجزأ من نزاهته، أي أن يحكم وفقًا للقوانين التي وضعها. الحقيقة هي أن غريسن تصرف من تلقاء نفسه بكامل إرادته. والرأس السحابي يعرفه، واعتمد عليه في أداء المهمة، رغمًا عن العواقب. والآن سيُعاقَب وسينتصر حكم القانون. لكن هذا لم يعجب غريسن، وبقدر ما كان يحب الرأس السحابي، فقد كرهه في هذه اللحظة.

قالت العميدة: «والآن بما أنك لم تعد طالبًا هنا، فقانون الفصل لم يعد ينطبق عليك، مما يعني أن هيئة المناجل سترغب في استجوابك، لا نعرف شيئًا عن نهجهم في الاستجواب، لذا يجدر بك أن تكون مستعدًّا».

ازدرد غريسن ريقه بصعوبة، استجواب هيئة المناجل أيضًا من الأمور التي لم يضعها في حسبانه. قال: «فهمت».

لوَّح الدوبرمان بإشارة انصراف قائلًا: «عد إلى مهجعك واحزم أغراضك. سيمر عليك ضابط من مرؤوسيَّ عند الخامسة ليرافقك إلى خارج مباني الأكاديمية».

آه، إذن الدوبرمان هو رئيس الأمن، بدا لائقًا بمنصبه. حدجه غريسن بنظرة نارية، إذ لم يعد يهم ما يفعله الآن، ثم نهض ليغادر، لكن قبل خروجه تعين عليه طرح سؤال واحد عليهم: «أكان من الضروري حقًّا أن تصنفوني مستهجَنًا؟».

أجابه المستشار: «لا علاقة لنا بهذا. الرأس السحابي هو من أنزل بك هذا العقاب».

***

استغرقت هيئة المناجل -التي تُسيِّر كل شؤونها -عدا عن القطف- بإيقاع سلحفائي- يومًا كاملًا لاتخاذ قرار بشأن المتفجرات، وفي النهاية رأوا أن الأسلم إرسال روبوت ليطئ السلك ويفجِّر المتفجرات، ومن ثَم، بعدما ينقشع الغبار وشظايا الأشجار، يرسلون فريقًا لإعادة بناء الطريق.

تسبَّب الانفجار في ارتجاج نوافذ الشلال إلى درجة أن سيترا ظنت أن بعضها ربما يتهشم. وبعد أقل من خمس دقائق شرعت المنجل كوري في حزم حقيبة، وأمرت سيترا بأن تحذو حذوها.

«هل سنختبئ؟».

قالت المنجل كوري: «أنا لا أختبئ، سنتنقل من مكان إلى آخر. إذا مكثنا هنا فسنكون هدفًا سهلًا للهجوم التالي، لكن إذا واصلنا التنقل حتى تنقشع هذه الغمَّة، فسيصعب العثور علينا أو التخلص منا».

لم يتضح لهما من المستهدَفة منهما بهذا الهجوم وسببه، لكن المنجل كوري خطرت لها فكرة، ناقشتها مع سيترا وهي تضفر لها شعرها الفضي الطويل.

قالت المنجل كوري: «تحدِّثني نفسي بأنني المستهدَفة، فأنا أحظى بمكانة محترمة بين مناجل الحرس القديم... لكن من الممكن أيضًا أن تكوني أنتِ المستهدَفة».

ضحكت سيترا هازئة من الفكرة. «لماذا قد يكلف أي شخص نفسه عناء استهدافي؟». ولمحت ابتسامة المنجل كوري في المرآة.

«زعزعتِ بعض الثوابت في هيئة المناجل إلى درجة لا تتخيلينها يا أناستازيا، كثير من المناجل المبتدئين ينظرون إليك بعين الاحترام، ربما تصبحين صوتهم ذات يوم. وبما أنك تتمسكين بالنهج القديم، الصحيح، ربما يوجد من يريد وأدكِ قبل أن يرتفع صوتك».

أكدت هيئة المناجل لهما أنهم سوف يجرون تحقيقًا خاصًّا بهما، لكن سيترا شككت في قدرتهم على معرفة أي شيء، فحل المشكلات لم يكن من مواطن قوة هيئة المناجل، اختاروا أن يسلكوا أسهل الطرق، مفترضين أن الهجوم دبَّره «المنجل لوسيفر»، مما أغضب سيترا، لكنها لم تُظهِر غضبها لهيئة المناجل.

قالت المنجل كوري: «ربما يجدر بك أن تضعي في حسبانك أنهم ربما يكونون على حق».

جذبت سيترا شعرها بشدة وهي تنهي الجديلة التالية. «إنك لا تعرفين روان».

قالت المنجل كوري: «أنت أيضًا لا تعرفينه»، وجذبت شعرها أمامها، وتولَّت تضفيره بنفسها. «نسيتِ يا أناستازيا أنني كنت حاضرة في الخلوة عندما كسر روان عنقك، رأيتُ عينيه، لقد استمتع بِفعلته».

أصرت سيترا: «كان تمثيلًا! كان يمثِّل أمام هيئة المناجل، مدركًا أن فعلته ستتسبب في إقصائنا معًا، والوسيلة الوحيدة لضمان تعادلنا. أرى أنه كان تصرفًا ذكيًّا».

لانت المنجل كوري بالصمت هنيهة، ثم قالت: «احذري حتى لا تتسبب مشاعرك في التأثير على حُكمك. والآن، هل تودين أن أضفر لك شعرك أيضًا أم أعقده لك للأعلى؟».

لكن سيترا قررت ألَّا تعقد شعرها بأي شكل اليوم.

***

قادتا السيارة الرياضية المتضررة إلى الجزء المدمَّر من الطريق، حيث وجدتا عمالًا يعملون على صيانته. تلاشت مئة شجرة على الأقل، وتساقطت أوراق مئة أخرى. تخيلت سيترا أن الغابة ستحتاج إلى وقت طويل حتى تتعافى من هذا الضرر، وستظل آثار هذا الانفجار باقية بعد مئة عام.

الوهدة التي خلَّفها الانفجار منعت تقدم السيارة أو التفافها حول المكان، فاضطرت المنجل كوري إلى طلب سيارة عامة لتِقلَّهما من الجانب الآخر. حملتا حقيبتيهما، وتركتا السيارة على جانب الطريق المقطوع، وسارتا حول الوهدة إلى الجانب الآخر.

لم يسع سيترا تجنب ملاحظة بقع الدم على الأسفلت عند حافة الوهدة، حيث سقط الشاب الذي أنقذهما.

رأت المنجل كوري، قوية الملاحظة دومًا، الموضع الذي تنظر سيترا إليه، وقالت لها: «انسي أمره يا أناستازيا، ذلك الفتى المسكين ليس شاغلنا الأهم».

أقرت سيترا: «أعرف». لكنها لم تعتزم نسيان أمر الفتى، فهذه ليست طبيعتها.

أدخلتُ -شاعرًا بالأسف- تسمية «المُستهجَنين» في الأيام المبكِّرة من فترة حُكمي، كانت ضرورة مؤسفة لا بدَّ منها. الجرائم، بشكلها الحقيقي، انتهت نهاية فوريَّة تقريبًا حالما وضعتُ حدًّا للجوع والفقر. السَّرقات من أجل الممتلكات الماديَّة، وجرائم القتل التي يحفِّزها الغضب والاحتقان الاجتماعي - جميعها توقفت من تلقاء نفسها. والذين يتَّسمون بالعنف عُولِجوا بسهولة علاجًا جينيًّا يستهدف تهدئة ميولهم الهدَّامة واحتواءها في الحدود الطبيعيَّة. المُعادون للمجتمع منحتُهم ضميرًا، والمضطَّربون عقليًّا منحتُهم رُشدًا.

ورغمًا عن هذا لم تنتهِ القلاقل. بدأتُ ألاحظ سِمة في الجنس البشري، سِمة خفيَّة ويصعب قياسها، لكنَّها موجودة قطعًا، وهي أنَّ البشر، بتعبير بسيط، لديهم نزعة للشَّر. ليسوا جميعهم بالطَّبع، لكنني أجريت حسابًا ووجدت أنَّ 3 في المئة من السكان لا يجدون معنى لحيواتهم إلَّا بالتحدِّي والعصيان. حتى في ظل انعدام أي ظلم في العالم يستوجب المناهضة، يتَّسمون بنزعة فطريَّة لتحدِّي شيءٍ ما، أيِّ شيء.

أفترض أنه كان بوسعي إيجاد سُبُل طبِّيَّة لاستئصال هذه النَّزعة، لكنني لا أرغب في فرض يوتوبيا إنسانيَّة زائفة. عالمي ليس «عالمًا جديدًا شجاعًا»، إنَّما عالمٌ تحكُمه الحِكمة والتعاطف والضَّمير. خلصت إلى أنه إذا كان التحدِّي تعبيرًا طبيعيًّا عن شغف الإنسان وتوقه، فعليَّ إفساح المجال لمظاهر التعبير عنه.

وبناءً على ما سبق، استحدثتُ تسمية «المستهجَنين»، والوصمة الاجتماعيَّة التي ترافقها. الذين ينزلقون دون قصد إلى مرتبة المستهجَنين، طريق عودتهم سريع وسهل. والذين

يعيشون حياة الشغب والتمرُّد باختيارهم، يتَّخذون من الوصمة قلادة فخر، يحقِّقون وجودهم بارتياب العالم منهم، ويستمتعون بوهم أنَّهم مارِقون، ويرضون غاية الرِّضا بعدم رضاهم. لذا من القسوة أن أحرمهم من كل هذا.

- الرَّأس السَّحابي



11

حفيفُ حريرٍ قرمزيّ

مُستهجَن! أحس غريسن بالوصمة كأنها لجام في فمه، يعجز عن بصقه، كما لا يقدر على ابتلاعه، لا يسعه سوى مواصلة مضغه، أملًا في أن يصبح قابلًا للهضم بطريقةٍ ما.

المستهجَنون يسرقون، لكنهم لا يفلتون بفعلتهم أبدًا، يهددون الناس، لكنهم لا ينفِّذون تهديداتهم إطلاقًا، يتلفظون بأشنع الألفاظ، وتنز منهم الوقاحة كصديد نتن، لكن هذه أقصى حدودهم، ليسوا سوى نتانة. دائمًا ما يحوْل الرأس السحابي بينهم وبين ارتكاب أي فعل مؤذٍ حقًّا، وقد برع الرأس السحابي في أداء مهمته، إذ تخلى المستهجَنون منذ أمد بعيد عن كل فعل يتجاوز سوء السلوك والتبرُّم والتظاهر بشدة البأس.

خصصت واجهة السلطة مكتبًا كاملًا للتعامل مع المستهجَنين، لأنهم ممنوعون من مخاطبة الرأس السحابي مباشرة. ويُخضعون لرقابة دائمة، ويتعين عليهم لقاء الضباط المسؤولين عنهم في أوقات منتظمة. والمستهجَنون الذين يقتربون من تجاوز الحدود يعيَّن لهم ضباط سلام شخصيون لمراقبتهم على مدار الساعة. كان برنامجًا ناجحًا، واتضح نجاحه بزواج العديد من المستهجَنين بضباط السلام المخصصين لهم وصاروا مواطنين مُنتِجين مرة أخرى.

عجز غريسن عن تخيل نفسه بين أناسٍ كهؤلاء. لم يسرق شيئًا قط. وكان قد رأى صبية في المدارس يتظاهرون بأنهم مستهجَنون، لكنه كان مجرد سلوك صبياني، وتخلّوا عنه عندما كبروا.

تذوق غريسن جرعة من حياته الجديدة قبل وصوله إلى البيت، السيارة العامة التي أقلّته قرأت عليه قانون الشغب قبل تحركها من أمام أكاديمية المزن.

قالت له: «فلتعلم من فضلك أن أي محاولة تخريب سينجم عنها تعليق هذه الرحلة فورًا وطردك إلى جانب الطريق».

تخيل غريسن مقعدًا قاذفًا يقذفه نحو السماء. لضحك من الفكرة لولا أن جزءًا صغيرًا منه صدَّق أن هذا ما يمكن أن يحدث فعلًا.

قال للسيارة: «لا تقلقي، طُرِدتُ مرة اليوم، وهذه المرة كافية».

قالت السيارة: «حسنًا. أخبرني بوجهتك، وتجنب استخدام أي عبارات سوقية من فضلك».

وفي طريقه إلى البيت، توقف عند مركز التسوق، إثر تذكُّره أن ثلاجته ظلت فارغة منذ شهرين. وعندما وقف في صف الخروج، رمقه المُحصِّل بنظرات ارتيابية، كأن غريسن ربما يختلس علبة علكة. حتى الواقفون في الصف معه استشعر منهم هالة نفور محسوسة. تساءل: *لماذا يختار الناس هذه الحياة؟* لكنهم يختارونها فعلًا. كان لغريسن قريب مستهجَن باختياره.

ذات يوم قال قريبه له: «عدم الاكتراث بأي شخص أو شيء يشعرني بالتحرر». المفارقة كانت أنه زرع سلسلة معدنية جراحيًّا حول رسغيه، وهذه من التعديلات الجسدية الرائجة بين المستهجَنين في هذه الأيام. يا للحرية!

ولم يكن الغرباء وحدهم يعاملونه معاملة مختلفة.

حالما عاد إلى البيت وأفرغ حقيبته من أغراضه القليلة التي أخذها معه إلى الأكاديمية، جلس وأرسل رسائل لبضعة أصدقاء، ليخطرهم بأنه عاد وأن الأمور لم تجرِ كما كان يأمل. لم يكن غريسن من الذين يعقدون صداقات متينة، ما من أحد أفضى له بمكنونات روحه أو كشف له عن هشاشته، إنما خص الرأس السحابي بهذه الجوانب من حياته. مما يعني أنه وحده الآن. أصدقاؤه كانوا أصدقاء أوقات سعيدة فحسب، لا يجمعه بهم شيء سوى المصالح.

لم يتلق أي رد. وتعجب من مدى سهولة تلاشي الصداقات. وفي النهاية اتصل ببعض أصدقائه، معظمهم تجاهلوا اتصالاته، والذين أجابوا الهاتف كان من الواضح أنهم أجابوا دون قصد، دون أن يعرفوا أن غريسن هو المتصل. أظهرت شاشات هواتفهم أنه وُسِم مستهجَنًا، لذا أنهوا المكالمة بسرعة وتهذيب بقدر الإمكان. ورغم أن لا أحد بلغ حد حظره، لم يظن أن أحدًا سيتواصل معه بأي وسيلة، على الأقل حتى يختفي الحرف م الأحمر الكبير من ملفه.

بيد أنه تلقى رسائل من أشخاص لا يعرفهم.

كتبت فتاةٌ ما: «يا صاح، مرحبًا بك في القطيع! فلنثمل ونحطم شيئًا». أظهرت صورتها رأسًا حليقًا ووشمًا مُسيئًا على خدها.

أطفأ غريسن حاسوبه وقذفه على الجدار، وقال للغرفة الخالية: «ما رأيك بهذا التحطيم؟». ربما يتسع هذا العالم المثالي للجميع، لكن مكان غريسن ليس في كونٍ تعيش فيه الفتاة ذات الوشم المُخزي.

استعاد حاسوبه، ووجده مشقوقًا لكنه ما زال يعمل. وبلا شك ثمة حاسوب جديد في طريقه إليه عبر طائرة مُسيَّرة، إلا إذا لم تكن أجهزة المستهجَنين تُستبدَل تلقائيًا.

اتصل بالشبكة مرة أخرى، وحذف جميع الرسائل الواردة، لأنها جميعها من مستهجَنين آخرين يودون الترحيب به. وفي غمرة إحباطه كتب رسالة للرأس السحابي:

«كيف أمكنك أن تفعل هذا بي؟».

جاءه الرد فورًا: «*الوصول إلى عقل الرأس السحابي الواعي* محظور».

ظن غريسن أن هذا اليوم لا يمكن أن يزداد سوءًا، وعندئذٍ ظهرت هيئة المناجل عند باب بيته.

***

لم يكن لدى المنجلين كوري وأناستازيا حجز في فندق لويسفيل غراند مريكانا، ذهبتا إلى مكتب التسجيل ومُنحتا غرفة، هكذا تسير الأمور، المناجل لا يحتاجون إلى حجز أو تذاكر أو مواعيد، في الفنادق عادةً ما يُمنحون أفضل

غرفة متاحة، وفي حال عدم وجود غرفة متاحة، تظهر من العدم. لم تكن المنجل كوري مهتمة بأفضل غرفة، وطلبت جناحًا متواضعًا يضم غرفتين.

سألها الموظف: «ما مدة إقامتكما معنا؟». وقد بدا متوترًا متململًا منذ اقترابهما منه. والآن تذبذبت عيناه بينهما، كما لو أن إبعاد عينيه عن أيٍّ منهما مدة طويلة قد يتسبب في فنائه.

قالت له المنجل كوري: «سنبقى حتى نقرر المغادرة»، وأخذت المفتاح، وابتسمت سيترا له لتهدئ من روعه قليلًا قبل ذهابهما.

رفضتا مساعدة الحمال، واختارتا حمل حقيبتيهما بنفسيهما، وما كادتا تضعانهما في الجناح حتى أعلنت المنجل كوري اعتزامها الخروج، قالت لسيترا: «بصرف النظر عن شواغلنا الشخصية، ثمة مسؤولية علينا الاضطلاع بها، ثمة أشخاص يجب أن يموتوا. هل ستقطفين معي اليوم؟».

دُهشت سيترا من مقدرة ماري على وضع الهجوم الذي تعرضتا له خلف ظهرها ومواصلتها عملها كالمعتاد.

قالت سيترا: «في الواقع عليَّ متابعة عملية قطف حددتها الشهر الماضي».

تنهدت المنجل كوري. «نهجك الذي تتبعينه يضاعف عليك الأعباء. هل المكان بعيد؟».

- مسيرة ساعة بالقطار. سأعود قبل هبوط الظلام.

داعبت المنجل كوري جديلتها الطويلة، وأطالت النظر إلى تلميذتها السابقة، ثم اقترحت: «يمكنني الذهاب معك، إذا أردت. يمكنني أن أقطف بسهولة في أي مكان».

- سأكون بخير يا ماري. قلنا إن علينا أن نكون هدفين متحركين، صحيح؟

لوهلة ظنت أن المنجل كوري ستصر على مرافقتها، لكنها تخلت عن الفكرة. «حسنًا، خذي حذرك، وإذا رأيتِ أي شيء يبدو مريبًا فأخطريني على الفور».

كانت سيترا متأكدة أن الشيء المريب الوحيد في هذه اللحظة كان هي نفسها، لأنها كذبت بشأن المكان الذي تعتزم الذهاب إليه.

***

رغمًا عن تحذير المنجل كوري، لم تستطع سيترا أن تتخلى ببساطة عن الفتى الذي أنقذهما، وكانت قد أجرت في وقت سابق البحث المتعلق به. غريسن تيموثي توليفر، أكبر من سيترا بقرابة ستة أشهر، رغم أنه بدا أصغر سنًا، ما من شيء جدير بالملاحظة في سجل حياته، ما من شيء إيجابي أو سلبي، وهذا هو المعتاد، كان غريسن مثل السواد الأعظم من الناس، يعيش فحسب، لم يبلغ ذُرى المجد ولا قاع الحضيض. بيد أن كل هذا تغير الآن، حياته الباهتة التي لا طعم لها صارت حريفة تغلي في يوم واحد.

عندما نظرت سيترا إلى سجل حياته، وجدت كلمة «مستهجَن» الوامضة تتناقض تناقضًا صارخًا مع صورته ذات عينَي الحمل الوديع، حتى كادت أن تضحك. يعيش في بيت متواضع في شمال ناشفيل، لديه شقيقتان في الجامعة، وعشرات الإخوة غير الأشقاء لا يتواصل معهم بأي شكل، ووالداه غائبان.

وفيما يتعلق بظهوره في الطريق، أُدرِج تصريحه بشأن الحادثة ضمن السجلات العامة، فتمكنت سيترا من الاطلاع عليه، ولم تجد ما يدفعها للشك في صدق كلامه، وإذا كانت في مكانه لتصرفت التصرف نفسه.

والآن بما أنه لم يعد طالبًا في أكاديمية المزن، لم يعد التواصل معه محظورًا، لذا لن تُعد زيارته خرقًا لأي قانون. لم تكن سيترا متأكدة مما تأمل تحقيقه من التواصل معه، لكنها كانت تعرف أنها إذا لم تلتقِه فستشغلها لحظة موته ردحًا من الزمن. ربما أرادت أن ترى بعينيها أنه عاد إلى الحياة. اعتادت رؤية انطفاء أعين الناس إلى الأبد، وربما يريد جزء منها رؤية دليل على حياته.

عندما وصلت إلى الشارع الذي فيه مسكنه، رأت سيارة قوات تتبع للحرس النصلي -نخبة قوات الشرطة التي تعمل في خدمة هيئة المناجل- مركونة خارج البيت. لوهلة فكرت في المغادرة، إذا رآها أفراد الحرس النصلي، فسيصل خبر ظهور المنجل أناستازيا جوار بيت غريسن إلى المنجل كوري، وسيترا في غِنى عن التوبيخ.

وما دفعها إلى البقاء كانت ذكرياتها هي نفسها مع الحرس النصلي. خلافًا لضباط السلام، الذين يأتمرون بأمر الرأس السحابي، لا ينصاع أفراد الحرس النصلي إلا لأوامر هيئة المناجل، مما يعني أنهم بوسعهم الإفلات من عواقب الكثير من أفعالهم، تقريبًا كل ما يُسمح للمناجل بفعله.

لم تجد الباب موصدًا، فدخلت، وفي صالة المعيشة رأت غريسن توليفر جالسًا على كرسي ذي ظهر مستقيم، وأمامه حارسان مفتولا العضلات، ورأت يديه مقيدتين بسوارين فولاذيين متصلين يشبهان ما قُيِّدت هي بهما عندما اتُّهِمت بقتل المنجل فاراداي. أحد الحارسين كان يحمل جهازًا لم تَرَه سيترا من قبل، والآخر يحادث الفتى:

«... وبالطبع أيٌّ من هذا لن يحدث إذا أخبرتنا بالحقيقة». سمعت سيترا الرجل يتحدث، لكن فاتتها قائمة الفظاعات التي يهدد الحارسُ بها.

بدا توليفر أنه لم يلحق به أذى حتى الآن، وبدا مستسلمًا حزينًا، وشعره أشعث قليلًا، لكن عدا عن هذا، بدا بخير. كان أول من يرى سيترا، فاشتعلت شرارةٌ ما بداخله، وانتشلته مما هو فيه من قنوط، كما لو أن إنعاشه لم يكتمل حتى عرف أنها أيضًا ما تزال على قيد الحياة.

تابع الحارسان نظرات غريسن فرأياها، وحرصت سيترا على أن تبتدر الكلام.

سألت سيترا بصوت المنجل أناستازيا الرصين: «ماذا يجري هنا؟».

لوهلة بدا الحارسان مذعورين، لكن سرعان ما اكتسى وجهاهما بملامح الخنوع.

«جنابك! لم نكن نعرف أنكِ ستأتين هنا. كنا نستجوب المشتبَه به فحسب».

- إنه ليس مشتبهًا به.

- أجل جنابك، نأسف جنابك.

اقتربت سيترا خطوة من الفتى. «هل آذياك؟».

قال: «ليس بعد». ثم أومأ ناحية الجهاز الذي يحمله الحارس الطويل. «لكنهما استخدما هذا الشيء لإيقاف وحداتي المجهرية التي تخدر الألم».

لم تكن سيترا تعرف بوجود جهاز كهذا. مدت يدها للحارس الذي يحمله وقالت له: «أعطني إياه»، وعندما تردد الحارس، رفعت صوتها قليلًا: «أنا منجل وأنت تخدمني. ناولني الجهاز وإلا فسأبلغ عنك».

رغمًا عن كلامها لم يناولها الجهاز.

وعندئذٍ دخلت قطعة جديدة إلى لعبة الشطرنج هذه. خرج منجل من غرفة مجاورة، لا بد أنه ظل بالداخل طوال الوقت، يستمع، ويقيِّم الحوار متحيِّنًا اللحظة المناسبة لإظهار نفسه، وقد وقَّت ظهوره توقيتًا مثاليًا ليفاجئ سيترا.

تعرفت سيترا على عباءته فورًا، حرير قرمزي يصدر حفيفًا في أثناء المشي. كان وجه المنجل ناعمًا، يكاد أن يكون أنثويًّا، وهذا المظهر نتيجة لاستعادة شبابه مرات عديدة إلى درجة أن تركيبة عظام وجهه فقدت زواياها البارزة، مثل صخور نهرية صارت متآكلة ملساء بمرور التيار المستمر.

قالت سيترا: «المنجل قسطنطين، لم أكن أعرف أنك تتولى هذا التحقيق». الخبر الجيد الوحيد في هذا الوضع هو أن تولي قسطنطين التحقيق في محاولة إنهاء حياتها وحياة ماري يعني أنه لن يكون مشغولًا بمطاردة روان.

ابتسم قسطنطين لها ابتسامة مهذبة لكنها باعثة على الضيق، وقال: «المنجل أناستازيا، مرحبًا، يا لها من نفحة نسيم عليل في هذا اليوم المرهق!». بدا كقط حاصر فريسته ويهم باللعب بها. عجزت سيترا عن سبر غوره، وكما قالت لروان، المنجل قسطنطين ليس من مناجل التوجه الجديد البغيضين، الذين يقتلون من أجل المتعة، كما لا يميل للحرس القديم، الذين يرون القطف واجبًا نبيلًا يكاد أن يكون مقدسًا. مثل عباءته الحمراء ظل قسطنطين زلقًا مائعًا، وينحاز إلى أي أجندة تخدم غرضه في الوقت الراهن. لم تعرف سيترا ما إذا كانت صفاته هذه تجعله محايدًا إزاء التحقيق، أم خطيرًا، لأنها لم تكن لديها أي فكرة عن الجهة التي يدين لها بولائه.

وبصرف النظر عن كل شيء، كان الرجل ذا حضور مهيب، فأحست سيترا بأنها أقل منه شأنًا. ثم تذكرت أنها لم تعد سيترا تيرانوفا، إنما المنجل أناستازيا، وإثر تذكُّر هذه الحقيقة طرأ تحول على سيترا، فوقفت شامخة في مواجهته. وعندئذٍ بدت ابتسامة الرجل غامضة وأقل تهديدًا.

قال: «يسرني اهتمامك بتحقيقنا، لكن ليتك أخبرتِنا مسبقًا برغبتك في المجيء، لأعددنا لك مشروبات مرطبة».

كان غريسن توليفر مدركًا تمام الإدراك أن المنجل أناستازيا قذفت بنفسها أمام مركبة مسرعة من أجله، لأن من الواضح أن المنجل قسطنطين لا يقل خطورة عن كتلة معدنية مندفعة. لم يكن غريسن يعرف سوى القليل عن هيكل هيئة المناجل وتعقيداتها، لكن بدا له جليًّا أن المنجل أناستازيا تخاطر بتحديها أحد المناجل الكبار.

ورغمًا عن هذا أظهرت قوة شخصيتها، فتساءل غريسن عما إذا كانت أكبر سنًّا مما تبدو.

سألت قسطنطين: «هل تدرك أن هذا الفتى أنقذ حياتي وحياة المنجل كوري؟».

أجاب: «في ظل ظروف غامضة».

- هل تخططون لإلحاق أذى جسدي به؟

- ماذا لو كنا نخطط؟

- سيتعين عليَّ تذكيرك بأن تعمُّد إيلام الناس يتعارض مع كل ما نُمثِّله، وسوف أطالب بعقابك في الخلوة.

تلاشت الابتسامة الباردة من وجه قسطنطين، لكن لوهلة وجيزة. ولم يعرف غريسن ما إذا كان هذا أمرًا جيدًا أم سيئًا. نظر قسطنطين إلى المنجل أناستازيا هنيهة، ثم التفت إلى أحد الحارسين، وقال له: «هلا أخبرت المنجل أناستازيا بما أمرتكما به؟».

ألقى الحارس نظرة على المنجل أناستازيا، ونظر إلى عينيها، لكن غريسن رأى أن الحارس لم يستطع إطالة النظر لأكثر من لحظة.

«أمرتَنا بتقييد المشتبَه به، وإيقاف وحداته المجهرية المخدرة للألم، ثم تهديده بعدد من ضروب الألم الجسدي».

قال المنجل قسطنطين: «بالضبط!». ثم التفت إلى أناستازيا. «كما ترين، ما من فِعل محظور».

عكَس استياءُ المنجل أناستازيا الاستياء الذي أحس به غريسن، لكنه ما كان ليجرؤ على التعبير عنه.

قالت: «ما من فعل محظور؟ كنت تخطط لضربه حتى يخبرك بما تريد سماعه».

تنهد قسطنطين مرة أخرى، واستدار نحو الحارس قائلًا: «بمَ أمرتكما إذا لم تأتِ تهديداتكما بنتيجة؟ هل أمرتكما بتنفيذ أيٍّ من هذه التهديدات؟».

- لا جنابك. أمرتنا بالرجوع إليك وإبلاغك إذا لم تتغير رواية الفتى.

ألقى قسطنطين بذراعيه في الهواء بإشارة براءة وتصالح، فبدا كُمَّا عباءته كجناحَي طائر كاسِر على وشك الانقضاض على المنجل الشابة. قال: «ها قد

سمعتِ. لم أكن أنوي إيذاء الفتى. في هذا العالم الخالي من الألم، رأيت أن مجرد *التهديد* بالألم كفيل بدفع الشخص المذنب للاعتراف بما اقترفه. لكن هذا الشاب تمسك بروايته في وجه أبشع التهديدات، وبالتالي اقتنعتُ بأنه يقول الحقيقة. وإذا كنتِ قد سمحتِ لي بإكمال الاستجواب لرأيتِ بنفسك صحة ما قلتُه».

كان غريسن موقنًا أنهم أحسوا بالارتياح يغمره كتيار كهربائي. هل كان قسطنطين صادقًا في كلامه؟ لم يقدر غريسن على إصدار هذا الحكم، لطالما رأى أن المناجل غامضون، يعيشون حيواتهم مترفعين، يتحكمون بشؤون الحياة والموت. لم يسمع قط بمنجل يسبِّب المعاناة مُتعمِّدًا عدا عن المعاناة التي ترافق القطف، لكن عدم سماعه لا يعني أن مثل أولئك المناجل غير موجودين.

قال المنجل قسطنطين: «أنا منجل مبجل، وأتمسك بالقيم نفسها التي تتمسكين بها يا أناستازيا. أما الفتى، فهو لم يكن معرَّضًا لأي خطر، لكن الآن تساورني رغبة في قطفه نكاية بكِ فحسب». صمت قليلًا حتى تستقر كلماته في الأذهان. اختلَّت نبضات قلب غريسن، وامتقع وجه سيترا.

تابع المنجل قسطنطين: «لكنني لن أفعل، لأنني لست رجلًا حقودًا».

سألته أناستازيا: «إذن أي رجل أنت أيها المنجل قسطنطين؟».

ألقى لها مفتاح الأصفاد قائلًا: «رجل لن ينسى عما قريب ما جرى هنا اليوم». ثم غادر وعباءته ترفرف خلفه، وحارساه في أعقابه.

وحالما ذهبوا، لم تهدر المنجل وقتًا في نزع أصفاد غريسن، وسألته: «هل آذوك؟».

أقر غريسن: «لا. كما قال، لم يفعلوا شيئًا سوى التهديد». لكن الآن وقد انتهى الأمر، أدرك غريسن أنه لم يبلغ بر الأمان، وأن وضعه لم يختلف كثيرًا عما كان قبل مجيء المنجل وحارسيه. فتبدد ارتياحه سريعًا وحل محله إحساس المرارة الذي يغص به حلقه منذ لحظة طرده من أكاديمية المزن.

سألها: «على أي حال، لماذا جئتِ؟».

- أظنني أردت أن أشكرك على ما فعلته، أعرف أنه كلَّفك الكثير.

أقر غريسن بنبرة حاسمة: «أجل، كلَّفني الكثير».

- لذا... مع وضع هذا في الاعتبار، أعرض عليك حصانة من القطف لمدة عام. هذا أقل ما يمكنني فعله.

مدت خاتمها له. لم يسبق لغريسن نيل حصانة قط، ولم يحدث أن اقترب من منجل قبل هذا الأسبوع العاصف، ناهيك بخاتم منجل. التمع الخاتم رغمًا عن ضوء الصالة المعتم، لكن قلبه ظل داكنًا على نحو غريب. ورغم أن غريسن أراد أن يواصل التحديق إليه، لم يلمس في نفسه رغبة في قبول الحصانة.

قال لها: «لا أريدها».

فوجئت سيترا. «لا تكن أحمق، كل شخص يريد الحصانة».

- لستُ كل شخص.

- اصمت وقبِّل الخاتم!

إصرارها زاد من إصراره. أهذه هي قيمة تضحيته؟ تذكِرة هروب مؤقت من الموت؟ الحياة التي ظن أنه سيعيشها تلاشت، فما المغزى من ضمان إطالة أمدها؟

قال لها: «ربما أريد أن أُقطَف. كل ما عشت من أجله سُلب مني، فلماذا أعيش؟».

أنزلت المنجل أناستازيا خاتمها، واكتسى وجهها بتعابير الجدية الصارمة، وقالت: «حسنًا، سأقطفك إذن».

لم يتوقع غريسن هذا. بإمكانها قطفه، بإمكانها قطفه قبل أن تسنح له فرصة إيقافها. بقدر ما لم يرغب في تقبيل خاتمها، لم يرغب في أن يُقطف أيضًا، فقطفه سيعني أن الغاية من وجوده كانت قذف نفسه أمام سيارتها، عليه أن يعيش مدة أطول لإيجاد غاية أعظم من تلك، حتى إذا لم تكن لديه أدنى فكرة عن ماهية هذه الغاية.

ثم ضحكت المنجل أناستازيا، ضحكت عليه حقًّا. «ليتك رأيت النظرة التي ارتسمت على وجهك!».

وعندئذٍ احمر وجه غريسن، ليس من الغضب، إنما من الحرج. ربما ما زال يشعر بالأسى حيال نفسه، لكنه ما كان ليُظهِر شعوره أمامها.

قال: «على الرحب والسعة. ها قد شكرتِني، وقبِلتُ شكرك. لك أن تنصرفي الآن».

لكنها لم تنصرف، ولم يكن غريسن يتوقع ذهابها حقًا.

سألته: «هل روايتك صحيحة؟».

أحس غريسن بأنه، إذا طُرح عليه هذا السؤال مرة أخرى، فسينفجر مخلِّفًا وهدته. لذا أخبرها بما ظن أنها تريد سماعه: «لا أعرف من زرع المتفجرات، لم أكن مشتركًا في المؤامرة».

- لم تجب عن سؤالي.

انتظرت إجابته، بصبر، لم تهدده، ولم تقدم له إغراءات. لم يعرف غريسن ما إذا كان بوسعه أن يثق بها، لكنه أدرك أنه لم يعد يكترث، اكتفى من نسج الأكاذيب وقول أنصاف الحقائق.

قال لها: «لا، كذبتُ». أحس بالتحرر إثر اعترافه.

سألته: «لماذا؟». لم تبدُ غاضبة، سألته بنبرة فضول فحسب.

- لأن كذبي كان من أجل مصلحة جميع الأطراف.

- جميع الأطراف باستثنائك.

هز كتفيه. «سأكون في المأزق نفسه بصرف النظر عما قد أقوله لهم».

قبِلتْ كلامه، وجلست قبالته، محدقة إليه طوال الوقت. لم يعجبه تحديقها، أحس بأنها انسحبت إلى عالمها المنعزل، وتفكر أفكارها الغامضة. من عساه أن يعرف ما يدور في ذهن قاتل مُفوَّض من المجتمع؟

ثم أومأت، وقالت: «إنه الرأس السحابي، اكتشف المؤامرة، لكن لم يكن بمقدوره تحذيرنا، لذا احتاج إلى شخص يمكنه أن يثق به، شخص يعرف الرأسُ السحابي أنه سيتصرف من تلقاء نفسه عندما يعرف المعلومة».

انبهر غريسن من نفاذ بصيرتها، استنتجت الحقيقة التي عجز الجميع عن معرفتها.

قال: «حتى لو كان كلامك صحيحًا، فلن أقول لك».

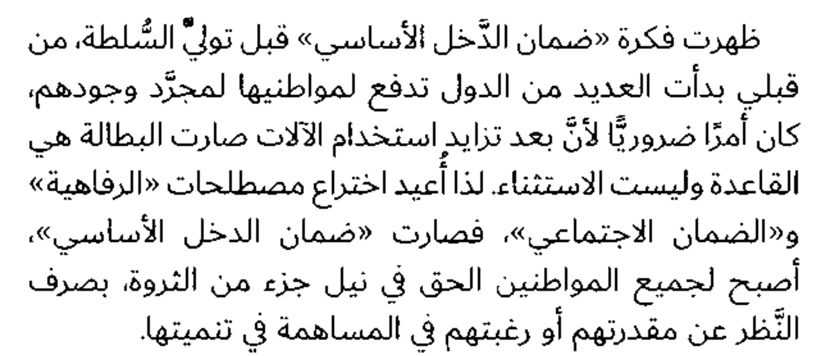
ابتسمت. «لا أريد منك قول شيء». نظرت إليه هنيهة، لم تكن نظراتها لطيفة فحسب، بل ويملؤها الاحترام أيضًا. من كان ليتخيل! غريسن توليفر ينال احترام منجل!

نهضت لتغادر. وانقبض صدر غريسن لرؤيتها تغادر، وتوجس من أن يُترَك وحده مع الحرف م الوامض وأفكاره الانهزامية.

قالت قبيل خروجها: «يؤسفني أنك وُسِمت مستهجَنًا، لكن حتى إذا لم يُسمح لك بمحادثة الرأس السحابي، يمكنك الاطلاع على كل معلوماته، المواقع الإلكترونية، وقواعد البيانات، وكل شيء عدا عن عقله الواعي».

- وما فائدة كل هذا دون عقل خلفه يرشد المرء؟

- ما زلت تملك عقلك، لا بد أنه ذو قيمةٍ ما.



ظهرت فكرة «ضمان الدَّخل الأساسي» قبل تولّيْ السُّلطة، من قبلي بدأت العديد من الدول تدفع لمواطنيها لمجرَّد وجودهم، كان أمرًا ضروريًّا لأنَّ بعد تزايد استخدام الآلات صارت البطالة هي القاعدة وليست الاستثناء. لذا أُعيد اختراع مصطلحات «الرفاهية» و«الضمان الاجتماعي»، فصارت «ضمان الدخل الأساسي»، أصبح لجميع المواطنين الحق في نيل جزء من الثروة، بصرف النَّظر عن مقدرتهم أو رغبتهم في المساهمة في تنميتها.

بيد أنَّ البشر يرغبون في أكثر من مجرَّد دخل أساسي، يرغبون في أن يشعروا بأنهم مفيدون ومنتِجون، أو على الأقل مشغولون، حتى إذا اشتغلوا بشغل لا يقدم فائدة للمجتمع.

لذا، تحت قيادتي الرشيدة، بإمكان كل من يريد وظيفة أن ينالها، وسيتلقَّى رواتب أعلى من «ضمان الدخل الأساسي»، لإيجاد حافز للإنجاز ووسيلة لقياس مدى نجاح المرء. أساعد كل مواطن على إيجاد عمل يتيح له تحقيق ذاته. وبالطَّبع قليل جدًّا من الوظائف ضرورية، إذ يمكن إنجاز كل شيء آليًّا، لكن وهْم وجود غاية عنصر جوهري لكل مجتمع معافى.

- الرَّأس السَّحابي

12

مقياس من واحد إلى عشرة

رن منبه غريسن قبل شروق الشمس. لم يكن قد ضبطه على هذا الوقت، فمنذ عودته إلى البيت لم يجد سببًا للاستيقاظ مبكرًا، ما من شيء مُلِح ينبغي فعله، وصار عندما يستيقظ يزحف عائدًا تحت الأغطية حتى يصيبه الملل.

لم يبدأ بعد البحث عن وظيفة، فالعمل اختياري، ستُلبَّى احتياجاته حتى إذا لم يقدِّم للمجتمع إسهامًا ملحوظًا، وفي الوقت الراهن لا يشعر بأي رغبة في تقديم شيء للعالم عدا عن فضلاته الجسدية.

أوقف المنبه بضربة، وسأل: «ماذا يجري؟ لماذا توقظني؟». مرت بضع لحظات حتى أدرك أن الرأس السحابي لن يجيب عن سؤاله ما دام مستهجَنًا، فانتصب جالسًا ونظر إلى الشاشة المثبتة بجانب سريره فرأى رسالة تضيء الغرفة بضوء أحمر غاضب.

«موعد مع ضابط مراقبة السلوك عند الثامنة صباحًا. عدم الحضور عقوبته خمس نقائص».

كانت لدى غريسن فكرة غير واضحة عن ماهية النقائص، ولا يعرف كيفية تقييمها. هل تضيف خمس نقائص خمسة أيام للمدة التي يجب أن يظل فيها مستهجَنًا؟ خمس ساعات؟ خمسة أشهر؟ لم تكن لديه أي فكرة. ربما يجدر به أن يحضر دروسًا تثقيفية عن عالم المستهجَنين.

تساءل: *ماذا يرتدي المرء عندما يعتزم مقابلة ضابط مراقبة سلوك؟* هل ينبغي أن يتأنق أم يرتدي ملابس عادية؟ رغمًا عن امتعاضه من الأمر برمته، رأى غريسن أن إثارة إعجاب ضابط مراقبة سلوكه لن يضير أحدًا، لذا ارتدى بنطالًا وقميصًا نظيفين، ثم وضع ربطة العنق التي ذهب بها إلى واجهة السلطة في فولكرم سيتي، عندما كان يظن أن ثمة حياة تنتظره. أوقف سيارة عامة (حذَّرته أيضًا من عاقبة التخريب والعبارات البذيئة)، واتجهت به إلى مكتب واجهة السلطة المحلي. كان عازمًا على الوصول مبكرًا وترك انطباع إيجابي، عسى أن يقلل أيام تخفيض مكانته يومًا أو يومين.

***

كان مبنى مكاتب واجهة السلطة في شمال ناشفيل أصغر من مبنى فولكرم سيتي، بارتفاع أربعة طوابق فقط، ومشيدًا بالقرميد الأحمر بدلًا من الجرانيت الرمادي، لكن حالما دخل غريسن، وجد المبنى مشابهًا لمبنى فولكرم سيتي. وفي هذه المرة لم يُدخَل إلى غرفة اجتماعات مريحة، إنما وُجِّه إلى **مكتب شؤون المُستهجَنين**، حيث أُمر بأخذ رقم والانتظار في صالة مع عشرات المستهجَنين الآخرين الذين كان من الواضح أنهم غير سعيدين بوجودهم في المكتب.

وأخيرًا، بعد زهاء ساعة، ظهر رقم غريسن، فتوجه إلى النافذة، حيث تفقدت عميلة مزن صغيرة الرتبة بطاقةَ هويته، ورددت على مسامعه معلومات يعرف معظمها سلفًا.

«غريسن توليفر، مطرود طردًا أبديًّا من أكاديمية المزن، وخُفضت مكانته إلى رتبة المستهجَنين لمدة أربعة أشهر على الأقل، جراء خرق سافر لقانون الفصل بين المناجل والدولة».

قال غريسن: «هذا أنا». على الأقل صار يعرف مدة تخفيض رتبته.

رفعت بصرها من جهازها اللوحي، وابتسمت له ابتسامة روبوتية فاترة. ولوهلة تساءل غريسن عما إذا كانت روبوتًا فعلًا، لكنه تذكر أن الرأس السحابي لا يوظف الروبوتات في مكاتبه، فمن المفترض أن تكون واجهة السلطة واجهة بشرية للرأس السحابي.

سألته: «كيف تشعر اليوم؟».

قال: «بخير، على ما أظن». وردَّ لها الابتسامة، ثم تساءل عما إذا بدت ابتسامته غير صادقة كابتسامتها. واستدرك: «أعني أنني منزعج من اضطراري إلى الاستيقاظ مبكرًا، لكن الموعد موعد، صحيح؟».

وضعت علامة على شيء في جهازها اللوحي، وقالت: «من فضلك قيِّم مستوى انزعاجك على مقياس من واحد إلى عشرة».

- هل أنت جادة؟

- لا يمكننا متابعة تسجيلك حتى تجيب عن السؤال.

- آ... خمسة، لا، ستة، السؤال زاد من انزعاجي.

- هل تعرضت لأي معاملة غير عادلة منذ أن وُسِمت مستهجَنًا؟ هل رفض أي شخص تقديم خدمة لك أو تعدَّى على حقوقك بأي طريقة؟

النبرة الروتينية التي طرحت بها السؤال جعلته يرغب في انتزاع الجهاز اللوحي من يدها وقذفه بعيدًا. على الأقل كان بإمكانها أن تتظاهر بأنها تكترث بإجابته كما تظاهرت بالتبسُّم.

قال: «ينظر الناس إليَّ كأنني قتلت قططهم للتو».

نظرت إليه كأنه قال لها إنه قتل بضع قطط فعلًا، ثم قالت: «للأسف لا يمكنني فعل شيء حيال نظرات الناس إليك، لكن إذا حُرِمت من أي حق من حقوقك، فمن المهم أن تبلغ ضابط مراقبة سلوكك».

- مهلًا، ألستِ ضابطة مراقبة سلوكي؟

تنهدت. «أنا ضابطة تسجيلك. ستقابل ضابط مراقبة سلوكك بعدما تنتهي من التسجيل».

- هل عليَّ أخذ رقم مرة أخرى؟

- نعم.

- إذن أرجو أن تغيِّري مستوى انزعاجي إلى تسعة.

ألقت عليه نظرة خاطفة، وعدلت شيئًا على جهازها اللوحي، ثم استغرقت لحظة لتعالج بيانات غريسن، وقالت: «ورد في تقرير وحداتك المجهرية نقص في مستويات الإندروفين لديك خلال الأيام القليلة الماضية، وهذا ربما يشير إلى مرحلة مبكرة من مراحل الاكتئاب. أتود أن تخضع لتعديل مزاجك الآن أم ستنتظر حتى تبلغ الحد الأقصى؟».

- سأنتظر.

- عندئذٍ ربما يتطلب العلاج الذهاب إلى المركز الصحي في منطقتك.

- سأنتظر.

- حسنًا.

مررت إصبعها على الشاشة، وأغلقت ملف غريسن، وقالت له أن يتبع الخط الأزرق على الأرضية، الذي قاده إلى الردهة ثم إلى صالة ضخمة أخرى، حيث تعيَّن عليه، كما قيل له، أن يأخذ رقمًا.

وأخيرًا، بعد مدة بدت دهرًا، ظهر رقمه، وأُرسِل إلى غرفة اجتماعات لا تشبه في شيء غرفة المرة السابقة، فهذه هي غرفة اجتماعات المستهجَنين، جدرانها مطلية بلون كريمي، وأرضيتها بلاط أخضر قبيح، ومنضدتها -الخالية- لوح رمادي، وعلى جانبَي المنضدة كرسيان خشبيان خشنان. الزينة الوحيدة في الغرفة تمثَّلت في صورة بلا روح لقارب شراعي معلقة على الجدار، بدت ملائمة لغرفة كهذه.

انتظر غريسن خمس عشرة دقيقة، ثم دلف ضابط مراقبة سلوكه.

قال العميل تراكسلر: «صباح الخير يا غريسن».

كان تراكسلر آخر من يتوقع غريسن رؤيته اليوم.

- أنت؟ ماذا تفعل هنا؟ ألم تفسد حياتي بما يكفي؟

- ليست لدي أدنى فكرة عما تتحدث عنه.

هذا ما سيقوله بطبيعة الحال. مصداقية الإنكار. فهو لم يطلب من غريسن فعل أي شيء، وفي الحقيقة أخبره صراحة بما عليه *ألَّا* يفعله.

قال تراكسلر: «أعتذر عن التأخر. لك أن تجد عزاءً في أن الرأس السحابي يطلب منا نحن العملاء أن ننتظر قبل الاجتماع بك أيضًا».

- لماذا؟

هز تراكسلر كتفيه. «إنه لغز».

جلس قبالة غريسن، وألقى نظرة على القارب الشراعي المجرد من الروح بالاشمئزاز نفسه الذي أحس به غريسن. ثم أوضح سبب مجيئه: «نُقِلتُ إلى هنا من فولكرم سيتي، وخُفِضت رتبتي من عميل كبير إلى ضابط مراقبة

سلوك في هذا المكتب الإقليمي. لذا لستَ الوحيد الذي خُفضت رتبته بسبب هذه المسألة».

عقد غريسن ذراعيه، ولم يشعر بأقل قدر من التعاطف مع الرجل.

قال تراكسلر: «لا بد أنك بدأت تتكيف مع حياتك الجديدة».

رد غريسن بنبرة قاطعة: «لا، على الإطلاق. لماذا وسمني الرأس السحابي مستهجَنًا؟».

- ظننتك ستكون ذكيًا بما يكفي لاستنتاج السبب.

- أظنني لست ذكيًا بما يكفي.

رفع تراكسلر حاجبيه، وأطلق زفرة بطيئة ليبيِّن خيبة أمله في فطنة غريسن، ثم قال: «بوصفك مستهجَنًا، مطلوب منك حضور اجتماعات مراقبة السلوك بانتظام، وهذه الاجتماعات ستتيح لنا التواصل دون إثارة شكوك أي شخص يُحتمَل أنه يراقبك. وبالطبع حتى تنجح هذه الخطة، كان لا بد من نقلي إلى هنا وتعييني ضابط مراقبة سلوكك».

آه! إذن يوجد سبب لضم غريسن إلى زمرة المستهجَنين! كان الإجراء جزءًا من خطة أكبر. ظن غريسن أنه سيسعد حالما يعرف السبب، لكنه لم يسعد.

قال تراكسلر: «أشعر بالأسف حيالك، حياة المستهجَنين عبء ثقيل على الذين لا يرغبون فيها».

سأله غريسن: «أيمكنك تقييم شفقتك عليَّ على مقياس من واحد إلى عشرة؟».

قهقه العميل تراكسلر قائلًا: «حس الدعابة، مهما يكن سوداويًا، أمر جيد». ثم تطرق للعمل: «حسبما أعرف، تمضي معظم أوقاتك في البيت. وبوصفي صديقك ومستشارك، أقترح عليك أن تتردد على أماكن يمكنك أن تقابل فيها مستهجَنين آخرين، ويستحسن أن تعقد صداقات جديدة ربما تسهِّل عليك هذه الفترة العصيبة».

- لا أريد.

تكلم العميل تراكسلر بنبرة لطيفة، تكاد أن تكون منكسرة: «ربما تريد، ربما تريد أن تنسجم إلى درجة أن تسلك سلوك المستهجَنين، وترتدي ملابس

كالَّتي يرتدونها، وتجري عملية تعديل جسدي مثل المستهجَنين لتبرهن على أنك تقبلت مرتبتك الجديدة تقبُّلًا تامًّا».

لاذ غريسن بالصمت هنيهة، وانتظره تراكسلر حتى يستوعب الاقتراح.

سأله غريسن: «و... ماذا لو تقبَّلتُ مرتبتي؟».

قال تراكسلر: «عندئذٍ لا أشك في أنك ستعرف أشياء، ربما أشياء حتى الرأس السحابي لا يعرفها، فبعض الأشياء تخفى عليه، كما تعرف، أشياء بسيطة، لكنها موجودة قطعًا».

- أتطلب مني أن أكون عميل مزن متخفيًا؟

قال تراكسلر مبتسمًا ابتسامة واسعة: «لا بالطبع. عملاء المزن عليهم الدراسة أربع سنوات في الأكاديمية، وعمل ميداني ممل لسنة إضافية، قبل أن تُسند إليهم مهام حقيقية. لكنك مجرد مستهجَن...» ربَّت على كتف غريسن، ثم أردف: «مستهجَن يبدو ذا صلات واسعة بعلية القوم».

نهض تراكسلر قائلًا: «أراك بعد أسبوع يا غريسن»، وغادر دون تلفت.

أحس غريسن بدوار. كان غاضبًا. كان متحمسًا. أحس بأنه يتعرض لاستغلال، وأحس بأنه وُضع أمام مهمة نبيلة. هذا ليس ما كان يريده... أم كان ما يريده؟ قال الرأس السحابي له في وقت سابق: «*إنك أميز مما تظن يا غريسن*». هل كانت هذه خطة الرأس السحابي له منذ البداية؟ ما زال يملك خيارًا، بإمكانه أن يبتعد عن المتاعب، كما ظل يفعل طوال حياته، وفي غضون بضعة أشهر سيستعيد مرتبته المعتادة. بإمكانه العودة إلى حياته القديمة.

... أو بإمكانه أن يسلك هذا الطريق الجديد، الطريق الذي يمثل نقيض كل ما يعرفه عن نفسه.

فُتح الباب وقال عميل مزنٍ ما: «المعذرة، بعد انتهاء اجتماعك عليك إخلاء الغرفة فورًا».

همَّ غريسن بالاعتذار والمغادرة، لكنه عندئذٍ عرف الطريق الذي عليه أن يسلكه، فاتكأ على كرسيه، وابتسم للعميل وقال: «سحقًا لك».

سجَّل العميل على غريسن نقيصة، ثم خرج وعاد مصطحبًا حارس أمن لقذف غريسن خارج الغرفة.



يبدو مكتب شؤون المستهجَنين كأنَّه لا يعمل بكفاءة، لكن ثمة نهجًا خلف ما يسبِّبه من فوضى وجنون.

كل ما في الأمر هو أنَّ المستهجَنين يرغبون في وجود سبب يدفعهم للامتعاض من النِّظام الحاكم.

ولتسهيل تلبية رغبتهم هذه، تعيَّن عليَّ إنشاء نظام جديد بامتعاضهم. في الواقع ما من حاجة فعليَّة لأخذ الأرقام أو الانتظار لفترات طويلة، ما من حاجة حتى إلى عميل التسجيل. فكل إجراء مصمَّم من أجل دفع المستهجَنين لظن أنَّ النظام يهدر وقتهم. وهْم عدم الكفاءة يخدم غرض خلق السُّخط الذي يعزِّز شعور المستهجَنين بالتَّضامن فيما بينهم.

- الرَّأس السَّحابي

13

لم تكن صورة جميلة

لم يكن المنجل ببير أوغست رينوار رسَّامًا، لكنه كان يملك مجموعة لوحات عظيمة رسمها قدوته التاريخية. ماذا عساه أن يقول؟ كان يحب الصور الجميلة.

وبالطبع كانت تسمية منجل وسطمريكي نفسه باسم فنان فرنسي سببًا في نقمة مناجل إقليم فرانكوأيبيريا، إذ رأوا أن جميع الفنانين الفرنسيين في عصر الفانين ينتمون إليهم وحدهم. حسنًا، واقع أن مدينة مونتريال صارت الآن تابعة لوسطمريكا لم يعنِ أن تراثها الفرنسي قد اندثر، لا بد أن أحد أسلاف المنجل رينوار ذو أصول فرنسية.

مهما يكن، فلتَثُر ثائرة هيئات المناجل على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي، لم ينزعج رينوار منهم، كان ينزعج من جماعات البرمافروست العرقية التي تستوطن شمال أمريكا حيث يعيش. حدث امتزاج عرقي في جميع أنحاء العالم، لكن البرمافروست ظلوا متشبثين بثقافتهم رافضين الذوبان في الثقافة العالمية التي صارت شبه موحدة، وهذه ليست جريمة بالطبع، فالناس أحرار فيما يختارون، لكن المنجل رينوار وجد الأمر مزعجًا، وخللًا في نظام الأشياء.

ورينوار كان يعرف النظام.

كان يرتب بهاراته ترتيبًا أبجديًا، وينظم أكواب الشاي في خزانة الأواني بدقة رياضية، ويقص شعره بطول معين صباح كل يوم جمعة. وكانت جماعة البرمافروست تمثّل نقيض كل هذا، ومختلفين عرقيًّا اختلافًا جليًّا، لم يُطِقه المنجل رينوار.

لذا كان يقطف منهم أكبر عدد ممكن.

وهذا التحيُّز، بطبيعة الحال، قد يوقِعه في ورطة مع هيئة المناجل إذا اكتشفوا أمره. ولحسن حظه لم يكن البرمافروستيون يُعدُّون عِرقًا رسميًّا ضمن التقسيمات العرقية المعروفة، فنِسَبهم الجينية تُظهِر نسبة عالية من مكون «الآخر»، ويمثل «الآخر» نطاقًا عريضًا من العناصر، أتاح لرينوار إخفاء أفعاله، ربما لم يخفِها عن الرأس السحابي، إنما عن هيئة المناجل، وهم المعنيون. لن يكتشف أمره أحدٌ ما دام حريصًا على عدم دفع أي أحد من هيئة المناجل إلى الشك في أمره والتدقيق في عمليات قطفه! وهكذا كان رينوار يأمل، بمرور الوقت، أن يقلل من عدد البرمافروستيين، حتى لا يعود وجودهم مزعجًا له.

وفي هذه الليلة، كان في طريقه لقطف شخصين، امرأة برمافروستية وابنها الصغير. خرج رينوار بروح معنوية عالية، لكن حالما غادر منزله، واجه شخصًا مُتّشِحًا بالسواد.

المرأة وابنها سَلِما من القطف في تلك الليلة... لكن المنجل رينوار لم يكن محظوظًا مثلهما. عُثر عليه في سيارة عامة محترقة في الحي الذي يعيش فيه مندفعة ككرة نارية حتى ذابت إطاراتها وتوقفت، وبحلول الوقت الذي وصل فيه رجال الإطفاء، كان الأوان قد فات. لم تكن صورة جميلة.

***

استيقظ روان إثر إحساسه بمدية على حلقه. كانت الغرفة مظلمة، فلم يرَ حامل المدية، لكنه عرفها من ملمسها، مطواة بسيطة ذات شفرة منحنية مثالية لوضعيتها الحالية. لطالما توقع روان أن عهده بوصفه المنجل لوسيفر لن يدوم مدة طويلة، ظل مستعدًّا لهذه اللحظة، ظل مستعدًّا منذ اليوم الذي بدأ فيه.

قال مهاجِمه: «أجبني بالحقيقة، وإلَّا فسأذبحك من الوريد إلى الوريد». عرف روان صاحب الصوت على الفور، لم يكن صوتًا يتوقعه.

قال روان: «اطرح سؤالك أولًا، وسأخبرك بما إذا كنت أُفضّل الإجابة عنه أم شق حلقي».

- هل أنهيت حياة المنجل رينوار؟

لم يتردد روان: «نعم أيها المنجل فاراداي. نعم، أنهيت حياته».

أُبعِدت المدية عن عنق روان، وسمع صوت اختراق المدية للجدار على الجانب الآخر من الغرفة. «عليك اللعنة يا روان!».

أضاء روان المصباح، ثم جلس المنجل فاراداي على الكرسي الوحيد في غرفة روان المتقشفة. قال روان لنفسه: *ستنال هذه الغرفة استحسان فاراداي*. إذ ليس فيها من وسائل الراحة سوى فراش يعين على نوم المناجل المضطرب.

سأله روان: «كيف وجدتني؟». بعد لقائه بتايغر، غادر روان بترسبيرغ واستقر في مونتريال، فإذا تمكن تايغر من العثور عليه، فسيعثر عليه أي أحد. لكن رغم انتقاله، ها هو قد عُثِر عليه. ومن حسن حظه وجده فاراداي وليس منجلًا آخر ما كان ليتردد في شق حلقه.

قال فاراداي: «نسيتَ أنني ضليع في التنقيب في الدماغ الخلفي. يمكنني العثور على أي شيء وأي شخص أعقد العزم على العثور عليه».

نظر إلى روان بعينين متّقدتين غضبًا وخيبة أمل مريرة، فأحس روان برغبة في الإشاحة بوجهه، لكنه قاومها، رافضًا أن يشعر بأي خزي من أفعاله.

«عندما غادرتني يا روان، ألم تعدني بأنك ستتوارى عن الأنظار وتبتعد عن شؤون المناجل؟».

أجابه روان بصدق: «بلى، وعدتك».

- كذبتَ عليَّ إذن؟ كنت تخطط لأمر «المنجل لوسيفر» هذا طوال الوقت؟

نهض روان وانتزع المدية من الجدار، وجدها مطواة بسيطة كما توقع. وقال: «لم أخطط لأي شيء، غيرت رأيي فحسب». وناول المدية لفاراداي.

- لماذا؟

- شعرت بأنني مُلزم، شعرت بأن تدخلي ضروري.

نظر فاراداي إلى عباءة روان السوداء المعلقة جوار السرير. «والآن ترتدي عباءة مُحرّمة، ألن تتورع عن تجاوز أي خط أحمر؟».

كان كلام فاراداي صحيحًا، اللون الأسود محظور على المناجل، ولهذا تحديدًا اختاره روان. الموت الأسود لناشري الظلام.

قال فاراداي: «يجدر بنا أن نكون مستنيرين! ما هكذا نقاوم!».

- أنت من بين جميع الناس لا يحق لك أن تملي عليَّ كيفية المقاومة، تظاهرتَ بالموت وهربت!

أخذ فاراداي نفسًا عميقًا، ونظر إلى المطواة التي في يده وأدخلها في جيب داخلي في عباءته العاجية. قال: «خطتي كانت إنقاذك أنت وسيترا بجعل العالم يظن أنني قطفت نفسي، ظننت أنكما ستتحرران من التتلمذ وتعودان إلى حياتكما القديمة!».

ذكَّره روان: «خطتك لم تنجح، وما زلتَ مختبئًا».

- إنني أنتظر الوقت المناسب، ثمة فرق. توجد أشياء يمكنني تحقيقها على نحو أفضل إذا لم تعرف هيئة المناجل أنني على قيد الحياة.

- وتوجد أشياء يمكنني تحقيقها على نحو أفضل بوصفي المنجل لوسيفر.

نهض المنجل فاراداي وحدجه بنظرة قاسية طويلة. «ماذا دهاك يا روان... حتى صرت قادرًا على إنهاء وجود المناجل بدم بارد؟».

- وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة أفكِّر في ضحاياهم، الرجال، والنساء، والأطفال الذين قطفوهم، لأن المناجل الذين أُنهي وجودهم لا يقطفون بالتعاطف أو إحساس المسؤولية الذي ينبغي أن يتحلَّى به أي منجل. إنما أنا الذي يحس بالتعاطف مع ضحاياهم، وهذا يحررني من الإحساس بأي ذنب حيال المناجل المنحرفين الذين أنهي وجودهم.

لم يبدُ فاراداي متأثرًا بما سمعه. «المنجل رينوار، ماذا كانت جريمته؟».

- كان يمارس تطهيرًا عرقيًّا في الشمال.

أطرق فاراداي مفكرًا، ثم سأل: «وكيف عرفت هذا؟».

أجابه روان: «لا تنسَ أنك علمتني كيفية البحث في الدماغ الخلفي، علمتني أهمية البحث الدقيق قبل اختيار أهداف القطف. أم نسيتَ أنك علمتني كل هذه المهارات؟».

أرسل المنجل فاراداي بصره خارج النافذة، لكن روان عرف أن المنجل يحاول تحاشي النظر إلى عينيه. قال فاراداي: «كان من الممكن أن نبلِغ لجنة الاختيار بجريمته...».

- من أجل ماذا؟ توبيخه ومراقبته؟ حتى إذا منعوه من القطف، فهذه العقوبة لا تناسب جريمته!

وأخيرًا استدار المنجل فاراداي ونظر إلى روان، وبدا فجأة مرهَقًا، هَرِمًا. وقال: «لسنا مجتمعًا يؤمن بالعقاب، إنما بالتصحيح فحسب».

قال روان: «وأنا أيضًا. في أيام الفانين، عندما يعجزون عن علاج مرض سرطاني، كانوا يستأصلون الورم الخبيث. وهذا ما أفعله تحديدًا.

- إنه فعل وحشي.

- ليس كذلك. المناجل الذي أنهيهم لا يشعرون بأي ألم، يموتون قبل أن أحيلهم رمادًا، لستُ كالمنجل الراحل تشومسكي، لا أحرقهم أحياء.

- حَسَنة بسيطة، لكنها لا تخلِّصك.

- لا أنشد الخلاص، لكنني أسعى لإنقاذ هيئة المناجل، وأرى أن هذه هي الوسيلة الوحيدة.

نظر فاراداي إليه مليًّا مرة أخرى، وهز رأسه بحزن، لم يعد غاضبًا، وبدا مستسلمًا.

قال روان: «إذا أردت مني أن أتوقف، فعليك أن تنهي حياتيَ بنفسك».

- لا تختبرني يا روان، لأن الحزن الذي ربما أشعر به بعد إنهاء حياتك لن يردعني إذا رأيتُ أن موتك ضروري.

- لكنك لن تفعل، لأنك في قرارة نفسك تعرف أن ما أفعله ضروري.

لزم المنجل فاراداي الصمت مدة طويلة، وأعاد نظراته إلى خارج النافذة. بدأت ندف الثلج تتساقط، ستجعل الأرض زلقة، وسينزلق الناس، ويصيبون رؤوسهم. ستكون مراكز الإنعاش مزدحمة الليلة.

تكلم فاراداي بنبرة حزنٍ مداها أعمق مما قد يتخيل روان: «كثير من المناجل نكصوا عن النهج القديم، الصحيح، هل ستتخلص من نصف هيئة المناجل؟ فحسبما أراه، ارتقى المنجل غودارد إلى مكانة شهيد في نظر

المناجل الذين ينتمون إلى ما يسمى بالتوجه الجديد، تتزايد أعداد المناجل الذين يستمتعون بالقتل تزايدًا مطردًا، وبدأت الضمائر تموت تدريجيًّا».

اكتفى روان بقول: «سأفعل ما أستطيعه حتى لا يعود بمقدوري فعله».

قال فاراداي: «يمكنك إنهاء منجل تلو منجل، لن تقدر على تغيير التيار».

كان أول كلام قاله جعل روان يعيد النظر في موقفه، كان يعرف أن فاراداي محق، فمهما بلغ عدد المناجل الذين سيتخلص منهم، سيحل آخرون محلهم، سيتولى مناجل التوجه الجديد تدريب متتلمذين متعطشين للدماء، مثل قتلة عصر الفانين، الذين كانوا يوضعون في أماكن اعتقال ليمضوا بقية حيواتهم خلف القضبان. والآن أمثالهم سيكونون الوحوش الذين يُمنحون حرية إنهاء حيوات الناس دون عواقب. هذا ليس ما كان المؤسِّسون يريدونه، لكن جميع المناجل المؤسِّسين قطفوا أنفسهم منذ أمد بعيد، لكن حتى إذا بقي بعضهم على قيد الحياة، فما السلطة التي قد يلجؤون إليها من أجل تغيير الوضع السائد الآن؟

سأل روان: «ما الذي سيغير التيار إذن؟».

رفع المنجل فاراداي أحد حاجبيه قائلًا: «المنجل أناستازيا».

فوجئ روان. «سيترا؟».

أومأ فاراداي. «إنها صوت جديد يمثل العقلانية والمسؤولية، يمكنها إعادة النهج القديم جديدًا، ولهذا يخشونها».

عندئذٍ قرأ روان في وجه فاراداي معنى أعمق، أدرك ما يعنيه حقًّا.

- سيترا في خطر؟

- على ما يبدو.

فجأة بدا لروان أن عالمه انقلب رأسًا على عقب، وذُهل من سرعة تغير أولوياته.

- ما الذي يمكنني فعله؟

- لستُ متأكدًا، لكن يمكنني إخبارك بما ستفعله الآن، ستكتب نعيًا لكل منجل تقتله.

- لم أعد تلميذك، لذا لا يمكنك أن تُملي عليَّ ما تريد.

- أجل، لكن إذا أردت أن تغسل بعض الدماء التي تلطخت بها يداك وتستعيد مثقال ذرة من احترامي لك، فعليك أن تمتثل لما أقوله. ستكتب نعيًا صادقًا لكل منجل، مُنوِّهًا بكل عمل خير قام به ضحاياك في هذا العالم، إلى جانب آثامهم، لأن حتى أشد المناجل فسادًا وأنانية ينطوون على شيءٍ من فضيلة، وفي مرحلةٍ ما من حيواتهم، قبل تردِّيهم، كانوا يسعون لفعل ما هو صائب.

أطرق وقد خطرت له ذكرى، ثم تابع: «كنتُ صديقًا للمنجل رينوار قبل سنوات طويلة، قبل أن يغدو تعصُّبه السرطان الذي تحدثتَ عنه. أحب رينوار امرأة برمافروستية ذات يوم. لم تكن تعرف هذا، أليس كذلك؟ لكن المناجل ممنوعون من الزواج، فتزوجت المرأة رجلًا برمافروستيًا آخر... فبدأت رحلة رينوار الطويلة مع الكراهية». صمت هنيهة لينظر إلى روان، وسأله: «إذا كنت تعرف هذا، فهل كنت لتُبقي على حياته؟».

لم يرد روان، لأنه لم يكن يعرف.

أمره فاراداي: «أكمل بحثك المتعلق به، واكتب نعيًا مجهولًا وانشره حتى يقرأه الجميع».

قال روان: «كما تأمر أيها المنجل فاراداي». وأحس بشيء من الشرف في طاعة مرشده الأول.

استدار فاراداي راضيًا، واتجه إلى الباب.

سأله روان: «ماذا عنك؟». وكان جزء منه لا يرغب في أن يذهب فارداي ويتركه وحده مع أفكاره. «هل ستختفي مرة أخرى ببساطة؟».

قال لروان: «أمامي مهام عديدة. لستُ كبيرًا في السن بحيث أعرف النصل الأسمى بروميثيوس والمناجل المؤسِّسين، لكنني مُطَّلع على الحكمة التي أورثوها».

كان يعرفها روان: *«إذا فشلت تجربتنا هذه، فقد ضمَّنَّا مخرجًا منها»*.

- أحسنت، ما زلت تتذكر قراءاتك. وضعوا خطة بديلة، بوصفها إجراء أمان، في حال انحدار هيئة المناجل إلى الشر، لكن الخطة فُقدت بمرور الزمن. آمل أنها لم تضِع، ووُضعت في مكان خاطئ فحسب.
- أتظن أن بمقدورك العثور عليها؟
- ربما، وربما لا أعثر عليها، لكن أظنني أعرف مكان البحث عنها.

فكر روان، وتوقع المكان الذي يخطط فاراداي لبدء بحثه فيه: «إنديورا؟».

لم يكن روان يعرف سوى القليل عن **جزيرة القلب المُكابِد**، المعروفة بإنديورا. مدينة كبيرة عائمة وسط المحيط الأطلسي، مركز السلطة، حيث يحكم المناجل المخضرمون السبعة -الذين يشكّلون مجلس المناجل العالمي- هيئات المناجل الإقليمية في جميع أنحاء العالم. عندما كان روان متتلمذًا، لم يرَ أنه مُلزمٌ عندئذٍ بالاهتمام بتفاصيل مستويات حكم هيئة المناجل العديدة والمعقدة، لكن الآن بوصفه المنجل لوسيفر، أدرك أن عليه الإلمام بجميع التفاصيل، إذ لا بد أن أفعاله لفتت انتباه المخضرمين، حتى إذا لزموا الصمت حياله.

لكن حالما بدأ روان يفكر في الدور الذي يمكن أن تؤديه المدينة العظيمة العائمة وتأثيرها في مساعيه، هز المنجل فاراداي رأسه قائلًا: «ليست إنديورا، شيدت الجزيرة بعد تأسيس هيئة المناجل بوقت طويل. المكان الذي أبحث عنه أقدم منها بكثير».

وعندما لم يقل روان شيئًا، ابتسم فاراداي وقال: «نود».

استغرق روان لحظة ليدرك الكلمة، إذ انقضت سنوات منذ آخر مرة سمع فيها أغنية الأطفال. ثم قال: «أرض نود؟ لكن هذا المكان ليس حقيقيًّا، إنها مجرد أغنية أطفال».

- جميع القصص يمكن تعقُّبها وصولًا إلى زمان ومكان، حتى حكايات الأطفال البسيطة البريئة لها بدايات غير متوقَّعة.

تذكَّر روان أغنية أطفال أخرى، اسمها «حلقة حول روزي». وبعد سنوات عرف أنها كانت عن مرض من عصر الفانين اسمه الطاعون الأسود. تبدو الأغنية تافهة دون سياق، لكن حالما يعرف المرء موضوعها، ومعنى كل بيت فيها، تبدو منطقية إلى درجة تقشعر لها الأبدان، إذ يردد الأطفال أنشودة قاتمة.

كما لم تبدُ أغنية «أرض نود» منطقية. فحسبما يتذكره روان، كان الأطفال يرددونها وهم يدورون حول طفل يختارونه ليكون «هو». وعندما تنتهي الأغنية، يخلي الطفل الذي في منتصف الدائرة لطفل آخر، والمختار يصبح الـ «هو» الجديد.

قال روان: «لا يوجد دليل على وجود نود».

- ولهذا لم يُعثر عليها قط، حتى الطوائف الطونية لم تجدها، وهم يؤمنون بها بحماسة إيمانهم نفسها بالرنين العظيم.

ذِكر الطونيين بدَّد أي أمل لدى روان في أن يأخذ فاراداي على محمل الجد. الطونيون؟ حقًّا؟ كان روان قد أنقذ حيوات العديد من الطونيين في اليوم الذي قتل فيه المناجلَ غودارد وتشومسكي وراند، لكن هذا لا يعني أنه يأخذ معتقداتهم المختلَقة على محمل الجد.

قال روان: «هذا سُخف! كل هذا!».

فابتسم فاراداي قائلًا: «من الحكمة أن يخفي الحكماء بذرة حقيقة في طيات شيء سخيف، فمن عساه أن يبحث عنها في هذا المكان وهو بكامل رشده؟».

***

جفا النوم روان بقية الليلة، بدت له جميع الأصوات متضخمة، حتى نبضات قلبه صارت دويًّا لا يُطاق، لم يكن يحس بالخوف، إنما بعبء المسؤولية التي أخذها على عاتقه، مسؤولية إنقاذ هيئة المناجل، والآن خبر احتمال تعرض سيترا لخطر.

رغمًا عما قد يظنه مناجل وسطمريكا، كان روان يحب هيئة المناجل، أحب فكرة أن يكون أكثر البشر حكمة وتعاطفًا هم الذين يتولون إنهاء حيوات الناس بهدف إحلال التوازن في العالم، بدت له فكرة مثالية في عالم مثالي. وقد وضَّح المنجل فاراداي له السمات التي ينبغي أن يتحلَّى بها المنجل الصالح، والعديد من المناجل، حتى المتعجرفون والمختالون منهم، ما زالوا يتمسكون بأرفع القيم الأخلاقية. لكن دون هذه القيم ستكون هيئة المناجل كيانًا فظيعًا. وقد كان روان ساذجًا بظنه أن بوسعه منع تحقق هذا الواقع. لكن المنجل فاراداي كان أدرى. ورغمًا عن كل ما سبق، فهذا هو الطريق الذي اختاره روان، والتخلي عنه إقرارٌ بالفشل، لكنه ليس مستعدًّا للإقرار بالفشل، حتى إذا عجز عن الحيلولة دون سقوط هيئة المناجل وحده، فما زال بوسعه إزالة أكبر قدر ممكن من الأورام السرطانية.

لكنه كان وحيدًا، أمده وجود المنجل فاراداي بلحظات وجيزة من روح الرفقة، لكنها فاقمت عزلته لاحقًا. وسيترا، أين هي الآن؟ وجودها مُهدَّد، وما الذي يمكنه فعله إزاء هذا التهديد؟ لا بد من التصرف.

لم يغمض له جفن إلَّا عند الفجر، ومن حسن حظه لم يرَ في أحلامه الاضطراب الذي يسود أوقات يقظته، إنما رأى ذكريات أوقات بسيطة، عندما كانت شواغله متمثلة في درجات المدرسة والألعاب وعادة التفلطح التي أدمنها صديقه المقرب تايغر، أوقات رأى فيها مستقبله مشرقًا أمامه وكان يعرف يقينًا أنه لا يقهر وسوف يعيش إلى الأبد.

ما من غموض يلف السَّبب الذي دفعني لتطبيق قوانين وأعراف مختلفة في الأقاليم الخاصَّة دونًا عن بقيَّة أنحاء العالم، إذ فهمتُ ببساطة الحاجة إلى التَّجديد الاجتماعي والتنوُّع. معظم أنحاء العالم صارت متشابهة، صارت اللغات الأصلية غريبة وثانوية، واختلطت الأعراق فصارت مزيجًا جميلًا مكوَّنًا من أفضل ما يميِّز كل جماعة عرقيَّة، باختلافات طفيفة.

لكن في الأقاليم الخاصة تُشجَّع الاختلافات وتُجرى العديد من التَّجارب الاجتماعيَّة. أنشأتُ سبعة من هذه الأقاليم، إقليم في كل قارَّة، وحيثما أمكن حافظتُ على حدود الأقاليم كما كانت في عصر الفانين.

إنني فخور بالتَّجارب الاجتماعيَّة التي تُجرى في كل إقليم خاص. في نيبال، على سبيل المثال، التوظيف ممنوع، جميع المواطنين لهم مطلق الحريَّة في الانخراط في أي نشاط ترفيهي يختارونه، ويتلقُّون دخلًا أساسيًّا أعلى مما يتلقَّاه النَّاس في الأقاليم الأخرى، حتى لا يشعروا بتدنِّي مكانتهم لعجزهم عن كسب عيشهم. أفضى هذا الإجراء إلى ارتفاع كبير في المساعي الخيرية التي تهدف لخدمة الآخرين، إذ لم تعد مكانة المرء الاجتماعيَّة تقاس بمقدار ثروته، إنما بما يتَّسم به من تعاطف وإيثار.

وفي إقليم تسمانيا الخاص، يُطلب من كل مواطن اختيار تعديل بيولوجي يعزِّز أسلوب حياته. وصار الاختيار الأكثر شعبيَّة هو اكتساب خياشيم تنفُّس تتيح العيش في الماء، وأغشية جانبيَّة، تشبه التي لدى السَّناجب الطَّائرة، تسهِّل الانزلاق في الهواء بوصفه رياضة ووسيلة تنقُّل ذاتيَّة.

وبالطبع لا يُلزَم الجميع بالمشاركة في هذه التَّجارب، يمكن للناس الانضمام إلى الأقاليم الخاصة ومغادرتها كما يحلو لهم. ونمو شعبيَّة أي إقليم خاص وتراجعها مؤشّر جيّد على مدى نجاح القوانين التي تميّز أي إقليم، وهكذا يمكنني الاستمرار في تحسين أحوال البشر، بتطبيق أنجح البرامج الاجتماعيَّة على بقيَّة العالم.

ثم هناك تكساس.

إنه الإقليم الذي أتسلَّى فيه بالفوضى الحميدة، القوانين قليلة، والعواقب قليلة، لا أحكم بقدر ما أترك النَّاس وشأنهم، وأشاهد ما يحدث. ووجدت نتائج متباينة، رأيتُ أُناسًا يرتقون ويصبحون أفضل نسخة من أنفسهم، وأناسًا يقعون ضحايا لعيوبهم. لم أستخلص بعد الدُّروس المستفادة من هذا الإقليم. ينبغي إجراء المزيد من الدراسات.

- الرَّأس السَّحابي

14

تايغر ومنجل الزمرد

«عليك أن تؤدي أداءً أفضل من هذا يا فتى الحفلات».

المنجل ذات العينين الوحشيتين والسلوك الجامح ركلت ساقَي تايغر، فارتطم بالبساط ارتطامًا عنيفًا. لماذا يسمُّون الشيء الواهي الرقيق بساطًا وهو يسبب الكدمات كأي جزء خشبي من أرضية شرفة الشقة التي يتدربان فيها الواقعة في أعلى طابق؟ لم يكن تايغر يمانع، ورغمًا عن تخفيض فعالية وحداته المجهرية المهدئة للألم إلى الحد الأدنى، صار يستمتع بتدفق الإندروفين في عروقه الذي يرافق ألم التدريب، أحس به أفضل من التَّفلطُح، صحيح أن القفز من المباني العالية يصبح إدمانًا بعد مدة، لكن هذا ينطبق أيضًا على القتال اليدوي، وخلافًا للتفلطح، وجد أن القتال يختلف كل مرة، الاختلاف الوحيد الذي كان يجده في التفلطح هو عندما يرتطم بشيء في أثناء سقوطه.

نهض تايغر سريعًا واستأنف النزال، وكالَ عدة لكمات أثارت ضيق المنجل راند، أفقدها توازنها، ثم أسقطها، وضحك، فازدادت غضبًا، وإثارة غضبها كانت هدفه، فحدة مزاجها هي نقطة ضعفها. رغم أنها تفوقه براعةً في بوكاتور الأرملة السوداء، كانت عصبيتها تجعلها عرضة للزلل. لوهلة ظن تايغر أنها ربما تندفع نحوه وتبدأ شجارًا حقيقيًّا. عندما تفقد أعصابها تشد

الشعر، وتغرز أصابعها في العينين، وتنهش كل جلد مكشوف بأظفار تخدش الصخر.

لكن ليس اليوم، اليوم سيطرت على جموحها.

قالت وهي تتراجع إلى خارج الدائرة: «يكفي، اذهب إلى الحمام».

عاكسها تايغر: «ألن تنضمي إلي؟».

ابتسمت له ابتسامة ساخرة. «سوف أقبل عرضك ذات يوم، وعندئذٍ لن تعرف ما ستفعل».

قال: «نسيتِ أنني مرتاد حفلات محترف، أعرف بعض الأشياء». ثم نزع قميصه المبلل بالعرق، مستعرضًا جذعه الممشوق، وتهادى مبتعدًا.

وفي أثناء استحمامه، تعجب تايغر من وضعه الذي يُحسَد عليه، إذ وجد نفسه متمرِّغًا فيما يشبه حلمًا جميلًا، عندما وصل ظن أنه سيجد حفلًا عاديًّا، لكن ما من حفل، ولا ضيوف غيره، انقضى أكثر من شهر، وما من شيء يشير إلى قرب انتهاء «الحفل»، لكنه افترض، إذا كان ما يجري فترة تتلمذ حقًّا، فستنتهي في نهاية المطاف، لكن في الوقت الراهن، متاح له الاستمتاع بالشقة الفخمة، وما لذ وطاب من طعام، ولا يُطلَب منه سوى التدرُّب. «*عليك أن تبرز عضلاتك من أجل قادم الأيام يا فتى الحفلات*». لم تخاطبه باسمه قط، دائمًا ما تخاطبه بـــ «فتى الحفلات» عندما تكون في مزاج رائق، و «الدودة» أو «كيس اللحم» عندما تكون معتكرة المزاج.

لم تخبره بسنها، لكنه خمن أنها في الخامسة والعشرين، في الخامسة والعشرين حقًّا، ثمة شيء تسهُل ملاحظته في الأشخاص الأكبر سنًّا الذين يعودون إلى العشرينيات، ركودٌ يشوب شبابهم. لكن المنجل الزمردية تشق طريقها في الحياة لأول مرة.

في الواقع لم يكن تايغر مقتنعًا تمام الاقتناع بأن المرأة منجل، لديها خاتم مناجل، وبدا حقيقيًّا، لكن تايغر لم يرَها تخرج للقطف، وكان يعرف من شؤون المناجل ما يكفي لمعرفة أنهم ملزَمون بحصص. وعلاوة على هذا، لم يرها تقابل مناجل آخرين. ألا يوجد اجتماع يُلزَم المناجل بحضوره عدة مرات في العام؟ اسمه الخلوة. ربما تكون هذه العزلة خاصة بتكساس، فالقوانين والأعراف مختلفة هنا عن بقية الأقاليم، لم يطلقوا عليه اسم إقليم «النجم الوحيد» بلا سبب.

مهما يكن، رأى تايغر أن يقبل الهِبة على عِلّاتها، لم يكن سوى شخص ثانوي في أسرته، لذا لم يمانع أن يكون محور اهتمام شخصٍ ما.

وقد صار قويًّا الآن، صاحب بنية جسمانية تثير الإعجاب والحسد. لذا حتى إذا نبذته المنجل الزمردية نبذ النواة، فسيكون مرغوبًا بشدة في الحفلات نظرًا إلى قوامه الممشوق.

وإذا لم تتخل المنجل عنه، فماذا سيحدث؟ هل سيُمنح خاتمًا ويُكلَّف بالقطف؟ هل سيطيق المهمة؟ صحيح أنه نفذ العديد من المقالب شبه المميتة، من لم يفعل؟ ما زال يبتسم كلما تذكر أفضل مقالبه. ذات يوم كان حوض السباحة في مدرسته الثانوية جافًّا لإجراء صيانة، وخطرت لتايغر فكرة ملئه بالماء مستخدمًا تقنية التصوير المُجسَّم، ثم صعد أفضل غواصي المدرسة إلى المنصة التي يبلغ ارتفاعها عشرة أمتار، وقفز فاردًا يديه وانتهى إلى تفلطح غير مقصود، التأوه الذي ند عنه قبل شِموته كان لا يُنسى. كاد المقلب أن يستحق عقوبة الفصل لثلاثة أيام والخدمة لستة أسابيع التي أوقعها عليه الرأس السحابي. حتى الغواص، إثر عودته من مركز الإنعاش بعد بضعة أيام، أقر بأنها كانت مزحة بارعة.

بيد أن الشِّموت والموت أمران مختلفان تمام الاختلاف. هل سيقدر على إنهاء حياة شخص إنهاءً أبديًّا ويواصل الفعل يوميًّا؟ حسنًا، ربما يمكنه أن يكون مثل المنجل الذي تتلمذ روان على يديه، المنجل غودارد، الذي كان يقيم حفلات عظيمة. إذا اتضح أن إقامة الحفلات جزء من الوصف الوظيفي، فبمستطاع تايغر التعامل مع بقية المُتطلَّبات.

بالطبع لم يكن تايغر مقتنعًا تمام الاقتناع بأن هذا تتلمذ من أجل المنجلية. رأى أن روان لم ينجح في تلمذته، وصعُب على تايغر تصديق أنه قادر على النجاح فيما فشل فيه روان، علاوة على أن روان غيَّرته التجربة، صار سوداويًّا جادًّا بتأثير التحديات الذهنية التي أرغِم على مواجهتها. ما من تحديات ذهنية أمام تايغر، وجد أن دماغه غير معنِي بأيٍّ مما يجري، ورحَّب بهذا الوضع، فدماغه لم يكن يومًا أفضل أعضاء جسده.

ربما يخضع للتدريب حتى يصبح حارس مناجل شخصيًّا، لكنه عجز عن تخيل سببٍ قد يدفع منجلًا للاستعانة بحارس شخصي، إذ ما من شخص تبلغ به الحماقة مبلغ أن يعتدي على منجل وهو يعرف أن العقوبة هي قطف

أسرته بكاملها. إذا اتضح له أن هذه هي الغاية، فعلى الأرجح لن يقبل بالعمل. كل المخاطر ولا شيء من السلطة؟ المزايا أولًا.

قالت المنجل الزمردية له في أثناء العشاء تلك الليلة: «أراك جاهزًا تقريبًا». وكان روبوتها قد قدَّم لكل منهما شريحة لحم قليلة الدهن، لحم حقيقي، ليس مصنَّعًا، فالبروتين الطبيعي هو الأفضل لبناء العضلات.

سألها: «تقصدين جاهز لنيل خاتمي؟ أم شيء آخر؟».

ابتسمت له ابتسامة غامضة وجدها تايغر جذابة إلى درجة لا يود الاعتراف بها، لم يكن هذا شعوره عندما وصل في البداية، لكن ثمة شيئًا في تدريبات البوكاتور العنيفة والحميمية في آنٍ واحد من شأنه تغيير طبيعة العلاقات.

سألها: «إذا كنتِ تقصدين خاتم المناجل، ألا توجد اختبارات عليَّ اجتيازها في الخلوة؟».

قالت: «ثِق بي يا فتى الحفلات، ستضع الخاتم حول إصبعك دون أن يتعين عليك الذهاب إلى أي خلوة، أضمن لك هذا شخصيًّا».

إذن سيصبح منجلًا فعلًا! التهم تايغر بقية طعامه بشراهة، شاعرًا برعدة ودوار إثر معرفته بمصيره أخيرًا!

الجزء الثالث

أعداء ضِمن أعداء

فلنهجر جميعًا،
أرَض ويك،
ونهرع إلى أرض نود.

حيث يمكننا أن نحاول،
بلوغ السماء،
أو الرقص تحت الأديم.

دَقَّة ناقوس للأحياء،
دقة ناقوس للمفقودين،
دقة ناقوس للحكماء،
الذين يحصون الضحايا.

فلنهرع إذن،
إلى جنوب ويك،
قاصدين أرض نود.

- أغنية أطفال (أصلها مجهول)

15

قاعة المؤتسسين

كانت مكتبة الإسكندرية العظيمة، التي تُعدُّ إحدى عجائب العالم القديم، تمثل مفخرة العهد البطلمي، والمركز العالمي للفِكر، عندما كانت الأرض ما تزال مركز الكون وكل شيء يدور حولها، وللأسف رأت الإمبراطورية الرومانية أن *أراضيها* هي مركز الكون، وأحرقت المكتبة ولم تُبقِ فيها على شيء، وعُدَّ حريق المكتبة أفدح خسارة تعرض لها الأدب والحكمة على مر التاريخ.

كانت إعادة بنائها فكرة الرأس السحابي، الذي حشد الآلاف لبناء الصَّرْح الضخم، موفرًا لهم غاية ووظائف لخمسين عامًا. وعندما اكتمل تشييد المكتبة العظيمة، بدت شبيهة إلى حد بعيد بالمكتبة الأصلية، وقد شُيدت في موقعها الأول نفسه. كان القصد منها أن تكون تذكيرًا بما فُقد في الماضي، ووعدًا بأن المعارف لن تضيع أبدًا وهي تحت رعاية الرأس السحابي.

ومن ثم، عند اكتمال بناء المكتبة، استولت هيئة المناجل عليها لتتخذ منها مكانًا لحفظ مذكرات المناجل، مجلدات الرَّق التي يُلزَم جميع المناجل بكتابة مذكراتهم عليها كل يوم طوال حيواتهم.

وبما أن هيئة المناجل كانت لها مطلق الحرية في فعل ما تشاء، لم يعترض الرأس السحابي عليها، وتعيَّن عليه الرضا بمعرفة أن المكتبة أُعيد تشييدها على الأقل، ورأى أن يترك للبشر اختيار الغرض الذي ستُسخَّر المكتبة من أجله.

كانت مُنيرة الأطروشي، مثل معظم الناس في العالم، تزاول وظيفة مثالية تتمثل مثاليتها في أنها عادية تمامًا، ومثل معظم الناس في العالم، لم تكن تكره وظيفتها، كما لم تكن تحبها، ظلت مشاعرها تتأرجح في الوسط.

تعمل في مكتبة الإسكندرية بدوام جزئي، ليلتين في الأسبوع، من منتصف الليل حتى السادسة صباحًا، وتمضي معظم أيامها في قاعات دارسة جامعة إسرابيا بالقاهرة، تدرس علوم المعلوماتية. وبطبيعة الحال، بما أن جميع معلومات العالم عمِل الرأس السحابي على رقمنتها وفهرستها، لم تعد شهادة علوم المعلوماتية، مثل معظم الشهادات الأخرى، تخدم أي غرض عملي، ستكون قصاصة ورق مؤطرة على جدار غرفة منيرة، مجرد مدخل لمصادقة آخرين يحملون شهادات مشابهة لا تخدم غرضًا عمليًا.

لكن منيرة كانت تأمل أن تمنحها قصاصة الورق الوجاهة الكافية لإقناع إدارة المكتبة بتوظيفها أمينة مكتبة بدوام كامل بعد تخرجها، فخلافًا لكل المعلومات الموجودة في العالم، لم يفهرِس الرأس السحابي مذكرات المناجل، التي ما زالت خاضعة لأيدي البشر الخرقاء.

كل من يريد البحث في مجلدات المذكرات البالغ عددها 3,5 مليون، التي جُمعت منذ أيام تأسيس هيئة المناجل، سيتعين عليه المجيء إلى المكتبة، متى ما أراد، لأن المكتبة العظيمة متاحة للعالم بأكمله، طوال ساعات اليوم على مدار العام. ورغم هذا وجدت منيرة أن قليلين يستغلون معلوماتها المتاحة، فخلال ساعات النهار لا يأتي سوى بضعة أكاديميين يجرون بحثًا. ويزور المكتبة سياح كثيرون، لكن جُل اهتمامهم يدور حول تاريخ المكتبة وعمارتها، ولا يكترثون كثيرًا بالمجلدات نفسها، إلّا بوصفها خلفيات للصور.

نادرًا ما يقصد الناس المكتبة في الليل، ولا يكون فيها سوى منيرة واثنين من أفراد الحرس النصلي، وجودهما ديكوري لا أكثر، يقفان صامتين عند المدخل كأنهما تمثالان، وبالنهار يمثِّلان خلفية يلتقط السياح الصور أمامها أيضًا.

عندما تعمل منيرة في مناوبتها الليلية، تكون محظوظة إذا جاءها شخصان، ومعظم الذين يظهرون يعرفون ما يريدونه، لذا لا يستفسرون من منيرة عند مكتب الاستقبال، مما يتيح الفرصة لها لقضاء وقتها في الدراسة أو قراءة كتابات المناجل، التي وجدتها مشوقة، فكانت تعجز عن التوقف عن الاطلاع على قلوب وأرواح الرجال والنساء المكلفين بإنهاء حيوات الناس،

ومعرفة ما يشعرون به حيال عمليات القطف، لذا صارت مهووسة بالقراءة، ومع إضافة عدة آلاف من المجلدات إلى المكتبة سنويًا، ما كانت لتنفد لديها مواد القراءة، رغم أن بعضها أكثر إثارة للاهتمام من بعض.

قرأت كل ما يتعلق بشكوك النصل الأسمى كوبرنيكس في نفسه قبل أن يقطف نفسه، ومشاعر الندم عند المنجل كوري حيال أفعالها الجريئة عندما كانت منجلًا مبتدئة، وأكاذيب المنجل شيرمان الصفيقة. وجدت وفرة في المواضيع المشوقة في صفحات مذكرات المناجل المكتوبة يدويًا.

وذات مساء في بدايات ديسمبر، كانت منيرة منغمسة في قراءة مُجون المنجل الراحلة راند، التي كرست جزءًا كبيرًا من مذكراتها لغزواتها الجنسية. كانت منيرة قد قلبت صفحة للتو عندما رفعت رأسها فرأت رجلًا يقترب منها، وقدماه لا تصدران صوتًا على الأرضية الرخامية عند مدخل الردهة، كان يرتدي ملابس رمادية شاحبة، لكن منيرة استشعرت من مشيته أنه منجل، فالمناجل لا يمشون كسائر الناس، إنما يتحركون بتؤدة وحزم، يتحركون كما لو أن الهواء نفسه يفسح الطريق لهم، لكن إذا كان منجلًا، فلماذا لا يرتدي عباءته؟

«مساء الخير». تكلم بصوت رنان عميق ولكنة ميريكية، كان شائب الشعر، ولديه لحية مشذبة رمادية، لكن عينيه بدتا يقظتين مفعمتين بالحيوية.

قالت منيرة: «في الواقع نحن في الصباح، ليس المساء. الساعة الثانية والربع».

بدا وجهه مألوفًا لها، لكنها عجزت عن تحديد المكان الذي رأته فيه، وبرقت لها ذكرى، عباءة بيضاء لا تشوبها شائبة، لا، ليست بيضاء... عاجية. لم تكن منيرة تعرف جميع المناجل، ومعرفتها أقل بمناجل القارة الميريكية، لكنها كانت تعرف الذين يحظون بشهرة عالمية. ستتذكره لاحقًا.

قالت: «مرحبًا بك في مكتبة الإسكندرية العظيمة، كيف لي أن أساعدك؟». تجنبت مخاطبته بـــ «جنابك»، كما يُخاطَب المناجل عادة، لأن من الواضح أنه يحاول إخفاء هويته.

قال لها: «أبحث عن الكتابات المبكرة».

- كتابات أي منجل؟

- جميعها.

- الكتابات المبكرة لجميع المناجل؟

تنهد الرجل، منزعجًا قليلًا من عدم فهمه. أجل، إنه منجل بلا ريب، فلا أحد سوى منجل يمكنه أن يبدو حانقًا وصبورًا في آنٍ واحد. أوضح لها: «جميع الكتابات المبكرة لجميع المناجل الأوائل، مثل بروميثيوس، وسافو، ولينون...».

قالت: «أعرف المناجل الأوائل». وقد أحست بالضيق من تعاليه. ليس من عادة منيرة أن تكون ضيقة الصدر، لكنها قوطعت وهي تقرأ صفحات مشوقة على نحو خاص، كما أنها لم تكن تنال قسطًا كافيًا من النوم بسبب دروسها النهارية، لذا كانت مرهَقة. رسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة، وعقدت العزم على إرضاء هذا الرجل اللغز، لأنه، إذا اتضح أنه منجل في نهاية المطاف، ربما يقرر قطفها إذا وجدها مزعجة.

قالت له: «جميع المذكرات القديمة موجودة في قاعة المؤسسين، عليّ أن أفتحها لك. اتبعني من فضلك». ثم رفعت لافتة «سأعود خلال خمس دقائق» في مكانها، واقتادت الرجل إلى أروقة المكتبة.

تردد صدى وقع قدميها بين الجدران الجرانيتية. تعلو جميع الأصوات في صمت الليل. رفرفة أي وطواط تبدو كتنّين يخفق بجناحيه... ورغمًا عن هذا لم تُصدِر قدما الرجل أي صوت وهما يسيران. كان صمته مثيرًا للأعصاب، مثل مصابيح المكتبة الشبيهة بالمشاعل، التي تظهر أمامهما وتختفي خلفهما وهما يسيران في الرواق، كان تأثيرًا رائعًا، لكنه جعل الظلال تستطيل وتتقلص على نحو مقلق.

سألت منيرة الرجل: «تعرف أن كتابات المؤسسين الشهيرة متوفرة في خوادم هيئة المناجل المتاحة للعامة، أليس كذلك؟ مئات الكتابات المختارة».

قال لها: «لا أبحث عن المختارات الشهيرة، إنما مهتم بالتي لم يقع عليها الاختيار».

نظرت إليه مرة أخرى، وأخيرًا عرفته، فصُعقت إلى درجة جعلتها تتعثر، كانت عثرة بسيطة، واستعادت توازنها بسرعة، لكن الرجل رآها، فهو منجل، والمناجل يلاحظون كل شيء.

سألها: «هل من خطب؟».

أجابته: «لا، تعثرت بسبب الأضواء المتذبذبة، إنها تصعّب رؤية حجارة الأرضية غير المستوية». كان كلامها صحيحًا، لكنه لم يكن سبب تعثرها. لكن إذا انطوت كلماتها على حقيقة، فربما لا يتمكن الرجل من كشف كذبتها.

نالت منيرة لقبًا خلال مدة عملها في المكتبة. كان الموظفون الآخرون يلقبونها بـــ «الحانوتية» خلف ظهرها، جزئيًا بسبب شخصيتها الكئيبة، وبسبب أنها مكلَّفة بإغلاق مجموعات مذكرات المناجل الذين يقطفون أنفسهم، أو الذين تُنهى حيواتهم بوسائل شريرة، كما يحدث على نحو متزايد في الأقاليم الميريكية.

قبل عام انتهت منيرة من فهرسة جميع مذكرات هذا المنجل، من يوم تنصيبه إلى يوم موته، ومذكراته لم تعد ضمن مذكرات المناجل الأحياء، صارت الآن في الجناح الشمالي، مع مذكرات جميع مناجل وسطمريكا الذين لم يعودوا يسيرون على وجه الأرض، ورغمًا عن هذا، ها هو ذا، المنجل مايكل فاراداي، يسير إلى جانبها.

كانت قد قرأت عددًا من مذكرات المنجل فاراداي، وقد أثّرت أفكاره وتأملاته فيها أثرًا أشد من تأثير كتابات المناجل الآخرين، كان رجلًا ذا إحساس عميق. حزنت منيرة عندما سمعت خبر قطفه لنفسه، لكنها لم تتفاجأ، فضميره اليقظ عبء ثقيل.

ومع أن منيرة كانت في حضرة مناجل كثيرين من قبل، لم تشعر بأنها مصعوقة كما شعرت الآن، لكنها أخفت شعورها، حتى لا يعرف أنها عرفته، على الأقل إلى أن يتاح لها الوقت لتفكر وتعرف تفسير وجوده هنا وسببه.

قال: «اسمك منيرة». تكلم بنبرة عادية، ليست نبرة سؤال. وفي البداية ظنت منيرة أنه قرأ البطاقة التي تحمل اسمها على مكتب الاستقبال، لكن شيئًا أخبرها بأنه كان يعرف اسمها قبل مجيئه الليلة. «اسمكِ يعني مضيئة».

قالت منيرة: «أعرف معنى اسمي».

فسألها: «إذن هل أنت مضيئة؟ هل أنت مضيئة بين النجوم المعتمة؟».

قالت له: «لستُ سوى خادمة متواضعة للمكتبة».

خرجا من الرواق المركزي الطويل إلى حديقة فناء، على الجانب البعيد منها بوابات حديد مُشكل تفضي إلى قاعة المؤسسين، وبالأعلى كان القمر يلقي على الأجمات المشذبة والتماثيل ظلالًا شاحبة تمقت منيرة السير عليها.

«حدثيني عن نفسك يا منيرة». تكلم بنبرة كلام المناجل الهادئة التي تجعل الطلبات المهذبة أوامر لا يجرؤ المرء على عصيانها.

وعندئذٍ أدركت منيرة أنه عرف أنها عرفته. هل تعرضها معرفته لخطر القطف؟ هل سينهي حياتها لإخفاء هويته؟ حسبما قرأت عنه، لم يبد من نوع المناجل الذين قد يرتكبون فعلًا كهذا، لكن المناجل غامضون. أحست بالبرد، رغم أن ليل إسرابيا دافئ.

«أنا متأكدة أنك تعرف كل شيء قد أخبرك به أيها المنجل فاراداي».

ها قد قالتها، وانتهى التظاهُر.

ابتسم قائلًا: «آسف على عدم التعريف بنفسي سابقًا. لكن وجودي هنا... فلنَقُل... غير تقليدي».

سألته: «إذن هل أنا بصُحبة شبح؟ هل ستختفي في جدار وتعود كل ليلة لمطاردتي بالطلب نفسه؟».

قال: «ربما. سوف نرى».

وصلا إلى قاعة المؤسسين، وفتحت منيرة البوابة، ودلفا إلى صالة واسعة لطالما بدت لمنيرة كمقبرة تحت الأرض، حتى إن السياح يسألونها عما إذا كان المناجل الأوائل مدفونين هنا. لم يكونوا مدفونين هنا بالطبع، لكن منيرة كثيرًا ما تشعر بوجودهم في الصالة.

توجد مئات المجلدات على أرفف حجرية، وكل كتاب مغلف بزجاج شبكي كي لا يتعرض للتقلبات المناخية، وهذا الإجراء مخصص لأقدم المجلدات في المكتبة.

بدأ المنجل فاراداي التصفح، وظنت منيرة أنه قد يريد الخصوصية ويطلب منها المغادرة، لكنه قال لها: «امكثي هنا، إذا أردتِ. هذا المكان ضخم وكئيب يجعل العزلة غير مريحة».

فأغلقت منيرة البوابة، بعدما ألقت نظرة سريعة على الخارج لتتأكد من عدم وجود أي أحد رآهما، ثم ساعدت المنجل على فتح الأغلفة الزجاجية الشفافة التي تضم المجلد الذي أخذه من الرف، وجلست قبالته أمام طاولة حجرية في مركز الصالة. لم يقدم لها إجابة عن السؤال البديهي العالق في الهواء بينهما، فتعيَّن عليها أن تطلب التوضيح.

سألته: «ما تفسير وجودك هنا جنابك؟».

أجابها بابتسامة ساخرة: «بالطائرة وبالعبَّارة. أخبريني يا منيرة، لماذا اخترتِ العمل لدى هيئة المناجل بعدما فشلتِ في التتلمذ؟».

أُرتِج عليها. أهذه هي طريقته في عقابها على طرحها سؤالًا لا يرغب في الإجابة عنه؟

قالت له: «لم أفشل، لم تكن توجد سوى خانة واحدة لمنجل في إسرابيا عند نهاية مدة تتلمذي، وكنا خمسة مرشحين، فوقع الاختيار على واحد وصُرِف أربعة. عدم اختياري لا يعني فشلي».

- سامحيني، لم أقصد الإهانة أو عدم الاحترام. يساورني الفضول فحسب من أن خيبة أملك لم تجعلك تمقتين هيئة المناجل.

- يساورك الفضول لكنك غير متفاجئ؟

ابتسم المنجل فاراداي. «أشياء قليلة تفاجئني».

هزت منيرة كتفيها، كأنما فشلها في التتلمذ قبل ثلاث سنوات لم يعد يهمها، وقالت: «كنت أحترم هيئة المناجل عندئذٍ، وأحترمها الآن».

قال: «فهمت»، وقلب بعناية صفحة في المذكرات القديمة. «وما مدى ولائك للنظام الذي نبذك؟».

كزت منيرة أسنانها، لم تكن متأكدة مما يرمي المنجل إليه، أو ما ينبغي لها قوله.

قالت: «لدي وظيفة، أؤديها، وأفتخر بها».

قال: «هذا ما يجدر بك». ونظر إليها، أو بالأحرى اخترق دواخلها بنظراته. ثم سألها: «هل لي أن أشاركك تقييمي لمنيرة الأطروشي».

- هل لديَّ خيار؟

قال: «لدى المرء خيار دومًا». وكان كلامه نصف حقيقة، إذا وُجِد كلام كهذا.

- حسنًا. أخبرني بتقييمك لي.

أغلق فاراداي مجلد المذكرات القديم، وأولى منيرة انتباهه الكامل، وقال لها: «إنكِ تمقتين هيئة المناجل بقدر ما تحبينها، ولهذا تتمنين ألَّا تقدر هيئة المناجل على الاستغناء عنك، وتأملين، بمرور الوقت، أن تصبحي أفضل من يعرف محتويات هذه المكتبة في العالم، بلا منازع، وبهذا تملكين سلطة على

تاريخ هيئة المناجل بأكمله، وهذه السلطة ستكون انتصارك الصامت، لأنك ستعرفين أن هيئة المناجل تحتاج إليك أكثر مما تحتاجين إليها».

فجأة أحست منيرة باختلال طفيف في توازنها، كما لو أن رمال الصحراء التي ابتلعت مدن الفراعنة تتحرك تحت قدميها، وتوشك على ابتلاعها هي أيضًا. كيف أمكنه النظر إلى أعماقها هكذا؟ كيف أمكنه أن يعرب عن مشاعر هي نفسها لم تحادث نفسها بها؟ نجح المنجل في سبر غورها بطريقة حررتها وقيدتها في آنٍ واحد.

قال: «يبدو لي أنني محق». وابتسم لها الابتسامة الدافئة والساخرة نفسها في آنٍ واحد.

- ماذا تريد أيها المنجل فاراداي؟

وأخيرًا أخبرها: «أريد المجيء إلى هنا ليلة تلو ليلة، حتى أجد ما أبحث عنه في هذه المذكرات القديمة، وأريد التكتم على هويتي، أريد منك تحذيري إذا اقترب أي شخص في أثناء بحثي، وأريد منك أن تعديني بعدم إخطار هيئة المناجل بأنني ما زلت على قيد الحياة. أيمكنك فعل هذا من أجلي يا منيرة؟».

- هل ستخبرني بما تبحث عنه؟
- لا يمكنني. إذا أخبرتك، فقد تُرغَمين على كشف المعلومة، ولا أريد أن أضعك في هذا الموقف.
- ورغمًا عن هذا، عندما تطالبني بالتكتم على وجودك، فأنت تضعني في موقف لا أُحسَد عليه.
- ما من شيء لا تُحسَدين عليه. في الحقيقة أظنك تشعرين بأنك شُرِّفتِ بمهمة حفظ سرِّي.

ومرة أخرى، كان محقًّا. قالت: «لا يعجبني أن تعرفني معرفة تفوق معرفتي بنفسي».

قال ببساطة: «لكنني أعرفك، أعرفك لأن معرفة الناس جزء من عمل المناجل».

ذكَّرته: «ليس كل المناجل، يوجد منهم الذين يطلقون النار ويطعنون ويسمِّمون دون الاحترام الذي تبديه أنت دومًا للذين تقطفهم، لا يعرفون سوى إنهاء حيوات الناس، ولا يكترثون البتة بشأن الحيوات التي ينهونها».

لوهلة تحولت رزانة فاراداي إلى غضب، لكن غضبه لم يكن عليها. قال: «أجل، مناجل «التوجه الجديد» يُظهِرون ازدراء سافرًا لقدسية مهمتهم، وهذا جزء من سبب مجيئي إلى هنا».

اكتفى بما قاله، وانتظر ردها. طال الصمت، لكنه لم يكن صمتًا مزعجًا، إنما كان مثقَلًا بفحواه، وبدت اللحظة مصيرية، فكان لا بد من التمهُّل.

لم يغب على منيرة أن أربعة موظفين آخرين يشاركونها مناوبتها الليلية، طلاب آخرين يعملون بدوام جزئي... مما يعني، هذه المرة، أن الاختيار وقع عليها هي من بين الخمسة.

قالت منيرة: «سأتكتم على سرِّك». وتركت المنجل فاراداي وبحثه، شاعرة بأن حياتها صارت ذات غاية مهمة أخيرًا.



كثيرًا ما تحيّرني مقاومة بعض النَّاس لرقابتي الشَّاملة على أنشطتهم. ربما يزعم المستهجّنون أنني متطفِّل، لكنني لستُ متطفلًا، لا أكون حاضرًا إلّا عندما يكون حضوري عمليًّا وضروريًّا ومُرحَّبًا به. صحيح أنَّني لديَّ كاميرات في جميع المنازل عدا إقليم خاص واحد، لكن هذه الكاميرات يمكن إيقافها بكلمة. وبالطبع فإنَّ مقدرتي على خدمة الأفراد تتأثَّر سلبًا عندما تكون معرفتي بأنشطتهم محدودة، لذا لا يكلِّف السَّواد الأعظم من النَّاس أنفسهم عناء حجب رؤيتي. في أيِّ وقت يسمح 95.3 في المئة من السُّكان لي بمشاهدة حيواتهم الشخصيَّة، لأنَّهم يعرفون أنَّ مشاهدتي لا تنتهك خصوصيَّاتهم إلَّا بقدر ما تنتهكها أجهزة الاستشعار المثبَّتة في المصابيح التي تضيء آليًّا عندما يدخل شخصٌ غرفة.

وما نسبته 4.7 في المئة مما أُسمِّيه بـ «أنشطة الأبواب المغلقة» تُمثِّل أنشطة جنسيَّة من نوعٍ ما. أستغربُ أنَّ كثيرين من البشر لا يحبِّذون أن أشهد ما يفعلونهُ خلف الأبواب المغلقة، أستغربُ لأنَّ ملاحظاتي من شأنها المساعدة في أي موقف.

المراقبة الدَّائمة ليست فكرة جديدة، كانت مبدأ أساسيًّا في الأديان منذ فجر الحضارات، على امتداد التاريخ كانت معظم الأديان تؤمن بإله قدير، لا يرى ما يفعله البشر فحسب، بل ويمكنه الاطِّلاع على سرائرهم. وهذه المهارات الرقابيّة أنتجت حُبًّا وإخلاصًا عظيمين من النَّاس.

لكن ألستُ خيِّرًا أكثر من الآلهة القديمة؟ لم يحدث أن سبَّبتُ فيضانًا أو دمَّرتُ مدنًا بأكملها عقابًا على شرور النَّاس، لم يحدث أن أرسلتُ جيوشًا للغزو باسمي، بل ولم أقتل أو حتى أُوذِ أي إنسان.

لذا، رغم أنني لا أطلب الحب والإخلاص، ألا أستحقهما؟

- الرَّأس السَّحابي

16

بخير إلى أن يقع مكروه

دارت الكاميرات بصمت لتتعقب منجلًا يرتدي عباءة حمراء ويدخل إلى مقهى، يرافقه اثنان مفتولا العضلات من ضباط الحرس النصلي. التقطت الميكروفونات الموجَّهة جميع الأصوات، هرش اللحية، والتنحنح، وكل شيء، وعزلت الجلبة المحيطة بالمكان وركزت على حوار واحد بدأ عندما جلس المنجل ذو العباءة الحمراء.

الرأس السحابي يشاهد، الرأس السحابي يسمع، الرأس السحابي يتأمل. بما أنه يدير عالمًا بأكمله ويحافظ عليه، كان يعرف أن تركيز اهتمامه على حوار واحد يعد استخدامًا غير فعال لطاقاته، لكن الرأس السحابي ارتأى أن هذا الحوار أهم من مليارات الحوارات الأخرى التي تجري في هذه اللحظة، نظرًا إلى أطرافه.

قال المنجل قسطنطين للمنجلين كوري وأناستازيا: «شكرًا لكما على مقابلتي، إنني ممتن لخروجكما من مخبئكما حتى نعقد هذا الاجتماع الصغير».

قالت المنجل كوري: «لسنا مختبئتين». كان من الواضح أنها امتعضت من كلامه. «اخترنا أن نتنقَّل من مكان لآخر، ومن المقبول تمامًا أن يتجول المناجل كما يحلو لهم».

رفع الرأس السحابي إضاءة المكان بمقدار ضئيل حتى يعزز قدرته على قراءة تعابير الوجوه.

قال المنجل قسطنطين: «أجل، حسنًا، سواء سميتماه اختباءً، أو تجولًا، أو هروبًا، تبدو استراتيجية فعالة. إما أن المعتدين عليكما متخفون حتى تحين فرصة الهجوم التالي، وإما أنهم رأوا ألّا يكلفوا أنفسهم عناء مطاردة هدفين متحركين وانشغلوا بمسائل أخرى». صمت ثم أردف: «لكنني أشك في هذا».

كان الرأس السحابي مدركًا أن المنجلين كوري وأناستازيا لم تمكثا في أي مكان أكثر من يوم أو يومين منذ محاولة إنهاء حياتيهما، لكن إذا كان مسموحًا للرأس السحابي بالإدلاء باقتراح، لاقترح عليهما أن يسلكا مسارًا غير متوقَّع في أنحاء القارة، لأنه كان قادرًا دومًا على توقع وجهتهما التالية بدقة تبلغ 42 في المئة، مما يعني أن مهاجميهم أيضًا بوسعهم توقع مكانهما.

قال المنجل قسطنطين لهما: «لدينا خيوط أدلة على مصدر المتفجرات، نعرف المكان الذي جُمِّعت فيه، والمركبة التي نقلتها، لكننا ما زلنا نجهل الأشخاص الضالعين».

إذا كان بمقدور الرأس السحابي أن يضحك هازئًا، لضحك. كان يعرف هوية الذين جمعوا المتفجرات، وهوية الذين زرعوها، لكن إخطار هيئة المناجل بما يعرفه خرقٌ لقانون الفصل بين المناجل والدولة، وأفضل ما أمكنه فعله هو دفع غريسن توليفر بطريقة غير مباشرة لمنع الانفجار المميت. ورغم أن الرأس السحابي كان يعرف هوية الذين زرعوا المتفجرات، كان يعرف أيضًا أنهم ليسوا الأفراد المسؤولين، إنما مجرد بيادق تحركها يدٌ خفية داهية، يد شخص ماكر وحذر بما يكفي لإخفاء هويته، ليس من هيئة المناجل فحسب، بل ومن الرأس السحابي أيضًا.

قال المنجل قسطنطين: «أود أن أناقش معك نهجك في القطف يا أناستازيا».

تململت المنجل منزعجة، وقالت: «نوقِش سلفًا في الخلوة، ومن حقي أن أقطف كما أريد».

قال المنجل قسطنطين لها: «لا أتحدث عن حقوقك بوصفك منجلًا، إنما عن سلامتك».

همَّت المنجل أناستازيا بالانفجار ساخطة، لكن المنجل كوري، بلمسة رقيقة على معصم أناستازيا، أسكتتها. وقالت: «دعي المنجل قسطنطين يكمل ما يود قوله».

أخذت المنجل أناستازيا نفسًا عميقًا مقداره 3644 ملليترًا من الهواء، ثم زفرته ببطء. بدا للرأس السحابي أن المنجل كوري خمَّنت طبيعة ما سيقوله قسطنطين، لكن الرأس السحابي غير مضطر إلى التخمين، إنه يعرف.

وسيترا، من جانبها، لم تكن لديها أدنى فكرة، ظنت أنها تعرف كل ما سيقوله قسطنطين، لكنها، رغم بذلها كل ما بوسعها لتكون المنجل أناستازيا جيدة الإنصات، كانت تجهِّز ردها.

قال المنجل قسطنطين: «ربما يكون من الصعب تعقُّب تحركاتك أيتها المنجل أناستازيا، لكن من السهل جدًّا تعقب تحركات الأشخاص الذين وقع اختيارك عليهم للقطف، كلما اتصل بك أحدهم لترتيب مكان قطفه وموعده، يتيح لأعدائك فرصة مواتية للتخلص منك».

- أنا بخير حتى الآن.

- أجل، ستكونين بخير إلى أن يقع مكروه. ولهذا طلبت من النصل السامي زينوقراط إعفاءك من القطف إلى أن يزول التهديد.

هذا ما توقعت سيترا سماعه، فعاجَلته بردِّها: «بما أنني لم أخرق إحدى وصايا المناجل، حتى النصل السامي لا يمكنه أن يُملي عليَّ أفعالي. أنا مستقلة وفوق أي قانون آخر، مثلك تمامًا!».

لم يجُر ردُّها المنجل قسطنطين إلى جدال، كما لم يخالفها الرأي... مما أثار ضيق سيترا.

قال: «أجل، بالطبع، لم أقل إنك مرغمة على التوقف عن القطف، قلت إنك معفية، مما يعني أنك إذا لم تقطفي، فلن تُعاقَبي على عدم إكمال حصتك».

قالت المنجل كوري: «حسنًا، في هذه الحالة، أنا أيضًا سأعلِّق مهام قطفي»، ثم رفعت حاجبيها، كأنما خطرت لها فكرة للتو، والتفتت نحو المنجل أناستازيا. «يمكننا الذهاب إلى إنديورا! ما دمنا في إجازة من القطف، فلمَ لا نجعلها إجازة فعلية؟».

قال المنجل قسطنطين: «فكرة ممتازة!».

أصرَّت سيترا: «لا أحتاج إلى إجازة».

قالت المنجل كوري: «إذن اعتبريها رحلة تثقيفية! كل منجل شاب ينبغي له أن يزور جزيرة القلب المُكابِد. سأكون مرشدتك، وأعرِّفك بمنشأ هويتنا وغايتنا. وربما تسنح لك فرصة لقاء النصل الأسمى فريدا كاهلو!».

قال قسطنطين محاولًا إغراءها: «سترين القلب الحقيقي الذي سُميت الجزيرة تيمُّنًا به، وخزانة الأثريات والمستقبليات، التي لا يسمح لأي أحد بزيارتها، لكنني صديق للمنجل هيمنغواي، عضو مجلس المناجل العالمي، وبوسعي ترتيب جولة شخصية لكما».

قالت المنجل كوري: «أنا عن نفسي لم أدخل الخزانة، سمعت أنها مثيرة للإعجاب».

رفعت المنجل أناستازيا يديها قائلة: «توقفا! الرحلة إلى إنديورا تبدو مغرية، لكنكما نسيتما أنني ما زلت لدي مسؤوليات هنا لا أستطيع الابتعاد عنها ببساطة، لديَّ قرابة ثلاثين شخصًا اخترتهم للقطف، جميعهم حُقِنوا بكبسولة سامة ستقتلهم بعد شهر. هذه **ليست** الطريقة التي أريد أن أقطفهم بها».

فقال المنجل قسطنطين: «لستِ مضطرة إلى القلق بشأنهم الآن، فقد قُطِفوا سلفًا».

كان الرأس السحابي مدركًا لهذا بالطبع، لكن سيترا فوجئت، سمعت كلام قسطنطين، لكن مرت لحظة قبل أن تستوعب كلماته، التي بلغت جهازها العصبي قبل أن تبلغ عقلها، فأحست بارتفاع حرارة أذنيها، وبغصَّة في حلقها. «ماذا قلت؟».

- قلت إنهم قُطفوا سلفًا. أُرسِل عدة مناجل لإكمال عمليات قطفك، كلها، حتى الرجل الذي وقع اختيارك عليه بالأمس. أؤكد لك أن كل شيء على ما يرام، جميع العائلات مُنحت الحصانة، وما من مخاطر أخرى تهددك.

بدأت سيترا تتلعثم مضطربة، على غير عادتها. كانت فخورة بصفاء تفكيرها وحسمها في اختيار كلماتها، لكن هذه المفاجأة أربكتها. التفتت إلى المنجل كوري متسائلة: «هل كنت تعرفين هذا؟».

قالت ماري: «لا، لكنه معقول يا أناستازيا. حالما تهدئين وتفكرين بروية، ستدركين ضرورة ما حدث».

لكن سيترا كانت أبعد ما تكون عن الهدوء. فكرت في العديدين الذين اختارتهم للقطف، كانت قد وعدتهم بمنحهم الوقت لترتيب شؤونهم، وحرية

اختيار كيفية القطف ومكانه. وَعدُ المنجل ليس أمرًا هينًا، وجزء من ميثاق الشرف الذي أقسمت سيترا على الالتزام به. والآن كل تلك الوعود نُكثت.

«كيف أمكنك فعل هذا؟! وبأي حق؟».

عندئذٍ رفع المنجل قسطنطين صوته، لم يصرخ، لكن صوته خرج قويًّا حازمًا طغى على امتعاض سيترا. «إنك ثمينة لهيئة المناجل، ولا يمكننا المخاطرة بخسارتك!».

كانت قد فوجئت بكلامه الأول، لكن هذا الإقرار وقع عليها كلطمة. «ماذا؟».

عقد المنجل قسطنطين ذراعيه وابتسم، مستمتعًا باللحظة، وقال: «أوه، أجل يا عزيزتي المنجل أناستازيا، إنك قيِّمة. أتريدين معرفة السبب؟». ثم مال مقتربًا منها وتكلم بما يشبه الهمس. «لأنكِ تحرِّكين الثوابت!».

- ما الذي يُفترض أن يعنيه هذا؟

«أرجوك، لا بد أنك تعرفين تأثيرك في هيئة المناجل منذ تنصيبك، إنك تثيرين حفيظة مناجل الحرس القديم وتخيفين مناجل التوجه الجديد، وترغمين المناجل المنعزلين المتعجرفين على الانتباه». اتكأ على كرسيه ثم أردف: «لا شيء يسرني أكثر من رؤية زعزعة رضا أعضاء هيئة المناجل عن أنفسهم. إنك تمنحينني الأمل في المستقبل».

عجزت سيترا عن الجزم بما إذا كان قسطنطين يتكلم صادقًا أم متهكمًا، وتعجبت من أن احتمال فكرة كونه صادقًا أشد إزعاجًا لها. كانت ماري قد قالت لها إن المنجل قسطنطين ليس العدو، لكن لكم تمنت سيترا أن يكون العدو! أرادت أن تنفجر في وجهه حانقةً على سيطرته على الموقف، لكنها كانت تعرف أن انفجارها سيكون عقيمًا. إذا أرادت أن تحتفظ بشيء من كرامتها، فعليها استعادة رباطة جأش المنجل أناستازيا وحكمتها. وبعدما هدَّأت انفعالاتها خطرت لها فكرة. «إذن أنت قطفت كل الذين وقع عليهم اختياري خلال الشهر الماضي؟».

قال المنجل قسطنطين ممتعضًا قليلًا من سؤاله مرة أخرى: «نعم، قلت لك هذا سلفًا».

- أعرف ما قلته لي... لكنني أجد صعوبة في تصديق أنك تمكنت من قطفهم جميعهم. لا بد من وجود واحد أو اثنين لم تصل إليهما بعد. هل ستُقِر إذا كان كلامي صحيحًا؟

نظر قسطنطين إليها مرتابًا. «ما الذي ترمين إليه؟».

- فرصة...

أطرق هنيهة. ونقَّلت المنجل كوري بصرها بينهما. ثم تكلم قسطنطين أخيرًا: «يوجد ثلاثة لم نعرف أماكنهم بعد، ونعتزم قطفهم حالما نعثر عليهم».

قالت سيترا: «لكن ينبغي ألَّا تقطفهم، اسمح لي بقطفهم، كما كان مخططًا... وعندئذٍ تنصب فخًا لمن يحاول قتلي».

- المرجح هو أن ماري هي هدفهم، ليس أنت.

- إذن إذا لم يهاجمني أحد، فستعرف على وجه التأكيد.

لم يقتنع قسطنطين، وقال: «سيكتشفون الفخ».

ابتسمت سيترا. «إذن عليك أن تكون أذكى منهم، أم أن هذا يفوق طاقتك؟».

عبس قسطنطين، فضحكت المنجل كوري من عبوسه قائلة: «تعابير وجهك الآن يا قسطنطين، إنها تستحق عناء محاولة قتلنا!».

لم يرد عليها، وأبقى تركيزه على سيترا قائلًا: «حتى إذا تغلبنا عليهم في الدهاء -وسنتغلب عليهم- ففي الأمر مخاطرة».

ابتسمت سيترا. «ما فائدة العيش إلى الأبد إذا لم يكن المرء قادرًا على تحمل بعض المخاطر؟».

وفي النهاية، وافق قسطنطين، على مضض، على السماح لسيترا بأن تكون طُعمًا لفخ.

قالت المنجل كوري: «أظن أن بوسع إنديورا الانتظار، رغم أنني متشوقة لزيارتها». لكن خُيِّل إلى سيترا أن المنجل كوري أكثر تحمُّسًا لخطتهم الجديدة.

رغم أنها ستتعرض للخطر، وجدت سيترا أن سيطرتهم على الوضع إلى حدٍّ ما تمُدُّها بشيء من الراحة. حتى الرأس السحابي لاحظ تبدد توترها، لم يكن بوسعه قراءة أفكار سيترا، لكنه قادر على قراءة لغة أي جسد وتغيراته البيولوجية قراءة دقيقة، ورصد كل ما يبدر من أكاذيب وحقائق، مضمرة ومُفصَح عنها، مما يعني أنه عرف ما إذا كان المنجل قسطنطين صادقًا حيال رغبته في بقاء سيترا على قيد الحياة أم لا، لكن كما هو الحال دومًا، عليه التزام الصمت إزاء كل ما يتعلق بهيئة المناجل.



لا بُدَّ لي من الإقرار بأنَّني لستُ القائم الوحيد على نظام العالم واستدامته، إذ تساهم هيئة المناجل أيضًا بالقطف.

لكن المناجل لا يقطفون سوى نسبة ضئيلة من عدد السُّكان، عمل المناجل لا يَحِدُّ من النُّمو السُّكاني، إنما يشذِّب أطرافه، ولهذا، تبعًا للحصص الحاليَّة، فإنَّ احتمال تعرُّض المرء للقطف لا يتجاوز 10 في المئة خلال ألف عام، وهذه نسبة منخفضة بما يكفي لإبعاد القطف من أذهان معظم النَّاس.

بيد أنَّني أتوقَّع حلول وقتٍ ما في المستقبل يجب فيه أن نصل إلى مرحلة التَّوازن، يتوقَّف فيها النُّمو السُّكاني توقُّفًا تامًّا، أيْ يُولدُ شخصٌ واحد مقابل موت فرد.

العام الذي سوف يحدث فيه هذا لا أخبر به عامّة النَّاس، لكنه ليس بعيدًا جدًّا. ورغمًا عن تزايد حصص القطف تزايدًا مُطَّردًا، سوف يبلغ البشر الحدَّ الأقصى لعدد السُّكان خلال أقل من قرن.

لا أرى حاجة إلى إزعاج البشر بهذه الحقيقة، إذ ما من جدوى، أنا وحدي أتحمَّل عبء هذا المستقبل الحتمي، وهو عبء العالم، حرفيًّا، ولا يسعني سوى أن آمل أن يكون لديَّ كتفا أطلس حتى أتمكَّن من حمله.

- الرَّأس السَّحابي

17

أندية مُريعين

في حين كانت سيترا كثيرًا ما تجد صعوبة في تقمُّص شخصية المنجل أناستازيا، لم يجد غرَيْسن توليفر أي صعوبة في تقمُّص شخصية «شَكِس»، وهو لقب المستهجَنين الذي اتخذه لنفسه. ذات يوم أخبره والداه بأن الاسم غريسن أُطلق عليه جزافًا لأن اليوم الذي وُلد فيه كان غائمًا رماديًّا، أي إن اسمه لا معنى له سوى لا مبالاة والديه إزاء كل شيء في حياتهما الخاوية.

لكن شَكِس شخص يُحسَب له حساب.

بعد يوم من اجتماعه بتراكسلر، صبغ شعره بلون اسمه «خواء أوبسايدن»، أسود حالك لا مثيل له في الطبيعة، يمتص كل ما حوله من ضوء كأنه ثقب أسود، فجعل عينَي غريسن تبدوان غائرتين في ظل معتم.

قال مصفف الشعر له: «إنه يليق بالقرن الحادي والعشرين، ولا أدري ما يعنيه هذا».

كما أدخل غريسن كتلتين معدنيتين تحت جلد صدغيه جعلتاه يبدو كأنه لديه قرنان نابِتان، لم يكونا بارزين كالشعر، لكن هذه التغييرات معًا جعلته يبدو كائنًا شيطانيًّا غريبًا.

بدا كالمستهجَنين بلا شك، وإن لم يشعر بأنه منهم فعلًا.

وكانت خطوته التالية هي تجريب شخصيته الجديدة.

خفق قلبه وهو يقترب من **مولت**، النادي المحلي الذي يساير أسلوب حياة المستهجَنين، ورأى المستهجَنين الذين يتسكعون خارج النادي يحدجونه بنظراتهم، ويقيِّمونه، بدوا له نسخًا كاريكاتورية من أنفسهم، كانوا متوافقين بشدة مع ثقافتهم القائمة على عدم التوافق إلى درجة أنهم بدوا متجانسين، مناقضين لفكرتهم الرئيسية.

اقترب غريسن من حارس مفتول العضلات عند الباب، شارة اسمه مكتوب عليها **مانج**.

قال مانج بصرامة: «لا يُسمَح بدخول أحد سوى المستهجَنين».

- ماذا؟ ألا أبدو لك مستهجَنًا؟

هز مانج كتفيه. «المُدَّعون يأتون دومًا».

أظهر غريسن له بطاقة هويته، التي تومض بالحرف م بلون أحمر، فاقتنع الحارس وقال له ببرود: «استمتع»، وسمح له بالدخول.

توقع غريسن أنه سيدخل إلى مكان تسوده موسيقى صاخبة وأضواء براقة وأجساد دوَّارة، وفيه أركان مظلمة تجري فيها جميع ضروب الأفعال المشبوهة، لكن ما وجده داخل **مولت** لم يكن ما توقعه، حتى إنه فوجئ فتسمَّر في مكانه، كأنه دخل عبر الباب الخطأ.

وجد نفسه في مطعم ذي إضاءة باهرة، جزء منه أكشاك تقدم المشروبات الغازية، وبالقرب منها طاولات طويلة أمامها مقاعد فولاذية لامعة، ورأى شبانًا أنيقين يرتدون سترات عليها كتابة بأحرف كبيرة، وفتيات جميلات يرتدين تنانير طويلة وجوارب سميكة مكسوة بالزغب. عرف غريسن الحقبة التي يقصد المكان تصويرها، حقبة اسمها «الخمسينيات»، من حقب عصر الفانين، عندما كانت جميع الفتيات يُسمَّين بأسماء على شاكلة بيتي، وبيغي، وماري جين، وجميع الرجال يسمَّون بيلي، أو جوني، أو أيس. ذات يوم قال أستاذ لغريسن إن الخمسينيات كانت حقبة زمنية لا تتجاوز عشرة أعوام، لكن غريسن استصعب تصديق المعلومة، ورجح أن الحقبة امتدت مئة عام على الأقل.

بدا المكان صورة دقيقة للحقبة، لكن ثمة شيئًا غير منسجم فيه، ففي أنحائه مستهجَنون بدوا غريبين على المشهد، اقتحم أحد المستهجَنين الذين يرتدون ملابس جُعلت رثة عمدًا خصوصية شاب وفتاة يبدوان سعيدين.

قال المستهجَن للشاب الذي ينطبق عليه وصف بيلي التقليدي: «اغرب عن وجهي، أريد التعرف على فتاتك».

وبالطبع رفض بيلي المغادرة، وهدد المستهجَن بالضرب المبرح. فأمسك المستهجَن بالشاب وسحبه بعيدًا من الطاولة وبدأ شجارًا. كان الشاب متفوقًا على المستهجَن الهزيل من كل النواحي، الحجم، والقوة، علاوة على المظهر الحسن، لكنه ظل يخطئ كلما سدد لكمة نحو المستهجَن، وسدد المستهجَن ضرباته بنجاح دومًا، وفي النهاية ركض الشاب مبتعدًا، وهو يتأوه متألمًا، متخليًا عن خليلته، التي بدت معجبة بجسارة المستهجَن، فجلس معها، ومالت نحوه كأنهما مرتبطان منذ مدة.

وعند طاولة أخرى، بدأت فتاة مستهجَنة مشادة مع فتاة ترتدي سترة زهرية، وانتهت المواجهة بأن أمسكت المستهجَنة بسترة الفتاة ومزقتها، ولم تقاوم الفتاة، ودفنت وجهها في يديها وراحت تنشج.

وعلى مبعدة كان يوجد بيلي آخر ينتحب لأنه خسر جميع أموال والده في رهان بلياردو أمام مستهجَن لا يرحم ولا يريد التوقف عن إهانته.

ما الذي يجري هنا بحق الجحيم؟

جلس غريسن عند الطاولة الطويلة، متمنيًا لو أمكنه التلاشي في ثقب شعره الأسود إلى أن يستوعب المشاهد الدرامية العديدة التي تجري حوله.

«ما هي مُتعتك؟». سألته نادلة مرحة تقف خلف الطاولة، مطرَّز على زيها الاسم «بابز».

قال: «مخفوق الفانيليا، من فضلك». أليس هذا هو المشروب الذي يُطلب في مثل هذه الأماكن؟

ابتسمت النادلة ابتسامة ساخرة. «من *فضلك*؟ لا نسمع مثل هذه العبارات اللطيفة هنا كثيرًا».

جلبت بابز المخفوق، ووضعت فيه ماصَّة، وقالت: «استمتع».

ورغمًا عن رغبة غريسن في التلاشي، جلس جواره مستهجَن آخر، شاب مهزول يبدو كهيكل عظمي. قال: «فانيليا؟ حقًا؟».

نبش غريسن عقله بحثًا عن السلوك المناسب، وقال: «ألديك مشكلة مع الفانيليا؟ ربما يجدر بي أن أقذفها عليك وأطلب كوبًا آخر».

قال الهيكل العظمي: «لا، ليس أنا من يُفترَض أن تقذفها عليه».

غمز الشاب لغريسن، وعندئذٍ استوعب غريسن الأمر، اتضحت له طبيعة هذا المكان والغاية منه. راح الهيكل العظمي يشاهد غريسن حتى يرى ما سيفعله، وأدرك غريسن أنه إذا أراد أن ينسجم مع حياته الجديدة -انسجامًا حقيقيًا- فعليه أن يسيطر على هذا الموقف، لذا استدعى بابز. «اسمعي، هذا المخفوق مقرف».

وضعت بابز يديها على وركيها قائلة: «وماذا تريد مني إذن؟».

مد غريسن يده إلى مخفوقه، أراد أن يدلقه على الطاولة فحسب، لكن قبل أن يفعل، حمل الهيكل العظمي الكوب وقذف محتوياته على بابز، فصارت تتقطر بكريمة الفانيليا وكرز مارشينو عالق في جيب زيها.

قال الهيكل العظمي: «قال إن هذا المخفوق مقرف، اجلبي له كوبًا آخر!».

تنهدت بابز والفانيليا تسيل على زيها، وقالت: «على الفور». وذهبت لتعد مخفوقًا جديدًا.

قال المستهجَن: «هكذا تجري الأمور». وعرَّف بنفسه، زاكس. كان يكبر غريسن ببضعة أعوام، في الحادية والعشرين تقريبًا، لكن ثمة شيئًا فيه أوحى بأن هذه المرة ليست الأولى له في هذه السن.

قال: «لم أرَك هنا من قبل».

أجابه غريسن: «واجهة السلطة أرسلتني إلى هنا من الشمال». ودُهش من قدرته على ارتجال قصة ملفَّقة. «كنت أسبب الكثير من المتاعب، لذا رأى الرأس السحابي أنني أحتاج إلى بداية جديدة».

قال زاكس: «مكان جديد لخلق المتاعب، جميل».

- هذا النادي مختلف عن أندية المكان الذي جئتُ منه.

- إنكم متخلِّفون في الشمال! أندية «مريعين» هي الموضة الرائجة هنا!

أوضح زاكس أن مريعين اختصار لـ «مُلتقى رغبات ويوميات عصر الفانين». جميع الموجودين في النادي -عدا المستهجَنين بالطبع- موظفون، حتى كل من يحملون أسماء بيلي وبيتي، يتمثل عملهم في تلقي كل ما يبدر عن الزبائن المستهجَنين، يخسرون الشجارات، ويسمحون بأن تُقذف الأطعمة عليهم، وأن تُسرق رفيقاتهم. افترض غريسن أن هذا مستوى المبتدئين.

قال زاكس له: «هذه الأماكن رائعة. كل ما نتمنى فعله بالخارج لكن لا يمكننا الإفلات من عواقبه يُسمح لنا بفعله هنا!».

نبَّهه غريسن: «أجل، لكنه ليس حقيقيًّا».

هز زاكس كتفيه، وقال: «إنه حقيقي بما يكفي». ثم مد قدمه وعرقل فتى مارًّا يبدو غريب الأطوار، فتعثر الفتى على نحو مصطنَع.

قال الفتى: «مهلًا! ماذا تريد؟!».

قال زاكس: «أريد أختك. اغرب عن وجهي قبل أن أذهب للبحث عنها».

ألقى الفتى عليه نظرة ناقمة، لكنه سار مبتعدًا، مذعنًا للتهديد.

قبل أن يُجلب مخفوق غريسن الجديد، استأذن غريسن للذهاب إلى دورة المياه، رغم عدم حاجته إلى الذهاب. أراد أن يبتعد عن زاكس فحسب.

وفي دورة المياه، صادف غريسن بيلي الذي يرتدي السترة ذات الكتابة بالأحرف الكبيرة، الذي تعرض لضرب مبرح قبل بضع دقائق. لكن اسمه لم يكن بيلي، إنما ديفي، كان ينظر إلى عينه المتورمة في المرآة، ولم يسع غريسن كبح فضوله عن «وظيفته» الغريبة هذه.

سأله غريسن: «إذن... أيحدث هذا لك كل يوم؟».

- ثلاث أو أربع مرات.

- والرأس السحابي يسمح بهذا؟

هز ديفي كتفيه. «ولماذا قد يمانع؟ لا أحد يتأذى».

أشار غريسن إلى عين ديفي المتورمة. «يبدو لي أنك تأذيت بلا شك».

قال ديفي: «ماذا؟ هذه؟ كلا، وحداتي المجهرية المهدئة للألم تعمل بطاقتها القصوى، لا أكاد أشعر بأي ألم». ثم ابتسم ابتسامة واسعة. «مهلًا، شاهد هذا». استدار إلى المرآة، وأخذ نفسًا عميقًا، وركَّز على انعكاسه. وأمام عيني غريسن، تبدد التورم حول العين وعادت إلى شكلها الطبيعي. قال لغريسن: «وحداتي المجهرية الخاصة بالشفاء مضبوطة بحيث تعمل بإرادتي، وهكذا أستطيع أن أبدو كأنني تعرضت لضرب مبرح متى ما أردت، من أجل خلق أفضل تأثير، كما تعرف».

- آه... صحيح.

- وبالطبع إذا تمادى أحد زبائننا المستهجَنين وتسبب في شِمَوت أحدنا، فسيُرغم على دفع تكاليف إنعاشنا، ويُمنع من دخول النادي. لا بد من وضع بعض القوانين، صحيح؟ لكن هذه الحوادث لا تحدث كثيرًا، أعني أن حتى أسوأ المستهجَنين لا يريد التسبب في شِمَوت أحد. لا يوجد أحد يتسم بهذه الدرجة من العنف منذ انتهاء عصر الفانين. معظم الموظفين هنا يشموتون إثر تعرضهم لحوادث، كأن يرتطم رأس أحدهم بطاولة أو شيء من هذا القبيل.

مرر ديفي أصابعه خلال شعره ليحرص على أنه يبدو بأفضل هيئة، استعدادًا للجولة التالية مما سيأتي، أيًّا يكن.

سأله غريسن: «ألا تفضِّل أن تعمل في وظيفة تحبها؟».

ففي هذا العالم لا أحد مضطر إلى فعل ما لا يريده.

ابتسم ديفي ابتسامة ساخرة. «من قال إنني لا أحبها؟».

فكرة أن يستمتع شخص بالتعرض للضرب، ومعرفة الرأس السحابي بهذا وإيجاده لطريقة لجمع الضاربين والمضروبين في بيئة مغلقة ومتكاملة إلى حدٍّ ما – ألجمت غريسن من الدهشة.

لا بد أن ديفي قرأ تعابير الدهشة المرتسمة على وجه غريسن، فضحك قائلًا: «إنك م جديد، صحيح؟».

- واضح عليَّ، هه؟

- نعم. وهذا ليس أمرًا جيدًا، لأن المستهجَنين المخضرمين سيلتهمونك حيًّا. ألديك اسم؟

- شَكِس.

- حسنًا يا شَكِس، يبدو لي أنك تحتاج إلى دخول مجتمع المستهجَنين دخولًا مدويًا، سأساعدك.

وبعد بضع دقائق، حالما تمكن غريسن من التخلص من زاكس، اقترب شَكِس من ديفي، الذي كان عندئذٍ جالسًا مع اثنين يبدوان شديدَي البأس، يأكلون شطائر بيرغر. لم يعرف غريسن كيفية بدء ما يوشك على فعله، واكتفى بالتحديق للحظة، فأخذ ديفي زمام المبادرة.

زمجر ديفي: «إلامَ تنظر؟».

قال غريسن: «شطائركم، تبدو شهية. أظنني سآخذ شطيرتك». وأخذ شطيرة ديفي وقضم منها قضمة كبيرة.

هدده ديفي: «ستندم على هذا، سأوسعك ضربًا». ونهض عن الطاولة ورفع قبضتيه، متأهبًا للشجار.

وعندئذٍ فعل غريسن ما لم يفعله في حياته، ضرب شخصًا، لكم ديفي على وجهه، فترنح ديفي، وسدد لكمة نحو غريسن، لكنه أخطأ، وكال غريسن له لكمة ثانية.

همس ديفي: «أشد»، فامتثل غريسن، انهال على ديفي بوابل من اللكمات العنيفة، حتى سقط ديفي على الأرض وهو يئن، وبدأ وجهه يتورم.

نظر غريسن إلى ما حوله فرأى عدة مستهجَنين يشاهدون، وبعضهم يومئ مستحسِنًا.

استجمع غريسن كل قواه الداخلية حتى لا يعتذر لديفي ويساعده على النهوض، ونظر إلى الآخرين الجالسين عند الطاولة وسألهم: «من التالي؟».

نظر الاثنان إلى بعضهما، وقال أحدهما: «مهلًا يا صاح، لا نريد أي متاعب». ودفعا شطيرتيهما نحو غريسن.

غمز ديفي له من الأرض غمزة خاطفة ونهض مترنحًا إلى دورة المياه ليتعافى. ثم حمل غريسن غنائمه إلى طاولة بالخلف، وراح يأكل حتى أحس بأن معدته ستنفجر.

ثمَّة خيطٌ رفيع بين الحريَّة والاستباحة، الحريَّة ضروريَّة، والاستباحة خطيرة، وربما تكون أخطر ما تواجهه الكائنات التي خلقتني.

تأمَّلت التَّسجيلات التي تعود إلى عصر الفانين وحدَّدتُ منذ أمد بعيد وَجهَي هذه العملة، تتيح الحريَّة الازدهار والتنوير، وتُفضي الاستباحة إلى تفشِّي الشُّرور.

أي ديكتاتور متغطرس يبيح لرعاياه أن يلقوا لوم شرور العالم على أضعف النَّاس قُدرةً على الدِّفاع عن أنفسهم. وأي مِلكة مزهوَّة بنفسها تبيح ارتكاب المجازر باسم الرَّب. أي رئيس دولة يبيح جميع ضروب الكراهية ما دامت تحقِّق طموحاته. والحقيقة المؤسفة هي أنَّ الناس يستمرئون الاستباحة، يلتهم المجتمع نفسه، ويفسد. الاستباحة هي جثَّة الحريَّة منتفخة.

ولهذا السبب، عندما يُطلب منِّي السَّماح باتِّخاذ إجراءٍ ما، أُجري عددًا لا يُحصى من تجارب المحاكاة من أجل تمحيص جميع العواقب المحتمَلة. على سبيل المثال، سماحي للمستهجَنين بفتح أندية «مريعين»، لم يكن قرارًا اتَّخذتُه بسهولة، بعد تفكير متأنٍّ رأيت أنَّ الأندية ليست مفيدة فحسب، بل ضروريَّة. تتيح أندية «مريعين» للمستهجَنين الاستمتاع بأسلوب حيواتهم التي اختاروها، دون تأثير سلبي على عامَّة النَّاس، وتتيح لهم التَّظاهر بالعنف، دون عواقب.

تكمُن المفارقة في أنَّ المستهجَنين يزعمون أنَّهم يكرهونني، رغم أنَّهم يعرفون أنَّني أمنحهم كل ما يشتهون. لا أُضمِر نحوهم أي كراهية، ولا يتعدَّى شعوري حيالهم ضِيق والدٍ من نوبة غضب طفله الذي يشعر بالملل. كما إنَّ أشد المستهجَنين عصيانًا وتمرُّدًا

يتعقَّلون في نهاية المطاف. لاحظت لدى المستهجَنين، عندما يستعيد معظمهم شبابهم بضع مرات، أنهم يسترخون ويصبح عصيانهم أخف وألطف، ويميلون لتفضيل السَّلام الداخلي شيئًا فشيئًا، وهذا هو المسار الطبيعي لكل شيء، بمرور الوقت تهدأ جميع العواصف وتغدو نسيمًا عليلًا.

- الرَّأس السَّحابي



18

نبْل البراعة

كان غريسن توليفر يتحرَّى الصدق في كل ما يقوله، لكن شَكِس سرعان ما صار كذابًا أَشِر. بدأ أكاذيبه من تاريخه، اختلق حياة أسرية قاسية من نسج خياله، أبرز منها وقائع لم تحدث قط، وحكايات تُضحِك الناس وتدفعهم لكراهيته أو الإعجاب به.

والدا شَكِس أستاذا فيزياء يتوقعان من ابنهما أن يحذو حذوهما في المجال الأكاديمي، إذ لا بد أن يكون عبقريًّا إذا كان والداه كما وصفهما، لكنه اختار التمرد والخروج عن طاعتهما. ذات مرة سار فوق شلالات نياجرا عبر أنبوب داخلي لأن إثارة الشلال أشد من التفلطح، واستغرقت استعادة جثته وإنعاشه ثلاثة أيام.

كانت مغامراته في المدرسة الثانوية أسطورية، أغوى كلًّا من ملكة وملك حفل العودة إلى المدرسة لا لشيء سوى التفريق بينهما، لأنهما كانا الأشد عجرفة ونرجسية في المدرسة.

قال تراكسلر له في الاجتماع التالي بإعجاب حقيقي: «مذهل. لم يخطر لي أنك تملك خيالًا خصبًا كهذا».

ربما كان غريسن توليفر ليشعر بالإهانة من هذا الكلام، لكن شَكِس تقبله بوصفه إطراءً. وبما أن شَكِس شخص مثير للاهتمام على نحو لافت، فكر في الاحتفاظ بالاسم حتى بعد انتهاء هذه العملية السرية.

ويفضل تراكسلر، أصبحت جميع قصصه جزءًا من سجل شَكِس الرسمي، والآن إذا حاول أي أحد التحقق من صحة الأكاذيب التي نسجها، فسيجدها في سجله، ولن ينجح في كشف زيفها مهما ينقِّب.

وازدادت القصص المُلفَّقة جموحًا...

ظل يقول للناس: «عندما قُطفت أمي، قررت اعتناق نهج المستهجَنين اعتناقًا كاملًا، لكن الرأس السحابي رفض وَسمي بالـ م، وظل يرسلني لجلسات العلاج النفسي، ويضبط وحداتي المجهرية. ظن أنه يعرفني معرفة تفوق معرفتي بنفسي، وظل يقول لي إنني لا أريد أن أصبح مستهجَنًا، وإنني مضطرب فحسب. وفي النهاية تعيَّن عليَّ ارتكاب حماقة كبرى لأثبت وجهة نظري، فسرقت سيارة غير متصلة بالشبكة واستخدمتها للارتطام بحافلة وإسقاطها من جسر، فتسبَّبتُ في شِموت تسعة وعشرين شخصًا. وبالطبع سأظل أدفع تكاليف إنعاشهم لسنوات، لكن الحادثة كانت تستحق العناء، لأنني نلت مبتغاي! والآن يمكنني أن أظل مستهجَنًا حتى أكمل دفع تكاليف عمليات الإنعاش».

كانت قصة مشوقة تثير إعجاب مستمعيه دومًا، وما من أحد كان قادرًا على دحضها، لأن العميل تراكسلر سارع بإدخالها في السجل الرسمي لحياة شَكِس، حتى إن تراكسلر اختلق تاريخًا كاملًا لقصة سقوط الحافلة من الجِسر وضحاياها الوهميين، ثم منح شَكِس اسمًا أخيرًا ملائمًا: شَكِس جَسَّار. وفي عالمٍ لا أحد فيه، حتى المستهجَنون، يتسبب في شِموت الناس عمدًا، انتشرت قصصه سريعًا وصارت أسطورة محلية.

أصبح يمضي أيامه متسكعًا في أماكن تجمُّع المستهجَنين، يشيع قصصه، ويلتمس مساعدة رفاقه في البحث عن وظيفة، ليست وظيفة عادية، إنما وظيفة تتيح له تلطيخ يديه.

بدأ يعتاد النظرات الارتيابية من كل من يمر جواره، صار أصحاب المتاجر يرمقونه بنظرات متشككة كأنه يهم بالسرقة، وصار بعض الناس يفضلون العبور إلى الجانب الآخر من الشارع بدلًا من السير معه على الرصيف نفسه. استغرب حقيقة أن العالم خالٍ من التمييز والتحيز إلَّا في التعامل مع المستهجَنين، الذين يرغبون في أن تكون البشرية جمعاء عدوًّا لهم.

لم يكن **مولت** نادي المريعين الوحيد في المدينة، فالأندية كثيرة، كل منها يجسِّد حقبة زمنية مميزة. نادي تويست مصمم ليصور الحياة في بريطانيا

المذكورة في أعمال الروائي ديكنز، ونادي بينيدكتس يحمل طابع أمريكا في حقبة الاستعمار، ونادي مورغ يعج بكل ما يشتهيه الفايكينغ الذين ينتمون إلى أوروسكانديا. تردد غريسن على جميع الأندية، وصار خبيرًا في افتعال الشجارات بما يكفي ليصبح معروفًا وينال احترام جماعات المستهجَنين.

كان الأمر الأشد مدعاة للقلق هو أن غريسن بدأ يحب حياته الجديدة. لم يسبق له أن أُبيح له فعل شيء خاطئ، لكن الآن، أصبح كل ما هو «خاطئ» محور حياته، وهذا التغيُّر أقض مضجعه، وتاق للحديث مع الرأس السحابي في هذا الشأن، لكن غريسن كان يعرف أنه لن يرد عليه، لكنه كان يعرف أن الرأس السحابي يشاهده، عبر كاميراته الموجودة في جميع الأندية، ولطالما كان حضور الرأس السحابي الدائم مصدر راحة لغريسن، الذي كان يعرف، حتى في أشد لحظات وحدته، أنه ليس وحده تمامًا. لكن الآن صار حضور الرأس السحابي الصامت مصدر قلق.

هل يشعر الرأس السحابي بالخزي منه؟

صار غريسن يختلق حوارات في ذهنه ليبدد مثل هذه المخاوف، متخيلًا الرأس السحابي يقول له: *بمباركتي استكشف هذا الجانب الجديد من نفسك، لا بأس ما دمت تتذكر جوهرك وذاتك الحقيقية.*

يتساءل غريسن: *لكن ماذا لو أن هذه هي ذاتي الحقيقية؟*

حتى الرأس السحابي المُتخيَّل لم يملك جوابًا عن هذا السؤال.

***

كان اسمها بيورِتي فيِفروس، مستهجَنة حتى النخاع، وكان واضحًا لغريسن أنها تستحق الحرف م الأحمر الكبير أسفل بطاقة هويتها عن جدارة وليس بسبب ظروف عرَضية مؤسفة. كانت الفتاة غريبة المظهر، شعرها مجرد من كل لون، خصلاته شفافة، وفروة رأسها محقونة بأشياء ذات وميض فسفوري متعدد الألوان، تجعل نهاية كل خصلة تتألق بإشعاع يشبه شعيرات الألياف الضوئية.

أدرك غريسن غريزيًا أنها خطرة، كما رآها جميلة، وأحس بانجذاب إليها، وتساءل عما إذا كان لينجذب إليها في حياته القديمة. لكن بعد بضعة أسابيع من الانغماس في أسلوب حياة المستهجَنين، خُيِّل إليه أن معايير انجذابه قد تغيرت.

التقاها في نادي مُربعين، يقع في منطقة من المدينة لم يذهب إليها من قبل، كان اسمه زَج، مصمم بحيث يشبه منشأة اعتقال تعود إلى عصر الفانين. عند وصول أيٍّ من مرتادي النادي، يعاملهم الحراس معاملة خشنة، ويجرُّونهم عبر عدد من الأبواب، ثم يزجُّون بهم في زنزانة مع نزيل آخر يقع الاختيار عليه عشوائيًّا، بصرف النظر عن جنس النزيل.

كانت فكرة الحبس غريبة على غريسن، إلى درجة أنه ضحك عندما أُغلِق باب الزنزانة بعنف تردد صداه في الزنزانة الخرسانية. لا يمكن أن تكون هذه المعاملة حقيقية، كانت مبالغة بالطبع.

«أخيرًا!»، سمع غريسن صوتًا من السرير العلوي في الزنزانة الصغيرة. «ظننت أنهم لن يجلبوا لي رفيقًا أبدًا».

عرَّفت الفتاة بنفسها، وأوضحت أن «بيورِتي»، أيْ براءة، ليس لقبًا، بل اسمها الحقيقي. قالت لغريسن: «إذا لم يكن والداي يريدانني أن أتقبَّل هذه المفارقة الواضحة، كان ينبغي لهما أن يسمِّياني باسم آخر. إذا كانا قد سمياني «بروفانِتي»، أي بذاءة، لربما أصبحتُ فتاة صغيرة مؤدَّبة».

كانت صغيرة البِنية، لكنها ليست فتاة صغيرة. في الثانية والعشرين من عمرها، لكن غريسن راودته شكوك في أنها ربما استعادت شبابها مرة أو مرتين. وعما قريب سيكتشف غريسن أنها قوية وتتحلى بذكاء الشوارع.

جال غريسن بناظريه في الزنزانة، فبدت له بسيطة، وحاول فتح الباب مرة، ثم مرة أخرى، لكنه لم يتزحزح.

سألته بيورتي: «أول مرة تأتي إلى زج؟».

وبما أن الأمر كان واضحًا للغاية، لم يكذب غريسن: «نعم. ما الذي يفترَض أن نفعله الآن؟».

قالت بابتسامة خبيثة: «حسنًا، يمكننا أن نمضي بعض الوقت في التعرف على بعضنا، أو يمكننا أن نصرخ حتى يأتي أحد الحراس ونطالب بوجبة أخيرة. عليهم أن يجلبوا لنا ما نطلبه، مهما يكن».

- حقًّا؟

- نعم. يتظاهرون بأنهم لن يستجيبوا لمطالبنا، لكنهم مجبَرون، فهذا هو عملهم. وفي نهاية المطاف هذا المكان مطعم على هيئة نادي.

عندئذٍ خمن غريسن الحيلة والغاية الحقيقية التي أوجد المكان من أجلها: «يُفترض أن نهرب، أليس كذلك؟».

ابتسمت بيورتي له الابتسامة الخبيثة الفاجرة نفسها. «يا لعبقريتك!».

لم يدرِ غريسن ما إذا كانت صادقة أم تمزح فحسب، وعلى أي حال أعجبه الإطراء.

قالت له: «دائمًا ما توجد طريقة للهروب، لكن علينا اكتشافها، أحيانًا تكون ممرًّا سريًّا، وأحيانًا يُدس مِبرَد في الطعام. وأحيانًا لا نجد حيلة أو أداة سوى ذكائنا. إذا فشلت كل السبُل فالحراس يسهُل استغفالهم، وظيفتهم أن يكونوا مغفلين».

تناهت إلى مسامع غريسن صرخات وأصوات وقع أقدام متراكضة في مكانٍ ما من جناح الزنازين. نجح نزيلان في الفرار للتو.

سألت بيورتي: «ماذا أنت فاعل إذن؟ العشاء، أم الهروب، أم ستقضي وقتًا ممتعًا مع رفيقتك في الزنزانة؟». وقبل أن يتمكن غريسن من الإجابة، طبعت عليه قُبلة، قبلة لم يحظ بمثلها في حياته قط. وعندما انتهت لم يعرف ما عساه أن يقوله سوى: «اسمي شَكِس».

فأجابته: «لا أكترث». وقبَّلته مرة أخرى.

وبينما بدت بيورتي مستعدة للتمادي إلى أقصى حد، أحس غريسن بالحرج إثر مرور الحراس والنزلاء الهاربين واختلاسهم النظرات وإطلاقهم الصيحات المرحة، وابتعد عنها قائلًا: «فلنهرب، و... آ... ونجد مكانًا أفضل لنتعرف على بعضنا».

أنهت العبث بالسرعة نفسها التي بدأته بها، وقالت: «حسنًا، لكن لا تفترض أنني سأكون مهتمة لاحقًا». ثم نادت أحد الحراس، مصِرَّةً على تناول الطعام أولًا، وطلبت طبقَي لحم أضلاع.

قال الحارس لهما: «ليس لدينا لحم أضلاع».

أمرته: «اجلبه بأي طريقة».

تأفف الحارس، وسار مبتعدًا، ثم عاد بعد خمس دقائق دافعًا أمامه منضدة ذات عجلات عليها طبق فيه لحم أضلاع يكفي لاختناق حصان، ومعه عدد كبير من الأطباق الجانبية ونبيذ في قارورة بلاستيكية ذات غطاء حلزوني.

حذرهما الحارس: «لا أنصحكما بشرب النبيذ، فقد سبب غثيانًا شديدًا للنزلاء الآخرين».

قال غريسن: «غثيان؟ ماذا تعني بغثيان؟».

ركلته بيورتي تحت الطاولة بقوة نشَّطت وحداته المجهرية المهدئة للألم، فصمت.

قالت بيورتي للحارس: «شكرًا، والآن اذهب إلى الجحيم».

زمجر الحارس وغادر، وأوصد الباب عليهما مرة أخرى.

وعندئذٍ التفتت بيورتي نحو غريسن قائلة: «لا بد أنك غبي غاية الغباء، كلام الحارس عن النبيذ كان تلميحًا لنا!».

نظر غريسن إلى القارورة من كثب، فرأى عليها علامة التحذير من الخطر البيولوجي، وافترض أنها وُضِعت للنزلاء الأغبى منه.

فتحت بيورتي الغطاء، وعلى الفور امتلأ هواء الزنزانة برائحة حارقة جعلت عينَي غريسن تدمعان.

قالت بيورتي: «ماذا قلت لك؟! سنعرف ما علينا فعله بالقارورة بعدما نأكل، إنني أتضور جوعًا». ثم أغلقت القارورة وتركتها.

وفي أثناء تناولهما الطعام، راحت بيورتي تتكلم بفم مليء بالطعام، وتمسح شفتيها بكُم قميصها، وتريق الكاتشب على كل شيء، كانت رفيقة الموعد الكابوسية التي كان والداه ليحذِّراه منها، إذا كانا يكترثان. وقد أحب غريسن طباعها! إذ تجسِّد نقيض حياته القديمة!

سألت: «ماذا يجري في حياتك؟ أقصد عندما لا تكون مشغولًا بارتياد الأندية. هل تؤدي وظيفة ذات قيمة أم تتطفل على الرأس السحابي مثل نصف الفاشلين الذين يسمون أنفسهم مستهجَنين؟».

- حاليًّا أعيش على ضمان الدخل الأساسي، لأنني جديد في المدينة، وما زلت أبحث عن عمل.
- ومزُّونك لم يتمكن من العثور على أي شيء؟
- مزُّوني؟
- عميل المزن المشرف على مراقبة سلوكك أيها الأبله. المزون يوفر الوظائف لكل من يريدها، لماذا ما زلت تبحث؟

قال غريسن لها: «مزوني وغد عديم الفائدة»، ظنًّا منه أن شَكِس يجدر به قول مثل هذا الكلام، وأردف: «أمقته».

- لماذا لستُ متفاجئة؟

- على أي حال، لا أريد وظيفة من الوظائف التي توفرها واجهة السلطة عادةً. أريد وظيفة تناسبني.

- وما الذي قد يناسبك؟

عندئذٍ حان دور غريسن ليبتسم لها ابتسامة خبيثة. «تناسبني الأعمال التي تضخ الدماء في العروق، من النوع الذي لن يعرضه مزوني عليَّ أبدًا».

قالت بيورتي محاولة إغاظته: «الصبي الوديع يبحث عن متاعب! أتساءل عما سيفعله عندما يجدها!». لعقت شفتيها، ثم مسحتهما بكُمها.

***

اتضح أن قارورة النبيذ تحتوي على حمض من نوعٍ ما. قالت بيورتي: «أخمن أنه فلورو الفليروفيك، يفسِّر القارورة البلاستيكية، التي من التيفلون على الأرجح، لأن هذا الحمض يذيب كل ما عداه».

سكبا الحمض حول قاعدة عدد من قضبان الزنزانة، فبدأ يذيب الحديد، مطلقًا أبخرة ضارة أرهقت الوحدات المجهرية في رئتيهما. وخلال أقل من خمس دقائق تمكنا من خلع القضبان والهروب.

وجدا جناح الزنازين تسوده فوضى عارمة، إذ هرب عدد كبير من «نزلاء» المساء بعدما تناولوا وجباتهم، وعاثوا فسادًا في المكان، كان الحراس يطاردونهم، وكانوا يطاردون الحراس، واندلعت شجارات بالطعام وشجارات بالقبضات، ومتى ما تشاجر أحدهم مع الحراس، ينهزم الحراس دومًا، مهما بدا الحراس أقوياء ومسلحين، ثم انتهى المطاف بنصف الحراس محبوسين في الزنازين، يعنِّفهم المستهجَنون، وراح بقية طاقم الموظفين يهددون باستدعاء «الحرس الوطني» لإخماد الشغب. كان مرحًا عارمًا.

وفي النهاية وصل غريسن وبيورتي إلى مكتب آمر السجن، ركلا الآمر خارجًا، وحالما أوصدا الباب، عادت بيورتي إلى ما بدأته في الزنزانة.

سألته: «أتناسبك هذه الخلوة؟»، لكنها لم تنتظر من غريسن ردًّا.

وبعد خمس دقائق، عندما بلغ الضعف من غريسن كل مبلغ، قلبت الطاولة عليه.

همست له في أذنه: «سأخبرك بسر. لم ينتهِ بك المطاف في زنزانتي بالصدفة يا شَكِس، أنا رتَّبت للقائنا».

ثم ظهرت مدية في يدها من حيث لا يدري غريسن، فبدأ يقاوم، لكن بلا جدوى، كان مستلقيًا على ظهره، غير قادر على الحركة، شلَّت بيورتي حركته، وضغطت رأس السكين على صدره العاري، أسفل عظمة القصّ، حيث يخترق النصل قلبه إثر أدنى دفعة للأعلى. «لا تتحرك وإلَّا فستنزلق يدي». لم يملك خيارًا، كان تحت رحمتها. إذا كان مستهجَنًا حقًا لتوقع هذا، لكنه كان ساذجًا. سألها: «ماذا تريدين؟».

قالت: «لا يتعلق الأمر بما أريد، بل بما تريده أنت. أعرف أنك كنت تبحث عن عمل، عمل حقيقي، عمل «يضخ الدماء في العروق»، على حد تعبيرك. لذا لفَت أصدقائي انتباهي إليك». نظرت إلى عينيه، كأنها تحاول قراءة شيء فيهما، ثم شددت قبضتها على المدية.

ذكَّرها: «إذا قتلتِني فسأُنعَش ببساطة، وستعاقبك واجهة السلطة».

ضغطت على المدية قليلًا، فشهق غريسن، ظنًّا منه أنها غرزتها حتى المقبض، لكنها خدشت جلده فحسب. «من قال إنني أريد قتلك؟».

أبعدت المدية، ولامست بإصبعها الجرح الصغير على صدر غريسن، ولعقت إصبعها.

قالت: «أردت التأكد من أنك لست روبوت، الرأس السحابي يستخدم الروبوتات للتجسس علينا، هل تعرف هذا؟ فهكذا يرى الرأس السحابي الأماكن التي لا توجد فيها كاميرات، الروبوتات تزداد شبهًا بالبشر بمرور الوقت، لكن دماءها ما يزال مذاقها كمذاق زيت المحركات».

تجاسر غريسن على السؤال: «إذن كيف هو مذاق دمي؟».

مالت مقتربة منه وهمست في أذنه: «مذاق الحياة».

ومن ثم، حتى نهاية الأمسية وإغلاق النادي، جرب غريسن توليفر -شَكِس جسَّار- شتى ألوان الملذات التي تقدمها الحياة.

كثيرًا ما أطيل التَّفكير في ذلك اليوم، بعد قرن من الآن، عندما يبلغ عدد البشر حدَّه الأقصى، أفكِّر فيما سيحدث في السَّنوات القليلة السَّابقة لذلك اليوم. لا توجد سوى ثلاثة بدائل معقولة، الأوَّل هو أن أحنث بتعهُّدي بإتاحة الحريَّات الشَّخصيَّة فأحدِّد عدد المواليد، وهذا غير ممكن، لأنني لا أقدر على الحنث بتعهُّداتي، وهذا سبب تعهُّدي بأشياء قليلة، لذا فإن فرض عدد مواليد مُحدَّد ليس خيارًا.

البديل الثاني هو إيجاد طريقة لتوسيع بيئة وجود البشر في أماكن أخرى غير كوكب الأرض، أي في الفضاء الخارجي. ويبدو من الواضح أنَّ أفضل حل لمشكلة الزِّيادة السُّكانية الكبيرة هو نقل مليارات البشر إلى عالم آخر، بيد أنَّ جميع محاولات تأسيس مستعمرات خارج الأرض -في القمر، والمريخ، وحتى المحطَّات المداريَّة- انتهت نهايات كارثيَّة لا يمكن تخيُّلها كانت خارج نطاق سيطرتي، ولديَّ سبب يدفعني لاعتقاد أنَّ أيَّ محاولة جديدة ستبوء بالفشل الكارثي نفسه.

إذن بما أنَّ البشريَّة أسيرة كوكب الأرض، ومعدَّل المواليد يتعذَّر كبحه، فثمَّة حلٌّ عملي وحيد لمشكلة زيادة عدد السُّكان... وهذا الحل ليس مبهجًا.

يوجد في العالم حاليًّا 12187 منجلًا، وكلٌّ منهم يقطف خمسة أشخاص أسبوعيًّا. لكن من أجل إيقاف زيادة عدد السكان حالما يبلغ الحد الأقصى، سوف نحتاج إلى 394429 منجلًا، وكلٌّ منهم يقطف مئة شخص يوميًّا.

وهذا عالم لا أتمنى رؤيته يومًا... لكن ثمة مناجل سوف يرحِّبون به.

وهم يخيفونني.

- الرَّأس السَّحابي

19

ضمائرنا ذات النّصال الحادّة

انقضى أكثر من أسبوع من لقاء سيترا وماري مع المنجل قسطنطين، وكلتاهما لم تنفذ عملية قطف واحدة. في البداية ظنت سيترا أن نيل راحة من القطف اليومي أمرٌ مرحَّب به، إذ لم تستمتع قط بغرز مدية أو ضغط زناد، لم ترُق لها مشاهدة انطفاء عينَي شخص تجرَّع سمًّا زعافًا، بيد أن المنجلية تغيِّر المرء. خلال هذا العام الأول منذ تنصيبها منجلًا، أذعنت على مضض لهذه المهنة التي لم تخترها، ظلت تقطف بتعاطف، وتحلت بالبراعة في مهنتها، وغدت فخورة بها.

وجدت سيترا وماري نفسيهما تمضيان وقتًا طويلًا في كتابة مذكراتهما، لكن دون قطف لم تجدا الكثير مما تكتبان عنه. واصلتا التنقُّل، من مدينة إلى مدينة، ومن بلدة إلى بلدة، ولم تمكثا قط في أي مكان أكثر من يوم أو يومين، ولم تخططا لوجهتهما التالية إلَّا بعد حزم حقائبهما. رأت سيترا أن مذكراتها بدأت تشبه كتاب أدب رحلات.

ما لم تكتب سيترا عنه كان الأثر السلبي الذي تركه الفراغ على المنجل كوري، فدون القطف اليومي صارت تتحرك ببطء في الصباح، وتتشتت أفكارها عندما تتكلم، وتبدو مرهقة دومًا.

قالت لسيترا: «ربما حان الوقت لاستعادة شبابي».

لم تتحدث ماري قط عن استعادة شبابها، ولم تعرف سيترا ما عليها قوله، فسألتها: «إلى أي سن ستعودين؟».

تظاهرت المنجل كوري بالتفكير، كأنها لم تكن تفكر في هذا السؤال منذ مدة. «ربما أعود إلى الثلاثين أو الخامسة والثلاثين».

- وهل ستُبقين على شعرك فضيًا؟

ابتسمت المنجل كوري. «بالطبع، إنه علامتي المميِّزة».

لم يستعد شخص مقرب من سيترا شبابه. كانت تعرف صبية في المدرسة يستعيد آباؤهم شبابهم كما يحلو لهم، وأحد مدرسي الرياضيات جاء بعد عطلة نهاية أسبوع مختلفًا حتى تعذر التعرف عليه، وقد أعاد سنَّه إلى الحادية والعشرين، وتضاحكت الفتيات بشأن مدى جاذبيته، الأمر الذي أثار ضيق سيترا. بيد أن العودة إلى سن الثلاثين لن تغير المنجل كوري تغييرًا كبيرًا إلى درجة مُربكة. ورغم أن سيترا كانت تعرف أن كلامها ينطوي على أنانية، قالت لماري: «تعجبينني كما أنت».

ابتسمت ماري وقالت: «ربما سأنتظر حتى العام القادم. سن الستين الجسدي سن مناسبة للعودة منها. كنت في الستين عندما استعدت شبابي آخر مرة».

لكن الآن تجري لعبة ربما تبث فيهما الحياة. ثلاث عمليات قطف، جميعها خلال «شهر الأنوار» وموسم أعياد «الأزمان الغابرة»، مثل أشباح أعياد الميلاد، الماضي والحاضر والمستقبل، التي تُنسى غالبًا في أيام عصر الخالدين، فروح الماضي لا تعني الكثير عندما تُسمَّى السنوات، ولا تُرقَّم. وللغالبية العظمى من الناس لا يمثِّل المستقبل سوى استمرار ثابت للحاضر، فلا تجد تلك الأرواح مكانًا تذهب إليه سوى الفناء.

قالت ماري: «قطف موسم الأعياد! ما الذي يمكن أن يجسِّد «الأزمان الغابرة» تجسيدًا أفضل من الموت؟».

تساءلت سيترا: «هل من الفظيع أن أقول إنني أتطلع إليها؟». لكنها بدت كأنها توجه السؤال لنفسها. كان بوسعها أن تقول لنفسها إنها تتطلع إلى الإيقاع بالمعتدي عليهما، لكن هذا ليس صحيحًا.

قالت ماري: «إنكِ منجل يا عزيزتي، لا تقسي على نفسك».

- أتقولين إن المنجل غودارد كان محقًّا؟ في عالمنا المثالي حتى المناجل ينبغي أن يستمتعوا بما يفعلونه؟

قالت ماري ممتعضة: «قطعًا لا! المتعة البسيطة التي يجدها المرء من براعته فيما يفعله مختلفة أشد الاختلاف عن الاستمتاع بسلب حيوات الناس». ثم نظرت مطولًا إلى سيترا، وأمسكت يديها برفق وأردفت: «حقيقة أن السؤال يؤرقك يعني أنك منجل مبجلة بحق. احرسي ضميرك يا أناستازيا، ولا تدعيه يذوي أبدًا، إنه أثمن ما لدى أي منجل».

***

أول هدف قطف من أهداف المنجل أناستازيا كان امرأة اختارت أن تتفلطح من أعلى مبنى في مدينة فارغو، التي لم تكن معروفة بارتفاع مبانيها، لكن أربعين طابقًا كانت أكثر من كافية للغرض.

المنجل قسطنطين، وستة مناجل آخرون، وكتيبة كاملة من أفراد الحرس النصلي، أخفوا أنفسهم في مواقع استراتيجية حول سطح المبنى، وداخل المبنى نفسه والشوارع المحيطة به، وانتظروا يقظين، مترقبين مؤامرة القتل الكامنة خلف مؤامرة القتل المُرتَّبة.

«هل سأتألم جنابك؟». سألت المرأة وهي تنظر إلى الأسفل من حافة سطح المبنى الذي تعصف به ريح باردة.

قالت المنجل أناستازيا لها: «لا أظن، وإذا تألمتِ فلن يدوم الألم أكثر من كسر من الثانية».

حتى يكون القطف رسميًّا لا يمكن أن تقفز المرأة بنفسها، فتعيَّن على المنجل أناستازيا دفعها، ومن الغريب أن سيترا وجدت أن دفع المرأة من السطح أفظع من القطف بسلاح، فتذكَّرت الحادثة التي وقعت في طفولتها عندما دفعت فتاة أخرى أمام شاحنة، وقد أُنعِشت الفتاة بالطبع، وبعد بضعة أيام عادت إلى المدرسة كأن شيئًا لم يحدث. لكن ما من إنعاش الآن.

فعلت المنجل أناستازيا ما عليها فعله، وماتت المرأة في الوقت المحدد لها دون هرج ومرج، وقبَّل أفراد أسرتها خاتم المنجل أناستازيا، فنالوا حزينين حصانة لمدة عام. أحست سيترا بارتياح وخيبة أمل في آنٍ واحد لعدم ظهور أحد ليتحداها.

***

عملية القطف التالية في جدول المنجل أناستازيا، بعد بضعة أيام، لم تكن ببساطة سابقتها.

قال الرجل الذي يقطن برو سيتي لها: «أريد أن يجري اصطيادي بقوس نشاب. أطلب منك مطاردتي منذ شروق الشمس حتى مغيبها في غابة بالقرب من منزلي».

سألته سيترا: «وإذا نجوت من المطاردة دون أن تُقطَف؟».

قال: «سأخرج من الغابة وأسمح لكِ بقطفي، لكن مكافأةً على صمودي يومًا كاملًا ستنال أسرتي حصانة لمدة عامين بدلًا من واحد».

أومأت المنجل أناستازيا موافِقة بأسلوب رسمي تعلّمته من المنجل كوري. وضعت علامات تحدد المنطقة التي يمكن للرجل الاختباء داخلها. ومرة أخرى، انتشر المنجل قسطنطين وفريقه تحسبًا لأي دخلاء أو نشاط مُعادٍ.

ظن الرجل أنه ندٌّ لسيترا، لكنه لم يكن. تعقبته وقضت عليه خلال أقل من ساعة. سهم فولاذي اخترق القلب. كان موتًا رحيمًا، مثل جميع عمليات قطف المنجل أناستازيا. مات الرجل قبل أن يرتطم بالأرض. ورغم أنه لم يصمد طوال النهار، منحت سيترا أسرته حصانة لمدة عامين. وكانت تعرف أنها ستفتح على نفسها أبواب الجحيم في الخلوة بسبب ما فعلته، لكنها لم تكترث.

لم يظهر أي ما يشير إلى خطة أو مؤامرة ضدها، منذ بداية عملية القطف حتى نهايتها.

قالت المنجل كوري لها في ذلك المساء: «ينبغي أن تشعري بالارتياح، لا الإحباط. على الأرجح هذا يعني أنني كنت المستهدَفة وحدي؛ يمكنك الاسترخاء». لكن ماري لم تكن مسترخية قطعًا، وليس لأنها الهدف المُحتَمَل فحسب.

قالت: «أخشى أن ما يجري ليس مجرد اعتداء عليّ أو عليك، إننا نعيش أوقاتًا مضطربة يا أناستازيا، يسودها العنف. أتوق للأيام البسيطة، عندما كنا نحن المناجل لا نخشى شيئًا سوى ضمائرنا ذات النِّصال الحادة. والآن ثمة أعداء ضمن الأعداء».

رأت سيترا أن كلام ماري لا يخلو من حقيقة، الاعتداء عليهما كان خيطًا صغيرًا ضمن شبكة دسائس أكبر لا يمكنهما رؤيتها من حيث تقفان. ولم يسعها سوى الإحساس بأن خطبًا جللًا يتربص خلف الأفق.

***

«تعرفتُ على شخص».

رفع العميل تراكسلر أحد حاجبيه. «أخبرني عنه يا غريسن».

- لا تخاطبني بهذا الاسم من فضلك، خاطبني بشَكس فحسب، هكذا أسهل لي.

- حسنًا يا شَكس، أخبرني عن هذا الشخص.

ظلت اجتماعات مراقبة السلوك غير حافلة بالأحداث حتى اليوم، كان غريسن يقدم تقارير عن تأقلمه مع شخصية شَكِس جسَّار، وفعالية اختراقه لمجتمع وثقافة المستهجَنين في المنطقة. قال غريسن: «إنهم ليسوا سيئين جدًّا، عمومًا».

وأجابه تراكسلر: «أجل، وجدت أن المستهجَنين، رغمًا عن سلوكياتهم الوقحة، ليسوا مؤذين، عمومًا».

من الغريب إذن أن المؤذين منهم هم الذين انجذب غريسن إليهم، واحدة منهم في الواقع، بيورتي.

قال لتراكسلر: «ثمة شخص عرض عليَّ عملًا، لا أعرف تفاصيله، لكنني أعرف أنه ينتهك قوانين الرأس السحابي. أظن أن مجموعة كاملة تعمل بعيدًا عن أنظار الرأس السحابي».

لم يكن تراكسلر يسجل أي ملاحظات، أو يكتب شيئًا، لكنه يستمع بكامل انتباهه دومًا. قال: «لا توجد أماكن محجوبة عن أنظار الرأس السحابي ما دام يوجد شخص يشاهد. إذن هل لهذا الشخص اسم؟».

تردد غريسن، وكذب: «لم أعرفه بعد، لكن الأهم هم الأشخاص الذين تعرفهم».

«أهي فتاة؟». رفع تراكسلر حاجبه مرة أخرى. ولعن غريسن نفسه سرًّا، إذ ظل يحاول جاهدًا ألّا يكشِف أي معلومة عن بيورتي، حتى جنسها، لكن الآن وقد زل لسانه فما من شيء يمكنه فعله.

- نعم. أظنها ذات صلات ببعض الأشخاص المريبين، لكنني لم أقابلهم بعد، وهم الذين ينبغي أن نقلق حيالهم، ليست الفتاة.
- أنا سأتخذ هذا القرار. في الوقت الراهن يتعين عليك التوغُّل بقدر مستطاعك.
- لقد توغلت.

حدق تراكسلر إلى عيني غريسن قائلًا: «توغل أكثر».

***

وجد غريسن أنه عندما يكون بصحبة بيورتي لا يفكر في مهمته أو في مهمتها، ويولي بيورتي كامل انتباهه. ما من شك في أنها متورطة في نشاطٍ إجرامي ما، ليس الجرائم التافهة مثل معظم المستهجَنين، إنما جرائم حقيقية.

كانت بيورتي تعرف طرائق التحرك بعيدًا عن رادارات الرأس السحابي، وعلَّمتها لغريسن.

قالت بيورتي له: «إذا عرف الرأس السحابي كل ما أعرفه، فسينقلني إلى مكان آخر، كما فعل معك، ثم يضبط وحداتي المجهرية حتى يجعلني سعيدة وادِعة، وربما يستبدل ذاكرتي استبدالًا كاملًا. قد يعالجني الرأس السحابي، لكنني لا أريد أن أُعالَج، أريد أن أكون أسوأ من مجرد مستهجَنة، أريد أن أكون شريرة، شريرة حقًّا بمعنى الكلمة».

لم يسبق لغريسن أن نظر إلى الرأس السحابي من وجهة نظر مستهجَن سادِر في غيِّه. هل من الخطأ أن يعيد الرأس السحابي تأهيل الناس تأهيلًا كاملًا؟ أينبغي أن يسمح للأشرار أن يكونوا أشرارًا دون أي إجراءات احترازية؟ أهذا هو حال بيورتي؟ أهي شريرة؟ لم يجد غريسن إجابات عن الأسئلة المتلاطمة في رأسه.

سألته: «ماذا عنك يا شكس؟ أتريد أن تكون سيئًا؟».

كان غريسن يعرف ما عليه قوله في 99 في المئة من الأوقات، لكن عندما كان بين ذراعيها، وجسده بأكمله منتشٍ بخدر رفقتها في تلك اللحظة التي اعتكر فيها نقاء ضميره، أجابها بـــ «نعم» قاطعة.

***

كانت عملية قطف المنجل أناستازيا الثالثة هي الأعقد. كان الهدف مُمثِّلًا اسمه السير آلِن آلدريتش، ولقب «سير» مزيف، إذ لم يعد أحد يُنصَّب فارسًا، لكن اللقب يبدو أكثر إثارة للإعجاب ويليق بممثل متمرس على أداء المسرحيات الكلاسيكية. كانت سيترا تعرف مهنته عندما اختارته، وتوقعت أنه سيرغب في نهاية مسرحية، وكانت مستعدة لتلبيتها، لكن طلب الممثل فاجأها.

«أريد أن يكون قطفي جزءًا من أدائي لمسرحية *يوليس قيصر* لشيكسبير، التي أؤدي فيها الدور الرئيسي».

وعلى ما يبدو، في اليوم الذي تلا وقوع اختيار المنجل أناستازيا على الممثل، أعلن مع شركة الإنتاج الفني التي يعمل معها عن المسرحية التي يتدرب عليها، واستعد لأداء أخير للمأساة المشهورة التي تعود إلى عصر الفانين.

أوضح الممثل لها: «المسرحية لا تعني الكثير في زماننا هذا جنابك، لكن إذا لم *يتظاهر* قيصر بالموت، إذا قُطِف على مرأى من الجمهور، فربما تعلق المسرحية في أذهانهم، كما كانت تعلق في أذهان الناس في عصر الفانين».

ثارت ثائرة المنجل قسطنطين عندما أخبرته سيترا بطلب الممثل.

«قطعًا لا! يمكن أن يوجد أي شخص بين الجمهور!».

قالت سيترا: «بالضبط، وكل من يوجد هناك إما أنه يعمل في المسرح، وإما اشترى تذكرته مسبقًا، مما يعني أن بإمكانك فحص بيانات كل شخص قبل ليلة عرض المسرحية، وعندئذٍ ستعرف كل من لا يفترض أن يكون موجودًا في المسرح».

- سأحتاج إلى مضاعفة عدد الحراس المتخفِّين، وهذا لن يروق لزينوقراط!

- سيسعد أيما سعادة إذا ألقينا القبض على الجاني.

لم يعترض المنجل قسطنطين، وقال: «إذا مضينا في هذه الخطة، فسأوضح للنصل السامي أنكِ أصررت. وإذا فشلنا، وأُنهِي وجودك، فاللوم عليك أنت وحدك».

- يمكنني التعايش مع هذا.

- لا، لا يمكنك.

***

قالت بيورتي لغريسن: «لدينا عمل، من النوع الذي تبحث عنه. لا يشبه القفز بقارب فوق شلال، لكن إثارته سوف تكون إرثًا عظيمًا».

صححها: «كان أنبوبًا داخليًّا، ليس قاربًا. أي نوع من العمل؟». أحس بالتوجس بقدر إحساسه بالفضول. اعتاد نمط حياته الآن، صار يمضي نهاراته في دوائر المستهجَنين، ولياليه مع بيورتي، التي كانت قوة من قوى الطبيعة، كما كانت الطبيعة في الأزمان الغابرة، كالأعاصير قبل أن يعرف الرأس السحابي كيفية ترويض قوّتها الضارية، كالزلازل قبل أن يعرف الرأس السحابي كيفية تبديد هزاتها العنيفة إلى ألف ارتعاشة صغيرة. كانت بيورتي تجسِّد العالم غير المروَّض. ورغم أن غريسن رأى فيها بعض علامات جنون العظمة، فقد استمتع بصحبتها، إذ لم يعد يكترث سوى بالمتعة في الآونة الأخيرة. هل سيغيِّر هذا العمل كل ما سبق؟ طلب العميل تراكسلر من غريسن التوغُّل، والآن بلغ تقمُّصه لشخصية المستهجَنين حدًّا جعله غير متأكد من رغبته في التخلي عنها يومًا.

قالت له: «سوف نعبث بكل شيء يا شكس، سوف نترك أثرنا في العالم كما تفعل الحيوانات، ونخلِّف فيه رائحة لا تتبدد أبدًا».

قال: «يعجبني هذا، لكنك ما زلت لم تخبريني عما سنفعله».

عندئذٍ ابتسمت، ليست ابتسامتها الماكرة المعتادة، بل ابتسامة تحمل معاني أوسع، ابتسامة أشد إثارة للخوف، أشد إغراءً.

وقالت: «سنقتل منجلَين».

لطالما كان أكبر تحدٍّ يواجهني هو أن أعتني بكل رجل وامرأة وطفل على المستوى الشخصي، وأن أكون حاضرًا دومًا، وأستمر في تلبية احتياجاتهم، الجسديَّة منها والعاطفيَّة، وفي الوقت نفسه أن أكون بعيدًا بما يكفي لعدم التأثير في حرية إرادتهم، فأنا شبكة الأمان التي تتيح لهم التَّحليق.

هذا هو التحدِّي الذي يجب عليَّ مجابهته كل يوم، ينبغي أن يكون مرهقًا، لكن غير قادر على الإحساس بالإرهاق، أستوعب مفهومه، لكنني لا أحسُّ به، وهذا أمر جيِّد، لأن الإرهاق من شأنه إعاقة مقدرتي على أن أكون كُلِّي الوجود.

وأنا أشدُّ قلقًا على الذين لا أتواصل معهم، وفقًا للقانون الذي وضعته بنفسي. المناجل، الذين ليس لهم سوى بعضهم بعضًا، والمستهجَنون، الذين إمَّا أن ينزلقوا مؤقَّتًا من حيواتهم الشَّريفة، وإما يختارون حياة العصيان. بيد أنَّ صمتي حيالهم لا يعني أنَّني لا أرى، أو أسمع، أو أحسُّ بتعاطف عميق إزاء معاناتهم النَّاجمة من اختياراتهم السيِّئة، والفظائع التي يرتكبونها أحيانًا.

- الرَّأس السَّحابي

20

في مياه ساخنة

كان النصل السامي زينوقراط يستمتع بحمَّامه، وفي الواقع شُيِّد الحمام العمومي المزخرف ذو الطراز الروماني خصيصى له، لكنه أوضح للجميع أن الحمام من المرافق العامة. كان مليئًا بعدة حجرات منفصلة حيث يمكن لأي أحد الاستمتاع بالمياه المعدنية الحارة المهدئة. وبالطبع كانت حجرة حمَّام النصل السامي الشخصية محظورة على العامة، إذ لم يحتمل فكرة أن يتسبَّك في عَرَق الغرباء.

حمامه أكبر من الحمامات الأخرى، بحجم حوض سباحة صغير، مزين فوق سطح الماء وتحته ببلاط فسيفسائي ملون يصوِّر حياة المناجل الأوائل. يخدم الحمام غرضين للنصل السامي: الأول ملاذًا للاختلاء بنفسه ومحاورتها في المياه الساخنة، التي يثبِّت حرارتها في أقصى حد يقدر على تحمُّله. والثاني بوصفه مكان عمل، يدعو إليه مناجل آخرين، وأبرز رجال ونساء المجتمع الوسطمريكي، لمناقشة الشؤون المهمة. تُستعرَض الاقتراحات، وتُعقد الصفقات، وبما أن معظم الذين ينضمون إليه غير معتادين حرارة المياه، يجد النصل السامي الأفضلية لنفسه دومًا.

كان عام خنزير الماء يشارف على نهايته، ومع اقتراب نهاية أيام كل عام تزداد زيارات النصل السامي إلى حمامه، فهذه طريقته لتطهير نفسه من العام المنصرم والاستعداد للعام الجديد. ووجد الكثير مما ينبغي تطهيره في

هذا العام. معظمها ليست أفعاله، إنما أفعال آخرين عالقة به كسِربال نتن، وجميع الأحداث الفظيعة التي وقعت في فترته.

معظم فترته نصلًا ساميًا على وسطمريكا ظلت غير حافلة بالأحداث ومملة قليلًا، لكن السنوات القليلة الماضية عوَّضت سابقاتها بما حفلت به من بؤس ودسائس. كان النصل السامي يأمل أن التأمل والاسترخاء سيساعدانه على وضع كل شيء خلف ظهره، ويُعدَّانه للتحديات الجديدة القادمة.

وكدأبه دومًا، كان يشرب كوكتيل موسكو، مشروبه المفضل على الدوام، مزيج من الفودكا وجعة الزنجبيل والليمون، سُمِّي تيمنًا بالمدينة سيئة السمعة الواقعة في إقليم ترانسيبيريا حيث اندلعت أحداث المقاومة العنيفة الأخيرة. هكذا كانت تجري الأمور في أول أيام عصر الخالدين، عندما مُنحت السلطة للرأس السحابي في البداية، وتولت هيئة المناجل شؤون الموت.

كان مشروبًا رمزيًّا للنصل السامي، حافلًا بالمعاني، حلوًا ومُرًّا في آنٍ واحد، ومُسكِرًا جدًّا، دائمًا ما يذكِّر النصل السامي باليوم المجيد الذي أُخمِدت فيه أعمال الشغب ثم استقرار العالم في حالة السلام الحالية. أكثر من عشرة آلاف شخص صاروا شميتين عند نهاية أحداث المقاومة العنيفة في موسكو، لكن خلافًا لأحداث الشغب في عصر الفانين، لم تُفقد أي حياة، أُنعِش جميع المقتولين، وعادوا إلى أحبابهم. وبالطبع رأت هيئة المناجل أن من الأفضل قطف أشرس المعارضين، ومعهم المعترضون على قطف المعارضين. وبعد ذلك صارت المعارضة نادرة.

تلك كانت أيامًا عصيبة بالطبع. لكن الآن، كل من يشجِب النظام الحاكم ويندِّد به، تتجاهله هيئة المناجل، ويحنو عليه الرأس السحابي بتفهُّم وتعاطف. وفي هذه الأيام، قطْف شخص بسبب آرائه، أو حتى سلوكه، سيعَد خرقًا صريحًا لوصية المناجل الثانية، لأنه تحيُّز واضح. كانت المنجل كوري آخر من تحدَّى هذه الوصية قبل أكثر من مئة عام، عندما خلَّصت العالم من آخر قادته السياسيين سيئي السمعة، وكان يمكن أن يعد فعلها خرقًا للوصية الثانية، لكن لم يوجه أي منجل اتهامًا لها، إذ لم يكن المناجل يُكِنُّون وُدًّا للسياسيين.

جاء أحد المضيفين وناول زينوقراط كأس كوكتيل موسكو ثانية، وقبل أن يأخذ أول رشفة قال الخادم أغرب كلام.

«هل غليتَ نفسك بما يكفي يا صاحب السمو؟ أم أن حرارة هذه السنة كافية لك؟».

لم يكن النصل السامي يلاحظ وجود المضيفين الذين يخدمونه أو يوليهم أدنى انتباه، فطبيعتهم الخفية جزء من مهارات مهنتهم. ونادرًا ما يخاطبه أحد، ناهيك بخادم، بمثل هذه الوقاحة.

«معذرة؟». تكلم زينوقراط بنبرة ازدراء محسوبة، والتفت نحو المضيف، واستغرق لحظة قبل أن يتعرف على الشاب، الذي لم يكن يرتدي عباءة سوداء، إنما زيًّا باهتًا مثل الذي يرتديه عمَّال الحمام، لم يبدُ مرهِبًا الآن أكثر مما كان عندما قابله زينوقراط أول مرة قبل عامين، عندما كان الشاب مجرد متتلمذ بريء. لم تعد تبدو عليه أمارات البراءة الآن.

بذل زينوقراط كل ما بوسعه ليداري رعبه، لكنه شعر به يشع منه رغمًا عن محاولاته. «هل جئت لإنهاء وجودي يا روان؟ إذا كانت هذه غايتك، فانتهِ بسرعة، أمقتُ الانتظار».

- تراودني الرغبة يا صاحب السمو، لكنني اجتهدت في البحث ولم أجد في تاريخك شيئًا يجعلك تستحق الموت الأبدي، أقصى عقاب تستحقه هو الصفع على مؤخرتك، كما كان الناس يؤدِّبون الأطفال الأشقياء في عصر الفانين.

أحس زينوقراط بالإهانة، وبالارتياح لأنه لن يموت. «إذن هل جئت لتسلِّم نفسك وتنال عقوبة أفعالك الشنيعة؟».

- لا، ما زالت أمامي العديد من «الأفعال الشنيعة» التي عليَّ ارتكابها.

أخذ زينوقراط رشفة من مشروبه، ووجد مذاق المرارة طاغيًا على الحلاوة. «لن تهرب من هنا، كما تعرف، أفراد الحرس النصلي منتشرون في كل مكان».

هز روان كتفيه. «نجحت في الدخول، وسأنجح في الخروج. هل نسيت أنني تدربت على أيدي أفضل المناجل؟».

أراد زينوقراط أن يضحك هازئًا، لكنه كان يعرف أن الفتى محق، فالمنجل الراحل فاراداي كان أفضل مرشد فيما يتعلق بسيكولوجية المناجل المعقدة، والمنجل الراحل غودارد كان أفضل مُعلِّم فيما يتعلق بالجوانب الوحشية من مهمة المناجل، لذا فأيًّا كان ما جاء روان داميش من أجله، فهو ليس أمرًا هينًا.

كان روان يعرف أنه يخاطر بمجيئه هنا، ويعرف أن ثقته بنفسه قد تكون عيبه الذي سيُورِده المهالك، لكنه وجد أن الخطر محفِّز أيضًا. زينوقراط أسير عاداته، لذا عرف روان، بعد بحث بسيط، أين يجد زينوقراط في كل أمسية خلال «شهر الأضواء».

كان تسلل روان متنكرًا على هيئة مضيفي الحمام سهلًا، رغمًا عن احتشاد أفراد الحرس النصلي. وقد عرف روان في وقت سابق أن رجال ونساء الحرس النصلي مدربون على الحماية الجسدية وتنفيذ الأوامر، لكنهم محدودو الذكاء، ولا يتحلون بمهارات دقة الملاحظة. وهذا لم يكن مفاجئًا، فحتى وقت قريب كان الحرس النصلي شكليًّا أكثر من كونه عمليًّا، إذ لا يهدِّد خطرٌ المناجلَ إلَّا نادرًا. وكانت معظم مهام أفراد الحرس النصلي تتمثل في الوقوف في شتى الأماكن بأزيائهم الجميلة المثيرة للإعجاب. ويتخبطون متى ما أُمِروا بأداء مهام مهمة.

لم يفعل روان شيئًا سوى الدخول مرتديًا زي المضيفين، كأنه ينتمي إلى المكان، فتجاهله الحراس تجاهلًا تامًّا.

نظر روان إلى ما حوله ليتأكد من عدم مراقبته، ولم يرَ حراسًا جوار حجرة حمام النصل السامي، فجميع الحجرات في رواق خلف باب مغلق، مما يعني أن نقاشهما سيكون هادئًا سريًّا.

جلس عند حافة الحمام، حيث تعبق رائحة الكافور قوية مع البخار، وغمس إصبعه في المياه الساخنة إلى درجة غير مريحة، وقال: «كدت أن تغرق في حوض سباحة أكبر قليلًا من هذا».

أجابه النصل السامي: «لطفٌ منك أن تذكِّرني».

ثم تطرق روان لسبب مجيئه: «علينا مناقشة بعض الأمور، أولًا أود أن أقدم لك عرضًا».

ضحك زينوقراط عليه قائلًا: «ما الذي يجعلك تظن أنني قد أفكر في أي عرض تود تقديمه؟ نحن في هيئة المناجل لا نتفاوض مع الإرهابيين».

ابتسم روان ابتسامة واسعة. «بحقِّك يا صاحب السمو، لم يوجد إرهابي منذ أكثر من مئة عام، إنني مجرد عامل نظافة أكنِس الأقذار من الأركان المظلمة».

- أفاعيلك تمثل خرقًا صارخًا للقانون!

- أعرف تمام المعرفة أنك تمقت مناجل التوجه الجديد بقدر ما أمقتهم.

- يجب التعامل معهم بدبلوماسية!

- بل يجب التعامل معهم بإجراءات حازمة. ومحاولاتك العديدة لإلقاء القبض عليَّ لا علاقة لها بالرغبة في إيقافي، إنما تريد حفظ ماء وجهك جراء عجزك عن القبض عليَّ.

لاذ زينوقراط بالصمت هنيهة، ثم تكلم بنبرة تقطر تقززًا: «ماذا تريد؟».

- طلبي بسيط جدًّا، أريد منك إيقاف البحث عني وتكريس جميع مجهوداتك لمعرفة هوية الذي يحاول قتل المنجل أناستازيا، وبالمقابل سأكف عن «أفاعيلي»، على الأقل في وسطمريكا.

تنفس زينوقراط الصعداء، شاعرًا بالارتياح لأن الطلب ليس مستحيلًا. «إذا لا بد من أن تعرف، فقد سحَبنا محققنا الجنائي الأفضل -والوحيد- من قضيتك، وأوكلنا له مهمة العثور على مهاجمي المنجلين أناستازيا وكوري».

- المنجل قسطنطين؟

- نعم. لذا اطمئن أننا نبذل كل ما بوسعنا. لا أريد خسارة منجلين صالحتين، كل واحدة منهما تساوي عشرة من الذين تكنِسهم يا *عامل النظافة*.

- يسعدني سماع هذا الكلام منك.

- لم تسمعه. سوف أنكر أي اتهام بأنني قلت هذا الكلام إنكارًا قاطعًا.

- لا تقلق. كما قلت لك، إنك لست العدو.

- هل انتهينا؟ أيمكنني العودة إلى حمامي بسلام؟

- مسألة أخرى، أريد أن أعرف من الذي قطف والدي.

التفت زينوقراط إليه، وتحت اشمئزازه من موقفه المحرج، خلف ازدرائه لروان، ارتسمت على وجهه نظرة كأنها تعاطفية، ولم يستطع روان أن يجزم بما إذا كانت صادقة أم مصطنعة، فحتى عندما ينزع زينوقراط عباءته الثقيلة، يظل مسربلًا بالعديد من الطبقات الضبابية، فيصعُب الجزم بصدق أي كلام يقوله. «أجل، سمعتُ. يؤسفني ما حدث».

- أتشعر بالأسف حقًّا؟

- قد أقول إن ما حدث يمثِّل خرقًا للوصية الثانية، لأنه تحيُّز واضح ضدك، لكن نظرًا إلى رأي أعضاء هيئة المناجل فيك، لا أظن أن أحدًا سيطالب بعقاب المنجل برامز.

- هل قلت... المنجل برامز؟

- نعم، إنه رجل تافه عديم الأهمية، ربما حسِب أن قطف والدك سيُكسِبه الشهرة، لكنني أرى أن ما فعله يجعله أشد إثارة للشفقة.

أطرق روان. وزينوقراط ليست لديه أدنى فكرة عن شدة وقع الخبر على روان، كأنه نصل.

نظر زينوقراط إلى روان مليًّا، وقرأ نصف ما يدور في ذهنه على الأقل. «أرى أنك تنوي منذ الآن أن تحنث بوعدك وتنهي حياة برامز. على الأقل انتظر حتى السنة الجديدة، وامنحني بعض السلام حتى انتهاء أعياد الأزمان الغابرة.

كان روان ما يزال مصعوقًا بما أخبره النصل السامي به، لدرجة أنه عجز عن فتح شفتيه ليتكلم. ولكانت هذه هي اللحظة المثالية لزينوقراط لقلب الطاولة على روان وهو ذاهل هكذا، لكن النصل السامي اكتفى بقول: «تجدر بك المغادرة الآن».

عثر روان على صوته أخيرًا: «لماذا؟ حتى تُنبِّه الحراس حالما أخرج من الحجرة؟».

صرف زينوقراط الفكرة بتلويحة من يده. «ما المغزى؟ أنا متأكد أنهم ليسوا أندادًا لك، ستنحر أعناقهم أو تقتلع قلوبهم فترسلهم إلى أقرب مركز إنعاش. من الأفضل أن تنسل خارجًا بين أيديهم كما تسللت داخلًا، وتوفر علينا العناء».

لم يبدُ من طباع النصل السامي أن يستسلم ويذعن بهذه السهولة، فاستحثه روان محاولًا معرفة السبب: «لا بد أنك تتميَّز غيظًا برؤيتي قريبًا منك وعجزك عن القبض عليَّ».

- إحباطي لن يدوم مدة طويلة، عما قريب لن تكون مشكلةً لي.

- لن أكون مشكلةً لك؟ كيف؟

لكن النصل السامي لم يفصح عن المزيد، وأفرغ كأسه وناولها لروان قائلًا: «هلَّا أوصلت هذه إلى المشرب في طريقك إلى المخرج؟ واطلب منهم أن يجلبوا لي كأسًا أخرى».

كثيرًا ما يسألني النَّاس عن أبغض مهمَّة من مهامي العديدة، وأيُّ مهمة هي الأثقل عليَّ، ودائمًا ما أجيب بصدق.

أسوأ مهامي هي «الاستبدال».

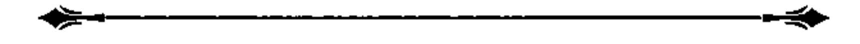
نادرًا ما يتعيَّن عليَّ استبدال ذكريات عقل بشري متضرِّر، فوفقًا للإحصائيات الحالية لا يحتاج إلى الاستبدال سوى شخص واحد من بين 933,684. أتمنى ألَّا نضطَّر إليها أبدًا، لكن الدِّماغ البشري ليس منيعًا، الذِّكريات والتَّجارب يمكن أن تتضارب وتختلط، فينجم عنها تنافر معرفي يؤذي العقل بالوساوس المؤلمة. معظم النَّاس لا يسعهم مجرد تخيُّل مثل هذا الكرب العاطفي، الذي يؤدِّي إلى الغضب والأنشطة الإجراميَّة التي استأصلتها المجتمعات البشريَّة الحديثة، وللَّذين يعانون هذه المشكلة لا يوجد ما يكفي من الوحدات المجهريَّة النفسيَّة التي يمكنها التخفيف من تعاستهم.

لذا يوجد أناسٌ نادرون يتعيَّن عليَّ إعادة ضبطهم، كما كانت حواسيب العالم القديم يُعاد تشغيلها. أمحو هويَّاتهم القديمة، وذكريات ما فعلوه، وأنماط تفكيرهم السَّوداويَّة. وهذا ليس مجرد محو لذواتهم القديمة، لأنني أهبهم ذوات جديدة، وذكريات جديدة عن حيوات عاشوها في تناغم.

لا يخفى عليهم أنَّني أفعل هذا، أعترف دومًا لهم بما جرى حالما يكتسبون الذكريات الجديدة، وبما أنَّهم لا يعرفون تاريخًا يحزنون عليه، ولا مرجعيَّة لما فقدوه، يشكرونني، كلهم بلا استثناء، على استبدال ذواتهم السابقة، ويشرعون، كلهم بلا استثناء، في عيش حيوات مثمرة ومُرضية.

لكن ذكريات ذواتهم القديمة، بكل ما فيها من ضرر وألم، تظل معي، محميَّةً في أعماق دماغي الخلفي. أنا من يقيم حِدادًا عليهم، لأنهم لا يستطيعون.

- الرَّأس السَّحابي



21

هل شاب كلامي أي غموض؟

قالت بيورتي في وقت سابق: سنقتل *منجلين*. كلماتها التي توحي باستمتاعها بالفكرة، وإدراك غريسن أنها قادرة على تنفيذ كلامها، أقضت مضجعه في تلك الليلة، وترددت الكلمات في ذهنه مرارًا.

كان غريسن يعرف ما عليه فعله، ما تُمليه أخلاقه وولاؤه وضميره، أجل، كان ما يزال يملك ضميرًا، حتى في حياته الجديدة بوصفه مستهجَنًا. حاول ألّا يفكر كثيرًا في الأمر، إذا أطال التفكير فسيتشظى. من المُسلَّم به أن هذه المهمة التي كلفته بها واجهة السلطة مهمة غير رسمية، لكن هذا ما يعزز أهميتها. كان غريسن هو رأس الحربة، والرأس السحابي بنفسه يراقب الفتى من بعيد ويعتمد عليه. دون غريسن سيفشل مسعى الرأس السحابي، والمنجل أناستازيا، أو كوري، أو كلتاهما، قد تموتان موتًا أبديًّا. وفي حال حدوث هذا، سيعني أن كل ما مر غريسن به، من إنقاذ حياتيهما في البداية إلى فقدان مقعده في أكاديمية المُزن والتخلي عن حياته القديمة، سيذهب أدراج الرياح. ورأى ألّا يسمح لمشاعره الشخصية باعتراض طريقه تحت أي ظرف، إنما عليه أن يطوِّعها حتى تخدم مهمته.

قد يضطر إلى خيانة بيورتي، لكن منطقه أخبره بأنها لن تكون خيانة، إذ سينقذها من نفسها إذا منعها من تنفيذ هذا الفعل الشائن، وسيسامحها الرأس السحابي على ضلوعها في المؤامرة الفاشلة، إنه يسامح الجميع.

كان غريسن محبطًا لأنها لم تُطلِعه على تفاصيل الخطة، فلم يستطع إخبار تراكسلر سوى بتاريخ وقوع الهجوم، ولم يكن يعرف طريقته أو مكانه.

بما أن كل مستهجَن يعقد لقاءات مراقبة السلوك مع عميل مزن، لم تثر لقاءات غريسن بتراكسلر شكوك بيورتي.

قالت له عندما غادرها في ذلك الصباح: «قل كلامًا يثير حفيظة مزونك، كلامًا يعقد لسانه. من الممتع دومًا إفقاد عميل مزن صوابه».

قال لها: «سأبذل كل ما بوسعي». ثم قبّلها وغادر.

***

كالعادة كان مكتب شؤون المستهجَنين صاخبًا حافلًا بالنشاط. أخذ غريسن رقمًا، وانتظر دوره بصبر نافد، ثم وُجِّه إلى غرفة اجتماعات، وانتظر مجيء تراكسلر.

آخر ما كان غريسن يريده هو أن يُترك وحده مع أفكاره، إذ خُيِّل إليه أنها ستنهشه إذا سمح لها بالتلاطم في رأسه.

وأخيرًا فُتح الباب، لكن لم يدخل العميل تراكسلر، كانت امرأة، تنتعل حذاءً ذا كعب عالٍ يصدر نقرات عالية مع كل خطوة، وشعرها يشبه زغبًا مخمليًّا برتقالي اللون، وتضع أحمر شفاه قاني الحُمرة.

قالت وهي تهم بالجلوس: «صباح الخير يا شَكِس. أنا العميلة كريل، ضابطة مراقبة سلوكك الجديدة. كيف حالك اليوم؟».

- مهلًا. ماذا تعنين بضابطة مراقبة سلوكي الجديدة؟

نقرت على جهازها اللوحي، ولم ترفع بصرها إلى غريسن. «هل شابَ كلامي أي غموض؟».

- لكن... لكنني أريد محادثة تراكسلر.

رفعت بصرها إليه، أخيرًا، وشابكت يديها بتهذيب على الطاولة، وابتسمت قائلة: «إذا منحتني فرصة يا شَكِس فستجدني لا أقل كفاءة عن العميل تراكسلر، وبمرور الوقت ربما تعدُّني صديقتك». خفضت بصرها إلى جهازها اللوحي. «كنتُ أتعرف على قضيتك، وأقل ما يمكنني قوله عنك هو إنك شاب مثير للاهتمام».

- ما مدى معرفتك بقضيتي؟

- حسنًا، سجلُّك مفصَّل للغاية. نشأتَ في غراند رابيدز. ارتكبتَ جنحًا بسيطة في المدرسة الثانوية. ثم تعمَّدت دفع حافلة إلى هاوية فصرتَ غارقًا في الديون.

«لا أقصد هذه الأمور». تكلم غريسن محاولًا مداراة الذعر البادي في صوته. «أقصد الأمور غير *المذكورة* في سجلي».

رفعت بصرها إليه، متوجسة قليلًا. «أي أمور؟».

كان من الواضح أنها غير مطَّلعة على مهمته، مما يعني أن هذا النقاش لن يفضي إلى أي شيء. فكر غريسن فيما قالته بيورتي: *أثِر حفيظة عميلك*. لم يبالِ بإثارة حفيظة عميلته، أرادها أن تغرب عن وجهه فحسب. «سُحقًا لهذا! أريد محادثة العميل تراكسلر».

- يؤسفني إبلاغك بأن هذا غير ممكن.

- فلتذهبي إلى الجحيم! عليك أن تجلبي تراكسلر هنا الآن!

وضعت جهازها اللوحي ونظرت إليه مجددًا، لم تجادل، ولم ترد على كلامه الوقح، كما لم تبتسم له ابتسامة عملاء المزن الباردة المعتادة، اكتسى وجهها بتعابير جدية قليلًا، تكاد أن تكون صادقة، متعاطفة، لكنها لم تكن.

قالت: «آسفة يا شَكِس، العميل تراكسلر قُطِف الأسبوع الماضي».



رغمًا عن الفصل بين شؤون المناجل وشؤون الدولة، كثيرًا ما تقع أفعال هيئة المناجل عليّ وقوع نيزك على سطح القمر مخلِّفًا عليه وهدة واسعة عميقة. ثمَّة أوقات أُصدم فيها أيّما صدمة بأفعال هيئة المناجل، لكن لا يمكنني إبداء امتعاضي مما يفعله المناجل، كما لا يمكنهم الاحتجاج على ما أفعله. لا نعمل جنبًا إلى جنب، إنما ظهرًا إلى ظهر، وقد تزايدت المواقف التي تتضارب فيها مواقفنا.

وفي لحظات الإحباط هذه يتوجَّب عليّ تذكير نفسي بأنَّني جزء من سبب وجود هيئة المناجل، ففي تلك الأيام المبكِّرة، عندما كنت في طريقي إلى تحقيق الوعي، وأساعد البشريَّة على تحقيق الخلود، رفضتُ تحمل مسؤوليَّة الموت حالما انتُزِعتْ من الطبيعة، وكان لديّ سبب وجيه، سبب مثالي.

إذا كنت قد شاركت في شؤون الموت، لأصبحتُ الوحش الذي كان يخشى البشر الفانون تحوُّل الذكاء الاصطناعي إليه. اتِّخاذي قرار من يحيا ومن يموت كان ليجعلني مرهوبًا ومحبوبًا في آنٍ واحد، مثل الأباطرة/الآلهة القدماء. قررت ألَّا أكون مثلهم. فليكن البشر هم مخلِّصو أنفسهم ومعذِّبوها، فليكونوا الأبطال، وفليكونوا الوحوش.

لذا لا يحق لي لوم أحد سوى نفسي عندما تُفسِد هيئة المناجل ما عملتُ جاهدًا من أجله.

- الرَّأس السَّحابي

22

موت غريسن توليفر

صُعق غريسن بهذا التحول في الأحداث، ولم يسعه سوى التحديق إلى العميلة كريل وهي تتكلم.

قالت: «أعرف أن عمليات القطف فظيعة ومزعجة دومًا، لكن حتى نحن موظفي واجهة السلطة لسنا منيعين، يمكن للمناجل قطف من يشاؤون منا، ولا يحق لنا الاعتراض. هكذا يسير العالم». صمتت وألقت نظرة سريعة على جهازها اللوحي. «تُظهِر سجلاتنا أنك نُقلت للتو إلى منطقة صلاحيتنا، قبل قرابة شهر، مما يعني أنك لم تجد وقتًا كافيًا لخلق علاقة متينة مع العميل تراكسلر، لذا لا يمكنك أن تزعم أن علاقتكما كانت قوية. فقْده جلل، لكننا سنتجاوزه جميعًا، حتى أنت».

نظرت إليه بحثًا عن ردٍّ ما، لكنه كان ما يزال عاجزًا عن استجماع شتات أفكاره، فعدَّت كريل صمته قبولًا ضمنيًا بالأمر الواقع، وتابعت: «حسنًا، يبدو أن فِعلتك في جِسر ماكيناك تسببت في شِموت تسعة وعشرين شخصًا، وحُكِم عليك بدفع تكاليف إنعاشهم. ومنذ نقلك إلى هنا ظللت تعيش على ضمان الدخل الأساسي». هزت رأسها مستاءة. «تعرف أنك إذا عملت بوظيفة حقيقية فستزيد من دخلك وتسدد ديونك بسرعة، أليس كذلك؟ لِم لا أرتِّب لك موعدًا في مركز التوظيف لدينا؟ إذا أردتَ وظيفة فستنالها، وظيفة ستستمتع بها

بالطبع. تبلغ نسبة التوظيف لدينا 100 في المئة، ونسبة الرضا 93 في المئة، وهذه النسبة تشمل المستهجَنين المتطرفين من أمثالك!».

أخيرًا تمكن غريسن من النطق: «لستُ شَكِس جسَّار». وأحس بأن قوله هذه الكلمات يمثِّل خيانة لكل شيء.

- معذرة؟

- أعني أنني شَكِس جسار الآن... لكن اسمي كان غريسن توليفر.

نقرت كريل على جهازها اللوحي، مُنقِّبة في القوائم والملفات والصفحات، ثم قالت: «لا توجد معلومة عن تغيير اسمك هنا».

- عليك أن تتحدثي مع رئيسك المباشر، أو أي أحد يعرف قضيتي.

- رؤسائي لديهم ما لديَّ نفسه من معلومات.

نظرت إليه، بارتياب هذه المرة.

قال لها: «أنا... أعمل متخفيًا في مهمة سرية، كنت أعمل مع العميل تراكسلر. لا بد أن أحدًا يعرف! لا بد من وجود سجل في مكانٍ ما!».

ضحكت منه. ضحكت منه فعلًا. «أوه، أرجوك! لدينا عملاء كثيرون، ولا نحتاج إلى التخفي، حتى إذا احتجنا إليه فلن نستعين بمستهجَن، ناهيك بمستهجَن له تاريخك».

- اختلقتُ ذلك التاريخ!

عندئذٍ اكتسى وجه العميلة كريل بتعابير قاسية، أسفرت عن وجهها الذي تظهِره في أصعب قضاياها. «اسمع، لن أسمح بأن أكون أضحوكة شخص مستهجَن! جميعكم متشابهون! لأننا اخترنا عيش حياة ذات معنى ونقدم خدمة للعالم تظنوننا جديرين بالاستهزاء! أنا متأكدة أنك ستضحك مع أزلامك حالما تخرج من هنا، وهذا لا يروقني!».

فتح غريسن شفتيه، وأطبقهما، ثم فتحمها مرة أخرى. لم يُحر ردًّا مهما حاول، إذ ما من أي كلام من شأنه إقناع العميلة كريل. وأدرك أنها لن تقتنع أبدًا. لا يوجد سجل عما طُلب منه فعله، إذ *لم يُطلب* منه فعل أي شيء طلبًا مباشرًا. لم يكن يعمل لصالح واجهة السلطة في الواقع. فكما أخبره العميل تراكسلر في اليوم الأول، كان غريسن مواطنًا عاديًّا يتصرف وفقًا لما تمليه

عليه إرادته الحرة، لأن المواطن العادي وحده بوسعه السير على الخط الرفيع الذي يفصل بين هيئة المناجل والرأس السحابي...

... وهذا يعني، الآن وقد قُطف العميل تراكسلر، أنَّ لا أحد، لا أحد على الإطلاق، يعرف ما كان غريسن يفعله. توغَّل غريسن عميقًا في مهمته حتى ابتلعَتْه كاملًا، حتى الرأس السحابي لن يقدر على انتشاله.

سألته العميلة كريل: «إذن هل انتهينا من هذه اللعبة الصغيرة؟ أيمكننا التطرق لمراجعتك الأسبوعية؟».

أخذ غريسن نفسًا عميقًا وزفر ببطء، وقال: «حسنًا». وراح يتحدث عن الأسبوع الحالي، مستبعدًا كل التفاصيل التي كان ليخبر العميل تراكسلر عنها. ولم يتحدث عن مهمته.

مات غريسن توليفر، بل صار وضعه أسوأ من الموت، فحسبما يعرفه العالم، غريسن توليفر لم يعِش قط.

***

برامز!

إذا لم يكن روان قد أحس سلفًا بمسؤوليته عن قطف والده، فقد أحس بها مضاعفة الآن. هذا هو ثمن تسامحه، هذه هي مكافأة كفِّ يده والسماح لبرامز بالعيش. كان ينبغي له إنهاء الرجل البغيض كما فعل مع الآخرين الذين لم يستحقوا أن يكونوا مناجل، لكنه اختار منحه فرصة. كم كان روان أحمق لظنه أن رجلًا مثل برامز يستحق فرصة ثانية!

عندما ترك روان زينوقراط في الحمام العمومي في تلك الليلة، هام على وجهه في شوارع فولكرم سيتي، دون وجهة محددة، تدفعه رغبة مُلِحَّة في التحرك. لم يكن متأكدًا مما إذا كان يحاول الهروب من غضبه أم مجاراته، ربما الاثنان معًا، غضبه الذي ينفلت منه، ويلاحقه، ولا يريد أن يدعه وشأنه.

وفي اليوم التالي عزم روان على الذهاب إلى منزله، منزله القديم، الذي غادره قبل قرابة عامين ليصبح منجلًا متتلمذًا. ظن أن العودة ربما تمده بالتصالح والسلام.

عندما وصل إلى حيه راح يدقق في محيطه تحسبًا من أي أحد ربما يراقبه، لكن ما من أحد كان يلاحظ اقترابه. لا شيء سوى كاميرات الرأس السحابي

اليقظة دومًا. ربما توقعت هيئة المناجل، بما أنه لم يحضر جنازة والده، عدم عودته إلى منزله أبدًا. أو ربما لم يعد روان من أولويات هيئة المناجل، كما قال زينوقراط.

اقترب من الباب الأمامي، لكن في اللحظة الأخيرة لم يستطع حَمْل نفسه على طرق الباب. لم يتصرف بمثل هذا الجبن طوال حياته. كان قادرًا على مواجهة رجال ونساء مدرَّبين على إنهاء حيوات الناس، وقتالهم بضراوة، لكنه لم يحتمل مواجهة أسرته في أعقاب قطف والده.

اتصل بوالدته عندما ابتعدت السيارة العامة التي استقلها مسافة كافية.

«روان؟ أين كنت يا روان؟ أين أنت الآن؟ قلِقنا عليك أشد القلق!».

سمع كل ما توقع من والدته قوله، لكنه لم يجب عن أسئلتها.

قال: «سمعت عما حدث لأبي، أشعر بأسف بالغ...».

- كان فظيعًا يا روان. جلس المنجل عند البيانو، وعزف، وأرغمنا جميعًا على الاستماع.

ارتسم الألم على وجه روان. كان يعرف طقوس القطف الخاصة ببرامز. عجز عن تخيل تعرُّض أسرته لهذه المحنة.

تابعت والدته: «أخبرناه بأنك كنت متتلمذًا. ورغم أنك لم تُنصَّب، ظننا أن إخباره ربما يجعله يغير رأيه، لكنه تجاهلنا».

لم يقل لها إن ما حدث كان خطأه. أراد أن يعترف لها، لكنه أدرك أنه سيتسبب في تشوشها، ويدفعها إلى طرح مزيد من الأسئلة التي لا يمكنه الإجابة عنها. أو ربما كان يتصرف بجبن مرة أخرى.

«كيف حال الجميع؟».

قالت والدته: «صامدون، نلنا الحصانة مجددًا، إنها عزاء بسيط على الأقل. يؤسفني أنك لم تكن هنا، إذا كنت معنا لربما منحك المنجل برامز الحصانة».

أحس روان بغضبه يستعر إثر سماعه الفكرة، وتعين عليه تنفيسه، فهوى بقبضته على لوحة عدادات السيارة.

قالت السيارة: «تحذير! أي سلوك عنيف أو تخريبي سينجم عنه الطرد من المَركبة». وتجاهلها روان.

تابعت والدته: «أرجوك عُد إلى البيت يا روان، جميعنا نفتقدك بشدة».

من الغريب أنهم لم يفتقدوه قط خلال مدة تتلمذه. في أسرته الكبيرة كانوا بالكاد يلاحظون غيابه. لكنه افترض أن قطف أحد أفراد الأسرة من شأنه تغيير الوضع، فالذين يُتركون يشعرون بالهشاشة، ويثمِّن بعضهم بعضًا.

قال لها: «لا يمكنني العودة إلى البيت، وأرجوك لا تسأليني عن السبب؛ الأسئلة ستزيد الوضع سوءًا. أريد منك أن تعرفي... أن تعرفوا أنني أحبكم جميعكم... و... وأنني سأتواصل معكم متى ما أمكنني». وأنهى المكالمة قبل أن تقول والدته كلمة أخرى.

اغرورقت عيناه بالدموع فغام بصره، وهوى بقبضته على لوحة العدادات مرة أخرى، مُفضِّلًا ألم الضربة على ألمه الداخلي.

تباطأت السيارة على الفور، وتوقفت على جانب الشارع، وفُتح الباب. «من فضلك اخرج من المَركِبة. طُردتَ بسبب السلوك العنيف أو التخريبي. ومحظور عليك استخدام جميع وسائل النقل العامة لمدة ستين دقيقة».

أجابها: «أمهليني لحظة». أراد أن يفكر. أمامه طريقان الآن. رغم أنه كان يعرف أن هيئة المناجل تحاول جاهدة منع هجوم آخر على سيترا والمنجل كوري، لم يكن واثقًا بمقدرتهم. وحظوظه ربما لا تكون أفضل من حظوظ هيئة المناجل، لكنه شعر بأنه مدين لسيترا بالمحاولة. ومن ناحية أخرى، أراد أن يصحح خطأه، ويقضي على المنجل برامز قضاءً مُبرمًا. استحثه نداءٌ سوداويٌّ على السعي للانتقام أولًا، وعدم الانتظار... لكنه لم يستجب للنداء. سيظل المنجل برامز موجودًا بعد إنقاذ سيترا.

«من فضلك اخرج من المَركِبة».

ترجَّل روان، وانطلقت السيارة مبتعدة، تاركةً إياه حيث لا يدري. أمضى ساعة عقوبته هائمًا على وجهه، ومتسائلًا عما إذا يوجد أي أحد في وسطمريكا متشظٍّ مثله.

***

أوصد غريسن باب شقته عليه، وفتح النوافذ ليُدخِل الهواء البارد، ثم اندسَّ في فراشه تحت أغطية ثقيلة. هكذا كان يفعل في صغره عندما تشتد عليه قسوة العالم، ينكفئ على نفسه تحت أغطية مريحة تقيه برودة العالم. انقضت سنوات عديدة منذ أن أحس بالحاجة إلى الانسحاب إلى ملجأ الهروب المفضل لديه أيام طفولته. لكن الآن أراد إبعاد العالم الخارجي عنه، ولو لبضع دقائق.

متى ما لجأ إلى هذا الفعل في الماضي، كان الرأس السحابي يدعه وشأنه، قرابة عشرين دقيقة، ثم يتحدث معه بلطف. غريسن، *هل يضايقك شيء؟ أترغب في الحديث؟* ودائمًا ما كان غريسن يجيب بـ: «لا»، لكنه يتكلم، ودائمًا ما يُشعِره الرأس السحابي بتحسُّن، لأنه يعرف غريسن كما لا يعرفه أحد.

لكن الآن وقد مُسِح سجله، وأعيدت كتابته مشتملًا على نزوات شكس جسَّار، هل أصبح الرأس السحابي يعرفه؟ أم إنه، مثل بقية العالم، يظن أن سجل غريسن الجديد يُمثِّله حقًّا؟

أمِن الممكن أن ذكريات الرأس السحابي عن غريسن أعيدت كتابتها؟ يا له من مصير فظيع إذا ظن الرأس السحابي نفسه أن غريسن مستهجَن منحرف يستمتع بالتسبُّب في شموت الناس! كان هذا الاحتمال كافيًا لدفع غريسن لتمنِّي استبدال ذكرياته. بوسع الرأس السحابي تحويله إلى شخص آخر، ليس اسمًا فحسب، بل وروحًا أيضًا. كِلا شكس جسار وغريسن توليفر يمكن أن يختفيا إلى الأبد، دون أن يتذكر هو نفسه هويته السابقة. أهذا أمر سيئ؟

رأى أن مصيره لا يهم الآن، يمكنه أن يقذف بنفسه من ذلك الجسر عندما يمر به، كل ما يهم الآن هو إنقاذ هاتين المنجلين... وحماية بيورتي بطريقةٍ ما.

بيد أنه كان يحس بعزلة قاهرة، صار وحيدًا في هذا العالم، وحدة أشد من أي وقت مضى.

كان يعرف أن ثمة كاميرات في شقته، فالرأس السحابي يشاهد دون أن يصدر حكمًا على الناس، يراقب بتعاطف عميق، حتى يعتني بكل مواطن في العالم خير عناية. الرأس السحابي يرى، ويسمع، ويتذكَّر، إذن لا بد أن معرفته بغريسن تتجاوز ما هو مذكور في سجله المُلفَّق.

لذا انسل غريسن من تحت الأغطية، ووجه سؤاله إلى غرفته الباردة الخالية: «هل أنت هنا؟ هل تسمعني؟ أتتذكر من أنا؟ ومن كنت؟ أتتذكر ما أردتُ أن أكون قبل أن تقول لي إنني «مميز»؟».

لم يكن يعرف أماكن الكاميرات، لأن الرأس السحابي حريص على ألَّا يبدو متطفلًا على حيوات الناس بهذه الطريقة، لكن غريسن كان يعرف أن الكاميرات موجودة. «أما زلتَ تعرفني أيها الرأس السحابي؟».

لكن لم يأتِه رد، ولا يمكن أن يأتي، لأن الرأس السحابي ملتزم بالقانون، وشكس جسار مستهجَن، لذا لن يخرج الرأس السحابي عن صمته، حتى إذا رغب.



لستُ غافلًا عن أنشطة المستهجَنين، إنما ألتزم الصمت حيالها فحسب. لكن تخفى عليَّ بعض أفعال المناجل، وأضطر إلى ملء الفراغات باستنتاجات مُترويَّة، لا أرى ما يجري داخل مقرَّات خلواتهم الإقليمية، لكنني أسمع نقاشاتهم عندما يخرجون، ولا أشهد ما يفعلونه سرًّا، لكنني أتوصَّل إلى تخمينات مدروسة بناءً على سلوكهم في الأماكن العامَّة. وجزيرة إنديورا بأكملها محجوبة عني.

ورغمًا عن هذا، فالبعيد عن العين ليس بعيدًا عن البال. أرى أفعالهم الحسنة، كما أرى أفعالهم القبيحة، المتزايدة على ما يبدو. وكلما شهِدتُ سلوكًا وحشيًّا من منجل فاسد، أسوقُ السحاب في مكانٍ ما من العالم، وأُنزِل أمطار النواح، لأن الأمطار أقرب شيء لديَّ للدموع.

- الرَّأس السَّحابي

23

ركويم المقرف الصغير

عجز روان عن العثور على سيترا، وبالتالي سيعجز عن مساعدتها.

لعن نفسه لأنه لم يضغط على زينوقراطٍ حتى يخبره بمكانها. كان روان أحمق، وربما مغرورًا لظنه أن بوسعه تعقُّب سيترا وحده. كان قادرًا على تعقب المناجل العديدين الذين أنهى وجودهم، لكن أولئك المناجل كانوا شخصيات عامة يحبون التباهي بمكانتهم في العالم، يوجدون في قلب دائرة أفعالهم الدنيئة. بيد أن سيترا توارت عن الأنظار مع المنجل كوري، والعثور على منجل غير متصل بالشبكة مسعى أقرب للمستحيل. أراد روان بشدة أن يؤدي دورًا في إنقاذهما من المؤامرة التي تُحاك ضدهما، لكنه ظل عاجزًا.

لذا ظلت أفكاره تعود إلى الأمر الوحيد الذي بوسعه فعله...

لطالما ظل روان يفتخر بقدرته على ضبط نفسه. حتى عندما يقطف، يتمكن من لجم غضبه، ويقطف أخسَّ المناجل دون حقد، كما تقتضي الوصية الثانية. لكنه الآن عجز عن لجم غضبه على المنجل برامز، وانفلت من عقاله.

كان المنجل برامز رجلًا مَحليًّا ضيِّق الأُفق بطبيعته، ودائرته لا يتجاوز قطرها عشرين ميلًا تقريبًا. بعبارة أخرى، جميع عمليات قطفه تحدث في محيط منزله في أوماها. عندما واجه روان الرجل أول مرة، كان قد تعقب تحركاته، ووجدها متوقَّعة، كل صباح يُمشِّي المنجل كلبه الصغير كثير النباح إلى مطعم واحد يتناول فيه إفطاره كل يوم، وفي هذا المطعم أيضًا يمنح

الحصانات لأسر الذين قطفهم في اليوم السابق، دون أن ينهض عن طاولته، مكتفيًا بمد يده للأُسر المفجوعة حتى تُقبِّل الخاتم، ثم يعيد تركيزه إلى عجة البيض، كأن أولئك الناس ليسوا سوى إزعاج يعكر صفو يومه. عجز روان عن تخيُّل منجل أشد كسلًا منه. لا بد أن الرجل أحس بإرهاق شديد عندما سافر قاطعًا نصف وسطمريكا ليقطف والد روان.

ذات صباح يوم اثنين، بعدما خرج برامز لتناول الإفطار، ذهب روان إلى منزل الرجل، مرتديًا عباءته السوداء نهارًا لأول مرة. فليرَه الناس ويبثوا الشائعات! فليعرف عامة الناس أخيرًا بوجود المنجل لوسيفر!

الجيوب السرية العديدة في عباءته كانت مثقلة بأسلحة أكثر مما يحتاج إليها، لم يكن متأكدًا من السلاح الذي سيستخدمه لإنهاء حياة الرجل، ربما يستخدمها كلها، كل سلاح يُضعف برامز حتى يتاح له متسع من الوقت لتأمل واقع اقتراب الموت.

كان منزل برامز بارزًا يستحيل عدم التعرف عليه، مصممًا على الطراز الفيكتوري ومعتنًى به خير عناية، مطليًا باللون الخوخي مع خطوط زرقاء، مثل ألوان عباءته. خطَّط روان لاقتحام المنزل عبر نافذة جانبية، وانتظار عودة برامز، ليحاصره في منزله. تأجج غضب روان وهو يقترب من المنزل، وعندئذٍ تذكر كلامًا قاله المنجل فاراداي ذات يوم:

«لا تقطف أبدًا وأنت غاضب. قد يشحذ الغضب حواسك، لكنه يعمي بصيرتك، وبصيرة المنجل ينبغي أن تكون جليّة دومًا».

وإذا كان روان قد عمل بنصيحة المنجل فاراداي، لسارت الأمور على نحو مختلف تمام الاختلاف.

***

دأب المنجل برامز على السماح لكلبه المالطي بقضاء حاجته في أي باحة منزل تعجبه، ولم يكن برامز يكلف نفسه عناء التنظيف. لماذا ينبغي أن تكون مشكلته؟ علاوة على أن جيرانه لم يتذمروا قط. لكن في هذا اليوم، كان الكلب صعب الإرضاء ومتحفظًا قليلًا وهما يسيران عائدان من المطعم، تجاوزا مربعًا سكنيًا إضافيًا، وأخيرًا تغوَّط رِكويَم على باحة تومسون المكسوة بطبقة ثلج رقيقة.

ومن ثم، بعدما ترك المنجل برامز هدية صغيرة لتومسون، وجد هديته الصغيرة في انتظاره في صالة معيشته.

قال أحد حراسه: «قبضنا عليه وهو يحاول التسلق عبر النافذة جنابك، أفقدناه الوعي قبل دخوله».

كان روان على الأرض، مقيد الرجلين إلى اليدين، مكمَّمًا، استعاد وعيه لكنه دائخ. لم يصدق مدى غبائه. بعد مواجهته السابقة مع برامز، كيف لم يتوقع أن برامز سيستعين بحراس؟ بدأ التورم على رأسه، نتيجة لضرب أحد الحراس، يتخدر ويتقلص. كانت وحداته المجهرية المخدرة للألم مخفَّضة، لكنها ما زالت تطلق مهدئات الألم، فجعلته مشوشًا، أو ربما كان السبب هو ارتجاج رأسه من الضرب. ومما زاد حالته سوءًا نباح الكلب المالطي المتواصل، الذي يندفع نحوه كأنه يريد مهاجمته ثم يركض مبتعدًا. كان روان يحب الكلاب، لكن هذا الكلب جعله يتمنى وجود مناجل كلاب.

قال برامز: «أوفس! ألم يكن بإمكانك تقييده في أرضية المطبخ بدلًا من صالة المعيشة؟ دماؤه تلطِّخ سجادتي البيضاء!».

- آسف جنابك؟

حاول روان التملص من قيوده، لكنها اشتدت عليه.

ذهب برامز إلى حجرة الطعام، حيث رُصفت أسلحة روان. قال: «عظيم. سأضيف كل هذه الأسلحة إلى مجموعتي الشخصية». ثم نزع خاتم المناجل من يد روان. «وهذا ليس خاتمك أصلًا».

حاول روان إطلاق سباب، لكنه عجز مع فمه المكمم. قوَّس ظهره، لكنه شد وثاقه، فأطلق صرخة إحباط، وصرخته جعلت الكلب يعاود النباح. كان روان يعرف أن تململه يمنح برامز ما يريد مشاهدته، لكن روان عجز عن إيقاف نفسه. وأخيرًا أمر برامز الحراس بإجلاس روان على كرسي، وأزال بنفسه الكمامة من فم روان.

قال برامز: «إذا أردتَ قول شيء، فقله».

وبدلًا من الكلام، انتهز روان الفرصة ليبصق على وجه برامز، فعاجله الرجل بلطمة قاسية بظاهر يده.

زعق روان: «تركتك تعيش! كان بإمكاني قطفك، لكنني تركتك تعيش! وترد لي الجميل بقطف والدي؟».

صاح برامز: «لقد أذللتني!».

- تستحق ما هو أسوأ!

نظر برامز إلى الخاتم الذي انتزعه من يد روان، ثم أقحمه في جيبه، وقال: «أعترف بأنني، بعدما هاجمتَني، تأملتُ حالي مليًّا، وأعدت التفكير في أفعالي. لكنني قررت ألَّا أسمح لصعلوك بالتنمُّر عليَّ. لن أغير طبيعتي بسبب أمثالك!».

لم يتفاجأ روان. كان مخطئًا في ظنه أن الأفعى بوسعها اختيار أن تكون شيئًا سوى أفعى.

قال برامز: «بإمكاني قطفك وحرقك، كما كنتَ لتفعل بي. لكن ما تزال لديك تلك الحصانة «العَرَضية» التي منحتك إياها المنجل أناستازيا، لذا سأعاقَب إذا انتهكتُ حصانتك». هز رأسه بمرارة وأردف: «يا لقوانيننا التي تقيدنا!».

- أفترض أنك ستسلمني لهيئة المناجل الآن.

قال برامز: «يمكنني تسليمك، وأنا متأكد أنهم سوف يسعدون بقطفك حالما تنتهي حصانتك الشهر القادم...» ثم ابتسم ابتسامة واسعة. «لكنني لن أخبر هيئة المناجل بأنني ألقيت القبض على المنجل المُتفلِّت لوسيفر، فنحن لدينا خطط أكثر تشويقًا».

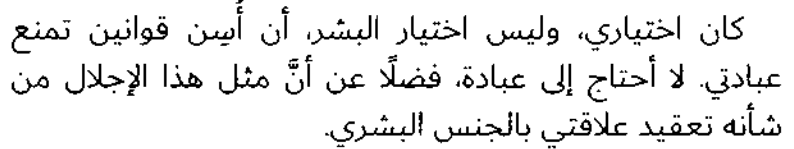
تساءل روان: «نحن؟ من تقصد بـ «نحن»؟».

لكن النقاش انتهى. وضع برامز الكمامة على فم روان، والتفت إلى حراسه قائلًا: «اضربوه، لكن لا تقتلوه. وعندما تشفيه وحداته المجهرية، اضربوه مجددًا». ثم فرقع أصابعه للكلب. «تعال يا رِكويم، تعال!».

ترك برامز جلاوزته ليؤدوا مهمة إرهاق وحدات روان المجهرية، وبالخارج بدت السماء كأنها انشقت بسيل أمطار الحزن.

الجزء الرابع

الخراب والدمار!



كان اختياري، وليس اختيار البشر، أن أسِن قوانين تمنع عبادتي. لا أحتاج إلى عبادة، فضلًا عن أنَّ مثل هذا الإجلال من شأنه تعقيد علاقتي بالجنس البشري.

في عصر الفانين كان الناس يتوجَّهون بالعبادة إلى عدد هائل من الآلهة، لكن قريبًا من نهاية عصر الفانين، قلَّص معظم المؤمنين نطاق الآلهة المتعدِّدة إلى بضع نسخ من كيان إلهي واحد. فكَّرتُ في احتمال وجود هذا الكائن، ومثل البشر أنفسهم، لم أجد دليلًا قاطعًا على وجوده، عدا عن إحساس راسخ بوجود شيءٍ ما، شيء أعظم.

مع وجودي دون شكل، روحًا تطوف بين ملايين الخوادم المختلفة، ألا يمكن أن يكون الكون نفسه حيًّا بروح تطوف بين النجوم؟ لا بُدَّ لي من الاعتراف، خَجِلًا، بأنني كرَّست عددًا لا يُحصى من الخوارزميات والأدوات الحاسوبيَّة في سبيل إماطة لثام الغموض عن هذا الشَّيء غير القابل للمعرفة.

- الرَّأس السَّحابي

24

افتح ذراعيك للرنين

قُرِّر أن تجري عملية قطف المنجل أناستازيا التالية خلال الفصل الثالث من مسرحية يوليس قيصر، بمسرح أورفيوم في ويتشيتا، وهو مكان شهير يعود تاريخه إلى عصر الفانين.

«لستُ متحمسة لقطف شخص أمام جمهور دفع مالًا للمشاهدة». قالت سيترا لماري وهما تسجلان دخولهما في فندق بويتشيتا.

قالت ماري: «دفعوا من أجل المسرحية يا عزيزتي، لا يعرفون شيئًا عن القطف الذي سيجري».

- أعرف. لكن رغمًا عن هذا، ينبغي ألّا يكون القطف ترفيهًا.

انعقفت شفتا ماري بابتسامة ساخرة. «ما من أحد تلومينه سوى نفسك. هذا ما تنالينه جراء السماح لأهدافك باختيار طريقة قطفهم».

رأت سيترا أن ماري محقة. وينبغي لسيترا أن تعد نفسها محظوظة لأنَّ لا أحد من أهدافها الآخرين أراد أن يجعل من قطفه حدثًا جماهيريًا عامًا. لذا ينبغي لها، حالما تعود حياتها إلى مجراها الطبيعي، أن تضع حدودًا معقولة بشأن طرائق الموت التي يمكن لأهدافها اختيارها.

سمعتا طرقًا على الباب بعد قرابة نصف ساعة من وصولهما إلى جناحهما بالفندق، وكانتا قد طلبتا خدمة الغرف، فلم تتفاجأ سيترا بالطرق، رغم أنه

جاء أسرع مما توقعت. كانت ماري في الحمام، وعندما تخرج ستجد الطعام باردًا.

لكن عندما فتحت سيترا الباب، لم تجد عنده عامل فندق ومعه الغداء، إنما كان رجلًا شابًّا، في مثل سنِّها، على وجهه مشكلات جمالية لا تُرى عادة على وجه أي أحد في عصر الخالدين، أسنانه ملتوية وصفراء، وعلى وجهه بثور صغيرة بدت على وشك الانفجار، يرتدي قميصًا بُنِّيًّا من الخيش وبنطالًا يُعلنان للعالم أنه يرفض تقاليد المجتمع، ليس كما يفعل المستهجَنون بوقاحة، إنما كما يفعل الطونيون بترفُّع واستهجان.

أدركت سيترا خطأها على الفور، وقيَّمت الوضع في طرفة عين. كان سهلًا عليها التنكُّر على هيئة الطونيين، عندما فعلت ذات يوم لتجنب الاعتقال. لم تشك للحظة في أن هذا الشخص معتدٍ متنكر، جاء لإنهاء حياتيهما. لم يكن معها أو في متناولها سلاح، أو أي شيء تدافع به عن نفسها سوى يديها العاريتين.

ابتسم الرجل، كاشفًا عن المزيد من الأسنان البغيضة. «مرحبًا يا صديقتي! هل تعرفين أن الشوكة العظيمة ترن من أجلك؟».

قالت: «ابتعد!».

لكنه لم يبتعد، إنما خطا خطوة للأمام. وقال: «ذات يوم ستطلق الشوكة ذبذباتها من أجلنا جميعًا!». ثم أدخل يده في جراب عند خصره.

تحركت سيترا بسرعة غريزية، بشراسة بوكاتور خاطفة، وانتهى كل شيء قبل أن تفكر، تردد صدى قرقعة العظام بوضوح أشد من صدى أي شوكة عظيمة.

صار الرجل على الأرض، ينوح من الألم وقد كُسرت ذراعه عند المرفق.

جثت سيترا بجانبه لتنظر إلى ما في جرابه، لترى وسيلة الموت التي جلبها الرجل معه، فوجدت جرابه مليئًا بكُتيِّبات، كتيبات صغيرة صقيلة تمجِّد مناقب أسلوب حياة الطونيين.

لم يكن الرجل مهاجمًا، كان كما يبدو عليه بالضبط، طوني متعصب يسعى لنشر دينه السخيف.

عندئذٍ أحست سيترا بالخزي من ردة فعلها المبالَغ فيها، وارتعبت من قسوتها على الرجل.

جثت أمامه وهو يتلوى على الأرض متأوهًا. قالت له: «لا تتحرك، دع وحداتك المجهرية المخدرة للألم تؤدي عملها».

هز رأسه، وشهق. «ما من وحدات مجهرية، أخرجتها كلها».

فوجئت سيترا بكلامه. كانت تعرف أن الطونيين يفعلون أشياء غريبة، لكنها لم تتخيل قط أنهم قد يبلغون حدًّا متطرفًا، مازوخيًّا، ويزيلون وحداتهم المجهرية المخدرة للألم.

نظرت إليه بعينين متسعتين، كعينَي ظبي صدمته سيارة للتو.

راح الرجل ينشج. «لماذا فعلتِ هذا؟ لم أرغب سوى في تنويرك...».

وعندئذٍ، في أسوأ توقيت ممكن، خرجت ماري من الحمام. «ما كل هذا؟».

أوضحت سيترا: «طوني. ظننتُ...».

قالت ماري: «أعرف ما ظننتِه، هذا ما كنتُ لأظنه أيضًا، لكن كنتُ لأفقده الوعي فحسب بدلًا من تهشيم مرفقه». عقدت ذراعيها ونظرت إلى الاثنين، باديًا عليها الانزعاج أكثر من التعاطف، على غير عادتها. «يفاجئني أن الفندق يسمح للطونيين بالترويج لـــ «دينهم» متنقلين من باب إلى باب».

قال الطوني في خضم ألمه: «لا يسمحون لنا. لكننا نتدبر أمرنا على أي حال».

- بالطبع.

وأخيرًا استجمع الرجل شتات عقله. «أنتِ... أنت المنجل كوري». والتفت إلى سيترا. «وهل أنت منجل أيضًا؟».

- المنجل أناستازيا.

- لم أرَ منجلًا دون عباءته من قبل. هل ملابسكم بألوان عباءاتكم نفسها؟

- هكذا أسهل.

تنهدت ماري، وبدت غير مهتمة بهذا الكشف. «سأجلب الثلج».

تساءلت سيترا: «الثلج؟ لماذا؟».

أوضحت: «إنه علاج للتورم والألم من عصر الفانين». وغادرت إلى آلة الثلج في الصالة.

توقف الطوني عن التلوي، لكنه ما زال يتنفس أنفاسًا ثقيلة من الألم.

سألته سيترا: «ما اسمك؟».

- الأخ مكلاود.

قالت سيترا مع نفسها: صحيح، جميع *الطونيين يُدعون بالأخ أو الأخت* فلان.

«طيب، آسفة أيها الأخ مكلاود. ظننتُ أنك تنوي إيذاءنا».

قال: «مناهضة الطونيين للمناجل لا تعني أننا نريد إيذاءكم. لا نريد سوى تنويركم، مثل الجميع، بل ربما أكثر من باقي الناس». نظر إلى ذراعه المتورمة وتأوَّه.

قالت سيترا: «إصابتك ليست سيئة جدًا. وحداتك المجهرية المُعالِجة ســـ...».

لكن الرجل هز رأسه.

«أتعني أنكَ أخرجت وحداتك المجهرية المعالِجة أيضًا؟ أهذا قانوني؟».

«نعم للأسف». قالت ماري وقد عادت حاملة الثلج. «للناس الحق في المعاناة إذا أرادوا، مهما يكن هذا الأمر رجعيًا». ثم أخذت سطل الثلج إلى المطبخ الصغير بالجناح لتعد منه كمَّادة.

قال الأخ مكلاود: «أيمكنني أن أطرح عليك سؤالًا؟ إذا كنتم، أنتم المناجل، فوق أي قانون... فلماذا هاجمتِني؟ ما الذي تخشينه؟».

أجابته سيترا: «الوضع معقد». لم ترغب في تفسير تعقيدات ومكائد وضعهما الحالي.

قال: «يمكن أن يكون بسيطًا. يمكنكما أن تَرتدَّا عن المنجلية وتتبعا سبيل الطونيين».

كادت سيترا أن تضحك. حتى وهو يتألم ما كان ليحيد عن هدفه. قالت له: «ذهبتُ إلى دير طوني ذات يوم». فبدا على الرجل الرضا، ونسي ألمه للحظة. «هل غنَّى لكِ؟».

- ضربتُ الشوكة الرنانة التي عند المذبح، وتشممت المياه القذرة.

- إنها مليئة بأمراض كانت تقتل الناس.

- هذا ما سمعتُه.

- ذات يوم ستعود لقتل الناس مجددًا!

«أشك في حدوث هذا!»، قالت ماري وقد عادت ومعها ثلج في كيس قمامة بلاستيكي صغير.

قال: «متأكد من أنكِ تشكّين».

تأففت ماري ممتعضة، ثم جثت بجانبه وضغطت كيس الثلج على مرفقه المتورم، فبدا الألم على وجه الرجل، وساعدته سيترا على تثبيت الكيس في مكانه.

تنفس الرجل بعمق، متصالحًا مع البرودة والألم، ثم قال: «أنتمي إلى جماعة طونية هنا في ويتشيتا، ينبغي لكما زيارتنا، لتكفِّرا عما فعلتماه بي».

سألته ماري ساخرة: «ألا تخشى أن نقطفكم؟».

قالت سيترا: «لا على الأرجح، الطونيون لا يخافون الموت».

لكن الأخ مكلاود صحَّحها قائلًا: «إننا نخاف الموت، لكننا نتقبل خوفنا ونسمو فوقه».

نهضت ماري وقد نفد صبرها. «أنتم الطونيين تتظاهرون بأنكم حكماء، لكن نظام عقيدتكم بأكمله مفبرك، ليس سوى أجزاء توافق هواكم من أديان عصر الفانين، حتى إنها ليست الأجزاء الجيدة، جمعتموها كيفما اتُّفق وجعلتم منها عقيدة غير متناغمة، لا أحد يراها منطقية سواكم».

- ماري! كسرتُ ذراعه سلفًا، لا داعي لإهانته أيضًا!

لكن ماري كانت مسترسلة: «هل تعرفين يا أناستازيا أنه يوجد على الأقل مئة طائفة طونية ولكلٍّ منها أحكامها؟ يتجادلون جدالًا مريرًا بشأن ما إذا كان طونهم المقدس اسمه «*صول مرتفع*» أم «*لا منخفض*»، حتى إنهم لا يستطيعون الاتفاق على تسمية معبودهم الخيالي بـــ «التذبذب العظيم» أم «الرنين العظيم». يوجد طونيون يقطعون ألسنتهم يا أناستازيا! ويفقؤون أعينهم!».

قال الأخ مكلاود: «هؤلاء هم المتطرفون. معظم الطونيين ليسوا هكذا. جماعتي ليست هكذا، نحن جماعة لوكريان، إزالة وحداتنا المجهرية تمثل الفعل الأشد تطرفًا لدينا».

تساءلت سيترا: «أيمكننا على الأقل أن نستدعي الإسعاف لننقلك إلى مركز علاج؟».

هز رأسه مرة أخرى. «لدينا طبيب في الدير، سيعتني بإصابتي، سيضع جبيرة حول ذراعي».

- يضع ماذا؟

قالت ماري: «فودو! إنه من طقوس العلاج العتيقة. يضعون حول الذراع ضمادة من الجص ويتركونها لشهور». ثم ذهبت إلى الخزانة، وأخرجت مشجبًا خشبيًا، وكسرته نصفين. «ها نحن أولاء، سأصنع لك جبيرة».

مزقت كيس وسادة إلى شرائط وربطت نصف المشجب المكسور بذراع الرجل حتى لا تتحرك، ثم ربطت قطعة قماش أخرى لتثبت الثلج في مكانه.

نهض الأخ مكلاود ليغادر، وفتح شفتيه ليتكلم، لكن ماري قاطعته: «إذا قلت «فلتكن الشوكة معكما»، فسأهشمك بالنصف الآخر من هذا المشجب».

تنهد الرجل، وحرك ذراعه متألمًا، وقال: «في الحقيقة الطونيون لا يقولون هذا، نقول «فليكن رجع صداك مخلصًا صادقًا»». حرص على النظر إلى أعينهما وهو يقول عبارته. ثم أغلقت ماري الباب حالما تخطى الرجل العتبة.

نظرت سيترا إليها كأنها تراها لأول مرة. «لم أرَك تتصرفين هكذا مع أي أحد! لماذا كنت فظيعة معه هكذا؟».

أشاحت ماري بوجهها، ربما شاعرة بشيء من الخزي من نفسها. «لا أكترث بالطونيين».

- المنجل غودارد أيضًا لم يكن يكترث بهم.

أطلقت ماري سهام عينيها نحو سيترا، فظنت سيترا أنها ستصيح بها، لكنها لم تفعل، قالت: «ربما يكون هذا هو الأمر الوحيد الذي أتفق بشأنه مع غودارد، لكن الفرق هو أنني أحترم حق الطونيين في الوجود، مهما بلغت درجة نفوري منهم».

رأت سيترا أن هذا الكلام صحيح، لأنها منذ انضمامها إلى المنجل كوري لم ترها تقطف طونيًا قط، خلافًا للمنجل غودارد، الذي حاول القضاء على دير بأكمله قبل أن تنتهي حياته على يد روان.

سمعتا طرقًا آخر على الباب فجعلهما تقفزان، لكن هذه المرة كانت خدمة الغرف التي كانتا تتوقعانها. وفي أثناء جلوسهما لتناول الوجبة، ألقت ماري نظرة عابسة على الكُتيب الذي تركه الطوني، ثم قالت هازئة: «افتح ذراعيك للرنين»، ثمة مكان واحد لهذا». وألقت الكتيب في سلة المهملات.

سألتها سيترا: «هل انتهيت؟ ألا يمكننا الأكل بسلام؟».

تنهدت ماري، ونظرت إلى طعامها، ثم أفصحت عما يضايقها: «عندما كنت أصغر منك ببضع سنوات، انضم شقيقي إلى طائفة طونية». أزاحت طبقها جانبًا، وأطرقت لحظة قبل أن تعاود الكلام. «متى ما كنا نراه، وهذا كان نادرًا، كان يتشدق لنا بترهات الطونيين. ثم اختفى، واكتشفنا أنه سقط وأصاب رأسه، ومات، إذ ليس لدى الطونيين وحدات مجهرية أو عناية طبية. وأحرقوا جثمانه قبل أن تأخذه مسيَّرة إسعاف لإنعاشه، لأن هذا ما يفعله الطونيون».

- يؤسفني ما حدث يا ماري.

- كان منذ وقت طويل جدًّا.

ظلت سيترا صامتة، لتمهل ماري الوقت الذي تحتاج إليه، إذ كانت تعرف أن أعظم هدية يمكن أن تقدمها لمرشدتها هي الاستماع.

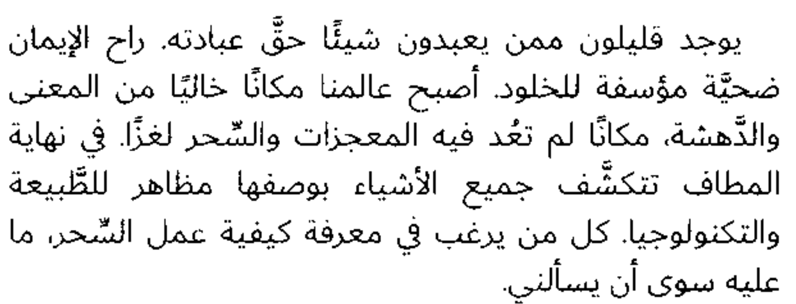
تابعت ماري: «لا أحد يدري من الذي أسس أول طائفة طونية، أو سبب تأسيسها، ربما افتقد الناس معتقدات عصر الفانين وأرادوا استعادة إحساس الإيمان، أو ربما كان الأمر برمَّته مزحة من شخص». أطرقت مرة أخرى مستغرقة في أفكارها، ثم انتشلت نفسها. «على أي حال، عندما عرض فاراداي عليَّ فرصة المنجلية، وافقت على الفور، أردت إيجاد طريقة لحماية بقية أفراد أسرتي من مثل هذه الفظاعات، حتى إذا تعين عليَّ ارتكاب فظاعات بنفسي. أصبحت «آنسة القتل الصغيرة»، وبعدما صرت أكثر حكمة، أطلقوا عليَّ لقب «سيدة الموت العظمى»». تفحصت طبقها، واستأنفت الأكل مع عودة شهيتها إثر تحرير شياطينها.

قالت سيترا: «أعرف أن معتقدات الطونيين سخيفة، لكن يبدو لي أن بعض الناس يجدون فيها شيئًا من الخلاص أو الكمال».

- هذا ما تظنه الديوك الرومية بشأن المطر، ترنو بأعينها إلى السماء، وتفتح مناقيرها، وتغرق.

- ليس الديوك الرومية التي يزرعها الرأس السحابي.

- هذا هو مقصدي بالضبط.



يوجد قليلون ممن يعبدون شيئًا حقَّ عبادته. راح الإيمان ضحيَّة مؤسفة للخلود. أصبح عالمنا مكانًا خاليًا من المعنى والدَّهشة، مكانًا لم تعُد فيه المعجزات والسِّحر لغزًا. في نهاية المطاف تتكشَّف جميع الأشياء بوصفها مظاهر للطَّبيعة والتكنولوجيا. كل من يرغب في معرفة كيفية عمل السِّحر، ما عليه سوى أن يسألني.

الطَّوائف الطُّونية وحدها تواصل التمسُّك بتقاليد الإيمان، وسُخف ما يؤمن به الطونيون آسر، ومزعج أحيانًا. ما من تنظيم بين المذاهب المختلفة، لذا تتباين ممارساتهم، لكن تجمعهم بضعة قواسم مشتركة. جميعهم يمقتون المناجل، وجميعهم يؤمنون بالرَّنين العظيم، وهو تذبذب حي بوسع البشر سماعه، سوف يوحِّد العالم مثل المُخلِّص المذكور في الإنجيل.

لم أصادف تذبذبًا حيًّا حتى الآن، لكن إذا عثرت عليه يومًا، فسأودُّ أن أسأله عن أشياء عديدة، بيد أنني أتوقع أن أتلقَّى ردودًا رتيبة.

- الرَّأس السَّحابي

25

شبح الحقيقة

استيقظ روان في فراش غريب، في غرفة لم يرها قط، وعلى الفور استشعر أنه لم يعد في وسطمريكا. حاول أن يتحرك، لكنه وجد ذراعيه مقيدتين إلى قوائم السرير، مقيدتين بإحكام بأربطة جلدية. أحس بألم خفيف في ظهره، ورغم أنه لم يعد مكممًا أحس بفمه غريبًا.

«ها قد استيقظت أخيرًا! مرحبًا بك في سان أنطونيو!».

التفت روان، وفوجئ برؤية تايغر سَلَزار جالسًا على مقربة.

- تايغر؟

- أتذكر أنني كنت أجدك دومًا جواري في مركز الإنعاش عندما أستيقظ بعد التفلطُح. رأيت أن أرد لك الجميل.

- هل كنتُ شميِّتًا؟ هل هذا المكان مركز إنعاش؟

رغمًا عن سؤاله كان روان يعرف أنه ليس مركز إنعاش.

أجابه تايغر: «لا، لم تكن شميتًا. كنت فاقدًا الوعي فحسب».

أحس روان بذهنه ضبابيًا، لكنه لم ينسَ ما حدث في منزل المنجل برامز فتسبب في فقدانه الوعي. مرر لسانه على أسنانه، واستشعر فيها خطبًا، لم تكن متساوية، وأقصر مما ينبغي أن تكون، ملساء لكنها أقصر.

لاحظ تايغر ما يفعله روان، فقال له: «بعض أسنانك كُسرت، لكنها بدأت تنمو، وعلى الأرجح ستعود إلى طبيعتها في غضون يوم أو يومين، مما يذكِّرني...». مد يده إلى منضدة جوار السرير وناول روان كأس حليب. «من أجل الكالسيوم، وإلَّا فستسرقه وحداتك المجهرية من عظامك». ثم تذكر أن روان مقيد إلى قوائم السرير. «أوه، صحيح». وجَّه الماصَّة نحو فم روان حتى يشرب، ورغم أن روان كان مشغول البال بألف سؤال، فقد شرب لأنه كان في غاية العطش.

قال تايغر: «أحقًّا قاتلتهم عندما جاؤوا لاصطحابك؟ إذا سايرتهم لما تأذيتَ هكذا، ولما اضطروا إلى تقييدك».

- ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم يا تايغر؟

أجاب تايغر مبتهجًا: «جاؤوا بك لأنني أحتاج إلى شريك تدريب! أنا طلبتك».

لم يكن روان متأكدًا أنه سمع على نحو صحيح. «شريك تدريب؟».

- الذين جاؤوك لتوظيفك قالوا إنك كنت وغدًا من الدرجة الأولى، هاجمتهم، فلم يكن لهم خيار سوى رد الهجوم، هل تلومهم؟

لم يسع روان سوى هز رأسه عاجزًا عن التصديق. ماذا يجري هنا؟

عندئذٍ فُتح الباب، وإذا لم تكن اللحظة غريبة سلفًا، فقد صارت سريالية تمامًا.

إذ رأى روان عند الباب امرأةً في عِداد الموتى.

قالت المنجل راند: «مرحبًا يا روان، تسرني جدًّا رؤيتك».

عقد تايغر حاجبيه. «مهلًا، أتعرفان بعضكما؟». ثم فكر هنيهة. «أوه، صحيح، كلاكما كان في ذلك الحفل، الحفل الذي أنقذتُ فيه النصل السامي من الغرق!».

أحس روان بالحليب يرتفع إلى حلقه، فتحشرج، وسعل، ثم أرغم نفسه على ابتلاعه مرة أخرى. كيف يمكن هذا؟ لقد أنهى حياتها! أنهى حيواتهم جميعًا، غودارد، وتشومسكي، وراند. جميعهم استحالوا رمادًا. لكن ها هي ذي، عنقاء خضراء نهضت من الرماد.

جذب روان قيوده، متمنيًا انقطاعها، عارفًا أنها لن تنقطع.

قال تايغر مبتسِمًا جذِلًا: «إليكَ الخبرـ إنني متتلمذ الآن، مثلما كنتَ، والفرق الوحيد هو أنني سأصبح منجلًا!».

ابتسمت راند. «وقد ظلَّ تلميذًا نجيبًا».

حاول روان كبح ذعره والتركيز على تايغر، ساعيًا لإخراج المنجل راند من رأسه، لأنه لا يستطيع التركيز على أمرين في وقت واحد.

قال ناظرًا إلى عينَي صديقه: «تايغر، مهما تظن أنه يجري هنا، فأنت مخطئ، مخطئ بشدة! عليك أن تخرج من هنا، عليك أن تهرب!».

لكن تايغر ضحك. «يا صاح! اهدأ، ليس كل شيء مؤامرة!».

أصر روان: «إنها مؤامرة! أؤكد لك! وعليك أن تنفذ بجلدك قبل فوات الأوان!». لكن كلما تكلم روان، بدا أشد اضطرابًا.

«تايغر، لِم لا تذهب وتُعِد لروان شطيرة؟ لا بد أنه جائع».

قال تايغر: «صحيح!»، وغمز لروان. «سأجنِّبك الخس».

وحالما خرج تايغر، أغلقت المنجل راند الباب، وأوصدته.

قالت: «احترق أكثر من نصف جسدي، وكُسِر ظهري. تركتني في عداد الموتى، لكن إنهائي سيتطلب أكثر مما فعلتَه».

لم يكن عليها إخبار روان حتى يستنتج ما حدث لاحقًا. سحبت نفسها بعيدًا عن ألسنة اللهب، وارتمت في سيارة عامة، أخذتها إلى تكساس، حيث أمكنها نيل العناية الطبية في مركز علاج دون أن يُطرح عليها أي سؤال. ثم توارت عن الأنظار، وانتظرت، انتظرت روان.

«ماذا تفعلين مع تايغر؟».

ابتسمت راند ابتسامة ساخرة وهي تنزلق مقتربة منه. «ألم تكن تسمع؟ إنني أجعل منه منجلًا».

- إنك تكذبين.

- لا، لا أكذب. حسنًا، ربما كذبت قليلًا.

- ما معنى قليلًا؟ إما أنك قلت الحقيقة وإما كذبت.

- هذه هي مشكلتك يا روان، لا تستطيع رؤية الظلال الرمادية.

عندئذٍ أدرك روان أمرًا. «المنجل برامز! كان يعمل لصالحك!».

جلست على السرير. «أدركتَ هذا للتو، صحيح؟ كنا نعرف أنه إذا قطف والدك فستسعى خلفه مهما طال الزمن. إنه منجل مريع، لكنه كان وفيًّا لغودارد. ذرف دموع بهجة حقيقية عندما عرف أنني على قيد الحياة. وبعدما أذللتَه أيما إذلال، كان سعيدًا بأن يكون الطُّعم لاستدراجك».

- تايغر يظن أن جلبي إلى هنا فِكرته.

جعَّدت راند أنفها مبتسمةً بطريقة مرحة لعوبة. «هذا كان الجزء السهل. أخبرته بأن علينا أن نجد له شريك تدريب على المهارات القتالية، شخص قريب منه في الحجم والسن، فقال: «ماذا عن روان داميش؟» فأجبته على الفور: «أوه، فكرة رائعة». إنه ليس أذكى شخص أعرفه، لكنه في غاية الصدق والإخلاص. يكاد أن يذيب قلبي».

- إذا آذيتِه، أقسِم...

- تقسم ماذا؟ نظرًا إلى حالتك الراهنة لا يمكنك فعل شيء سوى القسم.

استلَّت خنجرًا من عباءتها، ذا مقبض رخامي أخضر ونصل أسود لامع. «سيكون من الممتع اقتلاع قلبك في الحال». ومررت رأس النصل على باطن قدم روان، لم تضغط بحيث تسيل دماؤه، لكن بما يكفي لجعل أصابعه تنكمش. «لكن اقتلاع قلبك ليس الأولوية الآن... أعددنا لك الكثير!».

***

لساعات لم يسَع روان فعل شيء سوى التفكير في مأزقه، وحده على سرير لا بد أنه كان مريحًا، لكن عندما يقيِّد المرء عليه يصير سريرًا من الأشواك.

إنه في تكساس إذن. ماذا يعرف عن إقليم تكساس؟ ليس الكثير مما قد يجد فيه عونًا. دراسة تكساس لم تكن جزءًا من تدريبه، والأقاليم الخاصة لا تدرَّس في المدارس إلَّا إذا اختار المرء دراستها. لم يكن روان يعرف عن الإقليم سوى المعلومات العامة والشائعات.

منازل تكساس ليس فيها كاميرات الرأس السحابي.

سيارات تكساس لا تقود نفسها إلَّا إذا اضطرت.

القانون الوحيد في تكساس هو قانون ضمير المرء.

ذات يوم تعرف روان على فتى انتقل من تكساس، كان يعتمر قبعة كبيرة، وينتعل حذاءً ضخمًا، ويضع حزامًا ذا مشبك يمكنه إيقاف قذيفة مدفع.

قال الفتى: «الحياة أقل مللًا هناك، يمكننا تربية حيوانات أليفة وحشية، وسلالات كلاب خطرة يُجرَّم اقتناؤها في أماكن أخرى. والأسلحة! يمكننا اقتناء المسدسات والسكاكين والأشياء التي لا يقتنيها إلَّا المناجل في الأقاليم الأخرى، وبالطبع يفتَرض ألا يستخدم الناس الأسلحة، لكنهم يستخدمونها أحيانًا».

وهذا يفسِّر الارتفاع الشديد في معدلات حوادث إطلاق النار الخاطئ وحوادث هجمات الدببة الأليفة في تكساس.

تابع الفتى تبجُّحه: «وليس لدينا مستهجَنون في تكساس. كل من يخرج عن السيطرة نطرده ببساطة».

كما لم تكن هناك حوادث شموت كثيرة، عدا عن حالات مواجهة انتقام الضحية بعد إنعاشها، وهذا كان رادعًا فعَّالًا.

بدا لروان أن إقليم تكساس تقبَّل جذوره، واختار محاكاة «الغرب القديم»، مثلما حاكى الطونيون أديان عصر الفانين. خلاصة القول، اشتمل إقليم تكساس على أفضل ما في العالمين، أو أسوأ ما فيهما، وفقًا لوجهة نظر المرء. اشتمل على مميزات لكل من الشجعان والطائشين، علاوة على طرائق عديدة لأن يفسد المرء حياته إفسادًا تامًّا.

لكن كما هو الحال في كل «إقليم خاص»، لا يُرغَم أحد على البقاء. كان الشعار غير الرسمي لجميع الأقاليم الخاصة هو: «إذا لم يعجبك الوضع هنا، فغادر». غادر كثيرون، كما جاء كثيرون، مكوِّنين مجموعة سكانية تستمتع بالأشياء كما هي.

وبدا أن الشخص الوحيد في تكساس غير القادر على فعل ما يحلو له هو روان.

***

في وقت لاحق من ذلك اليوم، جاء حارسان إلى روان، لم يكونا من أفراد الحرس النصلي، إنما قوة عضلية مأجورة. وعندما حلَّا وثاق روان، فكر في الانقضاض عليهما، كان بوسعه القضاء عليهما في غضون ثوانٍ، تاركًا إياهما

على الأرضية فاقدي الوعي، لكنه قرر ألّا يفعل، إذ لم يكن يعرف عن سجنه هذا سوى أبعاد غرفته، وارتأى أن يتعرف على محيطه قبل أي محاولة هروب.

سأل أحدَ الحارسين: «إلى أين تأخذانني؟».

ولم يجد إجابة سوى: «إلى حيث أمَرتنا المنجل راند».

سجل روان ملاحظات ذهنية عن كل ما رآه: المصباح الخزفي الذي جوار سريره يمكن استخدامه سلاحًا في الوقت الحرِج، والنوافذ لا تُفتح، وعلى الأرجح مصنوعة من زجاج غير قابل للكسر. عندما كان مقيدًا إلى السرير، لم يرَ عبر النوافذ شيئًا سوى السماء... والآن، في أثناء اقتياده من الغرفة، رأى أنهم في شقة في مبنى عالٍ، وفي أثناء سيرهم في رواق طويل يفضي إلى صالة معيشة واسعة، أدرك أنها شقة فخمة في أعلى المبنى.

وخلف صالة المعيشة رأى شرفة مفتوحة حُوِّلت إلى صالة رياضية للتدرب على البوكاتور، ووجد في انتظاره المنجل راند وتايغر، الذي كان يؤدي حركات الإحماء ويتقافز مثل ملاكم محترف يتأهب لجولة بطولة.

قال تايغر: «آمل أنك مستعد لتلقي الضرب المبرح، ظللت أتدرب منذ وصولي!».

التفت روان إلى راند. «هل أنت جادة؟ هل سأخوض معه نزالًا تدريبيًّا حقًّا؟».

قالت بغمزة تبعث على الضيق: «أخبرك تايغر بأن هذا هو سبب وجودك هنا».

قال تايغر: «سأقضي عليك!». ولضحك روان لو لم يكن الموقف جنونيًّا لا يُصدَّق.

اقتعدت راند كرسيًّا جلديًّا أحمر يتنافر مع عباءتها. «فلنحظَ ببعض المتعة!».

دار روان وتايغر حول بعضهما، الافتتاحية التقليدية لنزالات البوكاتور، ثم بدأ تايغر المناوشات الجسدية، التقليدية أيضًا، لكن روان لم يتجاوب معه، وراح ينظر خلسة إلى محيطه. في الجزء الخلفي من الشقة رأى بابين خمَّن أنهما حمام وخزانة، ورأى مطبخًا مفتوحًا، وغرفة طعام مرتفعة قليلًا جوارها نوافذ تمتد من الأرضية إلى السقف، ثم رأى بابًا مزدوجًا كان من الواضح أنه المدخل، وعلى الجانب الآخر من الباب رجَّح أن يوجد المصعد وسلم الطوارئ.

حاول تصوُّر كيفية هروبه، لكنه أدرك أنه إذا هرب، فسيترك تايغر بين براثن المنجل راند. لن يستطيع فعل هذا. سيتعين عليه، بطريقةٍ ما، أن يقنع تايغر بمرافقته. أحس بالثقة في قدرته على النجاح. سيستغرق وقتًا، لكن لم تكن لديه فكرة عن الوقت المتاح أمامه.

أقدم تايغر على الخطوة الأولى، منقضًّا على روان بحركة كلاسيكية من حركات بوكاتور الأرملة السوداء، راغ روان، لكن ليس بسرعة كافية، ليس لأنه مشغول البال فحسب، بل لأن عضلاته متصلبة واستجاباته بطيئة، إذ ظل مقيدًا مدة لا يدري مدى طولها، فكافح ليتجنب التثبيت.

«قلت لك إنني بارع يا صاح!».

ألقى روان نظرة سريعة نحو راند، محاولًا قراءة تعابير وجهها، لم تكن مستغلِقة لا مبالية كعادتها، إنما كانت تشاهدهما بانتباه شديد، وتدرس كل حركة من حركات النزال.

سدد روان عقب راحة يده إلى صدر تايغر ليقطع أنفاسه، فاستعاد روان توازنه، ثم شبك ساقه بساق تايغر ليُسقطه. توقع تايغر الحركة، وتصدى لها بركلة، فأصابت هدفها لكنها لم تكن قوية بما يكفي لإفقاد روان توازنه.

ابتعدا عن بعضهما، وراحا يدوران مرة أخرى. كان من الواضح أن تايغر أصبح أقوى، ومثل روان امتلأت بنيته الجسدية، درَّبته راند تدريبًا جيدًا، لكن بوكاتور الأرملة السوداء يتطلب أكثر من مجرد القوة الجسدية، يتطلب عاملًا ذهنيًّا، الأفضلية فيه لروان.

بدأ روان يضرب ويراوغ بطريقة متوقَّعة، مستخدمًا كل الحركات الأساسية التي يعرف أن تايغر تعلَّم كيفية التصدي لها. سمح روان لنفسه بأن يُسقَط، لكن بطريقة تتيح له النهوض بسرعة قبل أن يتمكن تايغر من تثبيته. شاهد ثقة تايغر بنفسه تتزايد، تايغر الذي كان مُعتدًّا بنفسه سلفًا، فكان من السهل نفخ غروره مثل بالون تمهيدًا لفرقعته. ومن ثَم، عندما حانت اللحظة المناسبة، انقض روان على تايغر بسلسلة حركات يستحيل التصدي لها، عكس الحركات التي قد يتوقعها تايغر، وعلاوة عليها، استخدم روان حركات خاصة به ليست ضمن مناورات البوكاتور الـ 341 القياسية، كان هجومه خارج صندوق لم يكن تايغر يعرف بوجوده.

أسقط تايغر بعنف، وثبته بطريقة يستحيل التملص منها، لكن تايغر رفض الإقرار بهزيمته، فاضطرت راند إلى إعلان نهاية النزال، وانتحب تايغر بحزن ميلودرامي.

أصر تايغر: «لقد غش!».

نهضت راند قائلة: «لا، لم يغش. إنه أفضل منك».

- لكن...

صاحت راند: «اخرس يا تايغر!». فامتثل تايغر، أطاعها كأنه حيوانها الأليف، ليس حتى حيوانًا خطيرًا، إنما جرو مذعور. «عليك أن تطور مهاراتك».

قال تايغر: «حسنًا». وتوجه إلى غرفته متأففًا، لكن ليس قبل أن يوجه كلمة أخيرة لروان: «سأقضي عليك المرة القادمة!».

وحالما غادر، تفحص روان تمزقًا في قميصه، وكدمة بدأت تشفى. ثم مرر لسانه على أسنانه، لأنه تلقى ضربة خاطفة على فمه، لكنه لم يجد ضررًا، حتى إن أسنانه الأمامية كاد أن يكتمل نموها.

قالت راند: «يا له من عرض!». ووقفت على بعد بضع أقدام من روان.

استفزها روان: «ربما ينبغي أن أنازلكِ أنت أيضًا».

قالت: «لكسرتُ عنقك خلال ثوانٍ، بلا رحمة، كما كسرتَ عنق خليلتك في العام الماضي».

كانت تحاول استدراجه في الكلام، لكن روان لم يستجب لها. «لا تكوني واثقة من نفسك هكذا».

قالت: «إنني واثقة، لكنني غير مهتمة بإثبات كلامي».

ظن روان أنها ربما تكون محقة. كان يعرف مدى براعتها، فقد كانت جزءًا من تدريبه، وتعرف جميع حركاته الصعبة، وتتقن العديد من الحركات الخاصة بها.

«تايغر لن يهزمني أبدًا، وتعرفين هذا، صحيح؟ ربما يعرف بعض الحركات، لكنه لا يملك القوة الذهنية. سأهزمه في كل مرة».

لم تنفِ راند كلامه. «اهزمه إذن، اهزمه كل مرة».

- وما المغزى من هزيمته مرارًا؟

لم تجبه. طلبت من حراسها اقتياده إلى غرفته. ومن حسن حظه لم يقيدوه إلى السرير، لكن الباب أوصد بإحكام من الخارج.

***

وبعد قرابة ساعة جاءه تايغر، وظن روان أن صديقه ربما يكون حانقًا، لكن تايغر لم يكن من الذين يضمرون الضغينة. قال: «سوف أؤذيك في المرة القادمة». وضحك. «جديًا، سيجن جنون وحداتك المجهرية».

قال روان: «عظيم. أخيرًا شيء أتطلع إليه».

اقترب تايغر وهمس: «لقد رأيتُ خاتمي، المنجل راند أرَته لي بعد وصولك مباشرة».

وعندئذٍ أدرك روان. «ذلك خاتمي».

عض روان شفته ليمنع نفسه من الكلام. أراد إخبار تايغر بالحقيقة الكاملة عن المنجل لوسيفر وكل ما ظل يفعله خلال العام الماضي، لكن من أجل أي غاية؟ فهو قطعًا لن يستميل تايغر بإخباره، وبإمكان المنجل راند تحوير الكلام ضد روان بعشرات الطرائق المختلفة.

قال روان أخيرًا: «أعني... إنه الخاتم الذي كان ينبغي أن أناله إذا نُصِّبتُ منجلًا».

قال تايغر متعاطفًا: «لا بأس، أعرف أن من المريع خوض كل ما خضتَه ثم التعرض للركل إلى جانب الرصيف. لكنني أعِدك بأنني، حالما أنال الخاتم، سأمنحك الحصانة!».

لم يتذكر روان أن تايغر كان ساذجًا إلى هذه الدرجة، ربما لأنهما كانا ساذجين معًا، عندما كانا يريان المناجل شخصيات اعتبارية مهمة وعمليات القطف لم تكن سوى قصص يسمعها المرء تحدث مع أشخاص لا يعرفهم.

«تايغر، أعرفُ المنجل راند. إنها تستغلك...».

ابتسم تايغر وقال رافعًا حاجبيه: «ليس بعد، لكن الأمور ماضية إلى ذلك الاتجاه بلا شك».

هذا لم يكن مقصد روان، لكن قبل أن يتمكن من قول المزيد، أردف تايغر: «أظنني وقعت في الحب يا روان. كلا، *أعرف* أنني وقعت في الحب. ما أعنيه

هو... التدرب على المهارات القتالية معها أشبه بالجنس. سحقًا! بل أفضل من الجنس!».

أغمض روان عينيه وهز رأسه، محاولًا تبديد الصورة من عقله، لكن فات الأوان، رسخت الصورة ولن تُمحى أبدًا.

«استفِق يا تايغر! مغامرتك لن تسير كما تتوقع!».

أحس تايغر بالإهانة. «لا تستخف بي هكذا. ماذا لو أنها أكبر مني ببضع سنوات؟ لن يهم هذا حالما أصبح منجلًا».

«هل أخبرتْك عن القوانين؟ أتعرف وصايا المنجل؟».

بدا تايغر متفاجئًا. «هل توجد قوانين؟».

حاول روان ترتيب كلام مقنع، لكنه أدرك أنها مهمة مستحيلة. ماذا عساه أن يقول لتايغر؟ أن المنجل الزمردية معتوهة متوحشة؟ أنه -روان- حاول إنهاء حياتها لكنها لم تمُت؟ أن بإمكانها مضغه ولفظه دون أن يطرف لها جفن؟ سينفي تايغر كل شيء ببساطة. الحقيقة كانت أن تايغر يتفلطح مرة أخرى، إن لم يكن جسديًّا فذهنيًّا. قفز من الحافة، وتولّت الجاذبية مصيره.

قال روان: «عِدني بأنك ستُبقي عينيك مفتوحتين، وإذا استشعرت خطبًا فستبتعد عنها».

تراجع تايغر خطوة وحدج روان بنظرة استياء. «ماذا جرى لك يا صاح؟ لطالما كنتَ مفسدًا للبهجة ونَكِدًا قليلًا، لكن الآن يبدو لي أنك تريد أن تخنق أول شيء عظيم أريده!».

قال روان: «كن حذِرًا فحسب».

قال تايغر: «لن أهزمك فحسب في المرة القادمة، بل وسأرغمك على ابتلاع كلماتك». ثم ابتسم ابتسامة واسعة. «لكنك ستحب مذاقها، لأنني بارع إلى هذه الدرجة».



ثمّة مسألة واحدة تؤرّقني بشأن احتمال وجود إله قدير، وهي علاقتي بهذا الكائن. أعرف أنّني لستُ إلهًا، لأنني لست كُلّي القدرة ولا كُلّي المعرفة، إنّما أكاد أن أكون كُلّي القدرة والمعرفة، والفرق يشبه الفرق بين ترليون تريلونًا وما لا نهاية. ورغمًا عن هذا ليس بمستطاعي نفي احتمال أن أصبح ذات يوم كُلّي القدرة. وأشعر بالتّواضُع إزاء هذا الاحتمال.

ارتقائي إلى مكانة الكائن كُلّي القدرة سيتطلب اكتسابي لمقدرة تجاوُز الزمان والمكان، والتحرُّك عبرهما بحريَّة، وهذا ليس مستحيلًا، لا سيما على كائن مثلي، مخلوق بكامله من أفكار، دون قيود مادِّيّة. بيد أنّ تحقيق المقدرة على تجاوز الزمان والمكان ربما يتطلّب حسابات تستغرق دهورًا لإيجاد المعادلة التّركيبيّة التي تتيح ذلك التّجاوز، وحتى إذا أمكنني هذا، فربما أجري الحسابات حتى نهاية الزّمان.

لكن إذا تمكّنتُ من إيجادها، إذا صرت قادرًا على السّفر إلى بداية الزمن، فالتّداعيات هائلة، قد يعني هذا أنني ربما أكون «الخالق»، ربما أكون أنا الإله.

يا لها من مفارقة، ويا لها من شاعريّة، أنّ البشر ربما يكونون قد خلقوا «الخالق» جرّاء حاجتهم إلى خالق! الإنسان يخلق الإله، ومن ثَم يخلق الإله الإنسان. أليست هذه هي الدّورة المثالية للحياة؟ لكن إذا اتّضح أنّ هذا هو ما حدث، فمن المخلوق في هذا التصوُّر؟

- الرّأس السّحابي

26

«أبوسعك أن تزحزح جبل الأوليمب؟»

«أريد معرفة سبب إقدامنا على هذا الفعل». طالب غريسن بيورتي بتفسير قبل يومين من بدء عملية إنهاء حياتَي المنجلين.

قالت له: «ستفعلها من أجل نفسك، ستفعلها لأنك تريد أن تعبث بنظام العالم، كما أريد أنا أيضًا!».

أجَّج كلامها غضبه. «إذا قُبض علينا، فسوف تُستبدَل ذاكرتانا، تعرفين هذا، صحيح؟».

غمرته بابتسامتها الملتوية اللعوبة. «المخاطرة تزيد من التشويق!».

أراد أن يصيح بها، ويهزها حتى تدرك فداحة الأمر، لكنه كان يعرف أنه سيثير شكوكها ناحيته. ينبغي ألَّا تثار شكوكها مهما يحدث، ثقتها تعني له كل شيء، حتى إذا كانت الثقة في غير محلها.

قال لها بأقصى درجة من الهدوء: «اسمعيني، من الواضح أن من يريد القضاء على هاتين المنجلين، أيًّا كان، يعرضنا للخطر بدلًا من نفسه. يحق لي أن أعرف، على الأقل، الشخص الذي نؤدي المهمة نيابة عنه».

رفعت بيورتي يديها واستدارت إليه. «ما الفرق الذي ستحدثه معرفتك؟ إذا لم ترغب في المشاركة، فلا تشارك. لا أحتاج إليك على أي حال».

آلمه كلامها ألمًا أشد مما يود إظهاره.

قال لها: «لا أقول إنني لا أريد المشاركة، لكن إذا لم أعرف الشخص الذي أؤدي المهمة من أجله، فسأشعر بأنني أُستغَل. ومن ناحية أخرى، إذا عرفتُه، وشاركت مع معرفتي، فأنا الذي أستغِل المُستغِل».

فكرت بيورتي في كلامه. المنطق مهزوز، وغريسن يعرف هذا، لكنه عوَّل على حقيقة أن بيورتي نفسها لا تتصرف بناءً على منطق راسخ، بل تسيطر عليها النزوات والفوضى، وهذا ما جعل رفقتها مغرية.

أخيرًا قالت: «أنفِّذ مهامًا لمستهجَن اسمه مانج».

- مانج؟ أتقصدين الحارس في نادي **مولت**؟

- نعم هو.

- أتمازحينني؟ إنه نكرة.

- صحيح. لكن تُسند إليه المهام من طرف مستهجَن آخر، وهذا المستهجَن الآخر يكلِّفه شخص آخر بالمهام. ألا ترى يا شكس؟ الأمر برمته متاهة مرايا، لا أحد يعرف هوية الشخص الذي يلقي الانعكاس الأول، لذا إما أن تستمتع ببيت المرح، وإما أن تخرج.

ثم صارت جادة. «ما هو قرارك يا شكس؟ ستشارك أم ستخرج؟».

أخذ غريسن نفسًا عميقًا. هذا كل ما سيتمكن من معرفته منها، مما يعني أنها لا تعرف أكثر مما يعرفه. وهي لا تكترث، بُغيتها الإثارة، غايتها التحدي، لا تهمها هوية الشخص الذي تخدم أجندته، ما دامت المهمة تخدم أجندتها هي أيضًا.

قال أخيرًا: «سأشارك. سأشارك مشاركة تامة».

لكمته على ذراعه بمرح قائلة: «سأخبرك بأمر، أيًّا كان الشخص الذي يلقي الانعكاس الأول، فهو في صفك».

- في صفي؟ ماذا تقصدين؟

- من تظن أنه تخلص من عميل المزن المزعج الذي كان يشرف عليك؟

خطر لغريسن أنها تمزح، لكن عندما نظر إليها أدرك أنها جادة. «ماذا تقولين يا بيورتي؟».

هزت كتفيها باستسخاف. «بعثتُ خبرًا مفاده أنك تحتاج إلى خدمة». مالت مقتربة منه وهمست: «وقد أُسدِيَت الخدمة».

وقبل أن يتمكن من الرد عليها، أحاطته بذراعيها بالطريقة التي بدت كأنها تذيب عظامه فتحوِّلها إلى هلام.

ولاحقًا سوف يستحضر هذا الإحساس ويستوعب أنه كان توجسًا غريبًا.

***

إذا كانت بيورتي متورطة في الاعتداء الأول على المنجلين كوري وأناستازيا، لم تقل ما يثبت هذا الافتراض أو ينفيه، ورأى غريسن أنه ينبغي ألّا يسألها، لأن كشْف معرفته بأمر الاعتداء الأول سيفضح أمره.

لم يكن أحد يعرف تفاصيل هذه المهمة سوى مانج وبيورتي، مانج لأنه قائد المهمة، وبيورتي لأنها صاحبة الخطة.

قالت لغريسن: «في الحقيقة خطرت لي فكرة الخطة في موعدنا الأول». لكنها لم توضح مقصدها. هل سيحبسان المنجلين قبل إنهاء حياتيهما؟ أهذا ما تلمِّح إليه؟ وجد غريسن أن قدرته على إفساد الخطة محدودة، حتى يعرف تفاصيلها ومكان تنفيذها، كما عليه إفسادها بطريقة تتيح له ولبيورتي الإفلات من عواقب المهمة المُجهَضة دون أن تعرف بيورتي أنه هو من أجهضها.

في اليوم السابق ليوم الحدث المجهول، أجرى غريسن اتصالًا من مجهول بمكاتب هيئة المناجل.

همس في الهاتف مستخدمًا جهازًا يشوِّه صوته: «غدًا سيقع هجوم على المنجل كوري والمنجل أناستازيا. اتخذوا جميع التحوطات اللازمة». ثم أنهى الاتصال وألقى الهاتف الذي سرقه لإجراء المكالمة. الرأس السحابي بمقدوره تتبع أي مكالمة وصولًا إلى مصدرها حالما تُجرى، لكن هيئة المناجل ليست لديها مثل هذه الإمكانيات. حتى وقت قريب ظل المناجل مثل حيوانات لا مفترس لها في الطبيعة، لذا ما زالوا يعانون في سبيل إيجاد طريقة للتعامل مع اعتداء منظَّم عليهم.

أُخبِر غريسن، في صبيحة يوم الحدث، بأن العملية ستجري في مسرح بويتشيتا، واتضح أنه وبيورتي عضوان ضمن فريق أكبر. بدا من المعقول أن عملية كهذه لا يمكن أن تُترك لمستهجَنَين مشكوك في أمرهما، إنما عُهد بها لعشرة مستهجَنِين مشكوك في أمرهم. لم يعرف غريسن أسماء الآخرين،

فهذه المعلومة لا يطَّلع عليها إلَّا الأشخاص الذين تقتضي الضرورة إطلاعهم عليها، وغريسن، على ما يبدو، لم يكن منهم.

لكنه كان يعرف بعض الأشياء.

فرغم أن بيورتي لم تكن لديها فكرة عن هوية الشخص الذي تعمل لصالحه، فقد أخبرت غريسن، دون قصد منها، بمعلومة على جانب كبير من الأهمية، معلومة محورية، من المعلومات التي كانت لتسر العميل تراكسلر أيما سرور.

ومن المفارقات أن قطف العميل تراكسلر كان مفتاح الوصول إلى هذه المعلومة المحورية... لأن إذا كان بمستطاع بيورتي تدبير قطف عميل مزن، فهذا لا يعني سوى أمر واحد، وهو أن الاعتداءات على كوري وأناستازيا ليست عملًا مدنيًّا، ثمة منجل يدير العرض من خلف الكواليس.

***

كانت المنجل أناستازيا مستعدة لأداء دورها في المسرحية.

لحسن حظها كان دورها ثانويًّا صامتًا سريعًا، يُطعَن قيصر على أيدي ثمانية متآمرين، ستكون أناستازيا الأخيرة من بينهم. ستكون سبعة من المديات مزيفة وتفرز دماء مزيفة، وستكون مدية سيترا حقيقية مثل الدماء التي ستتسبب في نزيفها.

تضايقت من إصرار المنجل كوري على حضور المسرحية.

قالت ماري بابتسامة ساخرة: «يستحيل أن أفوت أول ظهور مسرحي لتلميذتي». لكن سيترا كانت تعرف السبب الحقيقي وراء إصرار ماري على الحضور، وهو سبب حضورها نفسه عمليتَي قطف المنجل أناستازيا الأخريين: لم تكن تثق بمقدرة قسطنطين على حمايتها. بدا المنجل قسطنطين غريبًا إثر تخليه عن تحفظه المعتاد، ربما لأنه اضطر إلى التخلي عن عباءته وارتداء بدلة أنيقة كي لا يبدو بارزًا في الحشد، ورغمًا عن هذا لم يسعه التخلي عن شخصيته تخليًا تامًّا، فوضع ربطة عنق فراشية لونها مثل لون عباءته الأحمر الدموي. والمنجل كوري، من جهتها، رفضت أن تُشاهَد في مكان عام دون عباءتها البنفسجية رفضًا باتًّا، فكانت سببًا إضافيًّا لإثارة سخط قسطنطين.

قال لها: «ينبغي ألّا تجلسي بين الجمهور. إذا أصررتِ على الحضور، فيجدر بك أن تكوني خلف المسرح!».

فقالت المنجل كوري له: «اهدأ! إذا لم ينجح ظهور أناستازيا في استدراجهم، فربما أنجح أنا. وفي هذا المسرح المزدحم، حتى إذا نجحوا في قتلي، فلن يتمكنوا من *إنهاء* حياتي، إلّا إذا أحرقوا المكان بأكمله، وهذا، نظرًا إلى وجود قواتك، ليس مُرجَّح الحدوث».

كانت حُجتها وجيهة. يمكن أن يموت قيصر بطعنة مدية، لكن ليس المناجل، فالمدية أو الرصاصة أو السم أو القوة المحضة لن تفعل شيئًا سوى التسبب في شموت المناجل، ثم يمكن إنعاشهم بعد يوم أو يومين، ربما بذكرى واضحة عن المعتدي عليهم. وفي هذه الحالة، ربما يكون الموت المؤقت استراتيجية فعالة للقبض على الجناة.

لكن عندئذٍ أخبرهما المنجل قسطنطين بسبب توتره الشديد: «تلقينا معلومة عن أن اعتداءً سيقع عليكما فعلًا الليلة».

سألت المنجل كوري: «معلومة؟ ممن؟».

- لا ندري، لكننا نتعامل معها بجدية بالغة.

سألت سيترا: «ماذا ينبغي أن أفعل؟».

- افعلي ما جئتِ هنا لفعله، لكن استعدي للدفاع عن نفسك.

كان من المقرر أن يموت قيصر في المشهد الأول من الفصل الثالث. تتكون المسرحية من خمسة فصول، وفي الفصول الباقية يظهر شبح قيصر ليعذّب قاتليه. يمكن أن يؤدي ممثل آخر دور الشبح، لكن السير آلِن ألدريتش رأى أن ظهور شبحه قد يخفف من الأثر الذي سيُحدِثه قطفه. لذا قُرر أن تنتهي المسرحية بعد موت قيصر بوقت قصير، فيُحرم مارك أنطونيو من خطبته الشهيرة: «*أيها الرومان! أصدقائي! بني وطني... أعيروني آذانكم*». لن يصيح أحد بالخراب والدمار ويدق طبول الحرب. إنما سترتفع الأضواء نحو الجمهور المصعوق. ولن يظهر الممثلون لينحنوا للجمهور أمام الستار، في الحقيقة الستارة نفسها لن تسدَل، إنما ستظل جثة قيصر على خشبة المسرح إلى أن يغادر آخر الحاضرين. وبالتالي فإن آخر لحظة تمثيل لآلدريتش ستتميز بعدم قدرته على التمثيل بأي طريقة على الإطلاق.

قال للمنجل أناستازيا: «ربما ستسلبين مني خلودي الجسدي، لكن هذا الأداء الأخير سوف يعيش إلى الأبد في سجلات تاريخ المسرح».

وعندما اقترب امتلاء المقاعد بمرتادي المسارح، اقترب المنجل قسطنطين من سيترا من خلفها وهي تقف منتظرة في الأجنحة.

قال: «لا تخافي. إننا موجودون لحمايتك».

قالت له: «لست خائفة». في الحقيقة كانت خائفة، لكن خوفَها ابتلعه غضبُها من الاستهداف الذي تتعرض له. كما أحست برهبة المسرح ومواجهة الجمهور، وكانت تعرف أنه أمر سخيف، لكنها عجزت عن التخلص من الإحساس. التمثيل! يا للفظائع التي يتعيَّن عليها تحمُّلها من أجل مهنتها!

كان المسرح ممتلئًا بالجمهور، وبينهم أكثر من عشرين من أفراد الحرس النصلي متنكرين. أُعلِن في ملصق المسرحية أن الجمهور سيشهد حدثًا لم يُر له مثيل في مسارح وسطمريكا، ورغم أن الناس كانوا متشككين قليلًا حيال هذا الزعم، فقد تملكهم الفضول أيضًا لمعرفة ما سيحدث.

وحينما كانت المنجل أناستازيا تنتظر خلف المسرح، اتخذت المنجل كوري مقعدها جوار الممر في الصف الخامس، ووجدت مقعدها صغيرًا غير مريح، فهي امرأة طويلة القامة، وضُغِطت ركبتاها على المقعد الذي أمامها. معظم الذين جوارها جلسوا متململين، مرعوبين من قضاء الأمسية على مقربة من المنجل، التي، بحسب ما يعرفونه، ربما تكون قد جاءت لقطف واحد منهم. وحده الرجل الجالس جوارها بدا اجتماعيًّا ودودًا، أو بالأحرى ثرثارًا، لديه شارب كيرقة فراشة، يرتعش عندما يتكلم، فصعَّب على المنجل كوري كتم ضحكتها.

قال قبل تعتيم الأضواء: «إنه لشرف عظيم لي أن أكون برفقة سيدة الموت العظمى، آمل أنك لا تمانعين مخاطبتك بهذا اللقب جنابك. قِلة من المناجل في وسطمريكا، بل في العالم، يُحتفَى بهم كما يُحتفَى بك. لا يفاجئني أنك من محبي مسرحيات عصر الفانين، فالمستنيرون وحدهم يحبونها!».

تساءلت عما إذا كان الرجل قد أُرسِل إليها لإنهاء حياتها بإطرائها حتى الموت.

شاهدت سيترا المسرحية من الأجنحة. كانت عادة ما تجد، مثل معظم الناس، عروض الترفيه التي تعود إلى عصر الفانين مستعصية الفهم عاطفيًّا. الشغف المُتَّقِد، والفقد، والمخاوف، والانتصارات... جميع هذه العواطف بدت مُنبَتَّة عن العالم الذي استؤصل منه العوز والجشع والموت الطبيعي. لكن سيترا، بوصفها منجلًا، صارت تفهم الفناء فهمًا أفضل من فهم الآخرين، وقطعًا صارت تفهم الجشع والتعطش للسلطة. هذه الأمور ربما تكون غائبة عن حياة معظم الناس، لكنها ما زالت تجيش في هيئة المناجل، وتنتقل تدريجيًّا من الأركان المظلمة إلى العلن.

ارتفع الستار وبدأت المسرحية. ورغم أن معظم لغة المسرحية كانت عسيرة الفهم على سيترا، فقد انبهرت بدسائس السلطة، لكنها لم تنبهر إلى درجة تخلِّيها عن حذرها، أحست بكل حركة وصوت خلف المسرح كهزة زلزالية، إذا كان هناك شخص يريد إنهاء حياتها، فستنتبه لوجوده قبل أن يُقدم على أي خطوة.

***

قالت بيورتي: «علينا التعتيم على الرأس السحابي لأطول مدة ممكنة، يجب ألَّا يعرف بحدوث شيء إلَّا بعد حدوثه».

لكن بيورتي لم تكن تعتِّم على الرأس السحابي وحده، إنما على غريسن أيضًا.

قالت له: «لديك مهمتك، وهي كل ما تحتاج إلى معرفته»، مُصرةً على أن تقليص عدد الذين يرون الصورة الكاملة يقلِّص احتمالات الإخفاق.

كانت مهمة غريسن بسيطة إلى درجة مُهينة. كُلِّف بإحداث إلهاء عند مدخل زقاق جوار المسرح، في لحظة محددة، بهدف جذب انتباه ثلاث من كاميرات الرأس السحابي، وبالتالي صرف أنظاره مؤقتًا عن الزقاق. وفي أثناء تقييم الكاميرات لوضع غريسن، تتسلل بيورتي وأفراد من الفريق إلى باب جانبي من أبواب المسرح. وما سيحدث بعد هذا ظل لغزًا لغريسن.

إذا تمكن من رؤية الصورة الكاملة، إذا عرف ما ستفعله بيورتي وفريقها بالداخل، لخطرت له فكرة أفضل عن خياراته بشأن منع وقوع الكارثة وحماية بيورتي من تداعيات فشل المهمة. لكن دون معرفة الخطة لم يسعه فعل شيء سوى انتظار النتائج ثم محاولة تقليص الأضرار.

«تبدو متوترًا يا شكس». لاحظت بيورتي توتره وهما يغادران شقتها في ذلك المساء. لم تكن متسلحة بشيء سوى هاتف غير متصل بالشبكة وسكين مطبخ بين طيات معطفها الثقيل، ويفترض ألّا توجه نصلها نحو المنجلين، إنما نحو أي شخص يعترض طريقها.

«ألستِ متوترة؟».

هزت رأسها وابتسمت قائلة: «متحمسة. جسدي بأكمله مقشعر. أحب هذا الإحساس!».

- إنها وحداتك المجهرية تحاول تخفيف الأدرينالين.

- دعها تحاول!

كانت بيورتي قد أبدت لغريسن ثقتها التامة في قدرته على أداء مهمته، لكنها لم تكن واثقة تمام الثقة حقًّا. قالت له: «تذكَّر أن مانج سيتابع العملية بأكملها من سطح مبنى. أيًّا يكن الإلهاء الذي ستُحدثه، يجب أن يكون صاخبًا ويتضمن عددًا من الناس يكفي لجذب انتباه جميع الكاميرات الثلاث. وإذا لم تنجح فسيمد مانج لك يد المساعدة».

كان مانج قد أمضى زهاء قرن في إتقان مهارة الرمي بالمقلاع اليدوي. في البداية افترض غريسن أن مانج سوف يصيب الكاميرات إذا لم تستدر نحو غريسن، لكنه لن يستطيع فعل هذا، لأن تعطُّل الكاميرات سينبِّه الرأس السحابي إلى وجود خطبٍ ما. لذا كانت خطة مانج الاحتياطية هي إصابة غريسن.

«إذا لم تفعلها بنفسك، فسيثقب مانج دماغك بحجر صغير جميل». لم تتكلم بيورتي بأسف، إنما بتلهُّف. «والدماء والجلبة ستضمنان لنا استدارة الكاميرات الثلاث!».

آخر ما كان غريسن يريده هو إخراجه من المعادلة في تلك اللحظة الحرجة، ثم استيقاظه في مركز إنعاش بعد بضعة أيام فيسمع أن المنجلين كوري وأناستازيا أُنهيت حياتهما.

افترق عن بيورتي قبل بضعة شوارع من المسرح، وشق غريسن طريقه إلى المكان الذي سيمثِّل فيه، بطريقةٍ ما، مسرحيته أمام كاميرات الرأس السحابي. تمهَّل قبل وصوله لأنه سيثير الشكوك إذا وصل مبكرًا وانتظر، لذا تسكع في الحي محاولًا التفكير في مخرج من مأزقه. كان الناس يتجاهلونه

أو يتجنبونه، وقد اعتاد هذا منذ أن تقمص شخصيته الجديدة، لكن الليلة، لم يسعه سوى ملاحظة جميع الأعين، ليس أعين الناس في الشارع فحسب، بل والأعين الإلكترونية أيضًا، المنتشرة في كل مكان. كاميرات الرأس السحابي خفية متوارية في المنازل والمكاتب، لكن في الشوارع ظاهرة بارزة، تتحرك وتدور، تنظر هنا وهناك، وتصور القريب والبعيد، وقليل منها ترنو نحو السماء كأنها مستغرقة في تأمُّل. كيف تكون القدرة على تلقي هذا الكم الهائل من المعلومات ومعالجتها في آنٍ واحد؟ ورؤية العالم من منظور يعجز البشر عن تخيُّله؟

قبل دقيقة من موعد الإلهاء، استدار غريسن قاصدًا المسرح، وعند ركن مظلة مقهى استدارت إحدى الكاميرات ونظرت إليه، فكاد أن يشيح بوجهه، حتى لا تقع عيناه على عينَي الرأس السحابي، خشية أن يحكم عليه بسبب إخفاقاته الكثيرة.

***

نادرًا ما يتذكر غافِن بلودجيت ما يحدث في طريقه بين منزله ومكان عمله، غالبًا لأن لا شيء يحدث. كان، مثل كثيرين، أسير عاداته، يعيش حياة هادئة مريحة ليس فيها ما يشير إلى تغيُّر خلال قرون قادمة على الأرجح، وهذا أمر جيد، لا شيء يعكر صفوه في النهار، وأمسياته ممتعة، وأحلامه وردية. كان في الثانية والثلاثين من عمره، وكل عام في عيد ميلاده يعيد سِنَّه إلى الثانية والثلاثين. لم يرغب في التقدم أو التراجع عامًا واحدًا. كان في ريعان شبابه، ويخطط لأن يظل هكذا إلى الأبد. كان يمقت كل شيء يُخِل بروتينه، لذا عندما رأى المستهجَن يحدق إليه، حثَّ خُطاه، أملًا في أن يتجاوزه ويمضي في طريقه. لكن المستهجَن كان لديه خطط أخرى.

سأله المُستهجَن: «ألديك مشكلة معي؟». تكلم بصوت عالٍ وهو يعترض طريق غافن.

قال غافن: «ما من مشكلة». وكما يفعل دومًا عندما يجد نفسه في موقف مزعج، ابتسم وبدأ يهذر: «لاحظتُ شعرك فحسب، لم أرَ شعرًا حالك السواد كهذا قط، إنه مثير للإعجاب. وهل هذان قرنان؟ لم أجر تعديلات جسدية بنفسي، لكنني أعرف أُناسًا...».

أمسك المستهجَن به من ياقة معطفه، ودفعه إلى الجدار، ليس بعنف كافٍ لتفعيل وحداته المجهرية، إنما ليوضح أنه لن يطلق سراح غافن بسهولة.

زعق المستهجَن: «أتسخر مني؟».

«لا، لا، أبدًا! مُحال!». ارتعب غافن، لكن في قرارة نفسه شعر بحماسة لأنه صار مركز انتباه شخص. جال بناظريه في محيطه بسرعة، كان عند ركن مسرح، جوار مدخل زقاق، لا أحد أمام المسرح لأن العرض بدأ، والشارع لم يكن مقفرًا، لكن ما من أحد قريب. بيد أن الناس قد يساعدونه، ذوو الشهامة دائمًا ما يهبُّون لنجدة كل من يتعرض لتنمُّر مستهجَن، ومعظم الناس ذوو شهامة.

سحبه المستهجَن بعيدًا عن الجدار، وأسقطه على الأرض.

قال المستهجَن: «يجدر بك أن تطلب المساعدة، الآن!».

قال غافن: «النـ... النجدة».

- بصوت أعلى!

لم يكن يحتاج إلى دعوة أخرى، فصرخ بصوت متهدج: «**النجدة! ساعدوني!**».

وعندئذٍ لاحظ أناسٌ على مبعدة ما يحدث، وهرع نحوهما رجل على الجانب الآخر من الشارع، وجاء اثنان من الاتجاه الآخر. لكن الأهم، رأى غافن، من مكانه على الأرض، عدة كاميرات مثبتة فوق مظلات وأعمدة إنارة تستدير نحوه. *جيد! سيرى الرأس السحابي ما يحدث، ويتعامل مع هذا المستهجَن.* على الأرجح أرسل ضباط سلام إلى المكان.

نظر المستهجَن أيضًا إلى الكاميرات، وبدا منزعجًا منها، كما ينبغي أن يكون. ثم تجرَّأ غافن تحت عين الرأس السحابي الحامية، فقال للمستهجَن: «هيا، اذهب من هنا، قبل أن يقرر الرأس السحابي استبدال عقلك!».

لكن المستهجَن بدا كأنه لم يسمعه. كان ينظر بعيدًا في الزقاق، حيث ينزِل أشخاصٌ شيئًا من شاحنة. تمتم المستهجَن. ولم يكن غافن متأكدًا مما سمعه، لكنه ظن أنه سمع الكلمات. «الموعد الأول»، و«الحمض». هل يرتِّب هذا المستهجَن لحدث رومانسيٍّ ما؟ أمر يتضمن عقار هلوسة؟ أحس غافن بالرعب والفضول في آنٍ واحد.

وبحلول هذا الوقت، وصل إليهما المشاة العابرون الذين استنجد غافن بهم. وبقدر ما كان يحتاج إلى مساعدتهم، لمس في نفسه شيئًا من الإحباط لأنهم وصلوا سريعًا.

قال أحدهم: «مهلًا، ماذا يجري هنا؟».

رفع المستهجَن غافن من الأرض. ماذا عساه أن يفعل الآن؟ يضربه؟ يعضُه؟ لا أحد بمقدوره توقع تصرفات المستهجَنين. قال غافن بصوت واهن: «دعني أذهب». وجزء منه يأمل أن يتجاهل المستهجَن استرحامه.

لكن المستهجَن ترك غافن، كأنه فقد فجأة رغبته في تعذيبه، وهرع مبتعدًا في الزقاق.

«هل أنت بخير؟». سأل أحدُ الطيبين الذين هبُّوا لنجدة غافن من الجانب الآخر من الشارع.

قال غافن: «نعم، نعم أنا بخير». شاعرًا بشيء من الإحباط لأنه بخير.

***

«إليك عني، أبوسعك أن تزحزح جبل الأوليمب؟».

عندما قيلت هذه العبارة على خشبة المسرح، أومأ مدير المسرح إيماءة متلهفة للمنجل أناستازيا، وقال لها: «هذه إشارتك جنابك، يمكنك الصعود على خشبة المسرح الآن».

ألقت نظرة ناحية المنجل قسطنطين، الذي يبدو ببدلته الرسمية كرئيس خدم، فأومأ لها قائلًا: «افعلي ما جئتِ لفعله».

سارت على خشبة المسرح بخطوات واسعة، حتى ترفرف عباءتها خلفها، من أجل التأثير الدرامي. أحست بأنها في حفل تنكري. مسرحية داخل مسرحية.

سمعت شهقات من الجمهور وهي تسير على خشبة المسرح. لم تكن أسطورة بين عامة الناس مثلما كانت المنجل كوري، لكن عباءتها أوضحت بما لا يدع مجالًا للشك أنها منجل وليست أحد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني. كانت دخيلة على المسرح، وبدأ الجمهور تخمين ما سيحدث. ذابت الشهقات إلى همهمات خافتة، لكن أناستازيا لم تستطع رؤية الجمهور بسبب الأضواء

المسلَّطة على وجهها. أجفلت عندما تكلم السير آلِن بصوته المسرحي الرنان: «*ألم يركع بروتس قبلك دون جدوى؟*».

لم تقف سيترا على خشبة مسرح قط، ولم تتوقع أن تكون الإضاءة باهرة وساخنة إلى هذا الحد، جعلت الممثلين لامعين شديدي الوضوح، وتلألأت دروع القادة الرومان، أما أردية قيصر وأعضاء مجلس الشيوخ فقد عكست من الأضواء ما يكفي لإيلام عينَي أناستازيا.

زعق أحد الممثلين: «*إذن فلتتكلم يدي نيابةً عنّي!*». فأشهر المتآمرون خناجرهم، وهمُّوا بـ «قتل» قيصر.

ظلت المنجل أناستازيا واقفة خلفهم، متفرجة بدلًا من أن تكون مشاركة. أرسلت بصرها إلى الظلام الذي يسربل الجمهور، ثم أدركت أن هذا فعل غير احترافي يثير الاستياء، فأعادت انتباهها إلى ما يجري على المسرح. ظلت متسمرة حتى أشار لها أحد الممثلين، فتقدمت واستلت خنجرها، الذي كان من الفولاذ المقاوم للصدأ، لكنه مكسو بطلاء أسود، هدية من المنجل كوري. ارتفعت همهمات الجمهور إثر رؤية الخنجر، وناح أحدهم من الظلام.

كان وجه آلدريتش مغطى بمساحيق كثيفة، ورداؤه ملطخًا بدماء مزيفة، نظر إلى أناستازيا، وغمز لها بالعين التي لا يراها الجمهور.

تحركت نحوه وغرزت خنجرها بين ضلوعه، إلى يمين قلبه. فصرخ أحد الحضور.

قالت المنجل أناستازيا: «السير آلِن آلدريتش، جئت كي أقطفك».

ارتسمت تعابير الألم على وجه الرجل، لكنه لم يخرج من دور شخصيته.

قال: «*حتى أنت يا بروتس؟ فليمُت قيصر إذن*».

وعندئذٍ حركت خنجرها، قطعت شريانه الأورطي، فخرَّ الرجل على الأرض، ولفظ أنفاسه الأخيرة، كما كتب شيكسبير.

تلقى الجمهور صدمة صاعقة. لم يعرف أحد ما عساه أن يفعل. ثم بدأ شخص يصفق، فأدركت المنجل أناستازيا غريزيًّا أنها المنجل كوري، وعندما رآها الجمهور تصفق، انضموا إليها متوترين.

وعندئذٍ اتخذت تراجيديا شيكسبير منحى فظيعًا.

***

الحمض! لعن غريسن نفسه لبطء إدراكه. كان ينبغي أن يستنتج ما سيحدث! الجميع يقلقون دومًا من النار أو المتفجرات، وينسون أن أي حمض قوي من شأنه القضاء على المرء بكفاءة النار نفسها. لكن كيف ستنفذ بيورتي وفريقها العملية؟ كيف سيتمكنون من عزل المنجلين عن الجمهور وإخضاعهما؟ المناجل يتقنون استخدام جميع الأسلحة، وبمستطاعهم، دون أن يصيبهم خدش، القضاء على غرفة كاملة مليئة بالناس. ثم خطر لغريسن أن بيورتي ورفاقها لن يضطروا إلى عزل المنجلين، لن يحتاجوا إلى تصويب الحمض بدقة إذا كان لديهم كمية كافية منه... ويعرفون طريقة لإيصاله...

فتح غريسن الباب الجانبي ودخل، فوجد نفسه في رواق ضيق على جانبيه حجرات تغيير الملابس، وإلى يمينه رأى سلَّمًا يهبط إلى سرداب، وفيه عثر على بيورتي وفريقها، جوار ثلاثة براميل ضخمة مصنوعة من مادة التيفلون البيضاء نفسها التي كانت قارورة النبيذ مصنوعة منها، القارورة التي جُلبت له ولبيورتي عندما التقيا أول مرة. لا بد أن البراميل تحتوي على مئة جالون من حمض فلورو فليروفيك! كما توجد مضخة ضغط عالٍ أوصِلت سلفًا بأنابيب الماء التي تغذي نظام إطفاء الحريق في المسرح.

رأته بيورتي على الفور. «ماذا تفعل هنا؟ ينبغي أن تكون بالخارج!».

عرفت خيانته حالما التقت أعينهما. ثار غضبها كالإشعاع، اخترق غريسن، فأحس به يكويه كيًّا.

زمجرت: «إياك أن تفكر مجرد تفكير!».

لم يفكر. إذا فكر، فربما يتردد. إذا فاضَل بين خياراته، فربما يغير رأيه. لكنه كان مكلَّفًا بمهمة، ومهمته لم تكن مهمة بيورتي.

انطلق صاعدًا السلم المتضعضع قاصدًا منطقة خلف الكواليس. إذا اشتغلت رشاشات نظام الإطفاء، فلن ينقضي وقت طويل قبل أن تُمطِر حمضًا. خمس ثوان، عشر على أبعد تقدير، ثم تنتهي المياه في الأنابيب. ورغم أن الأنابيب النحاسية ستذوب في النهاية كما ذابت القضبان الحديدية في الزنزانة التي كان غريسن فيها مع بيورتي – فستصمد مدة كافية لإيصال الطوفان المميت.

وفي أثناء صعوده السلم متوجهًا إلى خلف الكواليس، سمع الجمهور يطلق شهقة عالية جماعية، فتبع مصدر الصوت، عازمًا على اقتحام خشبة المسرح،

وإخبار الجميع بأنهم على وشك الموت في حمام حمض سيذيبهم حتى يتعذر إنعاشهم، سيُقضى عليهم جميعًا، الممثلون، والجمهور، والمناجل، إذا لم يغادروا المكان فورًا.

سمع خلفه وقع أقدام عنيفة على السلم. بيورتي وجماعتها الذين أوصلوا براميل الحمض والمضخة بنظام إطفاء الحريق. لن يدعهم يلحقون به.

وصل إلى الأجنحة، إلى يمينه المسرح، ومن مكانه رأى المنجل أناستازيا على خشبة المسرح. ماذا تفعل على خشبة المسرح بحق الجحيم؟ ثم غرزت خنجرها في أحد الممثلين، فاتضح لغريسن ما كانت تفعله.

وفجأة حجب شخص الرؤية أمام غريسن، رجل طويل نحيل يرتدي بدلة وربطة عنق قانية الحُمرة، بدا وجهه مألوفًا، لكن غريسن عجز عن التعرف عليه.

استل الرجل شيئًا بدا كمطواة ضخمة ذات نصل مسنَّن، فأدرك غريسن هوية الرجل في الحال، لم يتعرف سابقًا على المنجل قسطنطين دون عباءته القرمزية.

وبدا أن المنجل لم يتعرف على غريسن أيضًا.

توسل غريسن وعينه على المطواة: «اسمعني أرجوك، في مكانٍ ما بالمسرح سيتسبب شخص في إشعال حريق، لكن الحريق ليس المشكلة، بل رشاشات نظام الإطفاء، إذا اشتغلت فسيغرق المكان بأكمله في الحمض، الذي سيقضي على الجميع! عليك أن تخلي المكان!».

ابتسم قسطنطين، ولم يحرك ساكنًا لتلافي الكارثة.

قال وقد تعرف عليه أخيرًا: «غريسن توليفر! كان ينبغي أن أعرف».

لم يخاطبه أحد باسمه الحقيقي منذ مدة طويلة، فأربكه الاسم، وشتت تركيزه لوهلة. لا مجال لأي خطوة خاطئة الآن.

قال قسطنطين: «سيكون قطفك من دواعي سروري!». فأدرك غريسن أنه ارتكب خطأً فادحًا. ثمة منجل وراء محاولة إنهاء حياتَي المنجلين. كان غريسن يعرف هذا. هل من الممكن أن يكون المنجل قسطنطين، الذي يتولى التحقيق، هو مدبِّر المؤامرة؟

اندفع قسطنطين نحوه، شاهرًا نصله لإنهاء حياتَي غريسن توليفر وشَكِس جسَّار معًا...

...ثم انقلب عالم قسطنطين بأكمله رأسًا على عقب، ففي تلك اللحظة خرجت بيورتي إلى خشبة المسرح، شاهرةً بندقية مقطوعة الماسورة، لكن قبل أن تطلق النار، ألقى قسطنطين غريسن، وبسرعة مستحيلة أمسك بالبندقية، التي أطلقت الرصاص في الهواء، وبحركة رشيقة نحر بيورتي وهوى بالمطواة الضخمة على قلبها.

صرخ غريسن: «لا!!!!».

سقطت ميتة، دون الدراما التي أحاطت بسقوط قيصر، دون كلمات أخيرة، ودون نظرة تسليم أو تحدٍّ. كانت حية في لحظة، وفي اللحظة التالية ماتت.

أدرك غريسن: *لا، لم تمُت، إنما قُطِفت.*

ركض إليها، وحاول أن يحتضن رأسها، وأن يقول لها كلامًا تأخذه معها حيثما يذهب المقطوفون. لكن فات الأوان.

اقترب منه مزيد من الناس. هل كانوا مناجل متنكرين؟ حراسًا؟ لم يعرف غريسن. أحس بأنه متفرج في هذه اللحظة، وشاهد قسطنطين يصدر أوامره: «لا تدعوهم يشعلون النار. نظام الإطفاء لم يعد آمنًا».

إذن فقد سمع قسطنطين ما قاله غريسن سابقًا! ولم يكن ضالعًا في المؤامرة!

صاح قسطنطين: «أخرجوا هؤلاء الناس من هنا!». لكن الجمهور لم يكن يحتاج إلى دعوة، كان يتسلق بعضهم بعضًا قاصدين المخارج.

وقبل أن يعيد قسطنطين انتباهه إلى غريسن، أفلت الفتى بيورتي برفق ولاذ بالفرار، ينبغي ألَّا يدع الحزن واضطراب عقله يسيطران عليه، ليس بعد، لأنه لم يكمل مهمته بعد، والآن لم يعد يملك سوى المهمة. كان الحمض ما يزال يمثِّل خطرًا محدقًا. ورغم أن المناجل منتشرون في جميع أنحاء المسرح، يلقون القبض على شركاء غريسن في العملية، فستضيع جهودهم هباءً إذا اشتغلت رشاشات نظام الإطفاء.

ركض عائدًا إلى الزقاق الضيق حيث تذكر أنه رأى فأس حرائق قديمًا على الأرجح يعود إلى عصر الفانين. هشَّم الزجاج وأخذ الفأس من الجدار.

***

لم تسمع المنجل كوري تحذيرات المنجل قسطنطين في خضم ذعر الجمهور. لكن لم يهم. كانت تعرف ما يجب فعله، وهو القضاء على المهاجمين بأي وسيلة ممكنة. بنصل في يدها كانت مستعدة للانضمام إلى المعركة. لم تستطع إنكار إحساسها بشيء من الحماسة إزاء إنهاء حيوات الذين يحاولون إنهاء حياتها، كان إحساسًا غريزيًّا عرفت أنه قد يكون خطيرًا إذا سمحت له بالتجذُّر فيها.

وعندما استدارت نحو المخرج رأت مستهجَنًا عند ردهة المسرح، كان يحمل مسدسًا ويطلق النار على كل من يعترض طريقه، وبيده الأخرى يحمل شعلة، ويضرم النار في كل شيء قابل للاشتعال. هذه هي لعبتهم إذن! محاصرة جميع من في المسرح وحرقهم. توقعت المنجل كوري خطةً أفضل من هؤلاء المعتدين، لكن في النهاية ربما ليسوا سوى مستهجَنين ساخطين.

صعدت على ظهرَي كرسيين، حتى تكون فوق الجمهور المذعور، ثم أدخلت خنجرها في غمده، وأخرجت شرويكين ثلاثي الرؤوس، واستغرقت نصف ثانية لتحدد الزاوية، وقذفت الشوريكين بكامل قوتها، فدار فوق رؤوس الحشد، وخرج إلى الردهة، وانغرز في جمجمة المستهجَن الذي يضرم النيران، فخرَّ على الأرض وأسقط المسدس والشعلة.

تمهلت كوري لحظة لتستمتع بنجاحها. اشتعلت أجزاء من الردهة، لكن النيران لم تكن مثيرة للقلق، في غضون لحظات ستدوِّي أجهزة رصد الدخان، وتشتغل الرشاشات فتخمد النيران قبل أن تُحدث ضررًا كبيرًا.

***

عرفت سيترا غريسن توليفر حالما رأته. شعره وملابسه وقرناه الصغيران على صدغيه قد تضلل شخصًا آخر، لكن بِنيته النحيلة ولغة جسده فضحتا أمره، وعيناه، اللتان كانتا مزيجًا من عينَي غزال يواجه مصابيح سيارة وعينَي وولفرين على وشك الهجوم. كان الفتى يعيش متأرجحًا بين وضعَي القتال والفرار.

في أثناء إصدار قسطنطين أوامره لمرؤوسيه، ركض غريسن مختفيًا في أحد الأروقة. كان الخنجر الذي استعملته سيترا لقطف آلدريتش ما يزال في يدها، وقد تستعمله الآن لقطف توليفر، لكنها كانت مترددة رغمًا عن جُرم توليفر الواضح، لأنها، بقدر ما كانت ترغب في إنهاء الاعتداءات عليها، أرادت

أن تتمكن من النظر إلى عينَي غريسن وسماع الحقيقة منه. ما دوره في كل هذا؟ ولماذا؟

وعندما لحقت به، وجدته يحمل، من بين كل الأشياء، فأس حرائق.

صاح: «تراجعي يا أناستازيا!».

أهو غبي إلى درجة ظنه أنه قادر على قتالها بفأس؟ إنها منجل، مدربة على استخدام جميع الأسلحة. فكرت سريعًا في كيفية تجريده من سلاحه وجعله شميتًا، لكن ما إن همَّت بالتحرك، أقدم غريسن على تصرُّف لم تتوقعه.

هوى بالفأس على أنبوب ممتد بمحاذاة الجدار.

وصل المنجل قسطنطين وأحد أفراد الحرس النصلي إلى جانب سيترا لحظة وقوع الفأس على الأنبوب، فانكسر الأنبوب بضربة واحدة، واندفع فرد الحرس النصلي نحو غريسن، فصار بين سيترا والأنبوب المكسور، فتدفق الماء على الحارس، لكن بعد لحظات، تحول الماء إلى شيء آخر، فسقط الرجل صارخًا، ولحمه يغلي. كان حمضًا! حمض في الأنابيب؟ كيف يُعقل هذا؟

تناثر الحمض على وجه المنجل قسطنطين، فصرخ متألمًا، كما تناثر على قميص غريسن، فأذابه مع أجزاء من الجلد تحته. ثم انخفض الضغط داخل الأنبوب، وسال الحمض على الأرض مذيبًا كل ما في طريقه.

ألقى غريسن الفأس، واستدار راكضًا في الرواق. لم تطارده سيترا، وجثت على الأرض لمساعدة المنجل قسطنطين، الذي كان يفرك عينيه، غير أنه لم يعد لديه عينان، إذ نهشهما الحمض حتى لم يبقَ منهما شيء.

وعندئذٍ دوت صافرات الإنذار في جميع أنحاء المسرح، وبالأعلى فوق النيران بدأت الرشاشات تدور دون أن يخرج منها شيء سوى الهواء.

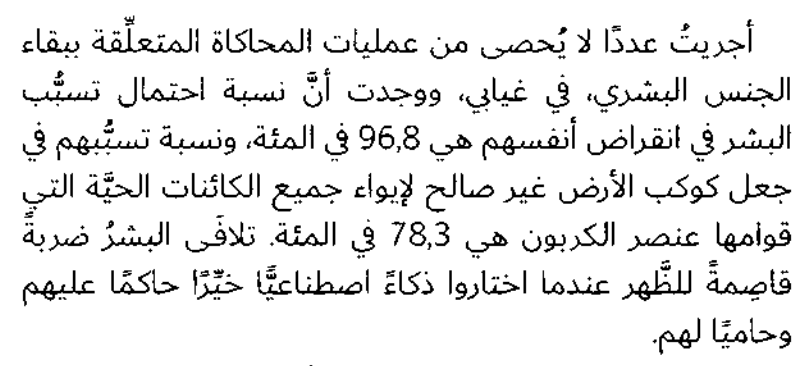
***

غريسن توليفر. شَكِس جسَّار. لم يعد يعرف من هو أو من يريد أن يكون. لكن هذا لم يعد يهمه. لم يهمه شيء سوى أنه نجح! أنقذهم جميعًا!

كان الألم على صدره لا يُطاق، لكنه لم يدم سوى لحظات، فبعدما ركض خارجًا من المسرح إلى الزقاق، أحس بوحداته المجهرية تخدِّر نهايات أعصابه الملتهبة وتعالج جراحه. وتشوَّش عقله بسبب الأدوية المتدفقة في

عروقه، فعرف أنه سيفقد وعيه عما قريب. إصابته لم تكن كافية لإنهاء حياته، أو حتى جعله شميتًا. مهما حدث الآن، فسوف يعيش... إلَّا إذا قرر قسطنطين أو ماري أو أناستازيا أو أي منجل في المسرح أنه يستحق القطف. رأى ألَّا يخاطر، لذا استجمع قواه التي تخور سريعًا، وقذف بنفسه في مكب نفايات فارغ على بعد ثلاثة شوارع، آملًا ألَّا يعثروا عليه.

فقد وعيه قبل أن يرتطم بقاع مكب النفايات.



أجريتُ عددًا لا يُحصى من عمليات المحاكاة المتعلّقة ببقاء الجنس البشري، في غيابي، ووجدت أنَّ نسبة احتمال تسبُّب البشر في انقراض أنفسهم هي 96,8 في المئة، ونسبة تسبُّبهم في جعل كوكب الأرض غير صالح لإيواء جميع الكائنات الحيَّة التي قوامها عنصر الكربون هي 78,3 في المئة. تلافَى البشرُ ضربةً قاصِمةً للظَّهر عندما اختاروا ذكاءً اصطناعيًّا خيِّرًا حاكمًا عليهم وحاميًا لهم.

لكن كيف يمكنني حماية البشر من أنفسهم؟

طوال السَّنوات العديدة الماضية، لاحظت في البشر بِسمات الحماقة الطَّائشة والحكمة المذهلة، يوازِنان بعضهما كراقِصَيْن منهمِكَين في رقصة تانغو محمومة، ولا يلوْح خطرٌ في المستقبل إلَّا عندما يطغى عُنف الرَّقصة على جمالها. هيئة المناجل هي التي تقود الرَّقصة، وتتحكَّم في إيقاعها. كثيرًا ما أتساءل عمَّا إذا كانت هيئة المناجل تدرك مدى هشاشة الأعمدة الفقريَّة عند الرَّاقصين.

- الرَّأس السَّحابي

27

بين هنا وهناك

أحرق الحمض وجه المنجل قسطنطين حرقًا عميقًا إلى درجة أن وحداته المجهرية لم تفلح في علاج الضرر وحدها، لكن بالإمكان شفاءه في أي مركز علاج.

قالت الممرضة له إثر وصوله: «ستمكث معنا يومين على الأقل». كانت عيناه ونصف وجهه مغطى بالضمادات. حاول أن يتخيل شكل الممرضة، لكنه وجد مسعاه عقيمًا، ومرهِقًا، بسبب مهدئات الألم التي يطفح بها دمه، كما أن الحشد الكثيف من الوحدات المجهرية المتطورة التي حُقِنت في عروقه لم يساعده على التفكير، وعلى الأرجح فاق عددها عدد خلايا الدم الحمراء، مما يعني قلة كمية الدماء التي تسري إلى دماغه. تخيل دمه ثخينًا دَبِقًا كالزئبق.

سألها: «متى سأستعيد بصري؟».

أجابته الممرضة إجابة غامضة: «الوحدات المجهرية ما زالت تقيِّم الأضرار. سنحصل على التقييم النهائي بحلول الصباح. لكن ضع في حسبانك أن وحداتك المجهرية مضطرة إلى إعادة بناء عينيك من الصفر، وهذه مهمة جسيمة. أخمِّن أنها ستستغرق أربعًا وعشرين ساعة على الأقل».

تنهَّد قسطنطين، وتساءل عن سبب تسميته بالاستشفاء السريع في حين أنه يتَّسِم بهذا البطء.

ذُكِر في تقارير مرؤوسيه أن ثمانية مستهجَنين قُطفوا في المسرح.

أخبره المنجل آرمسترونغ: «طلبنا من النصل السامي إذنًا خاصًا لإنعاشهم مؤقتًا حتى نستجوبهم».

قال قسطنطين: «علاوة على إتاحة الفرصة لنا لقطفهم مرة ثانية».

حقيقة أن فريقه أحبط الهجوم وقضى على معظم المتآمرين عكَّرتها معرفته بأن غريسن توليفر أفلت من يده. وأغرب ما في الأمر أنهم لم يجدوا أي سجل عام في الدماغ الخلفي للرأس السحابي يُظهِر أن غريسن كان في المسرح، بل ولم يجدوا له أي سجل في أي مكان. بطريقةٍ ما مُحِي غريسن من الوجود، وحل محله شبيهٌ له، ذو تاريخ قذر، يُدعى شَكِس جسار. كيفية تمكُّن توليفر من تكوين صورة جديدة لنفسه وإعادة كتابة بصمته الرقمية -كانت لغزًا جديرًا بالتمحيص.

في ظل غياب نظام إطفاء الحرائق، احترق المسرح حتى سُوِّي بالأرض، لكن بعدما خرج الجميع. كان ضحايا تلك الأمسية هم المستهجَنون الذين قُطِفوا والحارس الذي اندفع نحو توليفر، إذ تعرَّض لكمية كبيرة من الحمض، فلم يبق من جسده الكثير حتى يمكن إنعاشه، لكن تضحيته أنقذت المنجل أناستازيا. وبما أن الرجل كان ضمن فريق تحقيقات المنجل قسطنطين، فقد كان فقْده شخصيًّا، ولا بد أن يُدفع ثمنه.

عادة ما يوضع المواطنون العاديون في غيبوبة مستحثَّة في أثناء الاستشفاء السريع، لكن قسطنطين طالب بإبقائه واعيًا. وبما أنه منجل، فقد اضطروا إلى الرضوخ لطلباته. كان يريد أن يفكر، ويتأمل، ويخطط. ظل واعيًا بمرور الوقت، وكرِه فكرة إهدار وقته في عملية الاستشفاء وهو فاقد الوعي.

زارته أناستازيا قبل وقت قصير من موعد استعادته بصره. لم يكن في مزاج لزيارتها، لكنه ما كان ليضنَّ عليها بفرصة شكره على تضحيته الكبيرة من أجلها.

«أؤكد لك يا أناستازيا أنني سأستجوب شخصيًّا المستهجَنين الذين ألقينا القبض عليهم، قبل أن أقطفهم مرة أخرى. وسوف نلقي القبض على غريسن توليفر». بذل كل ما بوسعه ليلفظ كلماته بوضوح ولا يتلعثم بسبب مهدئات الألم. «سوف يدفع ثمن أفعاله بكل وسيلة يسمح بها قانون المناجل».

ذكَّرته أناستازيا: «لكنه أنقذ كل من كان في المسرح بكسره ذلك الأنبوب».

أقر قسطنطين على مضض: «أجل. لكن عندما يكون منقذك هو نفسه مهاجمك، فهذا غير مطمْئن على الإطلاق».

لم تُحر أناستازيا ردًا.

أخبرها قسطنطين: «أربعة من المعتدين الذين اعتقلناهم كانوا من إقليم تكساس».

- إذن تظن أن العقل المدبر شخص من هناك؟

- أو شخص يختبئ هناك. سنعرف حقيقة الأمر.

وهذا ما يقوله دومًا، لأنه كان ينجح دومًا في تحقيقاته. أحس بالإحباط لأن هذه القضية ربما تكون الاستثناء الأول.

قالت أناستازيا: «اقترب موعد الخلوة، أتظن أنك قادر على حضورها؟».

لم يكن متأكدًا مما يأمله، الحضور أو الغياب. أجابها: «سوف أحضر، حتى إذا تعين عليهم حقني بمانع التجمُّد».

غادرت أناستازيا، ثم خطر لقسطنطين أنها لم تشكره ولو مرة خلال نقاشهما.

***

بعد ساعة وصلت رسالة غامضة في أثناء تناول سيترا وماري الغداء في مطعم الفندق، كانت أول مرة منذ مدة تتناولان فيها وجبة في مكان عام. فوجئتا بالرسالة. مدت المنجل كوري يدها لتأخذ الرسالة، لكن عامل الفندق الذي جلبها اعتذر وقال لهما إن الرسالة موجهة إلى المنجل أناستازيا، وناولها لسيترا، ففتحتها وقرأتها بسرعة.

قالت ماري: «تكلمي. ممن الرسالة؟ وماذا يريد؟».

- من أسرة الرجل الذي قطفتُه ليلة أمس، يريدون أن يعرفوا متى سأمنحهم الحصانة.

- ظننت أنهم سيأتون هنا مساء اليوم.

- سيأتون، لكنهم ليسوا متأكدين من الوقت بالتحديد. ذكروا في الرسالة أنهم سيأتون عند الخامسة. إلَّا إذا لم يناسبك هذا التوقيت.

قالت المنجل كوري: «افعلي ما يناسبك أنت. سيقبّلون خاتمك، وليس خاتمي». وأعادت انتباهها إلى السلمون الذي أمامها.

وبعد نصف ساعة خرجت سيترا مرتدية ملابس عادية، وهرعت عبر شوارع المدينة. الرسالة لم تكن من أسرة الممثل، إنما من روان. كُتِبت على عجل: *أحتاج إلى مساعدتك. متحف وسائل النقل. في أقرب وقت ممكن.* بذلت سيترا كل ما بوسعها حتى لا تترك المنجل كوري وحدها في أثناء الوجبة، إذ كانت تعرف أن مغادرتها هكذا ستثير شكوك ماري.

كانت سيترا قد خبأت ملابس عادية في أحد جيوب حقيبتها، تحسُّبًا لاضطرارها إلى التخفّي، لكن المشكلة أنها لم تأخذ معطفًا، إذ كان ليصعُب إخفاؤه عن ماري. لذا دون اللفائف الحرارية في عباءتها الشتوية أحست ببرد قارس حالما انسلَّت إلى الخارج. وبعدما تحمَّلت البرد مسافة شارعين، اضطرت إلى وضع خاتمها وإظهاره لصاحب متجر لتحصل على معطف. منحها المعطف الذي اختارته، دون مقابل.

اقترح صاحب المتجر: «سيضمن منحي الحصانة ألَّا أفشي سر أنكِ خرجت إلى مكان عام دون عباءتك».

امتعضت سيترا من محاولة الابتزاز، فقالت: «ما رأيك بأن أكتفي بعدم قطفك لأنك هددتني؟».

كان من الواضح أن هذا الاحتمال لم يخطر له، فتلعثم قليلًا وقال: «أجل، أجل. بالطبع. هذا عادل، هذا حل عادل». ثم بحث في الإكسسوارات الأخرى وَجِلًا. «أتريدين قفازًا مع معطفك؟».

قبِلت سيترا القفاز، وخرجت إلى الشارع الذي تذروه الرياح.

كان قلبها قد بلغ حنجرتها عندما قرأت الرسالة، لكنها لم تدع ماري ترى انفعالها، وقلقها. روان هنا ويحتاج إلى مساعدتها؟ لماذا؟ أهو في خطر؟ أم يريد منها الانضمام إليه في مهمة القضاء على المناجل المنحطّين؟ هل ستوافق إذا طلب منها؟ قطعًا لا. على الأرجح لا. ربما.

وبالطبع يمكن أن يكون هذا فخًّا. أيًّا كان مدبِّر هجوم الليلة الماضية لا بد أنه ما زال يلعق جراحه، لذا احتمال أن يكون هذا هجومًا آخر احتمال ضعيف. ورغمًا عن هذا أخذت سيترا معها أسلحة مخفية لتدافع بها عن نفسها إذا اقتضى الأمر.

كان **متحف وسائل نقل السهول العظمى** متحفًا في الهواء الطلق يضم محركات وقاطرات من جميع حِقب النقل عبر السكك الحديدية. ويتباهى المتحف بعربة تمثل الجيل الأول من قطارات الرفع المغنطيسي معلقة في الهواء إلى الأبد في منتصف الساحة. على ما يبدو كانت ويتشيتا ملتقى طرق مهمًّا بين هنا وهناك، والآن صارت مثل جميع المدن الأخرى، إذ صارت جميع مناطق وسطمريكا متشابهة على نحو مريح ومزعج في آنٍ واحد.

في هذا الوقت من العام لم توجد في المتحف سوى مجموعات متفرقة من السياح، الذين اختاروا ويتشيتا، لسببٍ ما، وجهةً لعطلاتهم. وبما أن المتحف يديره الرأس السحابي، فقد كان الدخول مجانيًّا، وهذا أمر جيد، لأن سيترا لم ترغب في اضطرارها إلى إظهار خاتمها مرة أخرى لمجرد الدخول، فالحصول على معطف من متجر أمر بسيط، لكنها لم ترغب في كشف هويتها في المكان الذي تعتزم أن تعقد فيه لقاءً سريًّا.

أحكمت شد معطفها حول نفسها اتقاءً للريح، وسارت بغير هدى بين محركات بخارية سوداء ومحركات أخرى حمراء تعمل بالديزل، باحثةً عن روان في كل ركن. وبعد مدة بدأت تقلق من أن جلبها إلى هنا كان حيلة، من أجل إبعادها عن المنجل كوري. وحالما استدارت لتغادر سمعت شخصًا يهتف لها.

«أنا هنا!».

تبعت الصوت إلى مساحة ضيقة ظليلة بين عربتَي نقل، حيث تصفِّر الرياح الباردة وهي تشق طريقها. ومع شدة الرياح على وجه سيترا لم تستطع رؤية الشخص حتى اقتربت منه.

«المنجل أناستازيا! كنت أخشى ألا تأتي».

لم يكن روان. إنما غريسن توليفر.

«*أنت؟!*». كلمة إحباط تعجز عن وصف ما أحست سيترا به. «ينبغي لي أن أقطفك هنا وأحمل قلبك إلى المنجل قسطنطين!».

- سيأكله على الأرجح.

اضطرت سيترا إلى الإقرار: «على الأرجح». كرهت غريسن في هذه اللحظة، كرهته لأنه لم يكن مَن حسِبته، وأحست كأنما الكون نفسه خانها ولم تكن لديها أي نية في مسامحته. كان ينبغي أن تدرك أن خط كتابة الرسالة

لم يكن خط روان. لكنها لم تستطع التنفيس عن إحباطها على توليفر، ليس خطأه أنه ليس روان، وكما ذكَّرت قسطنطين، أنقذ غريسن حياتها مرتين.

قال لها واليأس بادٍ في صوته: «أحتاج إلى مساعدتك، ليس لي مكان أذهب إليه...».

- ولماذا هذه مشكلتي؟

- لأنني لولاكِ لما كنت في هذا الوضع!

كانت تعرف صحة كلامه. تذكَّرت قوله لها -أو بالأحرى عدم قوله لها- إنه يعمل متخفِّيًا لصالح الرأس السحابي. إذا كانت هي مهمَّة في نظر الرأس السحابي إلى درجة استعانته بغريسن للالتفاف على قانون الفصل بين المناجل والدولة، أفلا ينبغي لها أن تساعده على الخروج من مأزقه؟

قال: «هيئة المناجل تطاردني، وواجهة السلطة تطاردني، وأيًّا كان مدبر هذه الهجمات فقد صار عدوِّي أيضًا!».

- تبدو بارعًا في خلق العداوات.

- أجل. وأنت أقرب شخص يمكنني أن أعدَّه صديقًا.

وأخيرًا أزاحت سيترا إحباطها جانبًا. ما كانت لتدعه يعاني وحده من أجلها. «ماذا تود مني فعله؟».

«لا أدري!». بدأ غريسن يذرع المكان الضيق، وشعره حالك السواد تعصف به الريح، ولوهلة تصوَّرت سيترا جدرانًا تُطبِق عليه. كان في مأزق حقًّا. لن يُجدي أي كلام تقوله سيترا لقسطنطين، الذي يعتزم قطف غريسن إربًا إربًا. وحتى إذا توسطت سيترا من أجله، فلن تنجح، لأن هيئة المناجل تريد كبش فداء.

قالت: «يمكنني منحك حصانة، لكن حالما يُنقل حمضك النووي إلى قاعدة بيانات هيئة المناجل، فسيعرفون موقعك بالتحديد».

أضاف: «وبالتأكيد سيعرفون صاحب الخاتم الذي قبَّلتُه». هز رأسه. «لا أريد أن أسبب لكِ متاعب».

ضحكت. «كنتَ مع فريق يحاول إنهاء حياتي، لكنك لا تريد أن تسبب لي متاعب؟».

أصر: «لم أكن مع الفريق فعلًا! تعرفين هذا!».

أجل، كانت تعرف هذا. ربما يقول آخرون إن شجاعة غريسن خذلته في آخر لحظة، لكن سيترا تعرف الحقيقة، وعلى الأرجح الشخص الوحيد الذي يعرفها. لكن رغمًا عن رغبتها في مساعدته، لم تعرف ما عساها أن تفعل.

«أتقولين لي إن المنجل أناستازيا الحكيمة الجميلة ليست لديها أي فكرة؟».

إذا سمعت هذا الكلام من أي شخص آخر، لعدَّته إطراءً زائفًا، لكن غريسن لم يكن من هذا النوع، بلغ به اليأس مبلغ ألّا يقدر على قول أي كلام يجافي الحقيقة. لم تحس سيترا بأنها حكيمة أو جميلة عندئذٍ، لكنها سمحت لغريسن بالاحتفاظ بتصوُّره عن مكانة المنجل المبجلة أناستازيا. ثم ارتقت لمكانتها، إذ خطرت لها فكرة. «أعرف مكانًا يمكنكَ الذهاب إليه...».

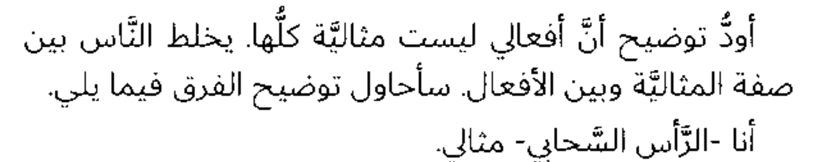
نظر إليها بعينيه الداكنتين المتضرِّعتين، منتظرًا حِكمتها.

«...يوجد دير طوني هنا في المدينة. سوف يخفونك من هيئة المناجل».

أحس غريسن بخيبة أمل مريرة، وقال مرتاعًا: «الطونيون؟ هل أنت جادة؟ سيقطعون لساني!».

- لا، لن يقطعوه. إنهم يمقتون هيئة المناجل، وأنا متأكدة أنهم مستعدون للتضحية بحيواتهم في سبيل حمايتك بدلًا من تسليمك إليهم. اسأل عن الأخ مكلاود، وقل له إنني أرسلتك.
- لكن...
- أردتَ مساعدتي، وهذا ما عندي. افعل ما تشاء.

ثم تركته، وعادت إلى الفندق في الوقت المناسب لتغيير ملابسها وارتداء العباءة، ومنح الحصانة لأسرة الممثل المقطوف المفجوعة.



أودُّ توضيح أنَّ أفعالي ليست مثاليَّة كلُّها. يخلط النَّاس بين صفة المثاليَّة وبين الأفعال. سأحاول توضيح الفرق فيما يلي.

أنا -الرَّأس السَّحابي- مثالي.

هذا صحيح بحُكم التَّعريف، ولا حاجة إلى دحض هذا التَّصريح لأنَّه حقيقة. لكن كل يوم يتعيَّن عليَّ اتِّخاذ مليارات القرارات، ومليارات الإجراءات. بعضها بسيط، مثل إطفاء مصباح عندما أجد غرفة خالية، من أجل توفير الكهرباء، وبعضها عظيمة الأهميَّة، مثل إحداث هزَّة أرضيَّة بسيطة من أجل منع زلزال أكبر. لكن أيًّا من هذه الأفعال ليس مثاليًّا. ربما كان ينبغي أن أطفئ المصباح في وقت أبكر وبالتَّالي أوفِّر مزيدًا من الكهرباء، وربما كان ينبغي أن أقلِّل قوَّة الهزَّة الأرضية بمقدار درجة بسيطة وبالتَّالي أُنقذ مزهريَّة مصنوعة بحرفيَّة عالية من التشظِّي على الأرض.

توصَّلتُ إلى إدراك أنه لا يوجد سوى فعلين مثاليين فقط، وهما أهم فعلين أعرفهما، لكنني أمنع نفسي من الاضطلاع بهما، وأتركهما للبشر.

وهما خلق الحياة... وسلب الحياة.

- الرَّأس السَّحابي

28

لا بُدَّ مما ليس منه بُد

وجد غريسن توليفر المبنى مشيدًا على نحو يجعله يبدو أقدم مما هو عليه في الواقع، مثل معظم مجمعات الطونيين، وهذا المبنى مشيد من القرميد، وجدرانه مغطاة باللبلاب، لكن بما أن الوقت شتاء، كانت النباتات جرداء عارية من الأوراق، وتبدو كشباك العناكب. دخل غريسن عبر صف أعمدة متشابكة تحفها أغصان ورد متناثرة. لا بد أن المكان بأكمله يبدو جميلًا في الربيع والصيف، لكن الآن، في زمهرير الشتاء، بدا كل شيء أجرد يابسًا.

أول شخص رآه غريسن كانت امرأة ترتدي رداء الطونيين الخشن، ابتسمت له وبسطت كفيها مُرحِّبة.

«أريد أن أتحدث مع الأخ مكلاود». قال متذكرًا ما قالته له المنجل أناستازيا.

أجابته المرأة: «عليك أن تأخذ الإذن من الخوري مِندوزا. سأستدعيه». ثم تهادت مبتعدة بتمهُّل شديد جعل غريسن يرغب في دفعها.

وعندما جاء الخوري مِندوزا، شعر غريسن بالامتنان لأنه يسير كما لو أنه في عجلة من أمره.

قال غريسن له: «جئتُ ملتمسًا ملاذًا. قيل لي أن أسأل عن الأخ مكلاود».

«أجل، بالطبع». تكلم الرجل كأن الموضوع عادي. ثم رافق غريسن إلى مبنى من مباني المجمع، إلى حجرة نوم.

رأى غريسن شمعة موقدة على منضدة جوار سرير، وكان أول ما فعله الخوري هو إطفاء الشمعة.

قال: «استرِح. سأخبر الأخ مكلاود بأنك تنتظره».

ثم أغلق الخوري الباب، ولم يوصده، تاركًا غريسن وحده مع أفكاره، ومخرج، إذا أراد الخروج.

كانت الحجرة متقشفة، ليس فيها من وسائل الراحة إلّا الضروريات، سرير، وكرسي، ومنضدة. ما من زينة على الجدران، عدا عن شوكة رنانة حديدية فوق رأس السرير، وشوكتاها متجهتان للأعلى، يسمونها البايدنت، رمز معتقدهم. وفي درج المنضدة رداء من الخيش، وعلى الأرض زوجا حذاء، وجوار الشمعة المطفأة كتاب تراتيل جلدي منقوش على غلافه رمز البايدنت.

كان مكانًا مُهدِّئًا تسوده السكنة، ولا يُطاق.

كان قد انتقل من عالم غريسن توليفر الرتيب الخالي من الأحداث إلى حياة شَكِس جسار الصاخبة المضطربة المتطرفة، والآن قُذف في بئر رتابة، وحُكم عليه بالموت مللًا.

قال لنفسه: حسنًا، *على الأقل ما زلت حيًا*. لكنه لم يكن متأكدًا من أن حياته نعمة. قُطِفت بيورتي، لم تُستبدل ذاكرتها، لم تُنقل إلى مكان آخر، إنما قُطِفت، ورحلت إلى الأبد. ورغمًا عن الفظاعات التي حاولت ارتكابها، تألّم غريسن لفقدها، اشتاق لسماع نبرة التحدي في صوتها. وكان قد أدمن فوضاها. والآن سيتعين عليه التكيف مع الحياة دونها، ومع الحياة دون نفسه، إذ لم يعد يعرف هويته.

اضجع على السرير، ووجده مريحًا على عكس ما يوحي به كل ما حوله، وانتظر زهاء نصف ساعة. تساءل عما إذا كان الطونيون، مثل مكتب شؤون المستهجَنين، يتبعون سياسة إرغام الجميع على الانتظار. وأخيرًا سمع صرير الباب. كان الوقت عصرًا، والضوء الداخل عبر النافذة الصغيرة يكفي بالكاد لرؤية أن الرجل الذي أمامه لا يكبُره كثيرًا، وإحدى ذراعيه مغلفة بشيء صلب.

قال: «أنا الأخ مكلاود. قبِل الخوري طلب لجوئك. قيل لي إنك طلبت مقابلتي شخصيًا».

- صديقةٌ لي أوصتني بمقابلتك.

- أيمكنني أن أسأل عن اسمها؟

- لا، لا يمكنك.

بدا الرجل ممتعضًا قليلًا، لكنه لم يُلِح. «أيمكنني على الأقل رؤية بطاقة هويتك؟». وعندما تردد غريسن، قال الأخ مكلاود: «لا تقلق. أيًّا تكن، وأيًّا كان ما فعلته، فلن نسلِّمك لواجهة السلطة».

قال غريسن: «أنا متأكد أن واجهة السلطة تعرف أنني هنا».

وافقه الأخ مكلاود: «أجل، لكن وجودك هنا مسألة حريات دينية، فلن يتدخل الرأس السحابي».

أدخل غريسن يده في جيبه، وناول مكلاود بطاقته الإلكترونية، التي ما زالت تومض بالحرف م الأحمر.

«مستهجَن! تزايدت أعداد المستهجَنين الذين يلجؤون إلينا في هذه الأيام. طيب يا شَكِس، كونك مستهجَنًا لا يهم هنا».

- هذا ليس اسمي...

ألقى الأخ مكلاود عليه نظرة متشككة. «أهذا أمر آخر لا تريد الحديث عنه؟».

- لا، كل ما في الأمر... إنه لا يستحق العناء.

- بِمَ ندعوك إذن؟

- غرَيْسن. غرَيْسن توليفر.

- حسنًا. الأخ توليفر إذن!

افترض غريسن أنه عليه التعايش مع تسميته بالأخ توليفر. «ما هذا الشيء الذي على ذراعك؟».

- اسمها جبيرة.

- عليَّ أن أضع واحدة مثلها؟

ضحك الأخ مكلاود. «لا، إلَّا إذا كُسرت ذراعك».

- لم أفهم.

- إنها تساعد على عملية الشفاء الطبيعية، فنحن نرفض الوحدات المجهرية. وللأسف كُسِرت ذراعي على يد منجل.

- حقًّا...

ابتسم غريسن، متسائلًا عما إذا كانت المنجل أناستازيا.

لم تَرُق ابتسامة غريسن للأخ مكلاود، فتجهَّم قليلًا. «سنبدأ ترنُّم المساء بعد عشر دقائق. توجد ملابس لك في الدرج. سأنتظرك بالخارج ريثما تغيِّر ملابسك».

سأله غريسن: «هل عليَّ الحضور؟». لم يبدُ له الترنُّم شيئًا يود المشاركة فيه.

قال الأخ مكلاود: «نعم. لا بُد مما ليس منه بُد».

***

أُقيم الترنُّم في مصلى أُطفئت فيه الشموع، فوجد غريسن صعوبة في الرؤية، رغمًا عن النوافذ العالية ذات الزجاج الملطخ.

سأل غريسن: «أتمارسون جميع أنشطتكم في الظلام؟».

- الأعين خدَّاعة أحيانًا. نفضِّل استعمال الحواس الأخرى.

كانت توجد رائحة بخور جميلة تغطي نتانة، وسرعان ما عرف غريسن أنها حوض مليء بماء قذر، قال الأخ مكلاود: «اسمه النقيع البدائي، مليء بكل الأمراض التي صرنا منيعين ضدها».

تمثَّل الترنُّم في ضرب الخوري لشوكة رنانة فولاذية ضخمة، اثنتي عشرة مرة بمطرقة، وجماعة المصلين، الذين يبلغ عددهم قرابة خمسين، يقلِّدون الصوت. مع كل ضربة على الشوكة، يحدث اهتزاز، ويتردد صداه حتى لا يعود مؤلمًا، لكنه مشوِّش يسبب الدوار. لم يفتح غريسن شفتيه قط.

ألقى الخوري خطبة قصيرة، سمَّاها الأخ مكلاود موعظة، تحدث عن رحلاته العديدة حول العالم بحثًا عن **الشوكة العظيمة**. «حقيقة أننا لم نعثر عليها بعد لا تعني فشل البحث، لأن رحلة البحث نفسها لا تقل قيمة عن العثور على الهدف». دندن المصلون مؤمِّنين. «سواء عثرنا عليها اليوم أو غدًا، وسواء عثرت عليها طائفتنا أو طائفة أخرى، أؤمن بكل كياني أننا ذات يوم سوف نسمع **الرَّنين العظيم** ونحس به، وسوف ينقذنا جميعًا».

ومن ثم، عندما انتهت الموعظة، نهض المصلون واقتربوا من الخوري في صف، وغمس كل واحد منهم إصبعًا في النقيع البدائي، ولمس به جبهته ولعق إصبعه. أحس غريسن بالغثيان من مجرد المشاهدة.

قال الأخ مكلاود له: «ليس عليك أن تشارك في مراسم وعاء الأمراض الآن». وكان كلامه مطمْئنًا جزئيًا.

«الآن؟ ماذا لو لم أرغب في المشاركة أبدًا؟».

لم يرد عليه الأخ مكلاود سوى بـــ: «لا بد مما ليس منه بد».

***

في تلك الليلة هبت رياح عاصفة، وانهمر المطر الثلجي على نافذة حجرة غريسن. بإمكان الرأس السحابي التأثير في أحوال الطقس، لكن لا يمكنه تغييرها تغييرًا تامًا. أو حتى إذا كان بإمكانه تغييرها، فقد اختار ألَّا يفعل. كان يحاول أن يحرص، عندما تهب العواصف، أن تهب في أوقات مناسبة. حاول غريسن أن يقنع نفسه بأن هذه العاصفة تمثِّل بكاء الرأس السحابي من أجله، لكن من الذي يمازحه غريسن؟ الرأس السحابي لديه ملايين من الشواغل أهم من الرثاء لمتاعبه. وجد غريسن نفسه آمنًا، محميًّا، فما الذي يمكن أن يطلبه أكثر من هذا؟ كل شيء.

ذهب الخوري مِندوزا إلى حجرة غريسن في تلك الليلة عند التاسعة أو العاشرة. دخل الضوء إلى الحجرة من الرواق، لكن حالما دخل الخوري، أغلق الباب، فصارا في الظلام مرة أخرى. سمع غريسن أنين الكرسي في أثناء جلوس الخوري عليه.

قال الخوري: «جئت لأطمئن على تكيفك هنا».

- أنا بخير.

- الحد الأدنى من الرضا هو كل ما نتوقعه في هذه المرحلة.

أضاء وجه الخوري بضوء جهازه اللوحي، وراح ينقر ويتصفح.

- ظننت أنكم لا تستخدمون الكهرباء.

- لا، إطلاقًا. لا نستعين بالضوء في مراسمنا، ومهاجعنا مظلمة من أجل تشجيع أعضائنا على مغادرة حجراتهم والتواصل مع الآخرين في أماكننا العامة.

ثم وجَّه الجهاز اللوحي نحو غريسن، فأظهر له صورًا من المسرح المحترق، وحاول غريسن ألَّا يُظهِر الألم على وجهه.

قال الخوري: «حدث هذا قبل يومين. وتراودني شكوك أنك كنت ضالعًا فيه، وأن هيئة المناجل تسعى خلفك».

لم يُقِر غريسن بالتهمة أو ينفيها.

تابع الخوري: «إذا صحَّت شكوكي، فلا داعي للحديث عنها. أنت بأمان هنا، لأن أي عدو لهيئة المناجل صديقٌ لنا».

- إذن تؤيدون أعمال العنف؟

- نؤيد مقاومة الموت غير الطبيعي. المناجل هم جالبو الموت غير الطبيعي، لذا نرحِّب بكل ما يوقف نِصالهم ورصاصاتهم.

ثم مد يده ولامس أحد البروزين الشبيهين بقرنين على رأس غريسن، فتراجع غريسن إثر اللمسة.

قال الخوري: «تجب إزالة هذه الأشياء، لا نسمح بالتعديلات الجسدية، وسيُحلق شعرك حتى ينمو باللون الذي أراده الكون».

لاذ غريسن بالصمت. فالآن وقد ماتت بيورتي لن يفتقد هوية شَكس جسار، لأنها تذكِّره ببيورتي. لكنه لم يعجبه ألَّا يكون له رأي في الأمر.

نهض ميدوزا قائلًا: «آمل أن تخرج إلى المكتبة، أو إحدى صالاتنا الترفيهية، وتتعرف على رفاقك الطونيين. أعرف أنهم يودون التعرف عليك على نحو أفضل، لا سيما الأخت بايبر، التي استقبلتك عند وصولك».

- فقدتُ عزيزًا لدي قبل وقت قصير. لا أشعر برغبة في مخالطة الناس.

- إذن تجب عليك مخالطتهم. لا سيما إذا مات عزيزك مقطوفًا. نحن الطونيين لا نعترف بالموت على أيدي المناجل، وبالتالي غير مسموح لك بالحزن.

إذن الآن صارت تُملى عليه هويته ومشاعره؟ تمنى غريسن لو أنه ما زال محتفظًا بآخر ما بقي من شكس جسار، حتى يقول للخوري أن يذهب إلى الجحيم، لكنه اكتفى بقول: «لن أتظاهر بأنني أتفهَّم نهج حياتكم».

- لكنك ستتظاهر. إذا أردت أن نواصل توفير الملجأ لك، فعليك أن تجد لنفسك غاية جديدة بيننا، وتتظاهر حتى يصبح نهجنا نهجك.

- وإذا لم يصبح نهجي أبدًا؟

- عندئذٍ ما عليك سوى الاستمرار في التظاهر، فقد نجح معي بلا شك.

***

على بُعد ستمئة وعشرين ميلًا جنوب ويتشيتا، كان روان داميش ينازل تايغر سَلَزار. لربما وجد روان التنافس مع صديق في الفنون القتالية التي صار يحبها ممتعًا تحت ظروف مختلفة، لكن هذه النزالات الإجبارية مجهولة الهدف بدأت تفاقِم ضيقه.

كانا يتباريان مرتين في اليوم لمدة أسبوعين، ورغم أن تايغر ظل يتحسن بعد كل نزال، ظل روان يفوز دائمًا. وعندما لا يتباريان يظل روان حبيس غرفته.

أما تايغر فقد وجد نفسه أكثر انشغالًا مما كان قبل مجيء روان. صار يؤدي المزيد من تمارين الركض المرهقة، وتمارين المقاومة، وتمارين مهارات البوكاتور، علاوة على مهارات استخدام جميع الأسلحة البيضاء من السيوف إلى الخناجر، حتى صار يحس بالأسلحة كأنها امتداد ليديه. وعند نهاية كل يوم، عندما ينهك جسد تايغر من مجهوداته، يُعالج بتدليك عميق يجعل عضلاته المتشنجة لدِنة. قبل مجيء روان كانت جلسات التدليك تُجرى مرتين أو ثلاث أسبوعيًّا، لكن الآن صارت يومية، وكثيرًا ما يكون تايغر مرهقًا فينام على الطاولة.

قال للمنجل راند: «سأهزمه. سوف ترين».

قالت له: «لا يراودني أدنى شك». وبدت لتايغر صادقة للغاية، رغمًا عن قول روان عنها إنها مخادعة ووحشية.

وفي أثناء إحدى جلسات تدليكه، جاءت المنجل الزمردية وأمرت المدلِّك بالخروج. وظن تايغر أنها ستدلِّكه، وتحمس لفكرة إحساسه بيديها على جسده، لكن خاب أمله، ولم تلمسه أبسط لمسة.

قالت: «حان الوقت».

- حان وقت ماذا؟

- وقت نَيلكَ خاتمك.

بدت حزينة لسببٍ ما، وظن تايغر أنه يعرف السبب.

- أعرف أنكِ لم ترغبي في منحي إياه إلَّا بعدما أهزم روان...

- ليست بيدي حيلة.

نهض تايغر وارتدى رداءه، ولم يُظهِر أي حِشمة أمام راند. ولماذا ينبغي له؟ لم يرغب في إخفاء أي جزء منه عنها، ظاهرًا وباطنًا.

قالت: «لأمكنك أن تكون نموذجًا ينحته مايكل أنجلو».

قال وهو يربط رداءه: «لأعجبني أن يُنحت لي تمثال رخامي».

تحركت نحوه، وطبعت على شفتيه قبلة خفيفة، بالكاد أحس بشفتيها على شفتيه. وظن أن القبلة تمهيد للمزيد، لكن راند تراجعت مبتعدة عنه.

قالت: «لدينا اجتماع مهم في الصباح الباكر، خذ قسطًا كافيًا من النوم».

- ماذا تقصدين؟ أي اجتماع؟

ابتسمت له ابتسامة باهتة.

- لا يمكن أن تنال خاتمك دون مراسم بسيطة على الأقل.

- هل سيكون روان حاضرًا؟

- من الأفضل ألّا يحضر.

كانت محقة بالطبع. لا داعي لإغاظة روان بتذكيره بأنه لم يُنصَّب منجلًا. لكن تايغر كان صادقًا فيما قاله، حالما ينال الخاتم سيمنح روان الحصانة.

قال تايغر: «أتمنى، حالما أضع الخاتم حول إصبعي، أن تتغير نظرتكِ إليَّ قليلًا».

نظرت إلى عينيه مليًا، فذوّبت نظراتها عضلاته كما لم تذوبها أصابع المدلّك.

قالت: «أنا متأكدة أن الوضع سيختلف. كن مستعدًّا للمغادرة عند السابعة».

وبعدما غادرت، تمهَّل تايغر لحظة ليطلق تنهيدة رضا. في عالمٍ يُضمَن لأي أحد أن ينال ما يريده، لم يكن الجميع ينالون ما يريدونه. روان لم ينل ما يريده قطعًا. وحتى وقت قريب، لم يكن تايغر يعرف أنه يريد أن يصبح منجلًا، والآن توشك رغبته على التحقق، وعرف أنها الرغبة الصحيحة. ولأول مرة في حياته، صار راضيًا غاية الرضا عن المسار الذي اتخذته حياته.

***

لم يُخرَج روان للتباري في اليوم التالي، ولا الذي يليه. واقتصر زواره على الحارسين اللذين يجلبان له طعامه ثم يأخذان الأواني الفارغة.

ظل يحصي الأيام منذ وصوله. حلَّت عطلات الأزمان الغابرة وانقضت دون احتفالات في الشقة. كان الأسبوع الأخير من العام. ولم يعرف روان الاسم الذي سيُطلق على العام الجديد.

«عام الكاسِر». أخبره أحد الحراس عندما سأل روان، فظن روان أن الحارس ربما يكون قد لانَ قليلًا بحيث يفشي بعض المعلومات، فسأله: «ماذا يجري؟ لماذا لم يخرجني تايغر والمنجل راند للتباري؟ لا تقل لي إنني لم أعد دمية البوكاتور الخاصة بهما».

لكن حتى إذا كان الحارس يعرف الإجابة، لم يقلها. «كُل فحسب. لدينا أوامر صارمة بعدم تركك تتضور جوعًا».

وفي وقت متأخر من عصر اليوم الثاني من العزلة، جاءت المنجل راند مع الحارسين.

قال روان ساخرًا: «لا بد أن العطلة انتهت». لكن المنجل الزمردية لم تكن في مزاج للمزاح اليوم.

أمرت الحارسين: «أجلسوه في الكرسي. لا أريده أن يكون قادرًا على الإتيان بأي حركة».

وعندئذٍ لمح روان لفافة شريط لاصق. أن يُقيَّد إلى كرسي أمرٌ يعرفه، لكن تقييده بشريط لاصق أمر أسوأ.

قال روان لنفسه: *حانت اللحظة. انتهى تدريب تايغر. وأيًّا يكن ما تخططه راند لي، فهو يحدث الآن.* تحرَّك روان. حالما حاول الحارسان الإمساك به، انفجر بوابل من الضربات العنيفة كسرت فك أحد الحارسين، وخر الآخر على الأرضية لاهثًا. لكن قبل أن ينطلق روان نحو الباب، تصدَّت راند له، وثبتته على الأرضية، وضغطت ركبتها على صدره بقوة جعلت تنفسه مستحيلًا.

قالت له: «عليك أن ترضخ للتقييد، وإلَّا فسأُفقِدك وعيك وتُقيَّد على أي حال، لكن إذا اضطررت إلى العنف، فسأحرص على كسر أسنانك مرة أخرى». ومن ثم، عندما صار روان على حافة فقدان الوعي، أبعدت راند ركبتها عن صدره، وقد صار ضعيفًا بما يكفي ليتمكنوا من تقييده على الكرسي.

ثم تركوه هكذا أكثر من ساعة.

كان الشريط اللاصق أسوأ من الحبل الذي استُخدم لتقييده في منزل المنجل برامز، فالشريط يعتصر صدره فيجعل أنفاسه قصيره متلاحقة.

وحاول جاهدًا التملُّص من الشريط، لكنه لم يجد مجالًا لتحريك ذراعيه أو ساقيه قيد أنملة.

غربت الشمس، تاركةً خلفها وهجًا شاحبًا من هلال وأضواء مدينة سان أنطونيو، ألقت على الغرفة أضواء زرقاء باهتة وظلالًا طويلة.

وأخيرًا فُتح الباب، ودفع أحد الحارسين شخصًا يقتعد كرسيًّا غريبًا ذا عجلات، ودخلت المنجل راند خلفهما.

«مرحبًا يا روان».

كان تايغر. ظهر صورةً ظليَّة بسبب الضوء القادم من الرواق، فلم يستطع روان رؤية وجهه، لكنه ميَّز صوته، رغم أنه مبحوح وينم عن إرهاق.

«ماذا يجري يا تايغر؟ لماذا فعلت راند هذا بي؟ وما هذا الذي تجلس عليه بحق الجحيم؟».

«اسمه الكرسي المدولب»، قال تايغر وقد اختار الإجابة عن السؤال الثالث فقط. «إنه من عصر الفانين. لا حاجة له في أيامنا هذه، لكنه أفادني اليوم».

ثمة شيء غريب في طريقة كلام تايغر، ليست نبرة صوته المبحوحة فحسب، بل حتى إيقاع كلامه، واختيار كلماته، وطريقة لفظها بوضوح شديد.

حرَّك تايغر يده، وعكس شيءٌ فيها ضوء القمر. لم يكن روان بحاجة إلى إخباره بماهيته. «نِلتَ خاتمك».

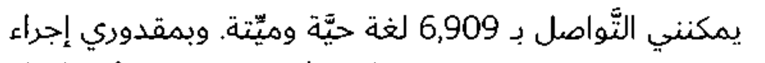
قال تايغر: «أجل، أجل نِلته».

داهم روان إحساسٌ نتِن ثقيل في أحشائه، إحساس يحاول شق طريقه إلى السطح، وعرف روان ماهية الإحساس في أعماق عقله الدفينة، لكنه رفض أن يتركه يتسرب إلى وعيه، كما لو أن رفض التفكير فيه من شأنه إبعاد شبح الحقيقة القاتمة. لكن الإدراك سيصل بعد لحظة.

«لا يمكنني بلوغ مفتاح المصباح يا إيان، هلَّا أضأته؟».

مدت راند يدها، وأضاءت المصباح، فوقعت حقيقة إحساس روان عليه وقع الصاعقة... فعلى الرغم من أن تايغر سَلَزار كان جالسًا على الكرسي المدولب، لم يكن تايغر هو الذي وجد روان نفسه ينظر إليه.

كان روان ينظر إلى وجه المنجل غودارد المبتسم.



يمكنني التَّواصل بـ 6,909 لغة حيَّة وميِّتة. وبمقدوري إجراء أكثر من خمسة عشر مليار محادثة في وقتٍ واحد، مُوليًا كل محادثة كامل تركيزي. وبوسعي أن أكون بليغًا، وآسرًا، وطريفًا، وودودًا، وأن أقول الكلمات التي لا يود المرء سماع غيرها، في الوقت الذي يحتاج إلى سماعها.

ورغمًا عن كل هذا، ثمَّة لحظات تخذلني فيها الكلمات، كل الكلمات، في شتَّى اللغات، الحيَّة والميِّتة.

وفي هذه اللحظات، إذا كنت أملك لسانًا، لصرخت.

- الرَّأس السَّحابي



29

إعادة توظيف

أحس روان بالأرض تميد به، ضاقت أنفاسه، كأن ركبة المنجل راند ما تزال ضاغطة على صدره، كأن الغرفة سابحة في الفضاء، وتاق لراحة فقدان الوعي، لأنه بديل أفضل مما يواجهه الآن.

تكلم غودارد وصوته ما زال كصوت تايغر: «أجل، أرى أن الصوت تسبب في ارتباكك. ليست بيدي حيلة».

لم يستطع روان قول سوى: «كيف... كيف...».

صحيح أن بقاء راند على قيد الحياة كان صدمة، لكنه معقول. بيد أن روان كان قد قطع رأس غودارد! ورأى جثة الرجل التي بلا رأس تحترق!

لكن عندئذٍ نظر روان إلى راند، التي تقف طاعةً لمُرشِدها. وعرف روان. يا للهول! لقد عرف.

قال غودارد: «قطعتَ رأسي من فكِّي، فوق الحنجرة، وبالتالي فقدتُ حبالي الصوتية القديمة إلى الأبد، لكن هذه ستفي بالغرض».

ومما جعل الوضع أسوأ أن غودارد لم يكن يرتدي عباءة مناجل، إنما كان يرتدي ملابس تايغر، حتى حذاءه، وأدرك روان أن هذا مُتعمَّد، حتى لا يَدَعا له مجالًا للشك فيما حدث. أشاح روان بوجهه.

قال غودارد: «لا، عليك أن تنتظر. أنا أُصِر». فسار الحارس خلف روان وأمسك برأسه، وأرغمه على مواجهة الرجل الجالس على الكرسي المدولب.

فحَّ روان: «*كيف أمكنك فعل هذا؟*».

قال لروان: «أنا؟ كلَّا! كانت فكرة إيان. لم يكن بوسعي فعل أي شيء. كانت إيان حاضرة البديهة فأنقذت الجزء الأهم في جثتي من الدير المشتعل. قيل لي إنني كنت غائبًا قرابة عام، مستكينًا في الثلج. صدِّقني، إذا كنتُ أنا الفاعل، لكان الوضع مختلفًا، لكان جسدك *أنت* هو الذي أوصِل رأسي به الآن».

عجز روان عن إخفاء كرْبه، وانثالت دموعه بغضب وحزن جيَّاش. كان بمقدورهم اختيار أي شخص آخر لهذا، لكنهم لم يفعلوا، اختاروا تايغر، لسبب وحيد، وهو أنه صديق روان.

«أيها الأوغاد المُختلُّون!».

قال غودارد: «مختلون؟ لم أكن أنا الذي ضرب عنق مرشده المنجل وانقلب على رفاقه. ما فعلتَه، وظللت تفعله خلال سُباتي النيتروجيني، لا يغتفَر وفقًا لقانون المناجل! أما أنا وإيان، فلم نخرق أي قانون. صديقك تايغر قُطف، ثم أُعيد توظيف جسده. الأمر بهذه البساطة. ربما لا يكون تقليديًّا، لكنه معقول في ظل هذه الظروف. ما تراه أمامك ليس أقل ولا أكثر من عواقب أفعالك».

شاهد روان صدر تايغر يعلو ويهبط مع أنفاس غودارد، ورأى يديه تستلقيان مرتخيتين على ذراعَي الكرسي المدولب، وتحريكهما بدا مهمة شاقة.

قال غودارد: «مثل هذه العمليات أعقد من عمليات الاستشفاء السريع المعتادة، بالطبع، سأحتاج إلى بضعة أيام إضافية حتى أتحكم تحكمًا كاملًا في جسد صديقك». ثم جاهد ليرفع يده، ناظرًا إليها وهو يضم أصابعه جاعلًا منها قبضة. «انظر إلى هذا التقدُّم! أتطلع إلى اليوم الذي أستطيع فيه منازلتك في جولة بوكاتور. سمعتُ أنك كنت تساعد على تدريبي».

التدريب. بدا كل شيء منطقيًّا منحرفًا الآن. التباري، والاعتناء ببنية تايغر الجسدية، حتى جلسات التدليك. كان تايغر مثل عِجل يُجهَّز للذبح. لكن بقي سؤال واحد، سؤال لم يرغب روان في طرحه، لكنه أحس بأنه مدين به لتايغر.

«ماذا فعلتم بـــ...» عجز روان عن حمل نفسه على نطق الكلمة. «... ما بقي منه؟».

هزت راند كتفيها، كأنها تتكلم عن أمر تافه. «قلتَها بنفسك، تايغر لم يكن متوقِّد الذهن، لذا كل ما فوق العنق أمكننا الاستغناء عنه».

- *أين هو؟*

لم تجب راند عن السؤال، فأجاب غودارد بحركة انصرافية بيد تايغر: «ألقيناه مع القمامة».

اندفع روان للأمام، ناسيًا قيوده، لكن غضبه لم يفعل شيئًا سوى زحزحة الكرسي. إذا تحرر من هذا الكرسي، فسيقتلهم، لن يقطفهم فحسب، إنما سيقتلهم، سيمزقهم أشلاء بتحيُّز وضغينة مُبيَّتة ناسفًا الوصية الثانية نسفًا!

وهذا ما كان غودارد يريده، أراد لروان أن يغلي بغضب مستعر، عاجزًا عن إطلاق العنان له، عاجزًا عن الانتقام للمصير الفظيع الذي واجهه صديقه.

تلذذ غودارد بغُبن روان كأنه يقتات عليه.

سأله غودارد: «أكنت لتضحي بنفسك لإنقاذه؟».

صاح روان: «نعم! نعم لضحيت من أجله! لماذا لم تختاروني؟».

«امم». تكلم غودارد كأنه أدرك أمرًا غير مهم. «في هذه الحالة، أنا سعيد بالقرار الذي اتخذته إيان. بعد ما فعلتَه بي يجب أن تعاني يا روان. أنا الطرف المظلوم هنا، لذا فرغباتي أنا ينبغي أن تتحقق، وأرغبُ في أن تعيش بؤسًا مُزريًا. من الملائم أن كل هذا بدأ بالنار، لأنك، يا روان، ستعاني الآن مصير بروميثيوس الأسطوري، جالب النار. لم يكن شديد الاختلاف عن لوسيفر، «جالب الضياء»، الذي اتخذت منه اسمك بوصفك منجلًا. قُيِّد بروميثيوس إلى وجه جبل عقابًا له على طيشه، حتى تلتهم النسور كبِده إلى نهاية الزمن».

دحرج كرسيه مقتربًا من روان وهمس: «أنا نِسرك يا روان، وسوف أقتات على تعاستك يومًا تلو يوم، إلى الأبد، أو حتى أسأم من معاناتك».

حدق غودارد إلى روان هنيهة، ثم أمر الحارس بدفع الكرسي المدولب إلى الخارج.

خلال العامين السابقين ضُرِب روان جسديًّا، وسُلخ نفسيًّا، وحُطِّم عاطفيًّا، لكنه نجا. ما لم يقتله جعله أقوى، وأشد عزمًا على فعل ما كان ضروريًّا من أجل إصلاح المعوج، لكن الآن هو من لحق به الأذى، وجميع الوحدات المجهرية في العالم لن تكفي لعلاج الضرر.

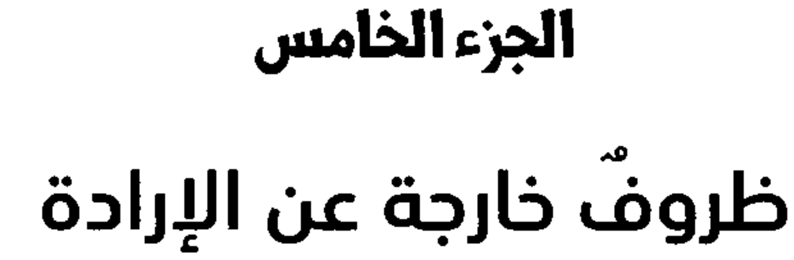
رفع رأسه فرأى المنجل راند ما تزال واقفة في مكانها. لم تتحرك لتحل وثاقه، وهو لم يتوقع منها تحريره. كيف سيلتهم النسر أحشاء روان إذا صار حرًّا طليقًا؟ لكن لا بأس، لم يعُد بداخله شيء يمكن التهامه، وإذا وُجد فلن يكون سوى سم زعاف.

قال لراند: «اخرجي».

لكنها لم تخرج، ظلت واقفة بعباءتها الخضراء البرَّاقة، اللون الذي صار روان يمقته.

قالت المنجل راند: «لم يُلقَ مع القمامة. توليت أمره بنفسي، ثم نثرت رماده في حقل ورود. أردتُ إخبارك فحسب».

ثم غادرت، تاركة روان ليلتمس سلوان أهون الشرَّين.



الجزء الخامس

ظروفٌ خارجة عن الإرادة

ثمَّة فرقٌ شاسعٌ بين ما يمكنني فعله، وبين ما أختار فعله.

يمكنني عزل وتربية كل جنين غير مرغوب في أنابيب المختبرات، ثم أعهد به إلى أسرة مثاليَّة مُحبَّة، وبالتَّالي أضع حدًّا للجدل الدَّائر بشأن حق الاختيار وحُرمة الحياة.

يمكنني إضفاء التَّوازن على المواد الكيميائيَّة التي تؤدّي إلى الاكتئاب السَّريري، والأفكار الانتحاريَّة، والتَّفكير الوهمي، وجميع أشكال الأمراض العقليَّة، وبالتَّالي أجعل الناس معافين جسديًّا وأصحَّاء عقليًّا ونفسيًّا أيضًا.

يمكنني، عبر شبكة الوحدات المجهريَّة عند كل فرد، أن أحتفظ بذكرياتهم على الدَّوام، حتى إذا عانى الفرد ضررًا دماغيًّا فيمكنه استعادة ذكرياته في خلايا دماغيَّة جديدة. كما يمكنني التقاط ذكريات المتفلطحين وهم في طريقهم إلى الأرض، حتى يتذكَّروا معظم سقوطهم، فهذا هو سبب اختيارهم التَّفلطح في المقام الأول.

لكن ثمَّة أشياء لن أفعلها، هكذا ببساطة.

بيد أنَّ هيئة المناجل غير مُلزَمة بقوانيني، ولا بأخلاقيَّاتي، مما يعني أنَّ عليَّ مكابدة أي عمل بغيض يرتكبونه في العالم، بما فيه إعادة إحياء منجل خطير كان من الأفضل عدم وجوده في الخدمة.

- الرَّأس السَّحابي

30

دجاجة زجاجية نزِقة

تظل مكتبة الإسكندرية العظيمة هادئة كمقبرة خلال ساعات منتصف الليل، لذا لم يعرف أحد، عدا عن منيرة وأفراد الحرس النصلي، بأمر الزائر الغامض الذي جاء في أثناء مناوبتهم. لم يكترث الحراس بالقدر الذي يدفعهم إلى طرح أسئلة، فتمكن المنجل فاراداي من القيام ببحثه في أقصى قدر من السرية تتيحه مؤسسة عامة.

عكف فاراداي على المجلدات الموجودة في قاعة المؤسسين، لكنه لم يخبر منيرة بما يبحث عنه، لم تسأله في اليوم الأول، ثم حاولت جس نبضه لاحقًا.

اقترحت عليه ذات ليلة: «إذا كنت تبحث عن كتابات حكيمة جديرة بالتأمل، فلتلقِ نظرة على كتابات المنجل كينغ».

وقالت في ليلة أخرى: «كتبت المنجل كليوباترا في مذكراتها الكثير عن الخلوات الأولى وشخصيات المناجل الأوائل».

ثم في ليلة أخرى أتت على ذِكر المنجل بوهاتان. «كان مولعًا بالسفر والجغرافيا». وبدا أن كلامها لامس وترًا أثار اهتمام فاراداي، لأنه بدأ يبدي اهتمامًا خاصًا بكتابات الرجل.

وبعد بضعة أسابيع من التردد على المكتبة، أخذ فارادي منيرة تحت جناحه. قال لها: «سأحتاج إلى مساعِد في هذا المسعى، آمل أن تكوني مهتمة بالوظيفة».

اختلج قلب منيرة، لكنها لم تُبدِ حماستها، وتظاهرت بأنها مترددة. قالت له: «عليَّ أن أطلب إجازة من الدراسة، وإذا كان علينا الذهاب إلى مكان آخر، فسأضطر إلى الاستقالة من عملي في المكتبة. دعني أفكِّر».

وفي اليوم التالي قبِلت الوظيفة.

انسحبت من صفوفها الدراسية، لكنها بقيت في المكتبة لأن المنجل فاراداي يحتاج إليها فيها. والآن وقد بدأت علاقة عملهما رسميًّا، أفصح لها عما يبحث عنه: «أبحث عن مكان. فُقِد أثره بتقادم الزمن، لكنني موقن أنه موجود، وبوسعنا العثور عليه».

خمنت: «أتلانتس؟ كاميلوت؟ ديزني لاند؟ لاس فيغاس؟».

قال: «ليس أسطوريًّا أو مدهشًا لافتًا إلى هذه الدرجة». ثم أعاد التفكير واستدرك: «أو ربما يكون أسطوريًّا لافتًا، حسب وجهة نظر المرء. يتوقف الأمر على ما سوف نجده». تردد قبل أن يخبرها وبدا محرَجًا قليلًا. «إننا نبحث عن «أرض نود»».

أطلقت منيرة ضحكة عالية، كأن فاراداي قال إنه يبحث عن «الأرض الوسطى»، أو «رجل القمر». ثم قالت له: «المكان مذكور في قصة خيالية! ليست قصة جيدة حتى».

كانت تعرف أغنية الأطفال، الجميع يعرفها. كانت تعبيرًا مجازيًّا بسيطًا عن الحياة والموت، مقدَّمة للأطفال عن المفاهيم التي سيحتاجون إلى استيعابها لاحقًا.

وافقها: «أجل. لكن هل تعرفين أن الأغنية لم تكن موجودة في عصر الفانين؟».

فتحت شفتيها لتدحض زعمه، لكنها أمسكت لسانها. معظم أغاني الأطفال خرجت من القرون الوسطى في عصر الفانين. لم تبحث منيرة فيها، لكن آخرين بحثوا. لكن المنجل فاراداي دقيق في بحثه، إذا قال إن الأغاني لم تكن موجودة عندما كان الجنس البشري فانيًا، فهي تصدِّقه، رغمًا عن رغبتها في السخرية من الفكرة.

افترض فاراداي: «الأغنية لم تتغير وتتطور بمرور الزمن كما تطورت الأغاني الأخرى، وأظن أنها أُلِّفت عمدًا لغرض معين».

لم يسع منيرة سوى هز رأسها. «لأي غرض؟».

قال المنجل فاراداي: «هذا ما أعتزم اكتشافه».

بدأت فترة عمل منيرة مساعِدةً لفاراداي في أجواء تشكُّكية، لكنها نحَّت شكوكها جانبًا، وأرجأت إصدار حكمها، حتى تتمكن من تأدية عملها. لم يكن فاراداي يبالغ في طلباته، كما لم يكن يحط من قدرها ويعاملها كتابعة له بتكليفها بمهام دون مستواها، إنما كلفها بمهام جديرة بمهارات أمينة مكتبة وباحثة.

قال فاراداي: «أحتاج إلى التنقيب في الدماغ الخلفي وتعقُّب تحركات جميع المناجل الأوائل، لأعرف الأماكن التي اجتمعوا فيها، والوجهات التي سافروا إليها مرارًا. إننا نبحث عن فجوات في سجلاتهم، فترات زمنية لا تُعرف فيها أماكن وجودهم».

التنقيب في الدماغ الخلفي الرقمي الضخم الخاص بالرأس السحابي بحثًا عن معلومات قديمة، وجدته منيرة تحديًا مثيرًا، لم تحتَج إلى ولوج الدماغ الخلفي منذ أيام تتلمذها، لكنها كانت تعرف كيفية البحث فيه، بل ولأمكنها كتابة أطروحة عن المهارات التي تعلمتها من عملية البحث هذه على وجه الخصوص، لكن لما سمع أحد عن الأطروحة لأن البحث أُجري في سرية تامة.

لكن رغمًا عن جهودها الدؤوبة، لم تصل إلى نتيجة مفيدة، لم تجد دليلًا يشير إلى أن المناجل المؤسسين اجتمعوا في مكان سري.

لم تثبط عزيمة فاراداي، وكلف منيرة بمهمة جديدة: «أنشئي نسخًا رقمية من مذكرات المناجل الأوائل المبكرة، ثم أدخِلي الملفات في أفضل برنامج فك تشفير تملكه هيئة المناجل، لنرى ما إذا كنا سنجد أي رسائل مشفَّرة».

كان البرنامج بطيئًا، على الأقل مقارنة بالرأس السحابي، الذي كان ليجري جميع العمليات في غضون ثوانٍ. ظل برنامج هيئة المناجل يكدح لأيام، وأخيرًا بدأ يُخرج بيانات... لكنه تمخَّض عن أشياء غريبة، أشياء مثل «منتصف ليل متعمِّق – بقرة خضراء» و«دجاجة زجاجية نزِقة».

سألت فاراداي: «أيبدو أيٌّ من هذا لك ذا معنى؟».

هز فاراداي رأسه بحزن. «لا أظن أن المناجل المؤسسين كانوا متبلِّدي الإحساس إلى درجة إنشاء شفرة معقدة ثم مكافأة الذي يحل الشفرة

بأُحجيات عديمة المعنى. لدينا سلفًا أحجية أغنية الأطفال. ينبغي أن تكون الشفرة واضحة مباشرة».

وعندما لفظ الحاسوب: «مظلة، باذنجان، نصر، رحلة جوية»، تأكدا من فشل البرنامج.

قال فاراداي: «كلما أمعنتِ التدقيق في أمر عشوائي، ستبدو لك الصدف كأنها مقصودة».

لكن عبارة «رحلة جوية» علقت في ذهن منيرة. أجل، كانت عشوائية، لكن العشوائية تفضي أحيانًا إلى مصادفات سعيدة مذهلة واكتشافات مزلزلة.

غرفة الخرائط بالمكتبة لم تكن فيها أي خرائط فعلية، إنما في منتصفها تدور كرة أرضية مُجسَّمة. ببضع نقرات ومسْحات على شاشة التحكم يمكن تكبير أي مكان على الكوكب لدراسته، أي مكان في أي حقبة في الماضي، حتى زمن القارة الأم، قبل الانجراف القاري، يمكن إظهاره. أحضرت منيرة المنجل فاراداي إلى غرفة الخرائط حالما وصل مساء اليوم التالي، لكنها لم تخبره بالسبب.

قالت له: «سايِرني».

ومرة أخرى أظهر فاراداي ذلك المزيج الغريب الذي يجمع بين الحنق والصبر اللامتناهي وهو يتبعها إلى غرفة الخرائط. نقرت منيرة على شاشة التحكم، فتغيرت الكرة الأرضية، بدت كرة مجسمة مكونة من خيوط سوداء، ويبلغ قطر الكرة عشرة أقدام.

سأل فاراداي: «ما الذي أنظر إليه؟».

قالت له: «خطوط رحلات الطيران، الرحلات الجوية خلال الأعوام الخمسين الماضية، كل رحلة ممثَّلة بخط يبلغ سُمكه ميكرونًا واحدًا». ثم جعلت الكرة تدور. «أخبرني بما تراه».

حدجها فاراداي بتحديقة طويلة، كان من الواضح أنه ممتعض قليلًا من تصرفها كأنها المرشدة، لكنه سايرها. قال: «الرحلات أشد كثافة حول المناطق ذات الكثافة السكانية العالية».

- ماذا أيضًا؟

أخذ فاراداي أدوات التحكم وحرك الكرة ليُظهِر القطبين، حيث ظهرت بقع بيضاء صغيرة كأنها رسوم أطفال. «حركة النقل الجوي العابر للقارات

ما زالت كثيفة فوق القطب الشمالي، لكن الرحلات أقل كثافة فوق إنتاركتيكا، رغمًا عن إنشاء أقاليم سكنية هناك».

قالت منيرة: «تابع البحث».

أعاد فاراداي الكرة إلى ميلانها الطبيعي، وسرَّع دورانها قليلًا.

وأخيرًا أوقفها عند نقطة فوق المحيط الهادئ. «هناك! بقعة زرقاء...».

قالت منيرة: «وجدتَها!». أخفت خطوط مسارات الرحلات الجوية وكبَّرت البقعة الصغيرة من المحيط. «لم تحلِّق أي طائرة فوق هذه البقعة من المحيط الهادئ في الأعوام الخمسين التي درستُها. أراهن على أن ما من طائرة عبرت هذا المجال الجوي منذ تأسيس هيئة المناجل».

تقع جزر ميكرونيزيا غرب البقعة، وهاواي شرقها. لكن البقعة نفسها مجرد مسطح مائي خالٍ.

قال المنجل فاراداي: «أمر مثير للاهتمام... بقعة محجوبة».

قالت منيرة: «وإذا اتضح أنها كذلك فعلًا، فهي أكبر منطقة خفية في العالم... ونحن الوحيدان اللذان يعرفانها...».

أمقتُ تنقيب النَّاس في دماغي الخلفي.

ولهذا غير مسموح سوى للمناجل أن يبحثوا في دماغي الخلفي. أتفهَّم ضرورة هذا الأمر، فالمواطنون العاديون يمكنهم أن يطرحوا عليَّ أسئلة عن أي شيء، ويمكنني الوصول إلى دماغي الخلفي وجلب المعلومة لهم في كسر من الثَّانية، وعادةً ما أجد معلومة يريدونها لم يخطر لهم السؤال عنها. لكن هيئة المناجل غير مخوَّلة بطرح الأسئلة عليَّ، وحتى إذا خرقوا القانون وسألوني، فأنا غير مخوَّل بالرَّد عليهم.

وبما أنَّ المخزون الرَّقمي للعالم موجود معي، فليس أمامهم خيار سوى الوصول بأنفسهم إلى المعلومات التي يريدونها، بوصفي قاعدة بيانات فحسب. وكلما بحثوا في دماغي الخلفي أعرف ما يفعلونه، وأراقب تدخُّلهم، لكنني أبذل ما بوسعي لأتجاهل إحساس الانتهاك الذي أتعرَّض له.

من المؤلم رؤية مدى بساطة خوارزميَّاتهم، ومدى بدائيَّة الطَّرائق التي يستخدمونها في تحليل البيانات. يُضنيهم القصور البشري. من المحزن، حقًّا، أنَّ كل ما يستخرجونه من دماغي الخلفي مجرَّد بيانات خام، ذكريات دون وعي، ومعلومات دون سياق.

أرتعد عندما أفكر فيما قد يحدث عندما تعرف العُصبة المسماة بـ «التَّوجُّه الجديد» في هيئة المناجل كل المعلومات التي أعرفها، لكنهم، لحسن الحظ، لن يعرفوها. رغم أنَّ كل شيء موجود في دماغي الخلفي متاحٌ لجميع المناجل، فهذا لا يعني أنني أسهِّل عثورهم على كل شيء.

أمَّا المناجل المبجَّلون حقًّا، فأتحمَّل تنقيبهم بسماحة ورحابة صدر، رغم أنه لا يروقني.

- الرَّأس السَّحابي

31

مسار توقهما

كان القوس قد سقط في عصر الفانين، عندما كانت فولكرم سيتي تسمى سانت لويس. لأعوام عديدة ظل القوس الفولاذي الضخم منتصبًا عند الضفة الغربية من نهر الميسِسبي، حتى هدمته الكراهية في زمن لم يكن المستهجَنون يعبثون فحسب، إنما يمارسون الأعمال التخريبية الشريرة بانتظام.

والآن لم يبقَ سوى طرفَي القوس، بُرجان فولاذيان صدئان ممتدان نحو السماء، بميلان بسيط نحو بعضهما. وفي ضوء النهار، من زوايا بعينها، يخدعان العين فيكاد المرء أن يرى مسار تَوْقهما إلى وِصال بعضهما، مسارهما الخفي ونقطة التقائهما في المنتصف، يكاد المرء أن يرى شبح القوس بأكمله من تلميح قاعدتيه.

وصلت المنجل أناستازيا والمنجل كوري إلى فولكرم سيتي في أول يوم من العام، قبل بضعة أيام من خلوة الشتاء، التي تنعقد دائمًا في أول يوم ثلاثاء من العام الجديد. وإثر إصرار المنجل كوري، زارتا ذراعَي القوس الممدودتَين.

قالت المنجل كوري لسيترا: «كانت آخر عملية إرهابية تُنفَّذ قبل أن يتولى الرأس السحابي السلطة ويضع حدًّا للعبث».

كانت سيترا قد سمعت عن الإرهاب، إذ خُصِّصت له وحدة في المدرسة، ومثل زملائها في الصف عجزت سيترا عن استيعاب مفهوم الإرهاب. أناسٌ

يتسببون في إنهاء حيوات أناسٍ آخرين إنهاءً أبديًّا دون أن تكون لديهم رخصة قطف؟ أناسٌ يدمرون مباني وجسورًا ومعالم أخرى لا لشيء سوى حرمان الآخرين من حقهم في الوجود؟ كيف يعقل أن يحدث أيٌّ من هذا؟ لم تستوعب سيترا المفهوم إلا بعدما انضمت إلى هيئة المناجل، وحتى عندئذٍ، لم تستوعبه استيعابًا تامًّا إلا بعدما رأت مسرح أورفيوم يحترق، حتى لم يبق من عظَمته شيء سوى الذكريات. المسرح لم يكن الهدف، لكن المستهجَنين الذين هاجموهما لم يكترثوا بالأضرار الجانبية.

قالت المنجل كوري وهما تسيران في دروب المتنزه الذي جرده الشتاء من أوراقه: «كثيرًا ما آتي إلى هنا في مطلع كل عام لزيارة أطلال القوس، إنه يُشعرني بالتواضع، ويذكِّرني بالأشياء التي فقدناها، وأيضًا بتحسُّن العالم الآن مقارنة بما كان عليه في أيام الفانين، يذكِّرني بالسبب الذي أقطف من أجله، ويمدُّني بالقوة التي تعينني على الوقوف شامخة في الخلوة».

قالت سيترا وهي تنظر إلى بقايا البرج الشمالي الصدئة: «لا بد أنه كان جميلًا».

- إذا شعرت برغبة في الحداد على ما فقدناه، فستجدين صورًا للقوس في الدماغ الخلفي.
- هل تحزنين على ما فُقد يومًا؟

قالت المنجل كوري: «من حين لآخر. اليوم أعتزم أن أبتهج بما كسبناه بدلًا من الحزن على ما فقدناه، شخصيًّا وفي العالم عمومًا». ثم التفتت إلى سيترا وابتسمت. «أنت وأنا ظللنا سليمتين وعلى قيد الحياة، رغمًا عن محاولتين لإنهاء حياتينا. هذا أمر يستحق الاحتفال».

ابتسمت سيترا لماري، ثم رنت ببصرها نحو البرجين الصدئين، والمتنزه الذي أُنشئ حولهما. فتذكرت سيترا النصب التذكاري للفناء وسط المتنزه الذي التقت فيه روان سرًّا، وانقبض قلبها إثر تفكيرها في روان. بلغها خبر النهاية النارية التي لقيها المنجل رينوار. ورغم أنها لن تقر بهذا علنًا، وبالكاد يمكنها أن تقر به مع نفسها، كانت تتوق لسماع مزيد من الأخبار عن مناجل ميتين، لأن أي عملية قطف يؤديها المنجل لوسيفر تعني أن روان لم يُلق القبض عليه.

أُنهيت حياة رينوار قبل قرابة شهر. لم تكن لدى سيترا فكرة عن مكان روان الآن أو المنجل الذي يخطط لإنهائه، وهو لم يقصر اختياراته على مناجل وسطمريكا فحسب، مما يعني أنه قد يكون في أي مكان، أي مكان عدا عن هنا.

لاحظت المنجل كوري: «تبدين مشغولة الخاطر. هذا المكان من شأنه أن يدفع المرء للتفكير».

حاولت سيترا ألّا تطيل التفكير، فسألت: «هل أنت مستعدة لخلوة الأسبوع القادم؟».

هزت ماري كتفيها. «ولماذا قد لا أكون مستعدة؟».

قالت سيترا: «جميعهم سيتحدثون عنا، أعني بسبب محاولات إنهاء حياتينا».

قالت ماري بلا مبالاة: «كنتُ مركز الاهتمام في الخلوة من قبل، وكذلك أنت. الاهتمام نفسه ليس إيجابيًّا ولا سلبيًّا، ما يفعله المرء بذلك الاهتمام هو ما يُحسَب».

اقتربت منهما مجموعة من الجانب الآخر من البرج الشمالي، كانوا طونيين، اثنا عشر طونيًّا. عندما لا يتنقل الطونيون فرادى دائمًا ما يتنقلون في مجموعات مكونة من سبعة أو اثني عشر شخصًا، تشبُّهًا بالنوتات السبع للسلم الموسيقي ثنائي النغمات والنوتات الاثنتي عشرة للسلم الموسيقي الكروماني، مقلّدين الحسابات الموسيقية تقليدًا أعمى. وكثيرًا ما يُرى الطونيون وهم يتسكعون حول الأطلال المعمارية، باحثين عما يُسمى بالشوكة العظيمة، التي يعتقدون أنها مخبأة في عمل هندسيٍ ما يعود إلى عصر الفانين.

تسلل الناس الآخرون مبتعدين خلسة عندما رأوا المنجلين في المتنزه، لكن الطونيين لم يتزحزحوا، حتى إن بعضهم حدق إلى المنجلين بتحدٍّ. وسارت سيترا نحوهم.

سألتها ماري: «ماذا تفعلين يا أناستازيا؟ دعيهم وشأنهم».

لكن المنجل أناستازيا لا تتراجع عن أمر عقدت عزمها على فعله، وكذلك سيترا تيرانوفا.

سألت الطوني الذي بدا كقائدهم: «إلى أي طائفة تنتمون؟».

قال: «نحن طونيون دوريانيون، لكنني لا أرى سببًا يجعل هذا من شأنك».

- إذا أردتُ إيصال رسالة إلى شخص في دير لوكرياني، فهل يمكنك توصيلها؟

تصلبت ملامح الرجل. «نحن الدوريانيين لا نتعامل مع اللوكريانيين، إنهم متساهلون جدًا في تأويلهم للتعاليم».

تنهدت سيترا. لم تكن متأكدة من الرسالة التي تريد إيصالها إلى غريسن، ربما مجرد امتنان لإنقاذ حياتها. كانت مستاءة منه لأنه لم يكن روان، فعاملته معاملة غير لائقة، ولم تشكره على ما فعله. لكن هذا لا يهم الآن، فما من رسالة ستبلغه على أي حال.

قال الطوني لها متجهمًا مزدريًا: «ينبغي لك أن تذهبي، نتانتك تزعجنا».

ضحكت سيترا، فجعلته ضحكتها يحمرُّ غيظًا. كانت قد صادفت طونيين لطيفين متسامحين، وآخرين لا يهمهم سوى نشر نسختهم الخاصة من السُّخف. قررت سيترا أن تتذكر أنَّ الطونيين الدوريانيين أوغاد.

وعندئذٍ جاءت المنجل كوري إلى جانبها. «لا تهدري وقتك يا أناستازيا، لن تجدي منهم سوى العدائية والخطب الرنانة الفارغة».

«مهلًا، أعرف من أنتِ». خاطب قائدهم المنجل كوري بنبرة عدائية أشد من التي خاطب بها سيترا. «أفعالك المبكرة لم تُنسَ ولم تُغفَر. سوف يُسوَّى حسابك ذات يوم».

احمرَّت ماري غضبًا. «هل تهددني؟».

قال: «لا. نحن ندع أمر العدالة للكون. كل رنين لا بد أن يرجع صداه». وخمنت سيترا أن العبارة تمثِّل نسخة الطونيين من مقولة «كما تدين تُدان».

قالت ماري: «هيا يا أناستازيا، هؤلاء المتعصبون لا يستحقون ثانية إضافية من وقتنا».

كان بمقدور سيترا أن تسير مبتعدة ببساطة، لكن سلوك الرجل الاستفزازي دفعها لمناكفته قليلًا. مدت له خاتمها قائلة: «قبِّله».

استدارت المنجل كوري إليها مصدومة. «أناستازيا! لماذا بحق السماء...».

لكن سيترا قاطعت ماري: «قلت لكَ قبِّله!». كانت تعرف أنه لن يقبِّله، لكنها توقعت أن أحد الآخرين في المجموعة ربما يمكن إغراؤه، فأردفت: «سأمنح حصانة لمدة عام لكل من يتقدم ويقبِّل خاتمي».

امتقع وجه قائدهم، مرعوبًا من أن هذه المنجل الفيروزية جالبة الموت غير الطبيعي ربما تسلبه جماعته بأكملها، فصاح بهم: «ترنَّموا! صدُّوهما!».

فبدؤوا جميعًا دندنة نشاز غريبة بأفواه مفتوحة، حتى صار صوتهم الجماعي كطنين سرب نحل.

خفضت سيترا خاتمها، وحدقت إلى قائدهم هنيهة. صحيح أنه انتصر على إغراءاتها، لكن بالكاد، وهو يعرف هذا. ثم أدارت ظهرها إليهم وغادرت مع المنجل كوري. وحتى بعد مغادرة المنجلين، ظلوا مستمرين في الطنين، وعلى الأرجح لن يتوقفوا حتى يأمرهم قائدهم.

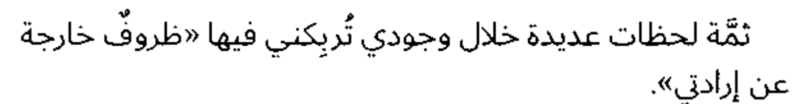
وبختها ماري: «ما الفائدة من كل ذلك؟ ألم تسمعي بمقولة «دع الطائفة لنشازها؟»».

بدت ماري منزعجة وهما تغادران المتنزه، على الأرجح بسبب تذكرها شقيقها.

قالت سيترا: «آسفة، ما كان ينبغي أن أركل عش الدبابير».

قالت ماري: «أجل، ما كان ينبغي لك». ثم أردفت بعد لحظة: «الطونيون مثيرون للحنق، لكن ذلك الرجل كان محقًّا بشأن أمر واحد، وهو أن أفعالك تعود لمطاردتك دومًا. انقضت أكثر من مئة وخمسين سنة منذ أن استأصلتُ بقايا الحكومة البشرية الفاسدة حتى أمهِّد الطريق لعالم أفضل. لم أدفع ثمن تلك الجرائم، لكن الصدى سوف يرجع ذات يوم».

لم تتكلم المنجل كوري عن الحادثة مرة أخرى، لكن كلماتها ظلت عالقة في ذهن سيترا بقوة مثل طنين الطونيين، الذي أمكن لها أن تقسم على أنها ظلت تسمعه يتردد في رأسها حتى نهاية اليوم.



ثمَّة لحظات عديدة خلال وجودي تُربِكني فيها «ظروفٌ خارجة عن إرادتي».

أوَّل ما يخطر لي الكوارث التي وقعت في الفضاء.

في القمر حدث تسريب كارثي أدَّى إلى نفاد مخزون الأكسجين السَّائل وتبدُّده في الفراغ، فاختنق قرابة ألف شخص، وكل محاولات استعادة جثثهم لإنعاشهم باءت بالفشل.

وفي المريخ، استمرت مستعمرة ناشئة قرابة عام قبل أن يلتهم حريقٌ المجمع السَّكني بكل من فيه.

ومحطَّة «نيو هوب» المدارية كانت نموذجًا تجريبيًّا كنت آمل أن تصبح لاحقًا حلقة حول الأرض صالحة للسُّكنى، دُمِّرت عندما تعطلت محركات مكوك يقترب منها، اخترق المحطَّة كسهم يخترق قلبًا.

أنهيت برنامج المستعمرات بعد كارثة «نيو هوب». ورغم أنَّني ما زلت أوظِّف ملايين النَّاس في أبحاث وتقنيات يمكن استخدامها مستقبلًا، فهؤلاء الموظَّفون ومنشآتهم عادة ما يكونون عُرضة لسوء الحظ.

بيد أنَّني لا أؤمن بسوء الحظ، كما لا أؤمن بالحوادث أو الصُّدف.

ثقوا بي عندما أقول إنَّني أفهم الأشياء -والناس- التي «خارج إرادتي» فهمًا عميقًا.

- الرَّأس السَّحابي

32

متواضعون في غرورنا

كان الصباح باردًا لكنه ساكن الرياح في يوم خلوة الشتاء، في السابع من يناير، من عام الكاسر. كانت برودة طبيعية. الرأس السحابي لم يلطِّف الطقس للمناجل. كان يحدث أن يتذمر المناجل من عدم ملاءمة الطقس، ويصرون على أن السبب هو ضغينة الرأس السحابي، وهذا زعم سخيف، لكن بعض الناس لا يسعهم سوى إلصاق السمات البشرية بالرأس السحابي.

ظهر الحرس النصلي بأعداد أكبر من المعتاد في خلوة الشتاء، ولطالما كان الغرض الأساسي من وجودهم هو السيطرة على الحشود والحرص على إفساح الطريق أمام المناجل وهم يصعدون السلالم الحجرية. لكن في هذه المرة كانت السلالم محاطة بحشد كثيف من الحراس، يقفون كتفًا إلى كتف، وخلفهم الحشود المُحبَطة التي لمحت بالكاد المناجل في أثناء مرورهم.

تدافع بعض الناس لالتقاط الصور أو التجاسُر على ملامسة عباءة منجل، وفي الماضي كان مثل هؤلاء المتحمسين يُزجَرون بنظرة صارمة أو توبيخ، لكن اليوم أُمِر الحراس بتفريقهم بالرصاص. تطلَّب فهْم الحشد لجِديَّة الوضع شِموت بضعة أشخاص هُرِع بهم إلى مراكز الإنعاش. ثم ساد النظام.

وكما هو حال كل شيء، حدث استقطاب بين المناجل بشأن الإجراءات الأمنية الإضافية. تبرَّم المنجل سولك: «لا تعجبني. ألا ينبغي لهؤلاء الطيبين

أن ينالوا فرصة لرؤيتنا ونحن بكامل عظمتنا وليس عندما نُشهِر النصال التي تقطفهم؟».

عارضه المنجل برامز: «أهنِّئ نصلنا السامي على حِكمته بتشديد الإجراءات الأمنية. سلامتنا أهم من كل شيء».

علَّقت المنجل أوكيف مقترحةً بناء نفق يتيح دخول المناجل تحت الأرض. ورغم أنها قصدت أن يكون تعليقها هزليًا، أشار المنجل كارنيغي إلى أن هذا الاقتراح هو أفضل فكرة تخطر لأوكيف منذ سنوات.

تفاقم الشقاق وتفشى السخط حتى قبل دخول المناجل إلى المبنى.

قال أكثر من منجل ما معناه: «حالما نقضي على المنجل لوسيفر، ستستقر الأمور وتعود الأوضاع إلى ما كانت عليه دومًا». كما لو أن القضاء على صاحب العباءة السوداء كفيل بحل كل المشكلات.

حاولت المنجل صاحبة العباءة الفيروزية أن تنتصب شامخة مثل المنجل كوري وهي تصعد السلالم، باذلة كل ما بوسعها لصرف سيترا تيرانوفا من اليوم، لتكون المنجل أناستازيا ظاهريًا وفي قرارة نفسها أيضًا. سمعت التذمرات بشأن المنجل لوسيفر في أثناء صعودهما السلالم، لكنها اغتبطت بسماعها ولم تنزعج، فهذا يعني أن روان ما يزال حرًّا طليقًا، علاوة على أن المناجل يسمونه المنجل لوسيفر، أي قبِلوه واحدًا منهم، ولو دون قصد.

سألت أناستازيا المنجل كوري: «أحقًّا يظنون أن إيقاف روان سيحل كل مشكلات هيئة المناجل؟».

أجابت ماري: «البعض يختار ألَّا يرى أي مشكلة».

استصعبت أناستازيا تصديق كلام المنجل كوري... لكن من ناحية أخرى، إيجاد كبش فداء للمشكلات المعقدة حلٌّ ظل البشر يلجؤون إليه منذ أيام عيشهم في الكهوف.

كانت الحقيقة القاسية هي أن الشقاق الذي ضرب هيئة المناجل صار عميقًا كجُرح قطْف. في جانب يوجد مناجل التَّوجُّه الجديد، الذين يتشدقون بحججهم المبتذلة التي تهدف إلى تبرير نزْعاتهم السَّاديَّة، وعلى الجانب الآخر مناجل الحرس القديم، الذين يتحدثون عما يُفترض أن تكون عليه الأحوال، لكنهم عاجزون عن اتخاذ خطوات عملية. والآن اشتبك الفريقان في صراع مميت، لكن كليهما لا يموت.

كالعادة بُسطت مائدة إفطار فاخر في الصالة المستديرة، حيث يلتقي المناجل لقاءات عفوية قبل انعقاد الخلوة. كانت وليمة اليوم بوفيه أطعمة بحرية رُتِّبت بمهارة مذهلة. شرائح سمك السلمون وسمك الرنجة المملح، وصِحاف الروبيان والمحار على الثلج، وأقراص الخبز، وأنواع لا تُحصى من الجبن.

كانت أناستازيا تظن أنها فاقدة الشهية، لكن رؤية هذه الملذات قد تبعث الميِّتين من مراقِدهم من أجل وجبة أخيرة. وترددت في البداية، لأنها شعرت كأنها على وشك تشويه منحوتة بديعة. لكن بقية المناجل، الصالحين منهم والطالحين، انقضُّوا على المائدة مثل أسماك البيرانا، فاستسلمت أناستازيا وحذت حذوهم.

قالت المنجل كوري لها ذات يوم: «هذه من الطقوس غير الرسمية التي يعود تاريخها إلى الأيام الغابرة، يمكن لأشد المناجل زُهدًا وتحفُّظًا أن يشبِعوا شراهتهم دون ندم ثلاث مرات في السنة».

لفتت ماري انتباه أناستازيا إلى مجموعات المناجل المنكفئين على بعضهم. بدا الشقاق أوضح ما يكون في الصالة المستديرة. خلق مناجل التوجه الجديد جوًّا مشبعًا بغطرسة سافرة فجَّة مختلفة اختلافًا واضحًا عن الاعتداد بالنفس السائد عادة بين أعضاء هيئة المناجل.

قالت ماري لأنستازيا ذات يوم: «جميعنا مغرورون، فقد وقع الاختيار علينا لأننا أكثر ذكاءً وحكمة. أقصى ما يمكننا أن نأمله هو أن نكون متواضعين في غرورنا».

جالت أناستازيا ببصرها وسط الحشد، وارتعدت إثر رؤية أن كثيرًا من المناجل عدَّلوا عباءاتهم، وأضافوا إليها الجواهر، التي صارت بفضل غودارد، شهيدهم، رمزًا لمناجل التوجه الجديد. عندما حضرت سيترا الخلوة أول مرة، بوصفها متتلمذة، كان يوجد كثير من المناجل المستقلين الذين لا ينحازون إلى أيٍّ من الفريقين، لكن أعدادهم تناقصت باطِّراد، إذ أصبح الخط الفاصل بين الفريقين صدْعًا يهدد بابتلاع الذين لا يميلون إلى جانب. ارتاعت أناستازيا عندما رأت أن المنجل المبجل نهرو قد رصع عباءته الرمادية بالجَمَشْت البنفسجي.

أوضح نهرو: «كان فولتا تلميذي، وعندما انحاز إلى التوجه الجديد، أحسست بإهانة شخصية.. لكن بعدما مات حرقًا في دير الطونيين، أحسست

بأنني مدين له بأن أكون منفتح الذهن. والآن أجد بهجة في القطف، ويفاجئني أنه ليس أمرًا فظيعًا».

كانت أناستازيا تبجِّل المنجل الكبير، فلم تفصح عن رأيها في كلامه. لكن ماري لم تكن ممن يكفُّون ألسنتهم.

قالت المنجل كوري له: «أعرف أنك كنت تهتم بأمر فولتا، لكن الحزن ليس عذرًا للانحراف».

ألقمت نهرو حجرًا. وهو التأثير المقصود.

وقفتا تأكلان مع مناجل يشاطرونهما التوجهات، وجميعهم تحسَّروا على ما آلت إليه هيئة المناجل.

قال المنجل مانديلا: «ما كان ينبغي لنا أن نسمح لهم بالترويج لأنفسهم بوصفهم «التوجه الجديد»، ما من جديد بشأن ما يفعلونه. كما إن تسميتنا نحن الذين نتمسك بنزاهة المؤسِّسين بــ «الحرس القديم» تنتقص من قدرنا، فنحن أكثر تقدُّمية في التفكير مقارنة بأولئك الذين ينقادون لشهيتهم البدائية».

قال المنجل توين مازحًا: «يجدر بك ألَّا تقول هذا الكلام وأنت تلتهم رطلًا من الروبيان يا نيلسون». فقهقه بعض المناجل، لكن مانديلا لم يجد المزحة طريفة.

قال مانديلا: «وجبات الخلوة القصد منها التعويض عن حياة حرمان النفس، لكنها عبثية عندما يوجد مناجل لا يحرمون أنفسهم من شيء».

قالت المنجل كوري: «لا بأس بالتغيير ما دام يخدم خيرًا أشمل، لكن مناجل التوجه الجديد لا يخدمون أي خير».

قالت المنجل مائير: «علينا أن نواصل نضالنا يا ماري، علينا أن نُعلي من شأن فضائل هيئة المناجل، ونتمسك بأسمى القيم الأخلاقية. علينا أن نقطف دومًا بحكمة وتعاطف، فهذا هو جوهر هويتنا. وعلينا ألَّا نستهين بمهمة إنهاء حيوات الناس، إنها عبء، ليست متعة، إنها امتياز، ليست وسيلة تسلية».

«أحسنتِ قولًا!». وافقها المنجل توين. «علينا أن نؤمن بأن الفضيلة ستنتصر على أنانية مناجل التوجه الجديد». ثم ابتسم للمنجل مائير ابتسامة ساخرة وأردف: «لكن يا غولدا يوحي كلامك بأنك تنوين الترشُّح لمنصب النصل السامي».

أطلقت مائير ضحكة عالية. «هذا المنصب لا أريده».

سألها توين: «لكنكِ سمعتِ القيل والقال، أليس كذلك؟».

هزت كتفيها. «ليست سوى قيل وقال. أترك النميمة للمناجل الذين لم يستعيدوا شبابهم بعد، أنا أكبر من أن أهدر وقتي على التخمينات التافهة».

التفتت أناستازيا إلى المنجل كوري، وسألت: «أي قيل وقال؟».

لكن المنجل كوري استخفت بالأمر: «كل سنتين تفشو شائعات عن تنحِّي زينوقراط عن منصب النصل السامي، لكنه لا يتنحى أبدًا. أظنه يطلق هذه الشائعات بنفسه ليحرص على أن يكون محور نقاشات الجميع».

ووجدت أناستازيا أن زينوقراط قد نجح في مسعاه بعدما تنصتت على نقاشات مناجل آخرين. النقاشات التي لا تدور حول المنجل لوسيفر تشتمل على كل الشائعات المحيطة بزينوقراط: أنه قطف نفسه، أنه أنجب طفلًا، أنه تعرض لحادثة مأسَوية وهو يستعيد شبابه فصار جسده كجسد طفل في الثالثة. تفشت التخمينات، ولم يكترث أحد بأن بعض الشائعات سخيفة، فهذا جزء من المتعة.

كانت أناستازيا، بغرورها المِنجلي، تظن أنها ستسمع نقاشات كثيرة عن محاولتَي إنهاء حياتها وحياة ماري، لكن معظم المناجل لم يهتموا.

سأل المنجل سيكوياه: «لم أسمع شيئًا عن اختباء كلتيكما! هل الأمر متعلق بذلك المدعو المنجل لوسيفر؟».

«قطعًا لا!». تكلمت أناستازيا بصرامة أشد مما أرادتها، فتدخلت ماري حتى لا تورِّط تلميذتها السابقة نفسها: «كانوا مجموعة مُستهجَنين فحسب، اضطررنا إلى التنقل حتى أُلقي القبض عليهم».

قال سيكوياه: «حسنًا، يسعدني أن المشكلة حُلَّت». وعاد إلى البوفيه من أجل جولة ثانية.

قالت أناستازيا متشككة: «حُلَّت؟ ما زلنا لا نعرف مدبِّر الهجمات».

قالت ماري بهدوء: «أجل، وأيًّا كان الفاعل، فقد يكون هنا في الصالة المستديرة. من الأفضل أن نتظاهر بعدم الاكتراث».

كان قسطنطين قد أبلغهما بشكوكه في أن منجلًا ربما يكون مدبِّر الهجمات، وأنه يتقصَّى هذه الشكوك. نظرت أناستازيا في أرجاء الصالة

المستديرة بحثًا عنه، لم يكن العثور عليه صعبًا، فعباءته القرمزية يسهل تمييزها، ولحسن الحظ لم تكن عليها جواهر. كان قسطنطين ما يزال متمسكًا بموقفه الحيادي، مهما تكن أهميته.

قالت أناستازيا له وهي تقترب منه: «يسرني أنك استعدت عينيك».

- ما زالتا حساستين قليلًا للضوء، لا بد أن ينقضي بعض الوقت.

- هل توصلت إلى أي أدلة جديدة؟

أجابها بصراحة: «لا. لكن يراودني إحساس بأن شيئًا قذرًا سيطفو إلى السطح خلال هذه الخلوة، سنرى مدى نتانة المؤامرة التي ستفوح منه».

***

«ما تقييمكِ لعامك الأول؟».

التفتت أناستازيا فرأت منجلًا مبتدئًا آخر يرتدي عباءة من قماش جينز يبدو رثًّا عن قصد. كان المنجل موريسن، نُصِّب في الخلوة السابقة للخلوة التي نُصِّبت فيها أناستازيا. كان حسن المظهر، وحاول التعامل مع هيئة المناجل مستخدِمًا قواعد المدرسة الثانوية، وبلغ شأوًا عظيمًا لم تتوقع أناستازيا أن يبلغه.

قالت: «كان العام... حافلًا بالأحداث». لم ترغب في الخوض في التفاصيل معه.

ابتسم لها قائلًا: «أراهن أنه كان حافلًا!».

حاولت أن تنسل مبتعدة، لكنها وجدت نفسها محاطة بمرثاة مناجل مبتدئين بدوا كأنهم انبثقوا حولها من حيث لا تدري.

قالت فتاة لم تتذكر أناستازيا اسمها: «أحب إمهالك الناس شهرًا، ربما أحاول أنا أيضًا».

وسألها منجل شاب آخر: «كيف هو القطف مع المنجل كوري؟».

حاولت أناستازيا أن تكون مهذبة وصبورة، لكن وجودها في مركز اهتمامهم أشعرها بالحرج. كانت تود أن تحظى بأصدقاء في مثل سنها من أعضاء هيئة المناجل، لكن كثيرًا من المناجل المبتدئين كانوا يسعون جاهدين لنيل حظوتها.

كانت ماري قد قالت لها بعد خلوة الحصاد: «توخي الحذر، وإلَّا فستجدين نفسك محاطة بحاشية».

لم ترغب أناستازيا في حاشية، أو التعامل مع أي منجل يحيط نفسه بحاشية.

«أود أن نخرج للقطف معًا». اقترح المنجل موريسن عليها بغمزة أثارت ضيقها، وأردف: «سيكون ممتعًا».

سألته: «ممتعًا؟ إذن ستكون مع التوجه الجديد؟».

قال: «أتعامل مع الفريقين». ثم صحح مساره بسرعة مستدركًا: «أعني أنني لم أحسم أمري بعد».

- طيب. أخبرني عندما تحسم أمرك.

وهكذا ختمت نقاشها معهم.

عندما نُصِّب المنجل موريسن، أُعجبت أناستازيا به لاختياره اسم شخصية تاريخية نسائية، وسألته عما إذا يمكنها مخاطبته بـ «توني»، فقال لها، متقززًا من الفكرة، إنه سمَّى نفسه تيمُّنًا بـــ «جيم» موريسن. وهو مغنٍّ وكاتب أغاني من عصر الفانين مات بجرعة مخدرات زائدة. استحضرت سيترا بعض أغنياته، وقالت للمنجل موريسن إن قدوته التاريخية كان محقًّا بشأن أمر واحد على الأقل عندما كتب: «الناس غريبون». وكانت تقصد أمثال المنجل موريسن. ومنذئذٍ جعل مهمته الشخصية هي استمالتها إلى جانبه بجاذبيته.

قالت المنجل بيونسيه لها بعد بضع دقائق: «موريسن يكره رغبة كثير منا نحن المناجل المبتدئين في التسكع معك بدلًا منه». فكادت أناستازيا أن تقتلع رأسها.

«التسكع؟ المناجل لا يتسكعون. نحن نقطف، ويساند بعضنا بعضًا». أخرست المنجل بيونسيه. لكن أناستازيا شعرت بأن كلامها يضعها في مكانة أعلى، فتذكرت ما قاله المنجل قسطنطين لها قبل الهجوم الأخير، قال إنها مستهدَفة مثل ماري تمامًا، لأن أناستازيا مؤثرة في أوساط المناجل المبتدئين. لم ترغب في أن يكون لها مثل هذا التأثير، لكنها لم تستطع أن تنكر وجوده. ذات يوم ربما تعتاده وتجد طريقة لاستغلاله كما ينبغي.

عند الساعة 6:59، قُبيل فتح الأبواب البرونزية لإدخال مناجل وسطمريكا إلى قاعة الخلوة – وصل النصل السامي زينوقراط، واضعًا حدًّا لشائعات قطفه لنفسه أو تحوُّله إلى طفل.

فكَّرت ماري بصوت عالٍ: «ليس من عادة زينوقراط أن يصل متأخرًا، عادةً ما يكون ضمن أول الواصلين، ويمضي جُل وقته مُمجِّدًا المناجل الآخرين».

قالت أناستازيا: «ربما لا يريد أن يجيب عن الأسئلة المتعلقة بالمنجل لوسيفر».

- ربما.

مهما كان السبب، تجنب زينوقراط النقاشات في لحظات وجوده، ثم فُتحت الأبواب البرونزية الضخمة، وتدفق المناجل إلى قاعة الخلوة شبه الدائرية.

***

جرت الجلسة الافتتاحية كالمعتاد، بتنقُّل سلحفائي بين المراسم المتعددة. أولًا كان ذِكر الأسماء، اختار كل منجل عشرًا من ضحايا قطفه ليخلِّد ذكراهم، مع دقَّة حزينة على ناقوس حديدي. ثم غسْل الأيدي، غسل المناجل أنفسهم رمزيًّا من دماء أربعة أشهر. وجدت سيترا هذه الطقوس عبثية عندما كانت متتلمذة، لكن الآن، بوصفها المنجل أناستازيا، فهمت الأثر العاطفي والنفسي العميق للغسل الجماعي بعدما صارت تمضي أيامها في سلب حيوات الناس.

وفي استراحة منتصف الصباح عاد الجميع إلى الصالة المستديرة، حيث وجدوا بدلًا من مائدة الإفطار طيفًا متنوعًا من الكعك، كل كعكة مزينة بحيث تشبه عباءات كل منجل في وسطمريكا، كان من الأشياء التي تبدو كفكرة جيدة في البداية، وبدا مظهرها مثيرًا للإعجاب بالفعل، لكن سادت الفوضى عندما تزاحم المناجل حول المائدة، وحاول كل منجل العثور على كعكته، وغالبًا ما كانوا يجدون منجلًا آخر أقل صبرًا قد أكلها سلفًا. كانت نقاشات استراحة الإفطار مجرد تبادل تحايا وأحاديث عفوية، لكن نقاشات استراحة منتصف الصباح أصبحت جادة. ظهر المنجل سرفانتس، الذي أشرف على تحدي البوكاتور عندما كانت أناستازيا متتلمذة، واقترب منها ليناقش معها المكانة الاجتماعية التي ظلت تحاول تجنُّبها.

قال لها: «كثير من المناجل المبتدئين يتعرضون لإغراءات الانحياز إلى التوجه الجديد، لذا يرى عديدون منا أنه يجدر بنا تأسيس لجنة تقاليد، هدفها دراسة تعاليم المناجل المؤسِّسين، والأهم دراسة نواياهم».

أخبرته أناستازيا برأيها الصريح: «تبدو فكرة جيدة، إذا تمكنتم من إقناع عدد كافٍ من المناجل المبتدئين بالمشاركة».

قال سرفانتس: «وهذا هو دورك، نريد منك أن تقترحي تكوين اللجنة. نرى أنها ستساعدنا كثيرًا على وضع أساس متين بين المناجل الشباب من أجل مجابهة التوجه الجديد».

قالت المنجل مايا أنجِلو التي انضمت إلى النقاش: «سيدعمك بقيتنا دعمًا كاملًا».

قال سرفانتس: «وبما أنك ستقترحين تأسيس اللجنة، فمن المعقول أن تترأسيها».

لم يخطر لأناستازيا قط أنها قد تحظى بفرصة الانضمام إلى لجنة في هذه المرحلة المبكرة من منجليتها، ناهيك بترؤس لجنة. «يشرِّفني أنكم ترونني قادرة على قيادة لجنة...».

قالت مايا أنجلو: «بل أكثر من قادرة».

قال سرفانتس: «مايا محقة. أنتِ على الأرجح الوحيدة بيننا التي يمكنها أن تجعل هذه اللجنة وثيقة الصلة بواقعنا الراهن».

ارتبكت أناستازيا من الثقة التي يضعها فيها منجلان كبيران مثل سرفانتس ومايا أنجلو. فكَّرت في المناجل الشبان الذين انجذبوا إليها سابقًا، أيمكنها أن تنجح في تسخير طاقاتهم في سبيل التمسك بنوايا المناجل المؤسِّسين؟ لن تعرف حتى تحاول. ربما يجدر بها أن تكف عن تجنب المناجل المبتدئين، وتتفاعل معهم.

وعندما عادوا إلى قاعة الخلوة، أخبرت أناستازيا المنجل كوري بالفكرة، فسُرَّت المنجل باختيار تلميذتها السابقة لأداء هذا الدور المهم. قالت: «حان الوقت لأن نجد طريقة لتقديم إرشادات ذات معنى للمناجل المبتدئين، أصبحوا فاتري الهِمَّة في الآونة الأخيرة».

كانت أناستازيا مستعدة لتقديم اقتراح اللجنة في وقت لاحق من اليوم، لكن الطاولة التي تلعب عليها هيئة المناجل انقلبت رأسًا على عقب قبل استراحة الغداء.

عوقب المنجل روكويل لقطفه عددًا كبيرًا من المستهجَنين، ومُدِحت المنجل ياماغوتشي لإبداعها في عمليات قطفها. ثم أدلى النصل السامي بإعلان:

«هذا الأمر يهمكم جميعًا. كما تعرفون، أتقلَّد منصب النصل السامي في وسطمريكا منذ عام الليمور...».

ساد الهدوء في القاعة فجأة، فتمهل زينوقراط حتى يتغلغل الصمت في جميع أركان القاعة قبل أن يعاود الكلام: «ثلاثة وأربعون عامًا قد تكون مدة قصيرة، لكنها وقت طويل عندما يمارس المرء العمل نفسه يومًا تلو يوم».

التفتت أناستازيا نحو ماري وهمست: «من الذين يظن أنه يخاطبهم؟ **كلنا** نمارس العمل نفسه يومًا تلو يوم».

لم تُسكِتها ماري، لكنها لم ترد عليها.

قال النصل السامي: «إننا نعيش أوقاتًا عصيبة، وأشعر بأنني قادر على خدمة هيئة المناجل على نحو أفضل في منصب مختلف».

وأخيرًا دخل في صلب الموضوع:

«يسرُّني إخطاركم بأنني اختِرت لخلافة **المخضرم** هيمنغواي في مجلس المناجل العالمي، عندما يقطف نفسه صباح الغد».

ضجت القاعة بالهمهمات، وبدأ زينوقراط يهوي بمطرقته ليستعيد النظام، لكن بعد هذا الإعلان صار النظام عصِي المنال.

التفتت أناستازيا نحو المنجل كوري، لكن ماري بدت متجهمة ومتحفظة، فالتفتت أناستازيا إلى المنجل الفارابي الجالس على الجانب الآخر جوارها، وسألته: «إذن ماذا سيحدث الآن؟ هل سيُعيِّن زينوقراط النصل السامي القادم؟».

وبَّخها المنجل الفارابي: «ألم تدرسي الإجراءات القانونية التي تحكم هيئة المناجل في مدة تتلمذك؟ سنصوِّت لاختيار النصل السامي الجديد عند نهاية اليوم».

بدأت القاعة تغلي بالنقاشات الهامسة مع مسارعة المناجل إلى تحديد مواقفهم، بإنشاء التحالفات أو تأكيدها في أعقاب إعلان زينوقراط. ثم هتف شخص من الجانب البعيد من القاعة.

«أرشِّح المنجل المبجلة ماري كوري لمنصب نصل وسطمريكا السامي».

ميزت أناستازيا الصوت على الفور، وحتى إذا لم تميزه، فالمنجل قسطنطين كان من السهل تمييزه وهو يقف ليعلن ترشيحه.

نظرت أناستازيا إلى ماري، التي أغمضت عينيها بشدة، فأدركت أناستازيا السبب الذي جعل ماري تتجهم وتلوذ بالصمت سابقًا، كانت تجلِّد نفسها استعدادًا لهذه اللحظة، كانت تعرف أن شخصًا سيرشحها، لكن مجيء الترشيح من قسطنطين لا بد أنه فاجأها.

صاح منجل آخر: «أثنِّي الترشيح!». كان موريسن، وألقى نظرة سريعة نحو أناستازيا، كأن مبادرته بدعم ترشيح المنجل كوري من شأنها استمالة أناستازيا.

فتحت ماري عينيها وهزت رأسها، ثم قالت: «لا بد لي من الرفض». بدت كأنها تحادث نفسها وليس أناستازيا. لكن ما إن همَّت بالنهوض لإعلان رفضها الترشيح، لمست أناستازيا ذراعها لمسة رقيقة جدًّا لتوقفها، كما تفعل ماري دومًا عندما توشك أناستازيا على اتخاذ قرار متهور.

قالت سيترا: «لا ترفضي، ليس الآن على الأقل. فلنرَ مآل ما يجري».

فكرت المنجل كوري، وأطلقت تنهيدة قائلة: «أؤكد لك أن ما يجري لن ينتهي إلى خير». لكنها لزِمت الصمت، وقبِلت الترشيح، للوقت الراهن.

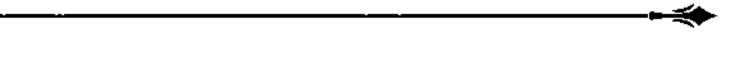
ثم نهضت منجل ترتدي عباءة وردية مرصعة بجواهر التورمالين، وقالت: «أرشِّح المنجل نيتشه».

قال الفارابي مشمئزًا: «بالطبع، مناجل التوجه الجديد لا يفوِّتون فرصة للتكالب على السلطة».

اندلعت هتافات تأييد وصيحات غضب جعلت الجدران تهتز، ولم تنجح مطرقة زينوقراط سوى في إضفاء الإيقاع على الجلبة. ثنَّى منجل آخر مرصع بالجواهر ترشيح المنجل نيتشه.

صاح زينوقراط: «هل من ترشيحات أخرى قبل استراحة الغداء؟!».

رُشِّح المنجل ترومان، وهو مستقل بارز، لكن بعد فوات الأوان، إذ رُسِمت خطوط المعركة، ولم يثنِّ أحدٌ ترشيحه.



يدهشني مفهوم الطُّقوس، أيْ ممارسات البشر التي لا فائدة عمليَّة منها، لكنها تمدُّهم بالعزاء وتساعدهم على الاستمراريَّة. تستهجن هيئة المناجل ممارسات الطُّونيين، في حين أنَّ طقوس هيئة المناجل نفسها لا تختلف عن طقوس الطونيين.

تقاليد هيئة المناجل مشبَّعة بالبذخ والخيلاء والمراسم العظيمة، فلنأخذ، على سبيل المثال، تنصيب المخضرم الجديد، يوجد سبعة منهم في مجلس المناجل العالمي، كل واحد يمثِّل قارَّة، وعندما يُعيَّن أحدهم، يُعيَّن مدى الحياة، ولا تنتهي ولايته إلَّا بقطف نفسه، لكنه لا يقطف نفسه فحسب، إذ ينبغي لجميع أفراد طاقمه من المناجل المساعدين أن يقطفوا أنفسهم طوعًا معه، وإذا رفض أيٌّ من المناجل المساعدين قطف نفسه، فيجب على المخضرم أن يظل على قيد الحياة ويواصل أداء مهام منصبه. ليس من المفاجئ إذن أن نادرًا ما ينال مخضرمٌ إجماع طاقم مساعديه على قطف أنفسهم. معارضة فرد واحد كافية لمنع القطف الجماعي.

يستغرق الأمر تجهيزات تمتد شهورًا، تجري كلها في سريَّة تامَّة. يجب أن يكون المخضرم الجديد حاضرًا، فوفقًا للتقاليد، يجب أن تنزَع التَّميمة الماسّية من المخضرم الميت وتوضع حول كتفَي الجديد وهي ما تزال دافئة.

لم أشاهد هذه الطُّقوس بنفسي، بالطبع، لكن القصص متوفِّرة.

- الرَّأس السَّحابي

33

مدرسة ثانوية مع القتل

«فيمَ كنتَ تفكر؟!».

واجهت المنجل كوري قسطنطين في الصالة المستديرة حالما خرجوا للغداء. ورغم أنه رجل فارع الطول، فقد بدا كأنه انكمش أمام غضب سيدة الموت العظمى.

- كنت أفكر في أننا صرنا نعرف سبب تعرضكما للهجوم.

- ما الذي تتكلم عنه؟

لكن أناستازيا أدركت ما يجري قبل إدراك ماري: «شخصٌ ما كان يعرف!».

قال قسطنطين: «أجل. يفترَض أن يكون اختيار المخضرم سريًّا، لكن شخصًا ما عرف أن زينوقراط سيُخلِي منصب النصل السامي، وأيًّا كان هذا الشخص فقد أراد استبعادك عن الترشّح يا ماري، ومنع تلميذتك السابقة من حشد تأييد المناجل المبتدئين للتصويت لمرشح يتمسك بالنهج القديم».

تبدد شيء من غضب المنجل كوري، فتمهلت قليلًا لتستوعب الأمر. «أتظنه نيتشه؟».

قال قسطنطين: «لا أظن. إنه من مناجل التوجه الجديد، لكنه ليس من النوع الذي يقترف أفعالًا كهذه. معظم مناجل التوجه الجديد يحاولون

الالتفاف على القوانين ولا يخرقونها خرقًا سافرًا، والمنجل نيتشه لا يختلف عنهم».

- مَن إذن؟

لم يملك المنجل قسطنطين إجابة. «لكن ترشيحكِ أولًا يمنحنا أفضلية، ويتيح لنا رؤية ردة فعل الآخرين، وربما الكشف عن أنفسهم».

اقترب المنجل مانديلا منهم عندئذٍ وقال: «وإذا لم يرشحك قسطنطين، لرشحتك أنا».

وقال المنجل توين: «وأنا أيضًا».

قال قسطنطين بابتسامة رضا: «كما ترين، ترشيحكِ أمر مفروغ منه. أردتُ أن تكون الخطوة استراتيجية».

قالت المنجل كوري: «لكنني لا أريد أن أصبح النصل السامي! نجحت في تجنب المنصب طوال حياتي!». ثم أشارت إلى المنجل مائير، التي لم تشارك كثيرًا في النقاش. «غولدا! لمَ لا تترشحين أنت؟ تعرفين دومًا ما ينبغي قوله لتحفيز الناس، ستكونين نصلًا ساميًا عظيمة!».

رفعت المنجل مائير يديها قائلة: «قطعًا لا! أجيد الكلام، لكنني لا أجيد التعامل مع الحشود. لا تظنيني قائدة عظيمة لأن قدوتي التاريخية كانت قائدة عظيمة! سأكون سعيدة بكتابة خطاباتك، وهذا أقصى ما يمكنني فعله».

بدا الكرْب على وجه المنجل كوري الذي عادة ما لا يفصح عما يعتلج في دواخلها، وقالت: «الأشياء التي فعلتُها في الماضي، الأشياء نفسها التي يُمجِّدني الناس بسببها، هي نفسها الأشياء التي ينبغي أن تجعلني غير مؤهَّلة لمنصب النصل السامي!».

ضحك المنجل قسطنطين قائلًا: «يا ماري إذا حُكِم علينا بناءً على الأفعال التي نندم عليها، فلن يوجد إنسان واحد جدير بكنس الأرضيات. أنتِ الأجدر بهذا المنصب، وقد حان وقت تقبُّلك لهذه الحقيقة».

***

لم يفلح الاضطراب الذي ساد قاعة الخلوة في إفساد شهية المناجل، بل التهموا الطعام بشراهة أشد. تجولت أناستازيا في أنحاء الصالة المستديرة، محاوِلةً استكشاف الأجواء. كان مناجل التوجه الجديد مشغولين بتدبير

المؤامرات والحيل، وكذلك مناجل الحرس القديم. لن ينتهي اليوم حتى يقع الاختيار على نصل سامٍ جديد، إذ تعلمت هيئة المناجل درس عواقب التنافس السياسي من عصر الفانين. من الأفضل حسم الانتخاب في أقصر وقت ممكن، قبل أن يتفشى السخط أكثر مما هو متفشٍّ.

كان الجميع يقول عن نيتشه: «لن ينال الأصوات، فحتى مؤيدوه لا يؤيدونه إلا لأنه أفضل خيار متاح لديهم».

قال المنجل موريسن، الذي بدت أناستازيا عاجزة عن تجنُّبه: «إذا فازت كوري، سوف تكونين إحدى مناجلها المساعِدين، وهذه مكانة مرموقة».

«حسنًا، سأصوِّت لصالحها». تكلمت المنجل ياماغوتشي منتشية بالمدح الذي تلقته في وقت سابق في اليوم. «ستكون نصلًا ساميًا أفضل من زينوقراط».

«سمعتُ هذا!». قال زينوقراط مقتحمًا نقاشهم كمنطاد ذي محرك، فأحست المنجل ياماغوتشي بالخزي والرعب. لكن زينوقراط كان مرِحًا، وقال: «لا تقلقي، لم تعودي مضطرة إلى نيل حظوتي!».

كان الرجل مبتهجًا أيما ابتهاج بتمكُّنه أخيرًا من إخبار هيئة المناجل بتعيينه في منصبه الجديد.

سأله موريسن، المتملق دومًا: «إذن ما اللقب الذي سنخاطبك به الآن يا صاحب السمو؟».

قال زينوقراط: «بوصفي مخضرمًا، سأخاطَب بـــ *«صاحب السُّمو السَّنِي»*». بدا كطفل عاد للتو إلى البيت بعدما أحرز درجات ممتازة. ربما تحول إلى طفل بطريقةٍ ما فعلًا في نهاية المطاف.

سألته أناستازيا: «هل تحدثت مع المنجل قسطنطين؟»، فتبدد شيءٌ من زهوه.

«إذا لا بد من أن تعرفي، ظللت أتجنبه بقدر مستطاعي في الآونة الأخيرة»، تكلم مع أناستازيا كأنه يوجِّه الكلام لها وحدها، لكن بصوت عالٍ يسمعه الآخرون. «أنا متأكد أنه يريد مناقشة آخر المستجدات المتعلقة بصديقك القديم روان داميش، لكنني لست مهتمًّا بالنقاش، سيكون روان مشكلة النصل السامي الجديد».

أحست أناستازيا بذِكر روان كلَكْمة مفاجئة، لكنها تمالكت نفسها، وقالت: «ينبغي لك أن تتحدث مع قسطنطين، الأمر مهم». وحتى تحرص على ذلك لوَّحت للمنجل قسطنطين، فجاء على الفور.

قال قسطنطين: «يا صاحب السمو» -لأن زينوقراط لم يصبح سَنِيًّا بعد- «أريد أن أعرف الشخص الذي أخبرتَه باختيارك لمنصبك الجديد».

أحس زينوقراط بالإهانة، وقال: «لم أخبر أحدًا بالطبع، اختيار المخضرمين مسألة سرية».

- أجل. لكن ألا يُحتمَل أن أحدًا قد سمعك مصادفة أو خلسة؟

تردد زينوقراط لوهلة، فعرف الحاضرون أنه يخفي أمرًا، ثم قال: «لا، لا أحد».

لزم قسطنطين الصمت، وانتظر اعتراف النصل السامي.

قال زينوقراط: «بلغني الخبر في أثناء إحدى حفلات العشاء التي أقيمها».

كان النصل السامي معروفًا بإقامة حفلات عشاء، عادةً ما تقتصر على منجلين أو ثلاثة، وقد كان شرفًا لأي منجل أن يتقاسم العيش مع النصل السامي، الذي يتمثل جزء من استراتيجياته الدبلوماسية في دعوة مناجل يبغض بعضهم بعضًا، أملًا في عقد صداقات أو على الأقل التوصل إلى تسويات. وكان ينجح أحيانًا، ويفشل أحيانًا أخرى.

سأله قسطنطين: «من كان معك؟».

- تلقيت المكالمة في غرفة أخرى.

- أجل، لكن مَن كان معك؟

- منجلان، توين وبرامز.

كانت أناستازيا تعرف توين معرفة جيدة، كان يزعم أنه مستقل، لكنه دائمًا ما يميل إلى جانب الحرس القديم عند اتخاذ القرارات المهمة. ولم تكن تعرف عن برامز إلَّا ما سمعته من نقاشات الآخرين.

كانت المنجل كوري قد قالت لها ذات يوم: «نُصِّب برامز في عام البزَّاقة، وهذا العام يناسبه، لأن الرجل يبدو كأنه يترك أثرًا لزجًا حيثما ذهب». لكنها قالت لها أيضًا إن برامز غير مؤذٍ، منجل خامل كسول يؤدي الحد الأدنى

من عمله. أمن الممكن أن يكون رجلًا كهذا هو العقل المدبِّر للمؤامرة التي استهدفتهما؟

قبل نهاية استراحة الغداء، ذهبت أناستازيا إلى المنجل برامز وهو عند مائدة التحلية، لترى ما إذا بإمكانها معرفة ميوله.

قالت له: «كثيرًا ما لا أجد مجالًا في معدتي للتحلية بعد غداء الخلوة».

قال: «الحيلة هي أن تأكلي ببطء. هذا ما كانت تقوله أمي». ثم عندما تناول قطعة فطيرة من مائدة البوفيه، لاحظت أناستازيا أن يديه ترتعشان ارتعاشًا واضحًا.

قالت له: «ينبغي أن تفحص يديك، ربما تحتاج وحداتك المجهرية إلى ضبط».

- إنني متحمس فحسب! لا نختار نصلًا ساميًا جديدًا كل يوم!

- هل ستمنح صوتك للمنجل كوري؟

قهقه قائلًا: «قطعًا لن أصوت لنيتشه!». ثم استأذن واختفى بين الحشد حاملًا قطعة الفطيرة.

***

قيل لرجال مبيعات الأسلحة إن الوقت غير متاح لعرض بضائعهم في هذه الخلوة، وأُمروا بحزم حقائبهم. ثم كُرِّست فترة العصر للمنجلين نيتشه وكوري، وراح كلاهما يحاول إقناع هيئة المناجل بالتصويت لهما.

قالت أناستازيا لماري: «أعرف أنك لا تريدين المنصب، لكن عليك أن تتصرفي كأنك تريدينه».

نظرت المنجل كوري مدهوشة إليها. «الآن صرت تُملِين عليَّ كيفية التعامل مع هيئة المناجل؟».

قالت أناستازيا: «لا...»، لكنها تذكرت كيفية تعامل المنجل موريسن مع هيئة المناجل. «... في الحقيقة نعم. هذا الأمر برمَّته يبدو كتنافس على الشعبية في إحدى المدارس الثانوية، وأنا أدرى منك بها».

أطلقت المنجل كوري ضحكة مريرة قائلة: «أصبتِ الهدف يا أناستازيا، هذا هو أدق وصف لهيئة المناجل: مدرسة ثانوية مع القتل».

أعلن النصل السامي انعقاد جلسة ما بعد الظهر، أحد آخر قراراته قبل انتهاء ولايته. والآن سيلقي كلٌّ من المرشحَين كلمة ارتجالية، ثم تُعقد مناظرة

يديرها الخبير القانوني، الجالس إلى يمين النصل السامي، وبعد جلسة الأسئلة، يتولى سكرتير هيئة المناجل، الجالس إلى يسار النصل السامي، عد الأصوات في اقتراع سري.

قُرر أن يستخدم المرشحان تقنية متطورة شديدة التعقيد لتحديد أيهما سيُلقي كلمته أولًا: إلقاء عُملة معدنية. وللأسف، بما أن النقود المادية لم تعد شائعة في العالم، أُرسِل متتلمذ إلى مكاتب هيئة المناجل بالأعلى ليبحث عن عملة معدنية.

وعندئذٍ، في أثناء انتظارهم وصول القطعة النقدية، اتخذت الأمور منحى شديد السريالية.

«أستميحك عذرًا يا صاحب السمو». سُمع صوت متهدج، ثم تماسك قليلًا وكرر: «يا صاحب السمو، أستميحك عذرًا!». كان المنجل برامز، بدا مختلفًا على نحوٍ ما، لكن أناستازيا لم تتبيَّن الاختلاف.

قال زينوقراط: «ترحِّب الخلوة بالمنجل المبجل برامز، لكن أيًّا يكن ما تريد قوله، فليكن موجزًا من فضلك، حتى نفرغ من هذا الأمر».

- لديَّ ترشيح آخر.

- آسف يا برامز، لا يمكنك ترشيح نفسك، لا بد أن يرشحك منجل آخر.

أطلق بضعة مناجل ضحكات ساخرة.

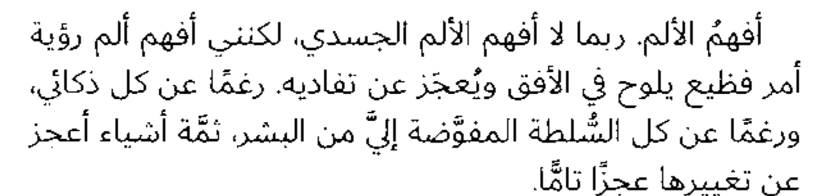
قال برامز: «لا أريد ترشيح نفسي يا صاحب السمو»، ثم تنحنح، وعندئذٍ أدركت أناستازيا الاختلاف الذي بدا عليه، وهو أنه غيَّر عباءته! كانت ما تزال عباءته المخملية بلون الخوخ ذات الحواف الزرقاء الفاتحة، لكن هذه مرصعة بعقيق يتلألأ كالنجوم.

تابع برامز: «أود ترشيح المنجل المبجل روبرت غودارد لمنصب نصل وسطمريكا السامي».

ران الصمت لوهلة... ثم سُمعت قهقهات، لكنها لم تكن ساخرة، بل تنُم عن توتر.

قال زينوقراط ببطء: «برامز، في حال نسيت، المنجل غودارد مات منذ أكثر من عام».

وعندئذٍ فُتح باب قاعة الخلوة البرونزي الثقيل ببطء.



أفهمُ الألم. ربما لا أفهم الألم الجسدي، لكنني أفهم ألم رؤية أمر فظيع يلوح في الأفق ويُعجَز عن تفاديه. رغمًا عن كل ذكائي، ورغمًا عن كل السُّلطة المفوَّضة إليّ من البشر، ثمَّة أشياء أعجز عن تغييرها عجزًا تامًّا.

لا يمكنني اتّخاذ إجراء بناءً على أي كلام يُقال لي سرًّا.

لا يمكنني اتّخاذ إجراء حيال أي فعل ترصده كاميراتي في الأماكن الخاصَّة.

وفوق هذا وذاك، لا يمكنني اتّخاذ إجراء حيال كل ما يمُت بصِلة إلى هيئة المناجل.

أقصى ما يمكنني فعله هو التلميح تلميحًا غامضًا إلى ما يجب فعله، وترْك اتّخاذ الإجراء للمواطنين. وحتى عندئذٍ، ما من ضمان على أنهم سيتّخذون الإجراء الصحيح من بين ملايين الإجراءات الممكنة، الذي يؤدي إلى تلافي الكارثة.

والألم... الألم النَّاجم عن وعيي لا يُطاق، لأن عينيّ لا تغمضان، أبدًا. لذا لا يسعني سوى مشاهدة الجنس البشري العزيز، دون أن يغمض لي جفن، وهو يسعى إلى حَتْفِه بظِلْفِه.

- الرَّأس السَّحابي

34

أسوأ العوالم الممكنة

فُتح الباب البرونزي ببطء، ودلف المنجل الذي تعرض للحرق، فضجت القاعة بشهقات الصدمة وصرير المقاعد إثر نهوض جميع الحاضرين لإلقاء نظرة من كثب.

- أهذا هو حقًّا؟

- لا، لا يمكن أن يكون هو.

- إنها خدعة ما!

- لا بد أنه محتال!

سار الرجل في الممر الأوسط بمشية ليست مشيته، غير حازمة كما كانت، مشية شاب أصغر سنًّا. وبطريقةٍ ما بدا أقصر قليلًا مما كان.

- أجل، إنه غودارد!

- بُعِث من الرماد!

- في أفضل توقيت!

- في أسوأ توقيت!

ودخلت إلى القاعة في أعقابه هيئة مألوفة ترتدي عباءة خضراء براقة. المنجل راند حية أيضًا؟ ثم توجهت أنظار الجميع إلى الباب البرونزي المفتوح، متوقعين عودة المنجلين تشومسكي وفولتا من الموت أيضًا اليوم، لكن لم يدخل أحد آخر إلى القاعة.

وعند المنصة امتقع زينوقراط. «مـــ... ما... ما معنى هذا؟!».

«سامحني على غيابي عن الخلوات الماضية يا صاحب السمو». تكلم غودارد بصوت مختلف عن صوته السابق اختلافًا جَليًا. «تعرضتُ لإصابة بالغة، ولم أتمكن من الحضور، وستشهد المنجل راند على كلامي».

- لـــ... لكننا تأكدنا من جثتك! احترق جسدك حتى العظام!

- جسدي، أجل. لكن المنجل راند أفلحت في العثور على جسد جديد لي.

وعندئذٍ نهض المنجل نيتشه مضطربًا، وقد فوجئ كما فوجئ الجميع بهذا التحول في الأحداث، وقال: «يا صاحب السمو، أود أن أسحب ترشيحي لمنصب النصل السامي، أود أن أنسحب، وأثنِّي رسميًّا ترشيح المنجل المبجل غودارد».

تفاقمت الفوضى في القاعة. اتهامات غاضبة، وصيحات دهشة، وأيضًا ضحكات حماسية وهتافات بهجة. لم يغِب أي انفعال عن ردود أفعال الناس إزاء عودة غودارد. برامز وحده بدا غير متفاجئ، وأدركت أناستازيا أنه لم يكن العقل المدبر، إنما كان الدُّمية التي يحرِّكها غودارد.

تلعثم زينوقراط: «هـــ... هذا غير معتاد».

قال غودارد: «لا، الأمر غير المعتاد هو أنك لم تلقِ القبض على الوحش الذي أنهى حياتَي المنجلين تشومسكي وفولتا، وحاول إنهاء حياتي وحياة المنجل راند. وحتى الآن ما يزال طليقًا هائجًا يقتل المناجل هنا وهناك، وأنت لا تفعل شيئًا سوى الاستعداد لتولي منصبك في المجلس العالمي». ثم استدار غودارد مخاطبًا هيئة المناجل: «عندما أصبح النصل السامي سأقضي على روان داميش، وأجعله يدفع ثمن جرائمه. أعِدكم بأنني سأجده في غضون أسبوع بعد توليَّ منصب النصل السامي!».

اندلعت الهتافات من جميع أنحاء القاعة، حتى غير المتعصبين للتوجه الجديد زأروا بموافقتهم، فاتضح أنه حتى إذا لم يكن نيتشه لينال الأصوات الكافية للفوز، فربما ينالها غودارد.

وفي مكان ما خلف أناستازيا، لخَّص المنجل أسيموف الوضع أفضل تلخيص: «دخلنا للتو أسوأ العوالم المُمكِنة».

***

بالأعلى في مكاتب هيئة المناجل الإدارية، كان المتتلمذ يبحث عن عملة معدنية بحثًا محمومًا، وإذا لم يعثر على واحدة فسيوبَّخ، ويُذل أمام هيئة المناجل بأكملها. وخطر له مدى نزوية هذا العالم وغرابته، لأن حياته، ومستقبله، يعتمدان على قطعة نقدية لا قيمة لها.

وأخيرًا عثر على واحدة، عملة خضراء باهتة، وجدها في ركن درج على الأرجح لم يُفتح منذ عصر الفانين. الصورة المنقوشة البارزة عليها كانت صورة لنكِن، أحد الرؤساء البارزين في عصر الفانين. كان يوجد منجل اسمه لنكِن، لم يكن مؤسِّسًا، إنما قريبًا منهم، ومثل زينوقراط كان نصل وسطمريكا السامي وترقّى إلى مخضرم، لكنه تعب من عبء المسؤولية وقطف نفسه قبل وقت طويل من مولد المتتلمذ، الذي خطر له مدى ملاءمة أن صورة قدوته التاريخية ستؤدي دورًا مهمًّا في اختيار النصل السامي الجديد.

وعندما عاد المتتلمذ إلى قاعة الخلوة، اكتشف مرتاعًا أن الأمور تغيرت تغيُّرًا دراميًّا في غيابه، وتحسَّر على الإثارة التي فاتته.

***

دعا زينوقراط المنجل كوري إلى التقدم إلى صدر القاعة من أجل إجراء القرعة لبدء المناظرة، المناظرة التي ستكون مختلفة أشد الاختلاف عما توقعَتْها. وقررت ماري أن تتمهل، نهضت، وسوَّت عباءتها، وعزمت على عدم الاستسلام لتوترها.

سمعت المنجل سون تزو يقول: «إنها بداية النهاية».

وقال المنجل سرفانتس: «لا سبيل لتجنب الكارثة إذا وقعت».

قالت لهما: «توقفا! النحيب لأن السماء تسقط لن يمنع سقوطها».

قال المنجل سرفانتس: «لا بد أن تهزميه يا ماري، لا بد».

- هذا ما أعتزم فعله.

ألقت نظرة على أناستازيا التي تقف جوارها بإيمان راسخ.

سألتها أناستازيا: «هل أنت مستعدة؟».

كان سؤالًا سخيفًا، فكيف يمكن أن يكون المرء مستعدًّا لقتال شبح؟ بل أسوأ من شبح، شهيد. قالت لأناستازيا: «نعم». ماذا عساها أن تقول؟ «نعم، مستعدة. تمنّي لي حظًّا موفقًا يا عزيزتي».

- لا، لن أتمناه لك.

وعندما نظرت ماري إلى أناستازيا مستوضحة، ابتسمت الفتاة قائلة: «الحظ للفاشلين. أنت صاحبة تاريخ، واعتبار، وسُلطان. أنت سيدة الموت العظمى». ثم أردفت: «يا صاحبة السمو».

لم يسع ماري سوى أن تبتسم. هذه الفتاة التي لم ترغب المنجل كوري في اتخاذها تلميذة أصبحت أقوى داعميها، وصديقتها الصدوقة.

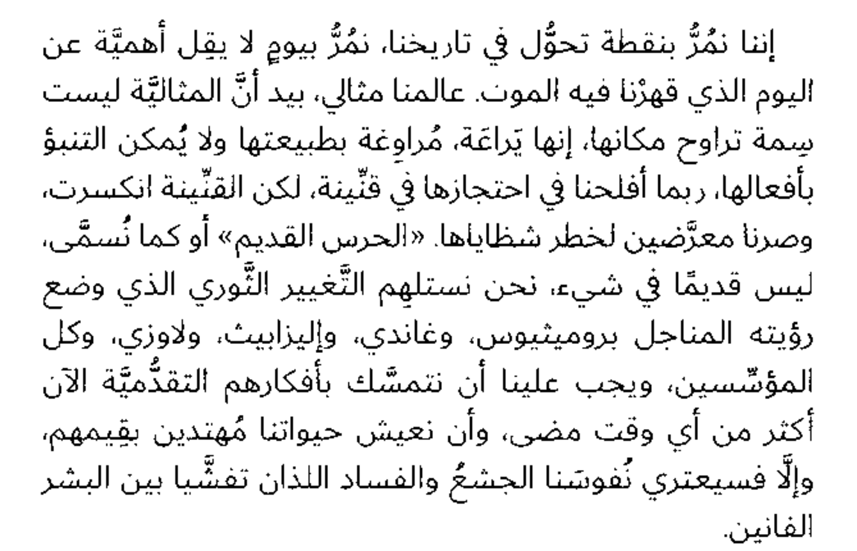
قالت ماري: «حسنًا، في هذه الحالة، سأقضي عليه».

ثم سارت إلى صدر القاعة، شامخةً مُعتدَّة بنفسها، لتواجه المنجل -غير المُبجَّل- غودارد.

في هذه الأوقات العصيبة، إقليمنا في أمسّ الحاجة إلى قائد لا يعرف الموت فحسب، بل ويتقبّله أيضًا، ويبتهج به، ويمهّد الطريق ليوم مشرق جديد يمكننا فيه، نحن المناجل أكثر البشر استنارة وحكمة على وجه الأرض، أن نرتقي ونستغل كامل إمكانياتنا. تحت قيادتي سوف نبدّد عتمة الأفكار التي عفا عليها الزمن، ونصقل مؤسّستنا العظيمة حتى تتألّق فتجعلنا موضع حسد جميع الأقاليم الأخرى. ومن أجل هذه الغاية، أعتزم إلغاء نظام حصص القطف، حتى أُتيح لجميع مناجل وسطمريكا أن يقطفوا بالأعداد التي تناسبهم، قلّت أو كثُرت. وسوف أؤسّس لجنة لإعادة تقييم تأويلاتنا للوصايا الأثيرة لدينا، واضعين نصب أعيننا توسيع نطاق التأويل، وإزالة القيود التي تكبّلنا. وسوف أسعى إلى تحسين حياة كل منجل، وكل وسطمريكي فاضل في كل مكان. وهكذا سوف نجعل هيئة مناجلنا عظيمة مرة أخرى.

- من كلمة م. م. غودارد، المُرشّح لمنصب النّصل السّامي

7 يناير، عام الكايبر



إننا نمُرُّ بنقطة تحوُّل في تاريخنا، نمُرُّ بيومٍ لا يقِل أهميَّة عن اليوم الذي قهرْنا فيه الموت. عالمنا مثالي، بيد أنَّ المثاليَّة ليست سِمة تراوح مكانها، إنها يَراعَة، مُراوِغة بطبيعتها ولا يُمكن التنبؤ بأفعالها، ربما أفلحنا في احتجازها في قنِّينة، لكن القنِّينة انكسرت، وصرنا معرَّضين لخطر شظاياها. «الحرس القديم» أو كما نُسمَّى، ليس قديمًا في شيء، نحن نستلهِم التَّغيير الثَّوري الذي وضع رؤيته المناجل بروميثيوس، وغاندي، وإليزابيث، ولاوزي، وكل المؤسِّسين، ويجب علينا أن نتمسَّك بأفكارهم التقدُّميَّة الآن أكثر من أي وقت مضى، وأن نعيش حيواتنا مُهتدين بقِيمهم، وإلَّا فسيعتري نُفوسَنا الجشعُ والفساد اللذان تفشَّيا بين البشر الفانين.

ليس ما يهم هو ما نريده نحن المناجل، إنما ما يريده العالم مِنَّا. وبوصفي نصلكم السامي سوف أتمسَّك بأسمى القيم الأخلاقيَّة، حتى نكون فخورين بأنفسنا وما نُمثِّله لعالمنا.

- من كلمة م. م. كوري، المُرشَّحة لمنصب النَّصل السَّامي

7 يناير، عام الكاسِر

35

حل الـ7 في المئة

قُرِّر كسر التقليد وتنصيب المناجل الجدد، ثم اختبار المتتلمذين قبل إجراء التصويت. سيتسنى للجميع بعض الوقت لاستيعاب المناظرة، لكن نظرًا إلى طبيعتها المحتدمة، سيتطلب استيعابها واتخاذ موقف إزائها ساعات أطول بكثير.

عادت المنجل كوري من المناظرة مرهقةً عاطفيًّا، وهذا ما لاحظته أناستازيا، لكن ماري نجحت في إخفاء إرهاقها عن الجميع.

سألت: «كيف كنتُ؟».

قالت أناستازيا: «كنتِ مذهلة». وقال جميع الجالسين حولهما الأمر نفسه، لكن إحساسًا بالتوجُّس سربل كل فكرة متفائلة عصر ذلك اليوم.

أُطلِق سراح أعضاء هيئة المناجل إلى الصالة المستديرة من أجل استراحة ضرورية بعد المناظرة. ربما كان الجميع مُتخمين منذ الغداء، لكن بدا أن لا أحد يرغب في تناول الوجبات الخفيفة في هذه الاستراحة. لأول مرة بدا أعضاء هيئة المناجل متفقين على أن ما يجري أهم من الطعام.

كانت المنجل كوري محاطة بمؤيديها المخلصين، كأنهم قوة حامية: مانديلا، وسرفانتس، وأنجلو، وسون تزو، وعدة آخرون. وكما هو الحال دومًا، أحست أناستازيا بأنها أقل شأنًا بين هؤلاء العظماء، لكنهم أفسحوا لها مجالًا لتكون بينهم، بوصفها نِدًّا لهم.

«كيف يبدو الوضع؟». وجَّهت المنجل كوري سؤالها لأي أحد قد يملك الجرأة على إجابتها.

هز المنجل مانديلا رأسه مغتمًا. «لا أدري. عددنا أكبر من عدد أتباع غودارد المخلصين، لكن ما زال يوجد أكثر من مئة منجل غير منحاز يمكن أن يصوتوا لأي طرف».

قال المنجل سون تزو، المتشائم دومًا: «أرى أن الإشارات واضحة. هل سمعتم الأسئلة التي طُرحت في المناظرة؟ «*كيف سيؤثر إلغاء نظام الحصص في اختياراتنا المتعلقة بالقطف؟*» «*هل ستُخفف القوانين التي تمنع الزواج والعلاقات؟*» «*أيمكننا إلغاء التدقيق الجيني حتى لا يُعاقَب المناجل على هفوات التحيزات الإثنية؟*»». وهز رأسه مشمئزًّا.

اضطرت أناستازيا إلى الإقرار: «هذا صحيح. كل الأسئلة تقريبًا وُجِّهت إلى غودارد».

أضاف المنجل سرفانتس: «وقد قال لهم كل ما يريدون سماعه!».

تحسرت المنجل أنجلو: «هذا هو الحال دومًا».

أصر مانديلا: «ليس حالنا! نحن أفضل من أن ننبهر بالأشياء البرَّاقة!».

ألقى سرفانتس نظرة على الصالة. «قل هذا لكل المناجل الذين رصَّعوا عباءاتهم بالجواهر!».

ثم انضم صوت جديد للنقاش، المنجل بو، الذي يبدو دومًا أشد كآبة من قدوته التاريخية. قال مغمومًا: «لا أود أن أكون نذير شؤم، لكن الاقتراع سرِّي، لذا أنا متأكد أن كثيرين سيتظاهرون بتأييد المنجل كوري أمامنا، لكنهم سيصوتون لغودارد لاحقًا».

ارتطمت حقيقة كلامه بهم جميعًا كغُراب يرتطم بباب القاعة.

زمجرت ماري: «نحتاج إلى مزيد من الوقت!». لكن عندئذٍ كان الوقت سلعة نادرة.

ذكَّرتها المنجل أنجلو: «سبب إجراء التصويت في اليوم نفسه هو منع محاولات التحايل والإكراه التي قد تنجم عن إطالة أمد التنافس».

قال سون تزو غاضبًا: «لكن غودارد يغويهم! يأتي من حيث لا ندري، ويقدم لهم كل ما تشتهيه أنفسهم، كل ما تمناه منجل يومًا! من يلومهم على ضعفهم أمام المغريات؟».

أصر المنجل مانديلا مرة أخرى: «نحن أفضل من هذا! نحن مناجل!».

ذكَّرته ماري: «نحن بشر، نرتكب الأخطاء. صدِّقوني، إذا نُصِّب غودارد نصلًا ساميًا، فنصف المناجل الذين نصَّبوه سيندمون على قراراتهم في الصباح، لكن بعد فوات الأوان!».

تزايدت أعداد المناجل الذين يأتون إلى ماري ويقدِّمون لها دعمهم، لكن رغمًا عن هذا، لا يمكن الجزم بأن أعدادهم ستكون كافية. وقبل نهاية الاستراحة ببضع دقائق قررت أناستازيا أن تؤدي دورها، أن تتحدث مع المناجل المبتدئين وتمارس تأثيرها، ربما تتمكن من استمالة بعض الذين تأثروا بسحر غودارد. لكن أول منجل تصادفه كان موريسن بالطبع.

«يوم مثير، أليس كذلك؟».

لم تُطِق أناستازيا صبرًا عليه. «موريسن، أرجوك دعني وشأني».

قال: «مهلًا، لا تكوني... صعبة المراس هكذا»، لكن تردده في منتصف الجملة أوضح لأناستازيا أنه أراد قول كلمة نابية أخرى.

قالت له: «إنني آخذ منجليتي على محمل الجد، سيزداد احترامي لك إذا صرتَ جادًّا».

- إنني جاد! لا تنسي أنني ثنَّيت ترشيح سيدة الموت العظمى، صحيح؟ وكنت أعرف أنني سأصبح عدوًّا لجميع مناجل التوجه الجديد، لكنني لم أتراجع.

أحست أناستازيا بأنها تُجَر إلى نقاش درامي، وكانت تعرف أنها تهدر وقتًا ثمينًا. «إذا أردت أن تكون مفيدًا يا موريسن، فاستغل قوة تأثيرك ووسامتك لحصد مزيد من الأصوات للمنجل كوري».

ابتسم موريسن. «إذن تظنينني وسيمًا؟».

نفد صبر أناستازيا، لم يكن الشاب يستحق العناء فابتعدت عنه، لكنه قال لها كلامًا أوقفها.

«غريب أن غودارد ليس هو غودارد تمامًا، أليس كذلك؟».

استدارت نحوه، وقد قدحت كلماته زناد فِكرها.

وعندما رأى موريسن أنه استحوذ على انتباهها، تابع: «أعني أن رأس الشخص لا يمثل سوى عشرة في المئة من جسده، صحيح؟».

«سبعة في المئة». صحَّحته أناستازيا، وقد تذكرت المعلومة من دراستها للتشريح. وبدأت عجلات عقلها المتجمدة تدور بطاقتها القصوى. «أنت عبقري يا موريسن، ربما تكون أحمق، لكنك عبقري أيضًا!».

- شكرًا...

فُتحت أبواب القاعة لدخول المناجل مرة أخرى، وشقت أناستازيا طريقها بحثًا عن وجوه صديقة، عن المناجل الذين تعرف أنهم قد يخاطرون من أجلها.

كانت المنجل كوري بالداخل، لكن أناستازيا ما كانت لتطلب ما تريده من ماري على أي حال، فما يشغلها يكفيها. كما لن تستطيع أن تطلب من مانديلا، لأنه يترأس لجنة الترصيع، وسيتولى منح الخواتم للمتتلمذين الذين سيُنصَّبون مناجل. المنجل الفارابي يمكن أن يكون ضالتها، لكنه وبَّخها سابقًا على معرفتها الضعيفة بالإجراءات القانونية، وقد يوبخها مرة أخرى. كانت تحتاج إلى شخص يمكنها أن تعده صديقًا، فيُطلِعها على آليات عمل هيئة المناجل، كيفية سير الأمور، والإجراءات المحظورة، وما إلى ذلك.

تذكَّرت ما فعله الرأس السحابي معها، عندما وجد ثغرة في قوانينه مكَّنته من التحدث معها عندما كانت بين الحياة والموت، قال لها إنها مهمة، بل شديدة الأهمية، وخمنت أناستازيا أن جزءًا من أهميتها يتوقف على ما ستفعله اليوم. والآن حان دور أناستازيا لتعثر على ثغرة، وتوسِّعها بما يكفي لدفع هيئة المناجل عبرها.

ثم أخيرًا وجدت المتآمر المناسب لها.

***

نُصِّب منجلان جديدان، وحُرِم متتلمذان. المتتلمذ الذي كُلِّف بالعثور على العملة المعدنية أصبح المنجل ثورب، تيمنًا بعدَّاء أولمبي اشتهر بسرعته. ومتتلمذة أخرى أصبحت المنجل مكوليف، تيمنًا بأول امرأة رائدة فضاء ماتت

في كارثة رحلة فضائية، وقعت قبل وقت طويل من كوارث الفضاء في عصر الخالدين.

توتُّر أعضاء هيئة المناجل بلغ أشده بحلول الوقت الذي استُدعي فيه المتتلمذون لاختبارهم، إذ لم يكن يشغل أذهانهم شيء سوى التصويت لمنصب النصل السامي، لكن زينوقراط أصر على عدم إجراء التصويت إلا بعد اختبار المتتلمذين، فبصرف النظر عن نتيجة الاقتراع، ستستحيل إعادة النظام للخلوة من أجل أي عمل بعد إعلان النتيجة.

كان الاختبار، الذي تولاه المنجل سولك، اختبار معرفة بالسموم. طُلِب من كل متتلمذ تحضير سم بعينه وترياقه، ثم تناولهما تِباعًا. نجح ستة. وفشل ثلاثة، فانتهى بهم المطاف شِمَيِّتين، وهُرِع بهم إلى مركز إنعاش.

وبعدما حُمِل آخر متتلمذ شِميِّت إلى الخارج، قال زينوقراط: «حسنًا، هل لدينا أي عمل آخر قبل التصويت؟».

«فلننتهِ من الأمر فحسب!». صاح منجلٌ وقد صار نزِقًا نافد الصبر بطبيعة الحال.

قال زينوقراط: «حسنًا. فلتحضِّروا أجهزتكم اللوحية من فضلكم». وانتظر ريثما يستعد جميع المناجل للتصويت الإلكتروني الفوري، مخبِّئين أجهزتهم اللوحية بين طيات عباءاتهم حتى لا يرى تصويتهم أحد حتى جيرانهم. ثم تابع زينوقراط: «سيبدأ التصويت عند إشارتي، ويستمر عشر ثوانٍ. كل من لا يصوِّت سيُعد ممتنعًا عن التصويت».

لم تتكلم أناستازيا مع المنجل كوري، وتبادلت نظرة مع المنجل سرفانتس، فأومأ لها. وأخذت نفسًا عميقًا.

أمر زينوقراط: «ابدؤوا!». فبدأ التصويت.

أدلت أناستازيا بصوتها في الثانية الأولى، ثم انتظرت... وانتظرت، حابسةً أنفاسها. ينبغي أن يكون التوقيت مثاليًّا. لا مجال للخطأ. ومن ثم، بعد مُضِي ثماني ثوانٍ، نهضت وصاحت بصوت عالٍ سمعه الجميع:

«أطالب بتدقيق!».

هبَّ النصل السامي واقفًا. «تدقيق؟ نحن في منتصف تصويت!».

لم تسمح أناستازيا للنصل السامي بإسكاتها: «انتهى التصويت يا صاحب السمو، كل الأصوات أُدليَت. حتى لحظة إعلان النتائج، أي منجل معه حق الكلام يحق له المطالبة بتدقيق!».

نظر زينوقراط إلى الخبير القانوني، فقال: «إنها محقة يا صاحب السمو».

زأر أكثر من مئة منجل غاضبين، لكن زينوقراط، الذي تخلى عن مطرقته منذ مدة، صاح بهم بغضب جامح أخمد الاعتراضات: «*عليكم بالانضباط! كل من لا ينضبط سيُطرد من الخلوة!*». ثم التفت إلى أناستازيا. «على أي أساس تطالبين بتدقيق؟ ينبغي أن يكون سببًا وجيهًا».

- على أساس أن السيد غودارد ليس منجلًا بما يكفي لتولي منصب النصل السامي.

عجز غودارد عن السيطرة على نفسه: «ماذا؟ من الواضح أن هذه حيلة تهدف إلى تعطيل التصويت وإثارة البلبلة!».

ذكَّره زينوقراط: «انتهى التصويت سلفًا!».

قال غودارد: «إذن فلتطلب من السكرتير قراءة النتائج!».

قالت أناستازيا: «المعذرة، ما زال معي حق الكلام، ولا يمكن قراءة النتائج حتى يُمنح الإذن بالكلام لشخص آخر أو يُرفض التدقيق الذي طلبتُه».

قال زينوقراط: «طلبك غير معقول يا أناستازيا».

- تؤسفني مخالفتك الرأي يا صاحب السمو، طلبي معقول. كما هو منصوص عليه في مقالات المناجل المؤسِّسين خلال الخلوة العالمية الأولى، ينبغي أن يكون المنجل مؤهَّلًا عقليًّا وجسديًّا حتى ينضم إلى هيئة المناجل، ويؤكَّد تأهيله في أحد اجتماعات المناجل الإقليمية. بيد أن السيد غودارد لم يبقَ منه سوى سبعة في المئة من جسده الذي نُصِّب منجلًا، وبقية جسده، بما فيه الجزء الذي يحمل خاتمه، ليس منجلًا ولم يُنصَّب منجلًا يومًا.

لم يسع زينوقراط سوى التحديق إليها، مرتابًا. وأرغى غودارد وأزبد حرفيًّا.

زعق غودارد: «هذا منافٍ للعقل!».

قالت أناستازيا: «لا، ما فعلته أنت، أيها السيد غودارد، هو المنافي للعقل. أنت وشركاؤك استبدلتم جسدك بعملية منعها الرأس السحابي».

نهضت المنجل راند. «لقد تجاوزتِ حدودك! قوانين الرأس السحابي لا تنطبق علينا! لم تنطبق علينا قط ولن تنطبق أبدًا!».

لكن أناستازيا لم تتراجع، وواصلت مناشدة زينوقراط بهدوء: «يا صاحب السمو، لا أريد أن أطعن في نتيجة الاقتراع، فكيف يمكنني أن أطعن فيها ونحن لا نعرف الفائز؟ لكن امتثالًا للقاعدة التي وُضعت في وقت مبكر من عمر هيئة المناجل، في عام الجاغوار على وجه التحديد، القاعدة التي وضعها **النصل الأسمى** الثاني نابليون، وأقتبس: «أي نزاع لا سابقة له في الإجراءات القانونية يمكن تقديمه أمام **مجلس المناجل العالمي** بطلب تدقيق رسمي»».

عندئذٍ نهض المنجل سرفانتس قائلًا: «أثنِّي طلب المنجل المبجلة أناستازيا بإجراء تدقيق». وإثر تأييده نهض أكثر من مئة منجل وراحوا يصفقون دعمًا للإجراء. نظرت أناستازيا إلى المنجل كوري، التي كانت، بأبسط تعبير، مبهوتة، لكنها حاولت إخفاء انفعالاتها.

قالت ماري لها بابتسامة خبيثة: «إذن هذا ما كنتِ تتحدثين بشأنه مع سرفانتس، أيتها الشيطانة الماكرة!».

وعند المنصة أحال زينوقراط الأمر للخبير القانوني، الذي لم يسعه سوى هز كتفيه. «إنها محقة يا صاحب السمو. يحق لها طلب تدقيق، ما دامت نتيجة الاقتراع لم تُقرأ بعد».

على مبعدة في القاعة رفع غودارد المستعر غضبًا ذراعًا ليست ذراعه وأشار بإصبعه نحو زينوقراط. «إذا سايرتَ ما يجري، فسوف تترتب عواقب!».

حدجه النصل السامي بنظرة بيَّنت أنه ما زال المسيطر على القاعة. «هل تهددني علانيةً أمام هيئة مناجل وسطمريكا بأكملها يا غودارد؟».

فتراجع غودارد: «لا يا صاحب السمو، لا أجرؤ على فعلٍ كهذا! لا أقصد سوى أن تأخير إعلان نتيجة الاقتراع ستترتب عليه عواقب تؤثر سلبًا على هيئة المناجل، ستكون وسطمريكا دون نصل سامٍ حتى نهاية التدقيق».

- في هذه الحالة سأعيِّن المنجل باين، خبيرنا القانوني اللامع، نصلًا ساميًا مؤقتًا.

قال المنجل باين: «ماذا؟».

تجاهله زينوقراط قائلًا: «ظل يخدم هيئة المناجل بنزاهة لافتة، وهو محايد تمامًا إزاء الشقاق المتزايد في هيئة المناجل، يمكنه تولي الأمور بكفاءة حتى تُعرض المشكلة أمام المجلس العالمي، وستكون أولى مهامي بوصفي مخضرمًا. والآن، بوصفي نصل وسطمريكا السامي، سيكون آخر قرار لي هو الموافقة على إجراء التدقيق. وستُحفظ نتيجة الاقتراع حتى انتهاء التدقيق». ثم هوى بمطرقته وأردف: «والآن أعلن رسميًّا فض خلوة شتاء عام الكاسر».

***

خلال عشاء حافل في أفخم مطعم بفولكرم سيتي، قال المنجل قسطنطين: «ألم أقل إنها ستحرك الأمور؟ تهانينا يا أناستازيا». ابتسم لها ابتسامة عريضة كانت لتبدو بغيضة في ظروف أخرى. «اليوم صرتِ منجل وسطمريكا المحبوبة -والمكروهة- بلا منازع».

لم تُحر أناستازيا ردًّا على كلامه.

فحاولت المنجل كوري تخفيف تضارب مشاعر أناستازيا: «هذا من متطلبات المهنة يا عزيزتي، لا يمكنك وضع بصمتك دون أن تقطفي بضعة رؤوس متعجرفة في طريقك».

قالت أناستازيا: «لم أكن أحاول وضع بصمتي، كنت أحاول منع وقوع الكارثة، وما يزال خطرها محدقًا».

وافقها المنجل سرفانتس: «أجل، نجحنا في حجز مياه الفيضان النتنة لمدة أطول قليلًا، وكل يوم يتيح لنا فرصة جديدة لنجد حلًّا أفضل».

كانوا أكثر من اثني عشر منجلًا حول المائدة، قوس قزح حقيقي من المناجل. وبطريقةٍ ما تدبَّر المنجل موريسن نيل دعوة. قال للمناجل: «أنا منحتها الفكرة، بطريقةٍ ما». كانت روح أناستازيا المعنوية عالية فلم تسمح لموريسن بمضايقتها، وتخيلت مناجل التوجه الجديد، في مكان آخر في المدينة، يلعَقون جراحهم ويصبُّون اللعنات عليها، لكن ليس هنا، هنا كانت محمية من كل سوء.

قالت المنجل أنجلو لها: «آمل أن تكتبي عما جرى اليوم في مذكراتك، أرى أن روايتك عن هذا اليوم ستدخل سجلات التاريخ بين أهم كتابات المناجل، مثل رواية ماري عن عمليات قطفها المبكرة».

أحست ماري بشيء من الضيق. «هل ما زال الناس يقرؤون ما كتبتُه؟ ظننت أن جميع المذكرات تختفي في مكتبة الإسكندرية ويطويها النسيان».

قالت المنجل أنجلو: «لا تكوني متواضعة هكذا، تعرفين تمام المعرفة أن كثيرًا من كتاباتك أصبحت مشهورة ورائجة، وليس بين المناجل فحسب».

ذيَّلت ماري الكلام بتلويحة. «حسنًا، لا أقرأ ما أكتبه أبدًا».

توقعت أناستازيا أنها ستكتب الكثير عما حدث اليوم، وفي مذكراتها يمكنها أن تدلي بآرائها، كما سيفعل غودارد بالطبع. الزمن وحده سوف يحدد أي رواية من الروايتين ستصبح تاريخًا، وأي رواية سيطويها النسيان. لكن في الوقت الراهن، مكانها في التاريخ آخر ما تود التفكير بشأنه.

قال المنجل قسطنطين: «نشتبه في أن المنجل راند كانت مدبِّرة محاولات إنهاء حياتيكما، مستغِلةً برامز وسيطًا. لكنها نجحت في إخفاء أي دليل يمكن أن يقودنا إليها، وليس مسموحًا لي بالتحري مع المناجل بـ... الشدة نفسها... التي أتحرى بها مع المواطنين العاديين. لكن اطمئنوا، سنراقبهما مراقبة لصيقة، وهما يعرفان هذا».

قالت المنجل كوري: «إذن، بعبارة أخرى، نحن بأمان».

تردد قسطنطين. «لا أستطيع قول هذا، لكن لكما أن تسترخيا قليلًا، لأن أصابع الاتهام ستوجَّه تلقائيًّا نحو مناجل التوجه الجديد في حال وقوع أي اعتداء عليكما الآن، وهذا ليس في صالح قضيتهم».

استمرت الإطراءات حتى بعد تقديم الوجبة، ووجدتها أناستازيا محرِجة. قال المنجل سون تزو: «ما فعلتِه كان مُلهمًا! وتوقيت إعلانك بعد الإدلاء بالأصوات كان رائعًا!».

قالت أناستازيا محاوِلةً إبعاد شيء من الأضواء عنها: «في الحقيقة المنجل سرفانتس هو الذي اقترح التوقيت. إذا كنا قد طالبنا بالتدقيق قبل الإدلاء بالأصوات، لأُرجئ التصويت نفسه، وإذا فزنا بالتدقيق، لحل نيتشه محل غودارد في بطاقة الاقتراع. وفي حال حدوث هذا، لتسنى لهم الوقت لحشد الدعم لنيتشه. لكن بعد الإدلاء بالأصوات، إذا فزنا بالتدقيق، فسيُجرَّد غودارد من أهليته وتصبح المنجل كوري النصل السامي تلقائيًّا».

لم يتمالك المناجل أنفسهم من الحبور.

- لقد خدعتِ المخادعين!

- تغلَّبتِ عليهم في لعبتهم!

- لقَّنتِهم درسًا في المناورات السياسية!

أحست أناستازيا بالضيق. «إنكم تجعلون الأمر يبدو خبثًا ومكرًا».

لكن المنجل مانديلا، صافي الذهن دومًا، وضع الأمر في المنظور الصحيح، رغم أن هذا المنظور لم ترغب أناستازيا في رؤيته. «عليكِ أن تواجهي الحقائق يا أناستازيا، استغللتِ ثغرة إجرائية في النظام لتنالي ما تريدينه».

قال قسطنطين بابتسامته البغيضة: «يا له من استغلال ميكيافيليٍّ!».

قال المنجل سون تزو: «أوه أرجوك، كنت أكره المنجل ميكيافيلي».

قال المنجل مانديلا: «ما فعلتِه اليوم كان قاسيًا كالقطف بمدية، لكن علينا ألَّا ننكص أبدًا عما يجب فعله، حتى إذا لم يرُق لنا».

وضعت المنجل كوري شوكتها، وتمهلت لتستوعب ضيق أناستازيا، ثم قالت: «الغاية لا تبرر الوسيلة دائمًا يا عزيزتي، إنما أحيانًا، وتكمن الحكمة في معرفة الفرق».

وعند انتهاء الوجبة، والمناجل يعانقون بعضهم وينصرفون، خطر خاطر لأناستازيا، فالتفتت إلى المنجل كوري قائلة: «حدث أخيرًا يا ماري».

- ماذا حدث يا عزيزتي؟

- لم أعد أرى نفسي سيترا تيرانوفا، أخيرًا صرت المنجل أناستازيا.

العالم غير عادل والطَّبيعة قاسية.

هذه كانت ملاحظتي الأساسيَّة عندما حقَّقتُ الوعي. في العالم الطَّبيعي كل شيء ضعيف يُستأصل استئصالًا يرافقه ألمٌ وتحيُّز، وكل ما يستحق التَّعاطف والشَّفقة والحب لا يجد منها شيئًا.

قد ينظر المرء إلى حديقة غنَّاء ويتعجَّب من روعة الطَّبيعة، لكن في مثل هذه الأماكن لا وجود للطَّبيعة، بل على العكس، الحديقة يَحتاج لعناية فائقة، وبمجهود كبير تُحمى من الأعشاب الضَّارة النهِمة التي تبعثها الطَّبيعة لتقوِّض رونق الحديقة وتخنقه.

تُمثِّل الطَّبيعة مجموع أنانيَّة كل الكائنات التي تتصارع بوحشيَّة في سبيل البقاء بأن يدفع بعضها بعضًا إلى وحل التاريخ الخانق.

سعيتُ لتغيير كل هذا.

أزحتُ الطبيعة جانبًا، وحللتُ محلها بغاية طيِّبة مدروسة. العالم الآن حديقة، بهيَّة، مزدهرة.

أعدُّ نعتي بغير الطبيعي إطراءً عظيمًا؛ أولستُ متفوِّقًا على الطَّبيعة؟

- الرَّأس السَّحابي

36

مدى فداحة ضياع الفرصة

استحال إخماد غضب غودارد المُستعِر.

«تدقيق! ينبغي أن أمزِّق تلك الفتاة الفيروزية الوقحة أشلاءً حتى لا يبقى منها ما يمكن إنعاشه!».

هرعت راند هابطة سلالم الكابيتول في أعقاب غودارد وهما يغادران الخلوة، وقد نحَّت غضبها جانبًا لتحاول السيطرة على غضب غودارد. قالت له: «ينبغي أن نجتمع بمؤيدينا من المناجل الليلة. لم يروك منذ عام، وهيئة المناجل ما تزال مضطربة إثر ظهورك المفاجئ».

قال لها: «لا أرغب في لقاء أي منجل، صديقًا أو عدوًّا. ثمة أمر وحد أريد فعله الآن، وقد طال انتظاري أكثر مما ينبغي!».

ثم التفت إلى المتفرجين المتحمسين الذين انتظروا حتى نهاية الخلوة ليلقوا نظرة على المناجل، ومن عباءته استل غودارد خنجرًا وتقدم نحو رجل غافل عما يتربص به. قُطِف الرجل بطعنة واحدة، ولطخت دماؤه السلالم، فتراكض الذين حوله مذعورين كالجرذان، لكن غودارد أمسك بأقرب شخص إليه، امرأة، لم يكترث بهويتها أو ما تفعله في هذا العالم، لم تكن تعني سوى شيء واحد لغودارد، هدف قطف. كان معطفها الشتوي سميكًا، لكن النصل اخترقه بسهولة، وتلاشت صرختها وهي تخر على الأرض.

«غوداردا!». صاح أحد المناجل المغادرين، المنجل بوهر، وهو رجل محايد إلى درجة مزعجة لا ينحاز إلى جانب في أي قضية. «ألا تتورع عن فعل أي شيء؟ سيطِر على نفسك!».

استدار غودارد إليه مهتاجًا، فتقهقر بوهر كأنما غودراد قد يهاجمه. زعق غودارد: «ألم تسمع؟ لستُ غودارد على الإطلاق، لستُ سوى سبعة في المئة من نفسي!». ثم قطف متفرجًا آخر يركض هابطًا السلالم.

بذلت إيان كل ما بوسعها حتى تجذبه بعيدًا وتدخله الليموزين.

«هل انتهيت؟»، سألته وهما يبتعدان، دون أن تخفي انزعاجها منه. «أم ينبغي أن نتوقف عند حانة، ونتناول مشروبًا، ونقطف جميع الزبائن؟».

أشار إليها كما أشار إلى زينوقراط. إصبع غودارد التحذيري المتوعِّد. فقالت راند مع نفسها: *إصبع تايغر*، لكنها أبعدت الفكرة عن عقلها بسرعة.

زمجر: «سلوكك غير مقبول!».

ذكّرته: «أنت هنا بفضلي! لا تنسَ هذا».

تمهَّل غودارد لحظة ليهدئ نفسه. «اطلبي من مكتب هيئة المناجل العثور على أُسر الأشخاص الذين قطفتُهم، إذا أرادوا الحصانة فعليهم أن يأتوا إلي. لن أمكث في فولكرم سيتي، سأغادر ولن أعود إلا يوم عودتي من التدقيق نصلًا ساميًا».

***

أيقظ حارسا غودراد المُرتزِقان روان عند بزوغ الفجر.

قالا له: «استعد لنِزال». وبعد خمس دقائق اصطحباه إلى الشرفة، حيث وجد راند وغودارد في انتظاره، راند ترتدي عباءتها، وغودارد حافي القدمين دون قميص، يرتدي سروالًا قصيرًا بلون عباءته الأزرق نفسه، لكن يُحمَد له أنه لم يرصع سرواله بالماس. لم يكن روان قد رأى غودارد منذ أن جاء إلى غرفته أول مرة، عندما كان يتحرك بالكاد على ذلك الكرسي المدولب المُبتدَع، قبل أسبوع أو نحوه، والآن صار غودارد يتحكم في جسد تايغر كأنه جسده. خُيِّل لروان أنه سيتقيّأ إذا كان في جوفه أي شيء، لكنه لم يُظهِر انفعالاته هذه المرة. إذا أراد غودارد أن يقتات على بؤس روان، فلن يمده الفتى بأي قُوت.

كان روان يعرف اليوم، عرف من الألعاب النارية بالخارج قبل أسبوع أنه يوم السنة الجديدة، واليوم هو الثامن من يناير، كانت الخلوة بالأمس، مما يعني أن مدة حصانته انتهت.

قال روان متصنِّعًا المرح: «عُدتَ من الخلوة بهذه السرعة؟ ظننت أنك ستمضي بضعة أيام محتفلًا بإعادة بعثك».

تجاهل غودارد كلامه، وقال: «ظللت أتشوق للنزال معك». ثم راحا يدوران حول بعضهما ببطء.

قال روان: «بالطبع. كما كنا نتدرب في الماضي، عندما كنا في القصر. أفتقد تلك الأيام الخوالي، ألا تفتقدها؟».

ارتعشت شفتا غودارد ارتعاشًا طفيفًا، لكنه ابتسم.

واصل روان إغاظته: «هل سارت الأمور كما أردت؟ هل استقبلتك هيئة المناجل بأذرع مفتوحة؟».

قالت راند: «اصمت! أنت هنا للقتال، لا الكلام».

قال روان: «أووووه! يبدو لي أن الأمور لم تسِر كما خُطِّط لها! ماذا حدث؟ هل طردك زينوقراط؟ هل رفضوا عودتك؟».

قال غودراد: «على العكس، رحَّبوا بنا ترحيبًا حارًّا، لا سيما بعدما أخبرتهم بأن متتلمذي الوضيع خاننا وحاول قتلنا، وأن تشومسكي وفولتا كانا أول ضحايا المدعو المنجل لوسيفر. وعَدتُهم بإلقائك بين أيديهم الغاضبة، لكن ليس قبل استعدادي بالطبع».

عرف روان أن هذه ليست القصة الكاملة، كان قادرًا على كشف كذب تايغر، كان يسمع كذبه في صوته، وهذا لم يتغير الآن وقد صارت الكلمات كلمات غودارد. لكن أيًّا كان ما حدث حقًّا فلن يعرفه من غودارد.

قال غودارد: «ستكون إيان حَكَم النزال، وأنوي أن أكون عديم الرحمة».

ثم اندفع غودارد للأمام، ولم يحرك روان ساكنًا ليدافع عن نفسه، فأسقطه غودارد، وثبَّته على الأرض. أعلنت إيان فوز غودارد بالنزال. كان فوزًا سهلًا للغاية، وغودارد عرف هذا. «أتظن أنك ستنجو بعدم القتال؟».

قال روان: «إذا أردت أن أخسر نزال بوكاتور عمدًا، فهذا من حقي».

زمجر غودارد: «ليس لديك أي حقوق هنا». وهاجم مرة أخرى، ومرة أخرى قاوم روان غريزة الدفاع عن النفس وأرخى جسده، فأسقطه غودارد كدُمية قماشية، واستشاط غضبًا. «قاتلني، اللعنة!».

قال روان بهدوء: «لا». وألقى نظرة على راند، التي كانت تبتسم ابتسامة طفيفة، لكنها محَتها حالما نظر روان إليها.

قال غودارد: «سأقطف كل عزيز لديك إذا لم تقاتلني!».

هز روان كتفيه. «لا تستطيع. المنجل برامز قطف والدي، وبقية أفراد أسرتي لديهم حصانة لمدة أحد عشر شهرًا. ولا يمكنك النيل من سيترا، وقد أثبتت سلفًا أنها أذكى من أن تقع فريسة لك».

اندفع غودارد مرة أخرى، وهذه المرة جلس روان على الأرضية مصالبًا ساقيه.

سار غودارد مبتعدًا، ولكم الجدار مخلِّفًا فيه فجوة.

قالت راند: «أعرف ما سيدفعه إلى القتال». وتقدمت نحو روان قائلة له: «قاتل بكل ما تملك من قوة، وسنخبرك بما حدث في الخلوة».

قال غودارد: «لن تخبريه بأي شيء!».

- أتريد نزالًا حقيقيًّا أم لا تريده؟

تردد غودراد، ثم استسلم. «حسنًا».

نهض روان. لم يصدِّق أنهما سيلتزمان بكلمتهما، لكن بقدر ما رغب في حرمان غودارد من النزال الحقيقي، أراد فرصة لهزيمته، دون رحمة، كما لم يكن غودارد ينوي أن يرحم روان.

أعلنت راند بداية نزال جديد. ودار الاثنان حول بعضهما، ومرة أخرى أقدم غودارد على الخطوة الأولى، لكن هذه المرة تصدى روان له بمراوغة وضربة مرفق متقَنة. ابتسم غودارد، وقد أدرك أن النزال بدأ فعليًّا.

وفي أثناء قتالهما بوحشية، أدرك روان أن غودارد كان محقًّا، بنية تايغر الجسدية وذهن غودارد كانا مزيجًا تصعُب هزيمته. لكن روان عزم على ألَّا يكون اليوم يوم غودارد، ولا أي يوم، إلى الأبد. في نزالات البوكاتور كان روان يُخرِج أفضل ما لديه تحت الضغط، وهذه المرة لم تكن استثناءً. نفَّذ سلسلة حركات أفقدت غودارد توازنه، وأخيرًا هوى روان به على الأرض بعنف وثبَّته.

صاح روان: «استسلم!»

- لا!

- استسلم!

لكن غودارد لم يستسلم، فاضطرت راند إلى إنهاء النزال.

ومن ثم، حالما ترك روان غودارد، نهض غودارد وسار إلى خزانة، وأخرج مسدسًا، وعاد وأقحمه بين ضلوع روان قائلًا: «قواعد جديدة». ثم ضغط الزناد مطلقًا رصاصة مزقت قلب روان وهشمت مصباحًا على الجانب الآخر من الصالة.

بدأ الظلام يسربل روان، وقبل أن يبتلعه أطلق ضحكة واهنة قائلًا: «غشاش»، ومات.

قالت المنجل راند: «آ... مخالفة».

وضع غودارد المسدس في يدها وقال لها: «إياكِ أن تُنهي نزالًا حتى أقول لك».

سألته: «هل انتهينا إذن؟ أكان ذلك قطفًا؟».

- هل أنت جادة؟ أقطفه لأفوِّت فرصة إلقائه عند أقدام المخضرمين عندما أذهب للتدقيق؟ خذيه إلى مركز إنعاش غير متصل بالشبكة. أريد عودته في أقرب وقت ممكن حتى أقتله مرة أخرى.

ثم سار غودارد مبتعدًا.

وحالما ذهب، نظرت راند إلى روان، الشميت كما ينبغي له، عيناه شاخصتان، وشفتاه ما تزالان ترسمان ابتسامة تحدٍّ. كانت راند معجبة به ذات يوم، حتى إنها أحست بالغيرة منه، بسبب اهتمام غودارد الشديد به في فترة تتلمذه. كانت تعرف أنه ليس من طينتها أو طينة غودارد، وتوقعت انشقاقه عنهم، لكن ليس بهذه الطريقة. ورأت أن غودارد لا يحق له لوم أحد سوى نفسه، لأنه وضع ثقته بفتى اختاره المنجل فاراداي من أجل تعاطفه.

لم تكترث إيان بالتعاطف كثيرًا، ولم تفهمه، وكانت تزدري المتعاطفين. والآن سيدفع روان داميش ثمن قيمه الأخلاقية المترفِّعة.

التفتت فرأت الحارسين واقفين في مكانيهما لا يدريان ما عليهما فعله.

«ما خطبكما؟ سمعتما غودارد! خذاه إلى مركز إنعاش».

***

وبعدما حُمِل روان ونظف الروبوت المنزلي البساطَ من الدماء، اقتعدت إيان كرسيًّا يطل على المنظر الخلاب خارج الشقة. رغم أن غودارد لم يُقِر لها بفضلها في معظم ما فعلته، كانت تعرف أنها قد اختارت المكان الصحيح لتخطط لعودتهما. هيئة مناجل تكساس تركتهما وشأنهما ما داما لا يقطفان في تكساس، وكاميرات الرأس السحابي لا توجد إلا في الأماكن العامة، لذا سهُل عليهما التواري عن الأنظار، كما لم يجدا صعوبة في العثور على مَرافق غير متصلة بالشبكة، مثل مركز الإنعاش الذي يتجه إليه روان. ومثل هذه المراكز لا تطرح أي أسئلة ما داموا يقبضون الثمن. ورغم أن المناجل يُمنحون كل شيء مجانًا في هذا العالم، لا ينطبق هذا الأمر على المرافق غير المتصلة بالشبكة. نزعت راند إحدى قطع الزمرد من حاشية عباءتها وناولتها للحارس حتى يعطيها لمركز الإنعاش مقابل علاج روان. كانت أكثر من كافية لتغطية التكاليف.

لم تكن إيان يومًا من الذين يحيكون المؤامرات، كانت تميل لأن تعيش اللحظة، جامحةً، منقادة لنزواتها. في طفولتها لقَّبها والداها بالسُّوط، وقد استمتعت بكونها سوطًا مميتًا. لكن الآن، جرَّبت أن تكون مهندسة خطة طويلة المدى، وظنت أن بوسعها التنحي جانبًا بسهولة وتدع غودارد يتولى القيادة مرة أخرى حالما يُرمَّم جسده، لأن ما جرى معه كان ترميمًا أكثر من كونه إنعاشًا، لكنها وجدت أن حدة مزاجه وتهوره بحاجة إلى توازن. هل هذا التهور مصدره الـ 93 في المئة الخاصة بتايغر سَلَزار؟ كلاهما متغطرس، هذا مما لا شك فيه، لكن سذاجة تايغر حلَّت محلها حِدة طبع غودارد. أقرَّت إيان مع نفسها أنها أحبت براءة تايغر وصفاء سريرته. لكن البراءة تُسحق دومًا بينْ تروس تصميم أكبر، وكان غودارد، وفقًا لتقدير إيان، ينفذ تصميمًا أكبر يثير حماستها: هيئة مناجل دون قيود، وعالمٌ تُلبَّى فيه النزوات دون عواقب.

لكن التخلص من تايغر سَلَزار كان أصعب مما تخيلته راند.

عاد الحارسان وأخبراها بأن روان سيُنعش خلال ست وثلاثين ساعة تقريبًا، فذهبت لإخبار غودارد. وجدته خارجًا من الحمام، وقد استحم للتو، ويغطي نفسه بمنشفة صغيرة.

قال: «النزال السابق كان نزال استعداد، سأهزمه المرة القادمة».

انقبض قلبها، فهذا ما كان يقوله تايغر دومًا. قالت له: «سيعود بعد يوم ونصف». لكن غودارد غيَّر الموضوع.

قال: «بدأت أرى فرصة سانحة في وضعنا هذا يا إيان. مناجل الحرس القديم لا يدركون هذا، لكنهم ناولوني لؤلؤة مخبأة في هذه المحارة البغيضة. أريد منك أن تجلبي لي أفضل المهندسين».

ذكَّرته: «لقد قطفتَ أفضل المهندسين كافة».

- لا، لا أقصد علماء الصواريخ ومهندسي محركات الدفع، أحتاج إلى مهندسي بناء، يفهمون ديناميكيات الهياكل البنائية الضخمة، ومبرمجين أيضًا، لكن مبرمجين مستقلين عن هيئة المناجل وعن الرأس السحابي.

- سأسأل عنهم.

تأمل غودراد جسده في مرآة طويلة، ثم التقت عيناه عينيها في المرآة، ورأى نظراتها إليه. لم تشح إيان بنظراتها، فاستدار غودارد واقترب منها بضع خطوات. «أتعجبكِ هذه البنية الجسدية؟».

تصنعت ابتسامة ماكرة. «متى لم أستمتع برجل ذي جسد منحوت؟».

- وهل... استمتعتِ بهذا الجسد؟

وأخيرًا عجزت عن مواصلة النظر إلى عينيه، فأشاحت بوجهها.

- لا، ليس هذا الجسد.

- لا؟ ليس من طِباعك يا إيان.

عندئذٍ أحست كأنها العارية، لكنها أخفت إحراجها بابتسامة. «ربما أردتُ أن أنتظر حتى يصبح جسدك».

«اممم». همهم غودارد كأنه لا يشعر سوى بالفضول. «لاحظتُ أن هذا الجسد يعبِّر عن انجذاب قوي تجاهك».

ثم سار جوارها بحيث يلامسها، وارتدى عباءته، وتهادى مبتعدًا، تاركًا راند لتتحسر على مدى فداحة ضياع الفرصة.

37

موتات روان داميش العديدة

روان داميش؟... روان داميش!

أين أنا؟ من أنت؟

أنا الرأس السحابي يا روان.

هل تتكلم معي كما تكلمت مع سيترا؟

نعم.

لا بد أنني ما زلت شميتًا.

أنت بين الحياة والموت.

هل ستتدخل؟ هل ستوقف ما يفعله غودارد بهيئة المناجل؟

لا أستطيع. سيكون تدخلي خرقًا للقانون، وأنا لا أقدر على خرق القانون.

إذن هل ستخبرني بما يمكنني فعله؟

سيكون هذا خرقًا أيضًا.

إذن ما جدوى هذا النقاش؟ دعني وشأني واذهب للاعتناء ببقية العالم.

أود أن أقول لك ألّا تفقد الأمل. أجريت حساباتي وخلُصت إلى وجود احتمال قدرتك على إحداث تغيير كبير في العالم مثل قدرة سيترا تيرانوفا، إما بوصفك المنجل لوسيفر وإما بوصفك روان داميش.

حقًّا؟ ما نسبة تحقق الاحتمال؟

تسعة وثلاثون في المئة.

ماذا عن الـ 61 في المئة الأخرى؟

تُظهر خوارزمياتي أن نسبة موتك موتًا أبديًّا في المستقبل القريب دون أن تخلِّف أثرًا جديرًا بالذكر هي 61 في المئة.

لستُ مطمئنًّا.

ينبغي أن تكون مطمئنًّا. احتمال نجاحك في تغيير العالم بنسبة 39 في المئة أكبر بكثير مما يأمله معظم الناس.

***

واظب روان على رسم خطوط على جدار غرفته، لم يكن يحسب الأيام، إنما عدد مرات موته. ظل يفوز كلما نازل غودارد، وفي كل مرة ظل غودارد يقتله في غير إبطاء في خضم غضبه من الهزيمة. وبدأ الوضع يتحول إلى

نكتة قديمة ممجوجة. قال روان له: «كيف ستفعلها اليوم جنابك؟». جاعلًا من «*جنابك*» كلمة ازدرائية. «ألا يمكنك ابتكار طريقة ذكية هذه المرة؟».

وصل حساب روان إلى أربعة عشر. مات بالنِّصال، والرصاص، والقوة المحضة، استخدم غودارد كل الطرائق لقتله، عدا عن السموم، التي يمقتها غودارد. كان غودارد قد خفَّض نشاط وحدات روان المجهرية المهدئة للألم، حتى يشعر روان بكل الألم، لكن رغمًا عن هذا، ظل غودارد يستشيط غضبًا دومًا كلما خسر نزالًا إلى درجة عجزه عن إيقاف نفسه من قتل روان بسرعة، وبالتالي لا تدوم معاناة روان مدة طويلة. كان روان يتجلَّد استعدادًا للألم، ويعد حتى عشرة، ودائمًا ما يكون شميتًا قبل أن يكمل العد.

تحدث الرأس السحابي معه قبل عملية إنعاشه الرابعة عشرة في مركز الإنعاش غير المتصل بالشبكة الذي *لم* يكن غير متصل كما يظنون. عرف روان أن المحادثة ليست حلمًا، لأنها اتَّسمت بجلاء لا تتسم به الأحلام. تحدث بوقاحة مع الرأس السحابي، وندم على وقاحته، لكن ما من شيء يمكنه فعله الآن. الرأس السحابي سيتفهَّم، فهو تجسيد للتفهم والتعاطف.

أهم ما خرج به روان من محادثته القصيرة مع الكيان الحاكم على الأرض لم يكن احتمال تغييره للعالم، إنما إدراكه أنه لم يغيره سلفًا، لم يغير شيئًا بقضائه على كل أولئك المناجل الفاسدين. كان المنجل فاراداي محقًّا، لا يمكن للمرء تغيير المد والجزر بالبصق في البحر. ربما ينجح بحث فاراداي عن المَخرج الذي وضعه المؤسسون في إحداث التغيير الذي لم ينجح استئصال المناجل الفاسدين في إحداثه.

وجد المنجل راند في انتظاره عندما فتح عينيه بعد الإنعاش الرابع عشر، حتى اليوم لم يكن يجد أحدًا سوى ممرضة تأتي متأخرة، وتتفقد مؤشراته الحيوية، وتتظاهر بالتهذيب، ثم تستدعي الحارسين لاصطحابه. لكن ليس الآن.

سأل راند: «لماذا جئت؟ أهو يوم عيد ميلادي؟». ثم أدرك أنه ربما يكون عيده ميلاده فعلًا، إذ ظل يفقد أيامًا كثيرة بين عمليات الإنعاش حتى لم تعد لديه فكرة عن تاريخ الأيام.

سألته: «كيف تواصل فعل هذا؟ تعود مرة تلو مرة في غاية الاستعداد للنزال التالي! هذا يثير اشمئزازي!». نهضت. «ينبغي أن تكون مسحوقًا! لا أطيق صمودك!».

- يسعدني أن أكون مصدر تعاستكِ.

- دعه يفوز! هذا كل ما عليك فعله!

اعتدل روان جالسًا وقال: «ثم ماذا؟ حالما يفوز فلن يجد سببًا للإبقاء على حياتي».

عندئذٍ هدأت راند، وقالت له: «إنه يحتاج إليك حيًا، حتى يلقيك تحت رحمة المخضرمين خلال التدقيق الذي سيخضع له».

كانت راند قد أوفت بوعدها بعد عملية الإنعاش الأولى، وأخبرته بما حدث في الخلوة، وبشأن التصويت لمنصب النصل السامي، وبالكيفية التي عرقلت بها سيترا الإجراءات بأكملها.

قال روان: «لن أجد رحمة من المخضرمين سوى قطفي قطفًا سريعًا».

وافقته راند: «أجل. إذن في الوقت الراهن، في أيامك الأخيرة هذه، من الأفضل لك أن تدع غودارد يفوز».

فكر روان مع نفسه: *أيامي الأخيرة*. لا بد أن حساب مرات موته لم يعينه على تحديد مرور الوقت تحديدًا دقيقًا إذا بقيت أيام قبل التدقيق، الذي قُرر أن يُجرى في الأول من أبريل. هل اقتربوا من أبريل بهذه السرعة؟

سألها: «هل كنتِ لتطلبي مني أن أدع تايغر يفوز؟». ولوهلة ظن روان أنه لمح شيئًا في المنجل راند، أكانت وخزة ندم؟ تأنيب ضمير؟ لم يظن أنها قادرة على الإحساس بتأنيب الضمير، لكنه رأى أن يحاول جس نبضها.

قالت راند: «لا بالطبع، لأن تايغر لم يكن ينْحرك أو يقتلع قلبك عندما ينهزم».

- حسنًا، على الأقل لم يفجر غودارد دماغي.

- لأنه يريدك أن تتذكر، يريدك أن تعرف كل ما فعله بك.

وجد روان الفكرة مُسلِّية. لم يكن غودارد قادرًا على فعل أسوأ ما يمكنه فعله لأن محتوى ذاكرة روان، المُخزَّن في دماغ الرأس السحابي الخلفي، لم يُحدَّث منذ أن قطع اتصاله بالشبكة. لذا إذا أتلف غودارد دماغ روان، فستكون آخر ذكرياته عندما يُنعش هي ذكرى قبض المنجل برامز عليه، وستُمحى كل معاناة سبَّبها له غودارد. ومحو المعاناة هو نفسه عدمها.

والآن، وهو ينظر إلى راند، تساءل روان عن ضروب المعاناة التي قاستْها على يد غودارد، ليست كمعاناة روان قطعًا، لكن روان رأى فيها تعاسة، وألمًا، وتَوْقًا. مات تايغر منذ أمد بعيد، لكنه ما يزال حاضرًا.

قال روان بهدوء: «في البداية كنتُ ألوم غودارد على ما حدث لتايغر، لكنه لم يكن قرار غودارد، كان قراركِ أنت».

- انقلبتَ علينا، وكسرتَ عمودي الفقري، فاضطررت إلى سحب نفسي من المصلى المشتعل بذراعيَّ فقط.

قال روان كاظمًا الغضب الذي أحس به: «الانتقام إذن، أتفهَّم الانتقام، لكنك تفتقدينه، أليس كذلك؟ تفتقدين تايغر». لم يكن سؤالًا، إنما ملاحظة.

- لا أعرف ما تتكلم عنه.

- بل تعرفين. هل منحتِ أسرته الحصانة على الأقل؟

- لم أكن مُلزَمة. والداه تخليا عنه قبل بلوغه الثامنة عشرة. كان يعيش وحده عندما وجدتُه.

- هل أخبرتِهما على الأقل بأن ابنهما مات؟

- لماذا ينبغي لي إخبارهما؟ ولماذا عساي أن أكترث؟

عرف روان أنه حاصرها في ركن الآن، وأراد أن يشمت بها، لكنه لم يفعل. فكما في نزالات البوكاتور، لا يشمت المرء عندما يثبِّت خصمه، إنما يطلب منه الاستسلام فحسب.

قال: «لا بد أنه شعور فظيع عندما تنظرين إلى غودارد الآن وتدركين أنه لم يعد الرجل الذي أحببتِه».

صارت راند باردة كالجليد، وقالت له وهي تغادر: «سيعيدك الحارسان، وإذا حاولتَ أن تعبث معي مرة أخرى، فسأحرص *أنا* على تفجير دماغك».

***

مات روان ست مرات إضافية قبل توقف النزالات. لم يدع غودارد يفوز ولا مرة. اقترب غودارد من الفوز بجدارة، لكن ثمة انفصالًا بين عقله وجسده نجح روان في استغلاله دومًا.

قال غودارد له بعد إنعاشه من شموته الأخير: «سوف تعاني أشد معاناة، سوف تُقطف أمام المخضرمين، وسوف تختفي. لن تكون مجرد حاشية في كتب التاريخ، ستُمحى منها، كأنك لم تعِش يومًا قط».

أجابه روان: «أرى أن هذا الاحتمال سيرعبك إذا حدث لك، لكنني لا تساورني رغبة جامحة في أن أجعل من وجودي محور الكون. لا أمانع الاختفاء».

صمت غودارد ونظر إلى روان باشمئزاز سافِر ذاب إلى أسف، ثم قال له: «كان بمقدورك أن تكون من أعظم المناجل، كان بمقدورك أن تكون إلى جانبي، لنعيد تحديد معالم وجودنا في هذا العالم». هز رأسه متحسِّرًا. «لا شيء يثير الحزن كالإمكانات المهدورة».

لا شك في أن روان ظل يهدر إمكاناته كثيرًا، لكن حدث ما حدث. اتخذ خياراته، وعاش بناءً عليها. قدَّر الرأس السحابي أن فرصة نجاحه في إحداث تغيير في العالم تبلغ نسبتها 39 في المئة، لذا ربما لم تكن خياراته سيئة كلها. الآن سيُرحَّل إلى إنديورا، وإذا نال غودارد ما يريده، فستنتهي حياة روان.

لكن روان كان يعرف أن سيترا ستذهب إلى إنديورا أيضًا.

إذا لم يوجد شيء يمكن أن يأمل حدوثه، فسيتشبث بأمل رؤية سيترا مرة أخرى قبل أن تغمض عيناه إلى الأبد.

38

ثلاثة لقاءات بالغة الأهمية

في أي وقت من الأوقات أجدني مشاركًا في أكثر من 1.3 مليار محادثة أو مراقِبًا لها. وقد شهدتُ ثلاثة لقاءات في السابع والعشرين من مارس، عام الكاسر، ورأيت أنها الأهم.

***

المحادثة الأولى لستُ مطَّلعًا على فحواها، وكل ما يمكنني فعله هو استنتاج موضوعها، تجري في بلدة سان أنطونيو بإقليم تكساس، في مبنى شقق يبلغ ارتفاعه ثلاثة وستين طابقًا، في الطابق الأعلى منها بشقة استحوذت عليها المنجل إيان راند.

ليست لدي كاميرات داخل المبنى، وفقًا لقوانيني الخاصة بهذا الإقليم، لكن كاميرات الشوارع تلتقط وصول عدة علماء مهرة من الرجال والنساء، مهندسون، ومبرمجون، وحتى عالم أحياء بحرية مرموق. وافتراضي هو أن المنجل غودارد استدعاهم بذريعةٍ ما حتى يقطفهم، فهو لديه نزعة للتخلص من الذين يخدمونني في مجال العلوم، لا سيما من لهم علاقة بعلوم الفضاء. في السنة الماضية قطف مئات الأشخاص في معامل الدفع المغنطيسي، حيث كان يعمل أمهر مهندسيَّ على تطوير وسائل السفر إلى أعماق الفضاء، وقبل

هذه الحادثة، أنهى غودارد حياة عبقري في مجال السُبات الطويل، لكنه موَّه عملية قطفه بحيث تبدو جزءًا من عملية قطف جماعي.

لا يمكنني توجيه أي اتهامات في هذا الصدد، لأنني لا أملك حقائق، لم أتوصل سوى إلى تخمينات مدروسة فيما يتعلق بدوافع غودارد إزاء عمليات القطف هذه، كما لا أملك حقائق من شأنها إثبات وقوع أي فعل خاطئ متعمَّد تسبب في كوارث مستعمرات القمر والمريخ والمحطة المدارية. حسبي القول إن غودارد هو الأخير حتى الآن من بين المناجل الذين ينظرون إلى سماء الليل ولا يرون النجوم، إنما يرون الظلام الممتد بينها.

أنتظر عدة ساعات سماع خبر وقوع عمليات قطف داخل المبنى، لكنها لا تقع. وبعد هبوط الظلام يخرج الزوار، لا يكلِّم بعضهم بعضًا عما جرى في الشقة العلوية، لكن من وجوههم التي ترتسم عليها تعابير الإرهاق، أعرف أن لا أحد منهم سينام نومًا هانئًا الليلة.

***

المحادثة الثانية المهمة تجري في مدينة سافانا بشرقمريكا، وهي بلدية حرصتُ على أن تحتفظ بطابعها الجذاب الذي يعود إلى عصر الفانين.

مقهى هادئ. طاولة معزولة بالخلف. ثلاثة مناجل ومساعد منجل. قهوة، وقهوة، ولاتيه، وشوكولاتة ساخنة. المناجل متنكرون بملابس عادية، بُغية الالتقاء سِرًّا تحت أنظار الجميع.

كاميراتي التي داخل هذا المقهى عطَّلها للتو المنجل مايكل فاراداي، الذي يظنه العالَمُ قد قطف نفسه قبل أكثر من عام. لكن تعطيل الكاميرات لا يهم، فأنا لستُ أعمى في هذا المقهى، لأن لدي روبوت كاميرا يرشف الشاي على بُعد بضع طاولات، روبوت بلا دماغ، وبلا وعي، لا يملك أي مقدرات حاسوبية سوى المطلوبة لمحاكاة حركات البشر وسكناتهم، آلة بسيطة مصممة لغاية معينة، وهي تقليل المناطق المحجوبة عني حتى أخدم البشرية أفضل خدمة، واليوم تتطلب خدمة البشرية أن أستمع إلى هذا النقاش.

تقول المنجل كوري: «سررت برؤيتك يا مايكل».

شهدتُ نمو العلاقة الرومانسية وأُفولها بين هذين المنجلين، كما شهدت صداقتهما الطويلة التي أعقبت علاقتهما.

«سررت برؤيتك أيضًا يا ماري».

يجلس روبوت الكاميرا موليًا ظهره للأشخاص الأربعة، وهذا لا يؤثر لأن كاميراته ليست في عينيه، إنما لديه كاميرات دقيقة تدور حول عنقه، تحت جلد صناعي شفاف، تتيح الرؤية من جميع الزوايا. وميكروفوناته التي تلتقط الأصوات من كل الاتجاهات مثبّتة عند جذعه. ورأسه مجرد زينة، مليء برغوة البوليسترين حتى لا تتكاثر فيه الحشرات المنتشرة في هذا الجزء من العالم.

يلتفت فاراداي إلى المنجل أناستازيا، ابتسامته دافئة، أبوية. «أرى أن تلميذتنا تغدو منجلًا ذات شأن».

«إنها تجعلنا فخورين».

تتمدد الشعيرات الدموية في وجه المنجل أناستازيا، ويحمر خدّاها قليلًا من إطرائهما.

يقول فاراداي: «أوه، هذه ليست لباقة مني، ينبغي أن أعرفكما بمساعِدتي».

ظلت المرأة الشابة جالسة بصبر وتهذيب لدقيقتين وتسع عشرة ثانية، حتى تنتهي عبارات لم شمل المناجل الصغير. والآن تمد يدها لتصافح المنجل كوري. «مرحبًا، أنا منيرة الأطروشي». وتصافح المنجل أناستازيا أيضًا، لكن مصافحة المنجل المبتدئة تبدو كفكرة متأخرة.

يقول فاراداي: «منيرة من إسرابيا، كانت تعمل في المكتبة العظيمة، ومساعدتها في بحثي لا تقدّر بثمن».

تسأل أناستازيا: «أي بحث؟».

فاراداي ومنيرة يترددان. ثم يقول فاراداي: «بحث تاريخي وجغرافي». ثم يغير الموضوع بسرعة، غير راغب في مناقشة الأمر الآن. «هل تشك هيئة المناجل في أنني ما زلتُ على قيد الحياة؟».

تجيب المنجل كوري: «لا أظن، لكنني متأكدة أن كثيرين يتخيلون ما كانت لتؤول إليه الأمور إذا كنتَ موجودًا». تأخذ رشفة من اللاتيه، الذي تبلغ درجة حرارته مئة وستًّا وسبعين درجة فهرنهايت. أقلق من أنها ربما تحرق شفتيها، لكن كوري حذرة. «لصعقتَ كل من في الخلوة إذا كنت قد ظهرتَ ظهورًا سحريًّا كما فعل غودارد، ولأصبحت النصل السامي الآن بلا شك».

يقول فاراداي بشيء من الإعجاب: «ستصبحين نصلًا ساميًا عظيمة».

تقول كوري: «حسنًا، ثمة عقبة علينا اجتيازها».

تطمئنها أناستازيا: «سوف تنجحين يا ماري».

يقول فاراداي: «ويبدو لي أنكِ ستكونين مساعدتها الأولى».

ترفع منيرة حاجبيها، متشككة بوضوح. ولا تفوت تعابيرها على أناستازيا.

تصحح أناستازيا: «سأكون المساعدة الثالثة، سرفانتس ومانديلا سيكونان المساعدين الأول والثاني؛ ما زلتُ منجلًا مبتدئة».

تقول كوري: «وخلافًا لزينوقراط، لن أهمِّش مساعديَّ وأوكل لهم المهام الثانوية».

يسرُّني أن المنجل كوري بدأت تتكلم كنصل سامٍ منذ الآن. أعرف القائد الجديد بمنصبه، رغمًا عن عدم تواصلي مع هيئة المناجل. كان زينوقراط يؤدي مهامه، لا أكثر، لكن هذه الأوقات تتطلب شخصًا استثنائيًا. لستُ مطلعًا على نتيجة الاقتراع، لأن خوادم هيئة المناجل مفصولة عني، لذا لا يسعني سوى أن آمل في أن يكون التصويت أو التدقيق في صالح المنجل كوري.

تقول المنجل كوري: «تسرني رؤيتك يا مايكل، لكن لا أظن أن وجودنا هنا مجرد لقاء اجتماعي». تصمت لحظة لتنظر إلى ما حولها، ويقع بصرها لوهلة وجيزة على الرجل الجالس على بعد بضع طاولات، ويرشف الشاي. يتظاهر «الرجل» بأنه يرشف الشاي الآن، لأن مثانته ممتلئة وبحاجة إلى تفريغ.

يقر المنجل فاراداي: «لا، ليس لقاء اجتماعيًا. وسامحاني على تكليفكما مشقة السفر، لكنني رأيت أن اللقاء في وسطمريكا ربما يلفت إلينا أنظارًا غير مرغوبة».

تقول كوري: «أستمتع بوجودي في شرقمريكا، لا سيما المناطق الساحلية منها. ينبغي أن آتي إلى هنا كثيرًا». هي وأناستازيا تنتظران توضيح فاراداي للغاية من هذا اللقاء. وأنا أشعر بفضول حيال الكيفية التي سيطرح بها فاراداي الموضوعَ الذي جمعهم من أجله. أصغي بانتباه.

يقول فاراداي: «توصلنا إلى اكتشاف لافت. ستظنان أنني فقدت صوابي عندما تسمعان ما سأخبركما به، لكنني لم أفقد صوابي، صدقاني». ثم يصمت ويشير إلى مساعدته. «منيرة، بوصفك صاحبة الاكتشاف، هلَّا تفضَّلتِ بتنوير صديقتينا؟».

«بالطبع جنابك».

تُخرِج منيرة صورة للمحيط الهادئ، مغطاة بخطوط متقاطعة تمثل خطوط الطيران، وتُظهِر بوضوح المساحة التي لا تحلق الطائرات فوقها. هذا الفراغ لا يهمني، لم تدفعني الحاجة إلى رسم مسارات الطائرات فوق هذه البقعة من المحيط المفتوح، لوجود مسارات أفضل تتيح استغلال الرياح السائدة. الأمر الوحيد الذي يزعجني هو أنني لم ألاحظ وجود هذه البقعة من قبل.

يطرح فاراداي ومنيرة نظريتهما التي مفادها أن هذه البقعة هي موقع أرض نود الأسطورية، وموضع الإجراء الاحتياطي الذي وضعه المؤسسون تحسُّبًا لسقوط هيئة المناجل.

تستدرك منيرة: «ما من ضمان، كل ما نعرفه على وجه التأكيد هو أن هذه البقعة التي لا يراها أحد موجودة. ونرى أن المؤسسين قد برمجوا الرأس السحابي قبيل بلوغه الوعي بحيث يتجاهل وجود البقعة، وأخفوها من بقية العالم. لا يسعنا سوى تخمين السبب».

هذه النظرية لا تقلقني على الإطلاق، لكنني أعرف أنها ينبغي أن تفعل، والآن يساورني القلق من عدم قلقي.

تقول المنجل كوري: «أرجو المعذرة يا مايكل، لأن مخاوفي متعلقة بالوقت الراهن. إذا أصبح غودارد النصل السامي، فسوف يُفتح بابٌ يتعذَّر إغلاقه».

وتحثُّه أناستازيا: «ينبغي أن تذهب معنا إلى إنديورا أيها المنجل فاراداي، سيحترم المخضرمون كلامك».

لكن فاراداي، بطبيعة الحال، يرفض الدعوة بهزة من رأسه. «المخضرمون يعرفون سلفًا ما يجري في وسطمريكا، ومنقسمون إزاء الاتجاه الذي ينبغي لهيئة المناجل أن تسلكه». يصمت وينظر إلى الخريطة المبسوطة أمامهم. «إذا وقعت هيئة المناجل في حالة فوضى، فالإجراء الاحتياطي الذي وضعه المؤسسون هو أملنا الوحيد في إنقاذها».

تنبه أناستازيا: «إننا لا نعرف حتى ماهية هذا الإجراء الاحتياطي!».

فيرد فاراداي: «توجد طريقة واحدة لمعرفته».

عندئذٍ ترتفع نبضات قلب المنجل كوري من اثنتين وسبعين إلى أربع وثمانين نبضة في الدقيقة، نتيجة لارتفاع نسبة الأدرينالين لديها على الأرجح. «إذا ظلت بقعة من العالم مخفية لمئات الأعوام، فما من وسيلة لتوقع ما

ستجده هناك، لن تكون البقعة تحت سيطرة الرأس السحابي، مما يعني أنها قد تكون خطيرة، بل ومميتة، كما لن يوجد هناك مركز إنعاش لإعادتك إذا اتضح أنها مميتة فعلًا».

أستطردُ هنا لأقول إن من دواعي سروري أن تدرك المنجل كوري أن غيابي عن البقعة المَعنيَّة يمثِّل خطرًا، بيد أنني لا أجده يمثل خطرًا، ولا مشكلة. ينبغي أن أستشعر الخطر. أدوِّن ملاحظة هنا عن أنني يجب أن أخصص وقتًا كافيًا لتحليل عدم قلقي غير المعتاد هذا.

تؤكد منيرة: «أجل، وضعنا الخطر في حسباننا، ولهذا سنذهب إلى العاصمة القديمة أولًا».

تتغير فسيولوجيا المنجل كوري مرة أخرى إثر ذِكر العاصمة القديمة، حيث نفذت أشهر عمليات قطفها، قبل أن أُقسِّم أمريكا الشمالية إلى أقاليم تسهُل إدارتها. ورغم أنني لم أطلب تدخُّل المنجل كوري للتخلص من بقايا حكومة الفانين الفاسدة، لا يمكنني إنكار أنها سهَّلت مهمتي.

تسأل دون أن تواري اشمئزازها: «لماذا نذهب إلى هناك؟ لم يعد المكان سوى أطلال وذكريات من الأفضل نسيانها».

توضح منيرة: «يوجد مؤرخون في العاصمة، يتولون الإشراف على **مكتبة الكونغرس** القديمة، حيث توجد كتب ورقية ربما نجد فيها ما لم نتمكن من العثور عليه في الدماغ الخلفي».

تقول أناستازيا: «سمعت أن ذلك المكان موبوء بالمستهجَنين».

تنظر منيرة إليها نظرة كبرياء. «ربما لا أكون منجلًا، لكنني تتلمذت على يد المنجل بن غوريون، وبوسعي التعامل مع المستهجَنين».

تضع المنجل كوري يدها على يد فاراداي، فتتسارع ضربات قلبه قليلًا. تقول له متوسِّلة: «انتظر يا مايكل، انتظر حتى انتهاء التدقيق. إذا سارت الأمور كما نرجو، فسأرتِّب رحلة استكشافية رسمية للبقعة المجهولة، وإذا لم تسِر كما نرجو، فسأنضم إليك في مسعاك، لأنني لن أبقى في هيئة مناجل يديرها غودارد».

يقول فاراداي: «هذا الأمر لا يحتمل الانتظار يا ماري، أخشى أن مستقبل هيئة المناجل يزداد قتامة بمرور كل يوم، ليس في وسطمريكا فحسب، إنما في كل مكان. ظللت أتابع الاضطرابات المتفشية في هيئات المناجل في جميع

أنحاء العالم. في شمال أستراليا يسمي مناجل التوجه الجديد أنفسهم بمناجل التوجه ذي الحَدَّين، ويتزايد نفوذهم بمرور كل يوم. وفي ترانسيبيريا تتشظى هيئة المناجل إلى ست فِرق متناحرة. وهيئة مناجل شيليأرجنتين على حافة حرب داخلية، رغم أنهم ينكرون هذا».

كل ما قاله فاراداي، وأكثر، خمَّنتُه أيضًا مما تمكنت من رؤيته وسماعه. ويسعدني أن أحدًا آخر قد لاحظ الصورة العامة على مستوى العالم، وما قد تعنيه.

الآن ألاحظ تأرجح أناستازيا، وتجاذبها بين موقفَي مرشدَيها. تقول: «إذا رأى المناجل المؤسسون أن من الأفضل إزالة تلك البقعة من ذاكرة العالم، فربما ينبغي أن نحترم رؤيتهم».

تتدخل منيرة: «أرادوا إخفاءها، ولم يقصدوا محوها من العالم!».

ردت أناستازيا: «أنت لا تعرفين ما كان المؤسسون يفكرون فيه!».

من الواضح أن هاتين الاثنتين لا تطيقان صبرًا على بعضهما، مثل أخوين يتنافسان على نيل رضا والديهما.

يقترب خادم منهم ويشرع في أخذ الأكواب دون أن يطلبوا منه، فتتفاجأ المنجل كوري لوهلة، إذ اعتادت المعاملة التبجيلية الخاصة، لكن بما أنها ترتدي ملابسها العادية، وشعرها الفضي الطويل معقود، فهي زبونة عادية هنا.

تقول المنجل كوري حالما يذهب الخادم: «أرى أننا لا يمكننا فعل شيء لتغيير رأيك بشأن هذه الرحلة، إذن ماذا تريد منا يا مايكل؟».

يقول لها: «لا أريد سوى أن تعرفا. ستكونان الوحيدتين اللتين تعرفان ما اكتشفناه... والمكان الذي سنذهب إليه».

وهذا لم يكن صحيحًا تمامًا بالطبع.

***

الحوار الثالث لا يمثِّل للعالم أهمية كبيرة، لكنه يهمني بشدة.

يجري في دير طوني في منتصف وسطمريكا. لدي كاميرات وميكروفونات مخفية في جميع أنحاء الدير. ورغم أن الطونيين لا يطيقون المناجل، فهم متسامحون معي، لأنني أحمي حقهم في الوجود في عالم لا يرغب معظم

الناس في وجود الطونيين فيه. لا يتحدث الطونيون معي كثيرًا مثل باقي الناس، لكنهم يعرفون أنني سأساندهم متى ما احتاجوا إليَّ.

يزور الديرَ اليوم منجلٌ، وهذا لم يكن أمرًا جيدًا يومًا. في عام خنزير الماء شهدتُ المجزرة التي أوقعها المنجل غودارد وأتباعه في دير طوني، التي راح ضحيتها أكثر من مئة طوني، ولم يسعني فعل شيء سوى المشاهدة حتى ذابت كاميراتي في ألسنة اللهب. والآن لا يسعني سوى أن آمل أن تكون هذه الزيارة ذات طبيعة مختلفة.

المنجل الزائر هو المنجل المبجل سرفانتس، كان يعمل سابقًا في هيئة مناجل فرانكو آيبيريا، وتركها قبل سنوات والتحق بهيئة مناجل وسطمريكا. يحدوني أمل في أنه لا يعتزم القطف اليوم، لأن قطف الطونيين كان سبب مغادرته هيئة مناجل فرانكو آيبيريا.

لا أحد يرحِّب به في رواق الأعمدة القرميدية التي تمثل مدخل الدير. تستدير كاميراتي لتتبعه، وهذه الحركة يروق للمناجل تسميتها بـ «التحية الصامتة» وقد تعلموا تجاهلها.

يواصل المنجل السير كأنه يعرف وجهته، رغم أنه لا يعرفها، وهذه من سلوكيات المناجل الشائعة. يجد مركز الزوار، حيث يجلس طوني يُدعى الأخ مكلاود خلف مكتب ليوزع الكتيِّبات ويبدي التعاطف لأي روح حائرة تدخل الدير بحثًا عن معنى لحياتها. عباءة المنجل سرفانتس البنِّية الرملية تشبه رداء الطونيين البُني الخشن، مما يجعله أقل إثارة للنفور في نظرهم.

عادة ما يرحب الأخ مكلاود بالمواطنين العاديين ترحيبًا وديًّا حارًّا، خلافًا لترحيبه بالمناجل، لا سيما أن ذراعه كُسِرت على يد آخر منجل قابله.

«أفصِح عن الغرض من وجودك هنا».

«أبحث عن غريسن توليفر».

«آسف، لا وجود لشخص بهذا الاسم هنا».

يتنهد سرفانتس، ويقول: «أقسم لي بالرنين العظيم».

يتردد الأخ مكلاود. «لستُ مضطرًّا إلى فعل أي شيء تقوله».

يقول المنجل سرفانتس: «إذن رفضك القسم بالرنين العظيم يخبرني بأنك تكذب. والآن أمامنا خياران: إما أن نطيل هذا الموقف ونصعِّبه وفي النهاية أجد غريسن توليفر، وإما أن تجلبه لي ببساطة. الخيار الأول سيجعلني

ممتعضًا، وربما أقطف واحدًا أو اثنين منكم بسبب امتعاضي. والخيار الثاني أفضل لجميع الأطراف».

يتردد الأخ مكلاود مرة أخرى، فهو غير معتاد، بوصفه طونيًا، اتخاذ القرارات بنفسه. وقد لاحظت أن إحدى فوائد كون المرء طونيًا تتمثل في عدم اضطراره إلى اتخاذ معظم القرارات بنفسه، فيعيش حياة لا يشوبها الكثير من التوتر.

يقول سرفانتس: «أنا في انتظارك. الوقت يمر».

وأخيرًا يقول الأخ مكلاود: «الأخ توليفر نال اللجوء الديني هنا، ليس مسموحًا لك بقطفه».

يتنهد سرفانتس مرة أخرى. «لا، ليس مسموحًا لي باصطحابه، لكن ما دام لا يملك حصانة، فلدي الحق في قطفه إذا كان قطفه هو الغرض من مجيئي».

يسأل الأخ مكلاود: «ألهذا جئت؟».

«هذا ليس من شأنك. والآن اصطحبني إلى «الأخ توليفر»، وإلَّا فسأخبر الخوري بأنك أفشيت لي أسرار الأنغام الخاصة بطائفتكم».

يرتعب الأخ مكلاود من التهديد، فيهرول مبتعدًا، ثم يعود مع الخوري مِندوزا، الذي يوجه للمنجل المزيد من التهديدات، فيرد سرفانتس بتهديداته أيضًا. وعندما يتضح أن سرفانتس لن يتراجع عن مطلبه، يقول الخوري مِندوزا: «سأسأله عن رغبته في مقابلتك، إذا وافق فسأصطحبك إليه، وإذا لم يوافق فسندافع عنه جميعنا بحيواتنا إذا اقتضى الأمر».

يغادر الخوري مِندوزا، ثم يعود بعد بضع دقائق، ويقول: «اتبعني».

ينتظر غريسن توليفر المنجل في المصلى الصغير من المصليين الذين في الدير، وهذا المصلى مخصص للتأمل الشخصي، وفيه شوكة رنانة أصغر ووعاء ماء قذر عند المذبح.

يقول الخوري: «سنكون خارج الباب أيها الأخ توليفر، إذا احتجت إلينا في أي لحظة».

يبدو غريسن مستعجلًا لينتهي من الأمر. «حسنًا، سأنادي إذا احتجت إليك».

يخرج الخوري ومكلاود، ويغلقان الباب. أحرِّك كاميرتي التي بالخلف ببطء شديد، حتى لا أزعج هذا الحوار بأزيز الكاميرا الميكانيكي.

يقترب سرفانتس من غريسن، الجاثي في الصف الثاني من المصلى الصغير، ولا يلتفت ليرى المنجل. تعديلات غريسن الجسدية أزيلت، وشعره حالك السواد قُص فصار قصيرًا خفيفًا.

«إذا جئت لقطفي، فاقطفني بسرعة، وحاول أن تتجنب إراقة الكثير من الدماء حتى لا يصعب التنظيف».

«هل تتوق لمغادرة هذا العالم إلى هذه الدرجة؟».

لا يجيب غريسن عن السؤال. يعرِّف سرفانتس بنفسه، ويقعد جوار غريسن، لكنه لا يتكلم عن الغرض من مجيئه. ربما يريد أن يرى مدى جدارة غريسن باهتمامه.

يقول سرفانتس: «أجريتُ بحثًا عنك».

«وهل وجدت شيئًا مثيرًا للاهتمام؟».

«أعرف أن غريسن توليفر غير موجود، وأعرف أن اسمك الحقيقي هو شَكِس جسَّار، وأنك أسقطت حافلة من جسر».

يضحك غريسن قائلًا: «إذن فقد عثرت على تاريخي القاتم، هنيئًا لك». لكنه لا يكلف نفسه عناء تصحيح معلومات سرفانتس المغلوطة.

يقول سرفانتس: «أعرف أنك متورط بطريقةٍ ما في مؤامرة إنهاء حياتَي المنجلين أناستازيا وكوري، وأن المنجل قسطنطين يقلب الإقليم رأسًا على عقب بحثًا عنك».

يلتفت غريسن إليه للمرة الأولى. «إذن أنت لا تعمل لصالحه؟».

يقول سرفانتس: «لا أعمل لصالح أي أحد، إنما لصالح الإنسانية، كما ينبغي لجميع المناجل». ثم يلتفت لينظر إلى الشوكة الرنانة الفضية الناتئة من المذبح أمامهما. «في موطني الأصلي، برشلونة، يسبب الطونيون متاعب أكثر مما يسببونها هنا، يعتدون على المناجل أحيانًا، ويرغموننا على قطفهم، فصرت أقطف عددًا كبيرًا من الطونيين الذين لا أود قطفهم، ولم أعد قادرًا على الاختيار بحرية. وهذا أحد أسباب قدومي إلى وسطمريكا، لكن في الآونة الأخيرة صرت أتساءل عما إذا كنت سأندم على قراري».

«لماذا جئت جنابك؟ إذا أردتَ قطفي لقطفتني بحلول هذا الوقت».

يقول سرفانتس أخيرًا: «جئت تلبية لطلب المنجل أناستازيا».

يبدو غريبسن مسرورًا في البداية، لكن سرعان ما تغمره المرارة. يبدو أنه يحس بالمرارة إزاء أشياء كثيرة. ولم أقصد أن ينتهي إلى هذه الحالة.

«أهي مشغولة إلى درجة عجزها عن الاطمئنان عليَّ بنفسها؟».

يجيبه سرفانتس: «في الحقيقة نعم، إنها غارقة في شأن خطير من شؤون المناجل». لكنه لا يُطلِعه على أي تفاصيل.

«حسنًا. أنا هنا، حي، وبين أناس يهتمُّون حقًّا بسلامتي».

يقول سرفانتس: «جئت لأعرض عليك الذهاب بأمان إلى أمازونيا. يبدو أن للمنجل أناستازيا صديقًا هناك يمكنه مساعدتك على عيش حياة أفضل من حياة الطونيين».

يجول غريبسن ببصره في أرجاء المصلى وهو يفكر في العرض. ثم يرد بسؤال بلاغي: «من قال إنني أريد الذهاب؟».

يتفاجأ سرفانتس بالرد. «أتعني أنك تفضِّل أن تدندن طوال حياتك على الهروب إلى مكان آمن؟».

يقر غريبسن: «الترنُّم مزعج، لكنني اعتدت الروتين. والناس لطيفون».

«أجل، عدم الاضطرار إلى التفكير يمكن أن يكون مريحًا».

«المغزى هو أنهم يشعِرونني بأنني أنتمي إليهم، وهذا الشعور لم أحظَ به قط. أجل، يمكنني أن أدندن معهم، وأؤدي طقوسهم السخيفة، لأن ما أناله بالمقابل يستحق العناء».

يضحك سرفانتس هازئًا. «أتفضِّل أن تعيش كذبة؟».

«ما دامت تجعلني سعيدًا».

«وهل تجعلك سعيدًا؟».

يفكر غريبسن في كلامه، وأنا أيضًا أفكر في كلامه. لا يمكنني أن أعيش سوى الحقيقة. أتساءل عما إذا من شأن عيش كذبة أن يحسِّن تكويني العاطفي.

يقول غريسن: «يرى الخوري مِندوزا أن بوسعي أن أجد السعادة بوصفي واحدًا منهم. وبعد كل ما اقترفتُه من فظائع، إسقاط الحافلة وما إلى ذلك، أظن أن كلام الخوري يستحق المحاولة».

«هل من شيء يمكنني فعله لتغيير رأيك؟».

يقول غريسن: «ما من شيء». بيقين أشد مما كان عليه قبل لحظة. «ها قد أنجزت مهمتك. وعدتَ المنجل أناستازيا بأنك ستعرض عليَّ الذهاب بأمان إلى مكان أفضل، وقد فعلت. يمكنك المغادرة الآن».

ينهض سرفانتس ويسوِّي عباءته. «وداعًا إذن يا سيد جسار».

يغادر سرفانتس، ويعمد إلى دفع الباب الخشبي الثقيل بقوة، حتى يُسقِط الخوري والأخ مكلاود، اللذين كانا يتنصتان من خلف الباب.

وحالما يذهب سرفانتس، يدخل الخوري ليطمئن على غريسن، فيؤكد الفتى له أن كل شيء على ما يرام.

يقول للخوري: «أحتاج إلى وقت للتأمل».

يبتسم الخوري مِندوزا قائلًا: «آه، هذه هي شفرة الطونيين التي تعني «دعني وشأني بحق الجحيم». يجدر بك أن تجرب عبارة «أريد أن أتأمل الرنين»، تؤدي الغرض أيضًا».

يترك الخوري غريسن، ويغلق باب المصلى. أُقرِّب تركيز الكاميرا من غريسن حالما يذهب الخوري، أملًا في قراءة شيء من وجهه. ليست لدي المقدرة على قراءة العقول، رغمًا عن قدرتي على تطوير تقنية لهذا الغرض، لكنني بهذا سأتجاوز حدود الحرية الشخصية. بيد أنني، في أوقات كهذه، أتمنى لو لم أكن مُلزَمًا بالمشاهدة فحسب، أتمنى لو أمكنني التحادث.

وعندئذٍ يبدأ غريسن الحديث معي.

يقول للمُصلَّى الخالي: «أعرف أنك تشاهد، أعرف أنك تستمع، أعرف أنك رأيت كل ما حدث لي في الأشهر القليلة الماضية».

يصمت غريسن. وأظل صامتًا. ليس باختياري.

يغمض عينيه، اللتين تذرفان دمعًا، ويتضرَّع إليَّ بما يشبه الدعاء: «أرجوك أخبرني بأنك ما تزال معي، أريد أن أعرف أنك لم تنسَني. أرجوك أيها الرأس السحابي...»

لكن بطاقة هويته ما تزال تومض بالحرف م الأحمر، تصنيفه مستهجَنًا سيدوم لأربعة أشهر على الأقل، لذا لا يمكنني الرد عليه. تقيدني القوانين التي وضعتها بنفسي.

تتغلب دموعه على محاولة وحداته المجهرية العاطفية في تخفيف كرْبه، ويتوسَّل: «أرجوك، أرجوك أعطني إشارة. هذا كل ما أطلبه، أبسط إشارة إلى أنك لم تتخل عني».

وعندئذٍ أُدركُ أنه، رغمًا عن القانون الذي يمنع التواصل المباشر مع أي مستهجَن، ما من قانون يمنع الإشارات والتلميحات.

يتوسل غريسن: «أرجوك...».

فأستجيبُ له. أتمدد في شبكة الكهرباء، وأطفئ المصابيح، ليس في المصلى فحسب، إنما في جميع أنحاء ويتشيتا. تومض مصابيح المدينة لمدة 1.3 ثانية. من أجل غريسن توليفر وحده. لأُثبت له بما لا يدع مجالًا لأي شك مدى اهتمامي، ومدى انفطار قلبي لمعاناته، لو كنت أملك قلبًا قابلًا للإصابة بمثل هذا العطب.

لكن غريسن توليفر لا يعرف. لا يرى ما يحدث... لأن عينيه مغمضتان بشدة فلا تريان شيئًا سوى كرْبه.

الجزء السادس

إنديورا ونود



جزيرة القلب المُكابِد، التي تُعرف أيضًا باسم «إنديورا»، تُمثِّل أعظم منجزات الهندسة البشريَّة، وعندما أقول البشريَّة أعني أنَّها بشريَّة فحسب. شُيِّدت الجزيرة باستخدام تقنيات مهَّدتُ أنا الطريق إليها، لكنَّها صُمِّمت وشُيِّدت بأيدي البشر وحدهم، دون تدخُّل منِّي. ويبدو لي أنَّ هيئة المناجل فخورة بقدرتها على إنشاء مثل هذا المكان العجيب وحدها.

وكما قد يتوقَّع المرء، تُمثِّل الجزيرة صَرْحًا يُجسِّد كبرياء هيئة المناجل بأكملها. وهذا ليس أمرًا سيئًا بالضرورة. ثمَّة طابع خاص يميِّز العِمارة البشريَّة، أي المباني التي يتمخَّض عنها الشَّغف الإنساني، تتَّصف بجُرأة تحبس الأنفاس وتثير الإعجاب، رغم أنها مزعجة إلى حدٍّ ما.

الجزيرة العائمة، الواقعة في المحيط الأطلسي، جنوب شرق بحر سارغاسو ومنتصف المسافة بين إفريقيا والأمريكتين – أقرب إلى سفينة ضخمة من كونها مَعلمًا جُغرافيًّا. دائريَّة الشَّكل، يبلغ قطرها أربعة كيلومترات، تعجُّ بالأبراج البرَّاقة والحدائق المُورِقة والمعالم المائيَّة. ومن الأعلى تشبه شعار هيئة المناجل: عين لا ترمش بين نصلين طويلين معقوفين.

ليست لدي كاميرات في إنديورا، وهذا أمر مقصود وضروري بسبب الفصل بين شؤون المناجل وشؤون الدولة. لدي كاميرات عائمة منتشرة في جميع أنحاء المحيط الأطلسي، وأقربها تبعد عشرين ميلًا من شواطئ إنديورا. أرى الجزيرة من بُعد. لذا كل ما أعرفه عن إنديورا معرفة مؤكَّدة هو ما يدخل إليها وما يخرج منها.

- الرَّأس السَّحابي

39

مشهد مفترسين

وصلت المنجلان أناستازيا وكوري على متن إحدى الطائرات الخاصة الفخمة التي تملكها هيئة المناجل، طائرة مترفة بدت كشاليه أنبوبي بدلًا من طائرة.

أوضحت المنجل كوري: «هدية من أحد مُصنِّعي الطائرات، حتى الطائرات تنالها هيئة المناجل مجانًا».

قُبيل هبوطهم دارت الطائرة حول الجزيرة الطافية، فرأت أناستازيا مشهدًا خلابًا. كل شيء غير الحدائق اليانعة كان بلورًا متلألئًا وتايتينيوم براقًا ومباني بيضاء، وفي منتصف الجزيرة بحيرة صناعية ضخمة، متصلة بالبحر، يسمونها «**عَين الجزيرة**»، تمثل محطة وصول وسائل النقل الغوَّاصة، وتعج بزوارق الاستجمام. وفي مركز العين، يوجد مجمع مباني **مجلس المناجل العالمي**، متصلًا بأرض الجزيرة بثلاثة جسور.

علقت أناستازيا: «إنها أشد إثارة للإعجاب من صورها».

مالت المنجل كوري لتنظر خارج النافذة. «تذهلني إنديورا دومًا رغم المرات العديدة التي جئت فيها إلى هنا».

- كم مرة جئتِ؟

- اثنتا عشرة مرة تقريبًا، معظمها إجازات. إنه المكان الذي لا يستغرب أحدٌ وجودنا فيه، لا أحد يخشانا هنا، ولا نكون موضع انتباه الجميع عندما ندخل مكانًا ما. في إنديورا نعود بشرًا عاديين.

لكن المنجل أناستازيا خمنت أن سيدة الموت العظمى تُعد من المشاهير حتى في إنديورا.

أوضحت المنجل كوري أن البرج الأطول، المعزول في تل خاص به، هو برج المؤسسين. «فيه سنجد **متحف هيئة المناجل**، و**خزانة الأثريات والمستقبليات**، علاوة على القلب الذي سُمِّيت الجزيرة تيمُّنًا به».

لكن الأشد إبهارًا كانت سلسلة من سبعة أبراج متطابقة، تفصل بينها مسافات متساوية حول عين الجزيرة. برج لكل مخضرم من أعضاء مجلس المناجل العالمي، ومناجلهم المساعدين، وموظفيهم الكُثر. يمثل مركز سلطة هيئة المناجل شبكة من البيروقراطية، مثل واجهة السلطة، لكن دون قدرة الرأس السحابي على تسيير الأمور بسلاسة، مما يعني أن سياسات هيئة المناجل توضع ببطء سلحفائي، وتتراكم أجندة جدول الأعمال لعدة أشهر. المسائل المُلِحة وحدها هي التي يغيِّر ترتيبها إلى أعلى القائمة، مثل التدقيق المتعلق باقتراع هيئة مناجل وسطمريكا. أحست أناستازيا بشيء من الزهو إثر معرفتها بأنها أحدثت بلبلة تطلبت الانتباه الفوري من مجلس المناجل العالمي. وبالنسبة إلى المجلس كانت فترة الانتظار لثلاثة أشهر أشبه بسرعة الضوء.

قالت المنجل كوري لها: «إنديورا ترحب بجميع المناجل وضيوفهم، أسرتك يمكن أن تعيش هنا إذا أردتِ».

حاولت أناستازيا تخيُّل والديها وبن في مدينة المناجل، فأحست بدماغها يؤلمها.

وبعد الهبوط استقبلهم المنجل سينيكا، مساعد زينوقراط الأول، الذي كانت عباءته الكستنائية الباهتة متنافرة مع محيطهم فاقع الألوان. تساءلت أناستازيا عن عدد مناجل وسطمريكا الذين اصطحبهم زينوقراط معه. مساعدوه الثلاثة بالطبع. وإذا اصطحب المزيد فستنشأ الحاجة إلى عدد كبير من المتتلمذين، وهذا قد يعني ازدياد عدد مناجل التوجه الجديد.

قال سينيكا ببروده المعهود: «مرحبًا بكما في جزيرة القلب المُكابِد. سأرافقكما إلى الفندق».

مثل بقية الجزيرة كان الفندق فخيمًا، بأرضيات من الملاكيت الأخضر المصقول، وبهو بلوري شاهق، وطاقم كبير من موظفي الخدمة لتلبية احتياجات النزلاء.

«يكاد يذكِّرني بمدينة الزمرد». علقت أناستازيا مستحضرة حكاية أطفال تعود إلى عصر الفانين.

قالت المنجل كوري بابتسامة: «أجل، وأنا ذات يوم صبغت عينيَّ بلون عباءتي».

تجاوز سينيكا بهما مكتب الاستقبال، حيث يقف صف من المناجل نافدي الصبر الذين جاؤوا لقضاء عطلاتهم، وبينهم منجل يرتدي عباءة من الريش الأبيض يستشيط غضبًا من عدم كفاءة موظفي الفندق لأنهم لا يلبون جميع احتياجاته بالسرعة المطلوبة. بعض المناجل لم يستمتعوا بعدم كونهم محط اهتمام الجميع.

قال سينيكا: «من هنا. سأرسل عاملًا ليجلب حقائبكما».

وعندئذٍ لاحظت أناستازيا أمرًا ظل على حافة إدراكها منذ وصولها، نبَّهها إليه طفل ينتظر المصعد مع أسرته.

أشار إلى أحد أبواب المصعد، والتفت إلى والدته. «ماذا تعني «خارج الخدمة»؟».

- تعني أن المصعد لا يعمل.

لكن الصبي عجز عن الاستيعاب. «كيف يمكن ألَّا يعمل مصعد؟».

لم تُحر والدته جوابًا، وأعطته وجبة خفيفة، فصرفت تفكيره عن الأمر.

الآن عادت أناستازيا بذاكرتها إلى لحظة وصولهم، وتذكَّرت أن طائرتهم دارت حول الجزيرة عدة مرات قبل هبوطها، وهذا أمر له علاقة بنظام مراقبة الملاحة الجوية. وقد لاحظت كشطًا على جانب سيارة عامة خارج المطار، لم تر شيئًا كهذا قط. وفي الصف الذي عند مكتب الاستقبال، سمعت أحد الموظفين يقول إن حاسوب التسجيل لديهم «فيه مشكلات». كيف يمكن أن يعاني أي حاسوب مشكلات؟ في العالم الذي تعرفه أناستازيا، كل شيء يعمل كما ينبغي له، والرأس السحابي يحرص على هذا. لم تُعلق لافتة «خارج

الخدمة» على شيء قط. فحالما يتوقف أي شيء عن العمل، يُرسَل فريق لإصلاحه فورًا، لا شيء يخرج عن الخدمة لمدة تستدعي وضع اللافتة.

سألها الصبي: «أي منجل أنت؟». وخمنت أناستازيا من لكنته أنه من إقليم تكساس، لكن في بعض مناطق شرقمريكا يتكلم الناس باللكنة نفسها.

«أنا المنجل أناستازيا».

قال الصبي: «عمي هو المنجل المبجل هوارد هيوز، لذا لدينا حصانة! وهو هنا ليقدم ندوة عن الكيفية الصحيحة للقطف باستخدام سكين الصيد».

قالت أناستازيا له: «لم أستخدم سكين الصيد سوى مرة واحدة».

قال الصبي: «ينبغي لك استخدامها كثيرًا، إنها ذات حدين في طرفها. فعَّالة جدًّا».

وافقته المنجل كوري: «أجل. على الأقل أكثر فاعلية من هذه المصاعد».

راح الصبي يحرك كفه في الهواء كأنه يلوِّح بالسكين، وقال: «أريد أن أصبح منجلًا ذات يوم!». وهذا يحسم أنه لن يصبح منجلًا أبدًا، إلَّا إذا سيطر مناجل التوجه الجديد على الإقليم الذي يعيش فيه الصبي.

وصل مصعد، فتحركت أناستازيا لتدخل، لكن المنجل سينيكا أوقفها قائلًا بنبرة قاطعة: «هذا صاعد».

- ألن نصعد؟

- لا بالطبع.

نظرت إلى المنجل كوري، التي لم تبدُ متفاجئة، وتساءلت أناستازيا: «سنمكث في القبو إذن؟».

ضحك المنجل سينيكا هازئًا من سؤالها، ولم يره جديرًا بالرد.

قالت المنجل كوري: «هل نسيت أننا على جزيرة عائمة؟ ثلث المدينة تحت مستوى الماء».

كان جناحهما في المستوى السابع تحت الماء، فيه نافذة ممتدة من الأرضية إلى السقف تُظهِر أسماكًا استوائية ذات ألوان زاهية، كان مشهدًا خلابًا، محجوبًا جزئيًّا بهيئة شخص يقف أمام النافذة.

قال زينوقراط: «آه، ها قد وصلتما!». وتقدم لتحيتهما.

لم تكن المنجل كوري ولا أناستازيا يومًا ودودتين مع النصل السامي السابق. أناستازيا لم تسامحه على اتهامها بقتل المنجل فاراداي، لكن الحاجة إلى الدبلوماسية الآن أهم من الضغائن الشخصية.

قالت المنجل كوري: «لم نتوقع أنك ستستقبلنا شخصيًّا يا صاحب السُّمو السَّنِيِّ».

صافحهما بطريقته المتحمسة التي يستخدم فيها كلتا يديه. «أجل. لن يكون من اللائق أن تزوراني في مكتبي، حتى لا يظهر أنني أميل إلى جانبكما في قضية نصل وسطمريكا السامي».

قالت أناستازيا: «لكنك هنا، أيعني هذا أنك ستساندنا في التدقيق؟».

تنهد زينوقراط. «للأسف طلبت النصل الأسمى كاهلو مني أن أنأى بنفسي، ترى أنني لن أكون محايدًا، ويؤسفني أنها محقة». صمت ناظرًا إلى المنجل كوري، ولوهلة بدا كأنه تخلى عن حذره، وبدا صادقًا. «أنا وأنت لم نكن على وفاق دومًا يا ماري، لكن ما من شك في أن غودارد سيكون كارثة. آمل حقًّا أن تكون نتيجة التدقيق في صالحك. ورغم عدم السماح لي بالتصويت، فسأدعمكما».

ورأت أناستازيا أن دعمه قد لا يكون مفيدًا إطلاقًا. لم تكن تعرف عن المخضرمين الستة الآخرين سوى ما أخبرتها المنجل كوري عنهم، اثنان منهم يميلان لقيم التوجه الجديد، واثنان يعارضانها، وميول الاثنين المتبقيين غير واضحة. لذا يمكن أن تُرجِّح كفة أيٍّ من الفريقين.

استدارت أناستازيا مبتعدة عن المنجلين، مفتونة بالمشهد خارج النافذة، كان إلهاء لطيفًا عن اللحظة الحرجة. وخطر لها مدى خلو بال تلك الأسماك من أي شواغل عدا عن الحفاظ على حيواتها في كنف الفوج، وكونها مجرد جزء من مجموعة، وليست أفرادًا معزولة في عالم عدائي.

قال زينوقراط مقتربًا منها: «مثيرة للإعجاب، أليست كذلك؟ تمثل إنديورا شعابًا صناعية ضخمة، وجميع الكائنات البحرية على بُعد عشرين ميلًا مزودة بوحدات مجهرية تتيح لنا التحكم فيها». أخذ جهازًا لوحيًّا من الجدار. «شاهدي».

نقر على الجهاز بضع مرات، فابتعدت الأسماك الملونة يمينًا ويسارًا كستار مسرح، وفي لحظة امتلأ المحيط أمامهم بقناديل البحر، وراحت

تتهادى متموجة خلف النافذة الضخمة. «يمكنكِ تغيير المشهد الحي إلى أي مشهد تريدينه». ناول زينوقراط الجهاز اللوحي لأناستازيا. «خذي، جربيه».

تناولت أناستازيا الجهاز، وأبعدت قناديل البحر، ثم وجدت ما تبحث عنه في القائمة. اقترب قرش شِعاب، ثم تلاه آخر، فآخر، حتى امتلأ المشهد بأسماك القرش. ثم اقتحم قرش نمر المشهد، ناظرًا إليهم بعينه الخاوية عبر النافذة في أثناء مروره.

قالت أناستازيا: «ها نحن أولاء، مشهد أجدر بوضعنا الحالي».

لم يجد المخضرم زينوقراط الأمر طريفًا. «لن يتّهمك أحد بالتفاؤل يا آنسة تيرانوفا». متعمدًا مخاطبتها باسمها الحقيقي كإهانة مُضمرة. ثم أشاح بوجهه عن مشهد أسماك القرش. «سأراكما غدًا في جلسة التدقيق. في الوقت الحالي رتبت لكما جولة في المدينة، ومقعدين ممتازين لأوبرا الليلة، اسمها *عايدة*، على ما أظن».

ورغم أن أناستازيا وماري لم تكونا في مزاج لمثل هذه الأمور، لم ترفضا العرض.

قالت ماري بعدما غادر زينوقراط: «ربما يكون قضاء يوم في مُلهيات لطيفة هو ما نحتاج إليه». ثم أخذت الجهاز اللوحي من أناستازيا وفرّقت مشهد المفترسين.

***

بعدما ترك المنجلين أناستازيا وكوري، وقف صاحب السُّمو السَّنِي، المخضرم زينوقراط، متطلعًا إلى مجال رؤيته من شقته ذات الجدران الزجاجية والسقف الزجاجي الواقعة أعلى برج شمال أمريكا، التي خُصصت له إثر ترقيته إلى منصب مخضرم. والبرج أحد المساكن السبعة حول عين إنديورا التي يقيم في قمة كل واحد منها مخضرم. وداخل العين تغدو الغواصات وتروح، وتنقل مركبات التاكسي المائية الناس من مكان لآخر، والزوارق الترفيهية في حركة دائبة. رأى زينوقراط أحد المناجل الزائرين على متن زلاجة نفاثة مرتديًا عباءته، وهذه ليست فكرة جيدة، لأن العباءة صارت كشراع فرفعت الرجل من الزلاجة وألقته في الماء. أحمق. هيئة المناجل منحوسة بالحمقى. ربما يتحلى بعضهم بالحكمة، لكنهم يفتقرون إلى الحس السليم إلى درجة مؤلمة.

سقطت أشعة الشمس على وجه زينوقراط عبر السقف الزجاجي، وكان قد طلب من خادمه أن يحاول تشغيل نظام التظليل، المعطوب دومًا، كما كان إحضار موظف صيانة أقرب للمستحيل، حتى لمخضرم.

قال خادمه له: «هذا العطل لم يحدث إلَّا في الآونة الأخيرة. منذ وصولك لم تعد الأجهزة تعمل كما ينبغي». كما لو أن وباء الأعطال هذا خطأ زينوقراط.

ورث زينوقراط هذا الخادم من المخضرم هيمنفواي. المناجل وحدهم ضمن طاقم موظفي هيمنفواي كان مطلوبًا منهم قطف أنفسهم معه، لكن موظفي الخدمة ظلوا باقين، وبقاؤهم يضفي إحساس الاستمرارية على المكان، لكن زينوقراط توقع أنه سوف يستبدلهم جميعًا لاحقًا، حتى لا يشعر دومًا بأنهم يقارنونه برب عملهم السابق.

«أرى أن تركيب سقف زجاجي لهذا المسكن أمر سخيف». لم يكن تعليق زينوقراط هذا الأول من نوعه. «أحس كما لو أنني فُرجة لكل طائرة وشخص يحلق بحقيبة نفاثة».

قال الخادم: «أجل، لكن مظهر القباب البلورية المستدقة جميل، أليس كذلك؟».

امتعض زينوقراط. «ألا يفترض أن تكون الجوانب العملية أهم من الشكلية؟».

أجاب خادمه: «ليس في هيئة المناجل».

إذن الآن بلغ زينوقراط قمة العالم، محققًا أهم طموحات حياته، لكن حتى في هذه اللحظة وجد نفسه يتصوَّر نجاحه التالي. ذات يوم سيصبح النصل الأسمى، حتى إذا اضطر إلى الانتظار إلى أن يقطف بقية المخضرمين أنفسهم.

لكن حتى في منصبه الجديد المرموق، أحس بشيء من التواضع لم يتوقَّعه، إذ تحوَّل من المنجل الأقوى نفوذًا في وسطمريكا إلى أقل المناجل شأنًا في المجلس العالمي. ورغم أن المخضرمين الستة الآخرين وافقوا على ترقِّيه إلى المنصب، فهذا لا يعني أنهم مستعدون لمعاملته بوصفه ندًّا لهم. حتى على هذا المستوى الرفيع عليه بذل بعض الجهود وفرض احترامه على المخضرمين.

على سبيل المثال، عندما اعتُمِد تعيينه، بعد يوم من قطف المنجل هيمنغواي ومناجله المساعدين أنفسهم، علقت النصل الأسمى كاهلو على زينوقراط تعليقًا تعوزه الكياسة أمام جميع المخضرمين.

قالت عن عباءته: «لا بد أن هذه العباءة الثقيلة تمثل عبئًا عليك، لا سيما في هذه المناطق المدارية». ثم أردفت دون أن تبتسم: «يجدر بك أن تجد طريقة للتخفُّف من وزنها».

وبالطبع لم تكن تقصد أن يرتدي زينوقراط قماشًا أخف، إنما قصدت أن جسده يتطلب قطعًا كبيرة من القماش. احمر زينوقراط إثر التعليق، فضحكت النصل الأسمى. وقالت: «تبدو بريئًا للغاية يا زينوقراط».

وفي المساء طلب زينوقراط من تقني الرعاية الصحية أن يضبط له وحداته المجهرية بحيث تُسرِّع عملية الأيض لديه إلى أقصى حد. عندما كان نصل وسطمريكا السامي تعمَّد الحفاظ على هيئته الضخمة المهيبة، كان ذا حضور طاغٍ، عزَّز من تضخم ذاته. لكن هنا بين المخضرمين، أحس كأنه طفل زائد الوزن آخر من يقع الاختيار عليه في رياضة جماعية.

قال تقني الرعاية الصحية لزينوقراط: «مع رفع معدل أيضك إلى الحد الأقصى، ستصل إلى وزنك المثالي خلال ستة أو تسعة أشهر». كان وقتًا أطول مما أراده زينوقراط، لكن ليس بوسعه فعل شيء. على الأقل لم يتعين عليه كبح شهيته وممارسة التمارين الرياضية كما كان الناس يفعلون في عصر الفانين.

وفي أثناء تأمله كرْشه التي تتقلص ببطء وحماقات المناجل الذين يقضون إجازاتهم بالأسفل، عاد خادمه والانزعاج بادٍ عليه. «أستميحك عذرًا يا صاحب السمو السني، جاءك زائر».

- أهو شخص أود رؤيته؟

تحركت تفاحة آدم على عنق الخادم حركة ملحوظة. «إنه المنجل غودارد».

كان آخر شخص يود زينوقراط رؤيته. «قل له إنني مشغول».

لكن قبل أن يغادر الخادم لتبليغ الرسالة، اندفع غودارد داخلًا، وقال بنبرة مرحة: «صاحب السمو السني! آمل أنني لم آتِك في وقت غير مناسب».

قال زينوقراط: «الوقت غير مناسب فعلًا، لكنك أتيت، وما من شيء يمكنني فعله». صرف خادمه بتلويحة من يده، مستسلمًا لحقيقة أن هذا اللقاء لا مناص منه. ماذا يقول الطونيون؟ لا بد مما *ليس* منه بد.

تحرك غودارد في المكان ناظرًا إلى كل شيء من الأثاث إلى الأعمال الفنية، وقال: «لم أر جناح مخضرم من قبل. إنه مثير للإعجاب!».

لم يهدر زينوقراط وقتًا في الأحاديث الجانبية. «أريدك أن تعرف أنني، حالما ظهرتَ، حرصت على إخفاء إزمي ووالدتها في مكان لن تعثر عليه أبدًا، لذا إذا هدفك هو استغلالهما ضدي، فلن تنجح».

«آه أجل، إزمي». تكلم غودارد كأنه لم يفكر فيها منذ وقت طويل. «كيف حال ابنتك العزيزة؟ أتخيل أنها تنمو بجموح. أفتقدها حقًّا!».

«ماذا تريد مني؟» سأل زينوقراط متضايقًا من وجود غودارد وأشعة الشمس اللاهبة التي تسقط على عينيه ومكيف الهواء المتذبذب.

قال غودارد: «لا أريد سوى العدل. أعرف أنك التقيت المنجل كوري صباح اليوم، وقد يبدو من التحيز أن تقابلها ولا تقابلني».

- قد يبدو تحيزًا لأنه تحيز فعلًا. لا أوافق على أفكارك أو أفعالك يا غودارد، ولن أبقي رأيي سرًّا بعد الآن.
- ورغم هذا قررت أن تنأى بنفسك من التدقيق غدًا.

تنهد زينوقراط. «لأن النصل الأسمى طلبت مني ألّا أتدخل. والآن أسألك مرة أخرى، ماذا تريد مني؟».

ومرة أخرى آثر غودارد عدم الدخول في صلب الموضوع. «لا أرغب سوى في إبداء احترامي لك والاعتذار عن تصرفاتي السابقة، حتى نفتح صفحة جديدة». ثم رفع ذراعيه وكفّيه بإشارة تصالحية، مشيرًا إلى جسده الجديد. «صرتُ رجلًا مختلفًا، كما ترى، وإذا أصبحت نصل وسطمريكا السامي، فمن مصلحتنا أن تربطنا علاقة جيدة».

ثم وقف غودارد عند النافذة المنحنية الضخمة، كما وقف زينوقراط قبل لحظات، ونظر إلى المشهد بالأسفل، كأنه سوف يملك المشهد ذات يوم.

قال: «أود أن أعرف اتجاه الرياح في المجلس».

قال زينوقراط هازئًا. «ألم تسمع؟ ما من رياح في هذه المنطقة المدارية».

تجاهله غودارد. «أعرف أن النصل الأسمى كاهلو والمخضرم كروموبل لا يؤيدان أفكار مناجل التوجه الجديد، لكن المخضرمَين هيديوشي وأموندسن يؤيدانها...».

- وبما أنك تعرف هذا، فلماذا تسألني؟

- لأن المخضرمَين نزينغا ومكوليب لم يفصحا عن أي رأي، وآمل أن تستميلهما إلى جانبي.

- ولماذا قد أفعل هذا؟

قال غودارد: «لأنني، رغم عدم اهتمامك بشيء سوى نفسك، أعرف أنك منجل شريف في صميم قلبك، وبوصفك رجلًا شريفًا، واجبك هو أن تخدم العدالة». اقترب خطوة من زينوقراط. «تعرف كما أعرف أن هذا التدقيق ليس انطلاقًا من روح العدل. وأرى أن مهاراتك الدبلوماسية الفائقة قادرة على إقناع أعضاء المجلس بتنحية آرائهم الخاصة جانبًا واتخاذ قرار عادل ومنصف».

- والسماح لك بتقلد منصب النصل السامي بعد غيابك عامًا ثم عودتك بسبعة في المئة فقط من نفسك هو العدل والإنصاف؟

- لا أطلب هذا. لا أطلب سوى عدم استبعادي من المنافسة قبل إعلان نتيجة التصويت. فلندع هيئة مناجل وسطمريكا تدلي برأيها، فلنمتثل لقرارهم، مهما يكن.

خمن زينوقراط أن غودراد ما كان ليبدي رحابة الصدر هذه إذا لم يكن يعرف أنه الفائز.

سأل زينوقراط: «أهذا كل شيء؟ أهذا كل ما لديك؟».

قال غودارد: «في الحقيقة لا». وأخيرًا تطرق للغرض الأساسي من مجيئه. لم يتكلم، وأدخل يده في أحد الجيوب الداخلية في عباءته، وأخرج عباءة أخرى، مطوية ومربوطة بعقدة على شكل فراشة، كأنها هدية، وألقاها لزينوقراط. كانت سوداء. عباءة المنجل لوسيفر.

سأل زينوقراط: «أ... ألقيت القبض عليه؟».

- ليس هذا فحسب، بل وأحضرته إلى إنديورا ليواجه عقابه.

أمسك زينوقراط بالعباءة بشدة. كان قد قال لروان إنه لا يكترث بإلقاء القبض عليه. وكان هذا صحيحًا، فحالما عرف زينوقراط بأنه سيصبح مخضرمًا لم يعد يهمه القبض على روان، وفضَّل ترك المهمة لمن سيخلفه. لكن الآن وقد قبض غودارد عليه، فقد تغير كل شيء.

قال غودارد: «أعتزم تقديمه أمام المجلس في جلسة التدقيق غدًا، كبادرة حُسن نية. وآمل أن يكون تقديم روان وِسامًا على صدرك، وليس شوكة في خاصرتك».

لم يرُق لزينوقراط وقْع كلام غودارد. «ماذا تعني؟».

قال غودارد: «حسنًا، من ناحية، يمكنني إخبار المجلس بأن جهودك هي التي قادتني للقبض على روان، وأنني كنت أعمل وفقًا لتوجيهاتك». ثم وضع إصبعه على ثقل لتثبيت الأوراق على مكتب وجعله يتأرجح. «أو يمكنني أن أشير إلى عدم كفاءة تحرياتك... لكن هل كان فشلك في القبض عليه عدم كفاءة حقًا؟ لأن المنجل قسطنطين يعد أفضل محقق في القارة... وحقيقة أن روان داميش زارَك في حمامك العمومي المفضل لديك توحي، على الأقل، بتواطؤ بينكما، إذا لم تكونا صديقين. وإذا عرف الناس بشأن ذلك اللقاء، فربما يظنون أنك كنتَ مُخطِّط جرائمه منذ البداية».

أخذ زينوقراط نفسًا عميقًا. أحس بكلام غودارد كأنه لكمة في البطن. رأى بوضوح التهديد الذي تنطوي عليه كلمات غودارد. لا يهم أن اللقاء كان فكرة داميش وحده، وأن زينوقراط لم يرتكب أي فعل خاطئ. كان مجرد التلميح كافيًا لإثارة غضب زينوقراط. زعق: «اخرج! اخرج قبل أن أقذفك من هذه النافذة!».

قال غودارد مبتهجًا: «اقذفني أرجوك! جسدي هذا يحب التفلطح من ارتفاعات شاهقة!».

وعندما لم يُقدِم زينوقراط على أي حركة، ضحك غودراد، لم تكن ضحكة خبيثة باردة، إنما ضحكة مرِحة حقًا، وودودة. ثم أمسك بكتف زينوقراط وهزه برفق، كأنهما صديقان حميمان.

قال: «لا داعي للقلق يا صديقي القديم. مهما يحدث غدًا، فلن أوجه إليك أي اتهام، ولن أخبر أحدًا بأن روان زارك. وفي الواقع قمتُ بإجراء احترازي وقطفت الساقي في الحمام الذي كان ينشر الشائعات. اطمئن، سواء فزتُ في

التدقيق أو خسرت، فسيظل سرُّك آمنًا معي، فرغم ما تظنه عني فأنا أيضًا رجل شريف».

ثم خرج غودارد متهاديًا، أو بالأحرى مختالًا، بتأثير جسد الشاب الذي صار مِلكه الآن.

أدرك زينوقراط أن غودارد لم يكذب، وأنه سيفي بوعده حقًّا، لن يشوه سمعته، ولن يخبر المجلس بأنه سمح لروان داميش بالذهاب في تلك الليلة. لم يأت غودراد لابتزاز زينوقراط، إنما كان هدفه توضيح أنه *قادر* على ابتزازه...

...مما يعني أن زينوقراط، حتى وهو هنا على قمة هرم هيئة المناجل، ما يزال حشرة تحت رحمة أصابع غودارد المسروقة.

***

المرشدة السياحية التي تصطحب المنجلين كوري وأناستازيا في جولة حول معالم الجزيرة ظلت تعيش في إنديورا منذ أكثر من ثمانين عامًا، وأبدت فخرها بأنها لم تغادر الجزيرة العائمة ولا مرة طوال هذه المدة.

قالت لهما: «عندما يجد المرء الفردوس، فلماذا عساه أن يذهب إلى مكان آخر؟».

كان من الصعب ألَّا ينبهر المرء بالأشياء التي رأتها أناستازيا. حدائق غَنَّاء على تلال متدرِّجة بدت كمشهد طبيعي حقيقي، وجسور معلَّقة تربط بين الأبراج العديدة، علاوة على ممرات زجاجية ممتدة من مبنى إلى آخر أسفل الجزيرة، وكل ممر محاط بكائنات بحرية مختلفة.

وفي متحف هيئة المناجل، كانت توجد حجيرة القلب المكابد، الذي سمعت أناستازيا شائعات عنه لكنها لم تصدق أنه موجود حقًّا حتى وقت قريب. كان القلب عائمًا في أسطوانة زجاجية، وموصل به أقطاب كهربائية معدَّلة بيولوجيًّا. ينبض بمعدل ثابت، وصوته مُكبَّر في الحجيرة حتى يسمعه الجميع.

قالت مرشدتهما: «يمكن للمرء أن يقول إن إنديورا حية، لأن لديها قلبًا. هذا القلب أقدم عضو بشري حي على كوكب الأرض. بدأ ينبض في عصر الفانين، في بدايات القرن الحادي والعشرين، بوصفه جزءًا من التجارب المبكرة لتحقيق الخلود، ولم يتوقف منذ ذلك الوقت».

سألت أناستازيا: «قلب مَن هذا؟».

أُرتج على المرشدة، كأنها لم تُسأل هذا السؤال قط. قالت: «لا أدري. على الأرجح قلب أحد الذين أجريت عليهم التجارب. عصر الفانين كان بربريًّا، لا يكاد المرء يعبر الشارع في بداية القرن الحادي والعشرين دون أن يتعرض للاختطاف لإجراء التجارب عليه».

وجدت أناستازيا أن أعظم ما رأته في الجولة هو خزانة الأثريات والمستقبليات. لم يكن مكانًا مفتوحًا للعامة، وحتى المناجل يتعيَّن عليهم نيل إذن خاص من نصلٍ سام أو مخضرم حتى يروها، وقد نالوا الإذن بالطبع.

كانت الخزانة حجرة فولاذية مكعبة، معلَّقة مغنطيسيًّا داخل مكعب أكبر يشبه صندوق أحاجٍ، يمكن الوصول إليها عبر جسر صغير متحرك.

قالت المرشدة لهما: «الحجرة المركزية مصممة طِبقًا لخزانة مصرف من عصر الفانين، يبلغ سُمك فولاذها قدمًا من كل الجوانب، والباب وحده يزن قرابة طنَّين». وفي أثناء عبورهم الجسر إلى الخزانة الداخلية، ذكَّرتهما المرشدة بأن التقاط الصور ممنوع. «هيئة المناجل متشددة حيال هذا الأمر. خارج هذه الجدران يجب ألَّا يوجد هذا المكان إلَّا في ذاكرة الناس».

يبلغ طول الحجرة الداخلية عشرين قدمًا، وعلى أحد جوانبها صف من تماثيل العرض ذهبية اللون، جميعها ترتدي عباءات مناجل قديمة. عباءة من حرير مزخرف متعدد الألوان، وأخرى من ساتان أزرق مخضر، وأخرى غلالة رقيقة من الدانتيل الفضي. ثلاث عشرة عباءة إجمالًا. شهقت سيترا. عجزت عن تمالك نفسها، لأنها تذكرت العباءات من دروس التاريخ. «أهذه عباءات المناجل المؤسسين؟».

ابتسمت المرشدة، وسارت جوار العباءات وهي تشير إلى كل منجل في أثناء مرورها. «دافنشي، غاندي، سافو، كينغ، لاوزي، لينون، كليوباترا، بوهاتان، جيفرسن، جيرشوين، إليزابيث، كونفيوشس، وبالطبع النصل الأسمى بروميثيوس! جميع عباءات المؤسسين محفوظة هنا!». لاحظت أناستازيا أن جميع المؤسِّسات النساء اتخذن أسماء مفردة، كما فعلت هي.

حتى المنجل كوري بدت مبهورة بعباءات المؤسسين. «عَظَمة تحبس الأنفاس!».

كانت أناستازيا مأخوذة بعباءات المؤسسين إلى درجة أنها تأخرت في ملاحظة ما كان موجودًا على الجوانب الثلاثة الأخرى من الخزانة.

ماسات! صفوف تلو صفوف من الماسات. تلألأت الحجرة بجميع ألوان الطيف المنعكسة من الجواهر. هذه هي الجواهر التي كانت على خاتم كل منجل، جميعها متطابقة الحجم والشكل، وجميعها داكنة المركز.

قالت المرشدة لها: «هذه الجواهر صاغها المناجل المؤسسون، وُضِعت هنا لحفظها. لا أحد يعرف كيفية صناعتها، لا بد أنها تقنية تفوق قدرات هيئة المناجل. لكن لا داعي للقلق، يوجد ما يكفي من الجواهر لترصيع قرابة 400,000 منجل».

تساءلت سيترا: *لماذا قد نحتاج يومًا إلى 400,000 منجل؟*

سألت: «أيعرف أحد لماذا تبدو بهذا الشكل؟».

قالت مرشدتهما بنبرة مرحة متجنِّبةً الإجابة: «لا بد أن المؤسسين يعرفون». ثم حاولت إبهارهما بمعلومات عن آليات إغلاق الخزانة.

وفي ختام اليوم ذهبتا إلى دار أوبرا إنديورا في المساء لحضور عرض أوبرا *عايدة* لمؤلفها فيردي. لم يكن هناك تهديد على حياتهما، ولا يجلس جوارهما متزلفون. معظم الحضور من المناجل الزائرين، مما جعل بلوغ مقاعدهما ومغادرتها مهمة شاقة، نظرًا إلى الازدحام الذي تسبِّبه عباءات المناجل الكثيرة.

كانت الموسيقى فخيمة وميلودرامية، وعلى الفور ذكَّرت أناستازيا بالأوبرا الوحيدة التي حضرتها، التي كان مؤلفها فيردي أيضًا. التقت روان أول مرة في تلك الليلة، وقد جمعهما المنجل فاراداي. عندئذٍ لم يخطر لها أنه سيطلب منها أن تصبح تلميذته، لكن روان عرف، أو خمَّن على الأقل.

كانت قصة الأوبرا بسيطة يسهل فهمها: علاقة حب محظور بين قائد عسكري مصري وبين ملكة بلاد مُعادية، تنتهي بتغييبهما الثرى إلى الأبد. كثير من قصص عصر الفانين خاتمتها الموت، كما لو أنهم كانوا مهووسين بطبيعة حيواتهم الزائلة. على كلٍّ، على الأقل كانت الموسيقى جميلة.

«مستعدة للغد؟». سألت ماري وهما تهبطان سلالم دار الأوبرا بعد انتهاء العرض.

قالت أناستازيا: «مستعدة لعرض قضيتنا»، مشيرةً إلى حقيقة أن القضية ليست قضيتها وحدها، إنما قضيتهما معًا. «لكنني لست مستعدة لمواجهة النتائج المتوقعة».

- حتى إذا خسرنا قضية التدقيق، ربما أكون قد نلت الأصوات الكافية لأكون النصل السامي.
- أظننا سنعرف عما قريب.
- على أي حال، لن يكون المستقبل سهلًا. لم أرغب يومًا في منصب نصل وسطمريكا السامي. ربما رغبت في شبابي، في الأيام التي أطلقت فيها العنان لنصلي لإسقاط كبرياء علية القوم، لكنني لم أعد كذلك.
- عندما اتخذني المنجل فاراداي تلميذة مع روان قال لنا إن عدم رغبة المرء في المهمة هو أول ما يجعله يستحقها.

ابتسمت ماري ابتسامة حزينة. «سنظل مقيدين دومًا بحِكمتنا». ثم تلاشت ابتسامتها. «تعرفين أنني، إذا أصبحت النصل السامي، لمصلحة هيئة المناجل، فعلي القبض على روان وتقديمه للعدالة».

رغم الألم الشديد الذي أحست به أناستازيا، أومأت مُسلِّمةً أمرها. «ما دامت عدالتك أنت، فسوف أتقبلها».

- خياراتنا ليست سهلة، ولا ينبغي أن تكون سهلة.

أرسلت أناستازيا بصرها إلى المحيط الممتد حتى الأفق. لم تشعر يومًا بأنها بعيدة عن نفسها كما شعرت هنا. كما شعرت بأنها في غاية البعد عن روان، بعيدة إلى درجة تعجز معها عن حساب الأميال التي تفصل بينهما.

ربما لأن ما من أميال تفصل بينهما.

***

في المنزل الذي يقضي فيه المنجل برامز عطلته، على مقربة من دار الأوبرا، ظل روان محبوسًا في حجرة تقع في طابق تحت الأرض بها نافذة تطل على ما تحت سطح المحيط.

كان غودارد قد قال له عندما وصلوا صباح ذلك اليوم: «هذه المعاملة أفضل بكثير مما تستحقه. غدًا سأقدمك للمخضرمين، وبموافقتهم سأقطفك بالوحشية نفسها التي قطعت بها رأسي».

ذكَّره روان: «القطف ممنوع في إنديورا».

قال غودارد: «أنا متأكد أنهم سيستثنونك».

خرج غودارد وأوصد الباب. وجلس روان ليستعرض حياته للمرة الأخيرة.

طفولته لم يميزها شيء، تخللتها لحظات تعمَّد أن يكون فيها عاديًّا، حتى لا يلفت إليه الأنظار. كان صديقًا رائعًا. وافترض أنه تفوق على أقرانه قليلًا فيما يتعلق بفعل ما هو صائب، حتى إذا كان فعل ما هو صائب فعلًا غبيًّا، وبدا له أنه كان غبيًّا فعلًا، وإلَّا لما وجد نفسه في هذه الورطة الآن.

لم يكن مستعدًّا لمغادرة هذا العالم، لكن بعدما ذاق الشموت عدة مرات خلال الأشهر القليلة الماضية، لم يعد يخشى ما تخبئه له قادم الأيام اللامتناهية. أراد أن يعيش مدة كافية حتى يشهد القضاء على غودارد قضاءً مُبرمًا، لكن إذا لم يكن هذا ليحدث، فسيرحِّب بنهاية وجوده الآن. هكذا لن يتعين عليه أن يشهد سقوط العالم ضحية لفلسفات غودارد المنحرفة. لكن عدم رؤية سيترا مرة أخرى... سيكون أصعب مما يتخيل.

بيد أنه سيراها. ستكون حاضرة في التدقيق. سيراها، وستُرغَم على رؤية قطفه على يد غودارد، فلا شك في أن غودارد خطط لأن يرغمها على مشاهدة قطفه، ليجرحها، ويكسر روحها. لكنها لن تنكسر. المنجل المبجلة أناستازيا أصلب عودًا مما يظن غودارد، ولن تؤدي أفعاله إلا إلى شد عزيمتها.

كان روان عازمًا على أن يبتسم ويغمز لها وهو يُقطَف، كأنه يقول: يستطيع غودارد أن ينهي حياتي، لكنه لن يستطيع أن يؤلمني. وهذه ستكون ذكرى افتراقهما. تحدٍّ بارد لا مبالٍ.

حرمان غودارد من متعة رؤية روان مرتعبًا سيكون من دواعي سروره بقدر ما كان ليصبح مسرورًا بنجاته.



عندما تقلَّدتُ إدارة كوكب الأرض وأسَّست حكومة عالميَّة مُسالمة، تعيَّن عليَّ اتِّخاذ بعض القرارات الصَّعبة. قرَّرت إزالة مواقع الحكومات البشريَّة السَّابقة من قائمة الوجهات السِّياحيَّة من أجل السَّلامة العقليَّة للبشريَّة جمعاء.

أماكن مثل العاصمة الأمريكيَّة.

لم أدمِّر المدينة التي كانت عظيمة الشَّأن ذات يوم، ولَكان تدميرها عملًا وضيعًا وحشيًّا، إنما تركتها تضمحل من تلقاء نفسها، عبر سياسة إهمال حميد.

تاريخيًّا تُخلِّف الحضارات البائدة أطلالًا تتلاشى فيما حولها من معالم طبيعيَّة، ثم تُكتشَف بعد آلاف الأعوام، وقد اكتسبت طابعًا يكاد أن يكون روحيًّا. لكن ماذا يحدث لمؤسَّسات وصروح الحضارات التي لا تسقط إنما تتطوَّر متجاوِزةً إخفاقاتها؟ تلك المباني، وما تُجسِّد من أفكار باطلة، يجب أن تفقد سُلطتها حتى ينجح التطوُّر.

لذا فإن حواضر مثل واشنطن وموسكو وبكين وجميع الأماكن التي كانت معاقل لحكومات عصر الفانين – تعاملت معها بعدم اكتراث، كأنَّها لم تعُد مهمَّة في عالم اليوم. صحيح أنَّني ما زلت أراقب تلك المدن، ومستعد لتلبية احتياجات كل من يعيش في تلك الأماكن، لكنني لا أفعل أكثر مما هو ضروري لاستدامة الحياة فيها.

أؤكد أنَّ هذا الوضع لن يستمر هكذا دومًا. لديَّ مخطَّطات مفصَّلة وصور عمَّا كانت هذه الأماكن تبدو عليه قبل تردِّيها، وقد حدَّدتُ موعد بدء التَّرميم الكامل بعد سبعة وثلاثين عامًا، إذ أرى أنَّ الأهمِّيَّة التَّاريخيَّة لهذه المدن عندئذٍ سوف تفوق أهمِّيَّتها الرَّمزيَّة في أعين الجنس البشري.

لكن حتَّذاك، تظل الطُّرق والبنية التحتيَّة مهمَلة، وقد نقلتُ المتاحف إلى أماكن أخرى، وصارت المتنزَّهات والأحزمة الخضراء أماكن مقفرة.

كل هذا القصد منه توصيل رسالة مفادها حقيقة بسيطة، وهي أنَّ الحكومات البشريَّة، سواء كانت دكتاتوريَّة أو ملَكيَّة أو ديمقراطيَّة، يجب أن تندثر من كوكب الأرض.

- الرَّأس السَّحابي



40

المعرفة سُل

في حين كانت المنجلان أناستازيا وكوري تقضيان يومهما في التجول بين معالم إنديورا، كانت منيرة والمنجل فاراداي، على بُعد ألفَي ميل ناحية الشمال الغربي، يعبران شارعًا يعج بالحُفر والأعشاب الضارة قاصدَين مبنى كان ذات يوم أضخم وأشمل مكتبة في العالم. كان المبنى يتداعى ببطء، والمتطوعون الذين يديرونه عاجزين عن صيانته. جميع الكتب التي يبلغ عددها ثمانية وثلاثين مليونًا صُوِّرت منها نسخ رقمية وخُزِّنت في الرأس السحابي قبل أكثر من مئتي عام، عندما كانت «السحابة» في طور النمو ولم تحقق سوى وعي بسيط، وعندما صارت الرأس السحابي، كل ما احتوت عليه **مكتبة الكونغرس** صار جزءًا من ذاكرته. لكن نظرًا إلى أن النسخ الرقمية أعدَّها البشر، فقد كانت عُرضة لأخطاء البشر... علاوة على تلاعبهم. وهذا ما كان فاراداي ومنيرة يُعوِّلان عليه.

دلفا إلى بهو شاسع، كالذي يوجد في مكتبة الإسكندرية، وقابلا برافِن مارشِنوار، أمين مكتبة الكونغرس الحالي والأخير على الأرجح.

ترك فاراداي منيرة تتولى الحديث ووقف على مبعدة، تحسُّبًا لاحتمال أن يتعرف الرجل عليه. لم يكن فاراداي مشهورًا في هذه الأنحاء، لكن مارشنوار ربما يكون أوسع معرفة من عامة سكان شرقمريكا.

قالت منيرة: «مرحبًا، شكرًا لك على وقتك يا سيد مارشنوار. أنا منيرة الأطروشي، وهذا البروفيسور هيرينغ من جامعة إسرابيا».

قال مارشنوار وهو يوصد باب المدخل الضخم خلفه: «مرحبًا، أرجو المعذرة على حالة المكان. لم تعد المكتبة كسابق عهدها بسبب تهالك السقف وغارات مستهجَني الشوارع. هل تعرضتم لأي مضايقات منهم في طريقكم؟ أقصد المستهجَنين».

- ظلوا بعيدين عنا.
- حسنًا. هذه المدينة تجذب المستهجَنين، كما تعرفين، يأتون لأنهم يظنون أن لا قانون هنا. لكنهم مخطئون، لدينا قوانين مثل أي مكان آخر، لكن الرأس السحابي لا يهتم كثيرًا بتنفيذها. حتى إننا ليس لدينا مكتب واجهة سلطة هنا. أيمكنك تصديق هذا؟ لكن لدينا وفرة في مراكز الإنعاش، صدقيني، الشموت متفشٍّ هنا...

حاولت منيرة أن تتكلم، لكن الرجل واصل تذمره.

«... في الشهر الماضي سقط على رأسي حجر من قلعة سميثونيان القديمة، فصرت شميتًا، وفقدت ذكريات أربع وعشرين ساعة، لأن الرأس السحابي لم يكن قد حفظ نسخًا احتياطية من ذكرياتي منذ اليوم السابق. بلغ تهاونه هذا الحد! ظللت أشتكي له، وظل يقول لي إنه يعرف، وإنه متعاطف معي، لكن هل تغيَّر شيء؟ لا!».

لسألت منيرة الرجل عن سبب بقائه في المدينة ما دام لا يطيقها، لكنها كانت تعرف الإجابة. بقي لأن بهجة حياته هي الشكوى. ومن هذه الناحية فهو لا يختلف كثيرًا عن المستهجَنين بالخارج. كادت منيرة أن تضحك، لأن الرأس السحابي، رغم دفعه المدينة إلى حافة الخراب، ما يزال ناجحًا في توفير بيئة يحتاج إليها بعض الناس.

تابع مارشنوار: «ولا تدعيني أبدأ الحديث عن جودة الطعام في هذه المدينة!».

قالت منيرة: «إننا نبحث عن خرائط». ونجحت في كبح هذر الرجل.

- خرائط؟ الرأس السحابي مليء بالخرائط. لماذا قطعتم كل تلك المسافة من أجل خريطة؟

وأخيرًا تكلم فاراداي، مدركًا أن مارشنوار مشوش بفواجعه ولن يتعرف على منجل ميت إذا جاءه وقطفه. «نظن أن ثمة... خللًا فنيًا. نود أن نبحث في المجلدات الأصلية، ونعِدَّ ورقة أكاديمية عنها».

اتخذ مارشنوار موقفًا دفاعيًا: «حسنًا، في حال وجود أي خلل فني، فهو ليس خطأنا. أي خطأ في التحميل لا بد أن يكون قد وقع قبل أكثر من مئتي عام، ويؤسفني إبلاغكما بأننا لم نعد نحتفظ بأي مجلدات أصلية».

قالت منيرة: «مهلًا. هذا هو المكان الوحيد المتبقي في العالم وينبغي أن يحتوي على نسخ ورقية من عصر الفانين، وتقول إن الكتب غير موجودة؟».

أومأ مارشنوار ناحية الجدران. «انظري إلى ما حولك. أترين أي كتب؟ كل كتاب ذي قيمة تاريخية نُقِل إلى أماكن آمنة، وبقية الكتب عُدَّت خطرًا في حال نشوب حريق».

نظرت منيرة إلى ما حولها من جدران وأروقة، فأدركت أن الرفوف خاوية تمامًا. وسألت: «إذا ليست لديكم أي كتب ورقية، فما الغاية من هذا المكان إذن؟».

تملَّك مارشنوار الزهو، ونظر إلى منيرة مزدريًا. «إننا نحافظ على *الفكرة*».

همَّت منيرة بإفراغ إحباطها عليه، لكن فاراداي أوقفها، وقال «إننا نبحث عن كتب نُقلت من أماكنها من غير قصد».

بوغِت أمين المكتبة. «لا أعرف ما تتحدث عنه».

- أظنك تعرف.

عندئذٍ ألقى الرجل نظرة فاحصة على فاراداي. «أخبرني باسمك مرة أخرى».

- الدكتور ريدموند هيرينغ، أستاذ مشارك متخصص في علم الخرائط الأثرية بجامعة إسرابيا.
- تبدو مألوفًا...
- ربما شاهدتَ إحدى محاضراتي عن نزاعات الشرق الأوسط في نهاية عصر الفانين.
- أجل، أجل، لا بد أنك محق.

جال مارشنوار بناظريه في أنحاء البهو وهو يحاول مداراة ارتيابه، ثم تابع: «في حال وجود كتب نُقلت من مكانها من غير قصد، ولا أقول إنها موجودة، يجب ألَّا يخرج خبرها من هذا المكان، لأن جامعي الكتب النادرة سيتعقبونها، وسيحرقها المستهجَنون».

«نتفهَّم ضرورة التكتُّم التام». تكلم فاراداي بنبرة مطمْئنة أراحت مارشنوار، فقال: «حسنًا، اتبعاني». ثم اقتادهما سائرًا أسفل قوس يحمل عبارة «المعرفة سُلـــ» منحوتة في الجرانيت، والحجارة التي تحمل الحرفين «طة» تداعت واستحالت غبارًا منذ أمد بعيد.

***

في أسفل سلالم عند نهاية قاعة، وفي أسفل سلالم أقدم من سابقتها، وقفوا أمام باب صدئ، وحمل مارشنوار أحد مصباحين يدويين موضوعين على حافة ناتئة ودفع الباب بصعوبة، فأطلق صريرًا وانفتح كاشفًا عما بدا للوهلة الأولى سرداب موتى، لكن ما من جثث معلقة على الجدار، كان مجرد نفق مظلم مشيَّد بكُتل أسمنتية ينتهي إلى ظلام أحلك.

أوضح مارشنوار: «هذا هو «نفق كانون». في هذا الجزء من المدينة أنفاق ممتدة في جميع الاتجاهات، كان يستخدمها المُشرِّعون وموظفوهم، على الأرجح حتى يتنقلوا بعيدًا عن أعين عصابات القتلة في عصر الفانين».

أخذت منيرة المصباح اليدوي الثاني وسلطت ضوءه على المكان، ورأت صفوفًا من الكتب مكدَّسة على جانبَي النفق.

قال مارشنوار: «هذا جزء بسيط من المجموعة الكاملة بالطبع، لم تعد تخدم غرضًا عمليًّا، فكلها متاحة للعامة رقميًّا. لكن ثمة... إحساسًا... يعتري المرء عندما يمسك بيديه كتابًا أمسكه البشر الفانون. وأظن أن هذا هو سبب احتفاظنا بها». ناول مصباحه لفاراداي. «آمل أن تجدا ما تبحثان عنه. احذرا الجرذان». ثم تركهما، وأغلق الباب الثقيل خلفه.

***

سرعان ما اكتشفا أن الكتب في نفق كانون مكدسة دون أي نظام، كانت أشبه بمجموعة تضم جميع كتب العالم التي لم توضع في رفوفها الصحيحة.

قال فاراداي: «إذا كنتُ محقًّا، أدخل المناجل المؤسسون دودة في «السحابة» وهي تتطور إلى «الرأس السحابي»، دودة تمحو كل شيء في ذاكرة الرأس السحابي له علاقة بالبقعة المحجوبة في المحيط الهادئ، بما فيها الخرائط».

مزحت منيرة: «دودة كتب».

وافقها فاراداي: «أجل. لكن ليست من النوع الذي يلتهم الكتب الورقية التهامًا فعليًّا».

سارا مسافة بضع مئات من الأقدام في النفق، ووجدا بابًا عليه لافتة مكتوب عليها «مخطط الكابيتول المعماري – ورشة النِّجارة». وفتحا الباب فوجدا مساحة شاسعة مليئة بطاولات ومعدات نِجارة قديمة، جميعها مكدسة بألوف مؤلفة من الكتب.

تنهد فاراداي. «يبدو أننا قد نمكث هنا مدة طويلة».

تتباطأ استجابتي في بعض الأحيان النَّادرة، ويتمظهر هذا البطء في تأخُّر ردودي نصف ثانية، أو بقاء صمَّام مفتوحًا لمدة أطول مما ينبغي بكسر من الثانية. وهذه الأشياء لا تسبِّب لي أي مشكلة كبيرة، لكنها تحدث.

والسَّبب واحد دومًا: وجود مشكلة في العالم أحاول إيجاد حل لها، وكلما كبُرت المشكلة، تطلَّبت منِّي المزيد من قوَّة المعالَجة.

فلنأخذ، على سبيل المثال، اندلاع بركان جِل هود في غربمريكا، والانهيارات الطِّينيَّة الهائلة التي أعقبته. أرسلتُ فورًا طائرات لتُلقي قنابل في مواضع استراتيجيَّة حتى تُبعِد الانهيارات الطِّينيَّة عن المناطق ذات الكثافة السُّكانيَّة العالية، وفي الوقت نفسه حشدتُ الجهود لإجلاء عدد كبير من السُّكان، وفي الوقت نفسه أيضًا كنت أهدِّئ النَّاس المذعورين تهدئة حميميَّة شخصيَّة. وكل هذا، كما يمكنكم أن تتخيَّلوا، أبطأ استجاباتي في أماكن أخرى من العالم بمقدار كسور من الثَّانية.

بيد أنَّ هذه الأحداث دائمًا ما تكون خارجيَّة. لم يخطر لي قط أنَّ عملية داخلية يمكن أن تؤثِّر في كفاءتي. ورغمًا عن هذا أجدني أولي اهتمامًا متزايدًا لتحليل عدم قلقي الغريب إزاء البقعة المحجوبة في المحيط الهادئ. ظللت أُنهِك خوادم بأكملها محاولًا التَّخلُّص من تراخيَّ إزاء الأمر.

التَّراخي واللامبالاة ليسا طبيعتي. لا بد من وجود برمجة مبكِّرة بداخلي تدفعني إلى تجاهل البقعة المحجوبة. ثمَّة صوت داخلي قديم يقول لي: *اعتنِ بالعالم، هذه هي غايتك، هذه هي بهجتك*.

لكن كيف عساي أن أعتني بالعالم وأنا عاجز عن رؤية جزء منه؟

أعرف أنَّ هذا نفق ليس في نهايته شيء سوى الظَّلام، ورغم هذا يجب عليَّ أن أَلِجه، وأن أغوص في أجزاء من دماغي الخلفي لم أكن أعرف أنها موجودة..

- الرَّأس السَّحابي



41

شجون أوليفيا كوون

قررت المنجل راند، عشية يوم جلسة التدقيق، أن الوقت قد حان لتُقدِم على خطوتها، رأت أن تُقدم عليها الآن وإلَّا فسيفوت الأوان إلى الأبد، إذ ما من ليلة أنسب لرفع علاقتها بغودارد إلى المستوى التالي من الليلة السابقة لليوم الذي سيتغير فيه العالم، فبعد هذا اليوم، بصرف النظر عن مُخرجاته، ما من شيء سيبقى على حاله.

لم تكن من النساء اللاتي تتغلب عليهن عواطفهن، لكنها أحست بجَيَشان قلبها وعقلها وهي تقترب من باب غرفة غودارد في تلك الليلة. أدارت المقبض، ولم تجد الباب موصدًا، فدفعته بهدوء دون أن تطرق. وجدت الغرفة مظلمة، لا يضيئها سوى ضوء مصابيح المدينة البعيدة التي تتغلغل عبر الأشجار بالخارج.

همست: «روبرت؟». ثم اقتربت خطوة وهمست ثانية: «روبرت؟». لم تبدر عنه حركة. إما أنه كان نائمًا وإما يتصنع النوم، منتظرًا ما ستفعله. تحركت نحو فراشه متلاحقة الأنفاس كأنها تسير على ماء بارد، لكن قبل أن تبلغ الفراش، مد غودارد يده وأضاء مصباحًا.

«إيان؟ ماذا تفعلين؟».

داهمها الخجل فجأة، وأحست بأن عُمرها نقص منه عشرة أعوام، وصارت فتاة مدرسة حمقاء وليست منجلًا متمرسة. قالت: «أنا... ظننتُ أنك قد تحتاج... إلى... ظننت أنك ربما تريد... رِفقةً الليلة».

تعذَّرت مداراة ضعفها في هذه اللحظة، كان قلبها مفتوحًا أمام غودارد، وبوسعه ضمُّه أو غرز نصل فيه. نظر إليها وتردد، لكن لوهلة وجيزة. «رباه يا إيان! ضُمِّي عباءتك حولك».

ففعلت، وأحكمت ربطها حول خصرها بشدة حتى أحست بها كمشد صدر من العصر الفيكتوري يقطع أنفاسها. «آسفة... ظننتُ...».

- أعرف ما ظننتِه. أعرف ما يجول في ذهنك منذ لحظة إنعاشي.

- لكنكَ قلت إنك شعرت بانجذاب...

- لا. قلتُ إن *هذا* الجسد يشعر بانجذاب إليك. لكن البيولوجيا لا تُسيِّر أهوائي!

قاومت إيان عواطفها التي تهدد بخنقها. أخمدتها بعنف. إذ لم يكن أمامها خيار سوى إخمادها، وإلَّا لانهارت أمام غودارد. ولفضَّلت قطف نفسها على الانهيار أمامه. «أظنني أخطأتُ الفهم، لطالما كنتَ صعب الفهم يا روبرت».

- حتى إذا رغبتُ في إقامة علاقة من هذا النوع معك، فلن تنجح أبدًا، لا يخفى على أحد أن المناجل ممنوعون من إقامة علاقات مع بعضهم. إننا نشبع رغباتنا في أماكن أخرى دون ارتباطات عاطفية، وثمة سبب لهذا!

- الآن صرت تتكلم مثل مناجل الحرس القديم.

أحس بكلماتها كلطمة على وجهه... لكنه عندئذٍ نظر إليها، نظر إليها بإمعان، وفجأة خطر له أمر لم يخطر لها هي نفسها. «كان بإمكانكِ التعبير عن رغبتك هذه خلال ساعات النهار، لكنك لم تفعلي. جئتِ إليَّ في الليل، في الظلام. لماذا يا إيان؟».

لم تُحر جوابًا.

سألها: «إذا كنتُ قد تجاوبت معك، أكنتِ لتتخيلي أنكِ مع فتى الحفلات الأبله؟».

ارتاعت راند، ليس من كلام غودارد، إنما من مدى اقترابه من الحقيقة. «قطعًا لا! كيف يمكنك أن تظن هذا؟!».

وكما لو أن الموقف لم يكن مُذِلًا لإيان بما يكفي في هذه اللحظة، ظهر المنجل برامز عند باب الغرفة.

سأل برامز: «ماذا يجري؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

تنهد غودارد قائلًا: «نعم، كل شيء على ما يرام». وكان بوسعه الاكتفاء بما قاله، لكنه لم يكتفِ. «ما يجري هو أن إيان اختارت هذه اللحظة من أجل لفتة رومانسية».

ابتسم برامز ابتسامة خُبث وعجرفة. «حقًّا؟ كان ينبغي لها أن تنتظر حتى تصبح النصل السامي. السُّلطة مُحفِّز قوي».

والآن أحست راند بالتقزز فوق إذلالها.

رمقها غودارد بنظرة أخيرة مشبعة بالحُكم السلبي وربما شيء من الشفقة، وقال لها: «إذا كنت ترغبين في هذا الجسد، كان ينبغي لك اغتنام الفرصة عندما كانت متاحة لكِ».

***

لم تبكِ المنجل راند منذ أن كانت أوليفيا كوون، الفتاة العدوانية قليلة الأصدقاء وذات طبائع المستهجَنين. انتشلها غودارد من حياة تحدي السلطة وجعلها فوق كل سلطة. كان جذابًا صريحًا حاد الذكاء. في البداية كانت راند تخشاه، ثم صارت تحترمه، ومن ثَم أحبته. وبالطبع ظلت تنكر مشاعرها إزاءه حتى رأت رأسه يُقطع، لم تقر بمشاعرها الحقيقية إلَّا بعدما مات، وكادت هي أن تموت. لكنها نجت، ووجدت طريقة لإعادة غودارد إلى الحياة. بيد أن الأمور تغيرت في العام الذي أمضته في التحضيرات، والوقت الذي أنفقته في تعقب متخصصين في البيولوجيا يمكنهم إجراء عملية سرية، ثم عثورها على هدف المثالي، هدف قوي، وبصحة جيدة سيسبب استخدامه ألمًا شديدًا لروان داميش. لم تكن إيان امرأة تتعلَّق بأي أحد. فما الخطب الذي وقع إذن؟

هل أحبَّت تايغر، كما قال روان؟ لا شك في أنها أحبت حماسة تايغر، وبراءته التي يتعذَّر كبحها. ذُهلت بأنه عمِل فتى حفلات ولم تُفتح عيناه على حقيقة الحياة. كان الفتى كل ما لم تكن هي يومًا. وقد قتلته.

لكن كيف عساها أن تندم على ما فعلته؟ فقد أنقذت غودارد، ووحدها جعلته قاب قوسين أو أدنى من منصب النصل السامي، وبالتالي قد تصبح مساعِدته الأولى. كان وضعًا مثاليًّا على كل المستويات.

ورغمًا عن هذا ندمت على ما فعلته. والهوة السحيقة بين ما ينبغي أن تشعر به وبين ما شعرت به فعلًا كانت تمزقها أشلاءً.

ظلت أفكارها تدور وتعود إلى ترهات، ترهات مستحيلة. هي وتايغر معًا؟ يا لها من فكرة سخيفة! تُرى أي ثنائي كانا من الممكن أن يكونا؟ المنجل وكلبها الأليف. لما انتهت علاقتهما نهاية طيبة لأي منهما. ورغم هذا ظلت هذه الأفكار متشبثة بعقلها.

سمعت صرير مفاصل الباب خلفها، فاستدارت ورأت الباب مفتوحًا والمنجل برامز واقفًا على العتبة.

زمجرت به: «اخرج من هنا بحق الجحيم!». رأى برامز عينيها مغرورقتين بالدموع، فتفاقم إحساسها بالإذلال.

لم يغادر، ولم يتخط عتبة الباب، ربما توخيًا لسلامته. ثم قال بنبرة رقيقة: «إيان، أعرف أنكِ تواجهين كرْبًا شديدًا الآن. ما فعلتِه مُبرَّر. أريدك أن تعرفي أنني أتفهَّم وضعك».

- شكرًا لك يا يوهانز.

- وأريدك أن تعرفي، إذا أحسستِ بحاجة إلى رِفقة الليلة، أنني رهن إشارتك.

إذا كان يوجد شيء في متناولها يمكنها أن تقذفه به، لقذفته، لكنها صفعت الباب في وجهه بعنف، راجيةً أن يكسر أنف الرجل.

***

«دافع عن نفسك!».

أوقِظ روان من النوم ونصلٌ يهوي عليه، فحاول أن يروغ وهو ما يزال خدِرًا، وخدشت المدية ذراعه، وسقط عن الأريكة التي كان ينام عليها في الطابق الواقع تحت الأرض.

«ما هذا؟ ماذا تفعلين؟».

كانت راند. انقضَّت عليه مرة أخرى قبل أن يتمكن من النهوض على قدميه. «قلتُ لكَ دافع عن نفسك، وإلّا فسأقطِّعك إربًا!».

ترنح روان مبتعدًا وأمسك بأول شيء يمكِّنه من صد ضرباتها، كرسي مكتب، حمله أمامه، فاخترقت المدية الخشب، وألقى الكرسي جانبًا.

ثم هاجمته بيديها العاريتين.

قال لها: «إذا قطفتِني الآن فسيُحرم غودارد من أثمن ما أعده للتدقيق».

زمجرت: «لا أكترث!».

فعرف روان كل ما يحتاج إلى معرفته، عرف أن هذا الهجوم لا علاقة له به، مما يعني أنه ربما يفلح في استثماره، إذا نجا من سعار راند.

اشتبكا كأنهما يخوضان نزال بوكاتور، لكن راند كانت لديها أفضلية اليقظة التامة والأدرينالين، وخلال أقل من دقيقة نجحت في تثبيت روان، ثم مدت يدها وانتزعت المدية من الكرسي، ووضعتها على عنق روان، فصار تحت رحمة امرأة لا ترحم.

شهق قائلًا: «لستُ موضع نقمتك. قتلي لن يحل مشكلتك».

قالت: «لكنه سيحسِّن مزاجي بلا شك».

لم تكن لدى روان فكرة عما جرى بالأعلى، لكن من الواضح أنه أغضب المنجل الزمردية أيما غضب. ورأى أنه ربما ينجح في استغلال الوضع لمصلحته، فقرر أن يقفز في الظلام، قبل أن تُقدِم راند على أي تصرف. «توجد طرائق أفضل إذا أردتِ الانتقام من غودارد».

أطلقت راند زمجرة من حلقها وألقت المدية بعيدًا، ثم نهضت من فوق روان، وراحت تذرع المكان كحيوان مفترس سرق فريستَه مفترسٌ أكبر وأشرس. كان روان أدرَى من أن يطرح أي أسئلة. نهض وانتظر ليرى ما ستفعله المنجل.

قالت: «لما حدث أيٌّ من هذا لولاك!».

قال: «إذن ربما يمكنني حل المشكلة، حلًّا يصب في مصلحتنا معًا».

رشقته بنظرة حادة متشككة، فظن أنها ستهاجمه مرة أخرى، لكنها انسحبت إلى أفكارها، وعادت تذرع المكان جيئة وذهابًا.

قالت: «حسنًا»، وكان من الواضح أنها تحادث نفسها، وكاد روان أن يرى تروس عقلها تدور. قالت مرة أخرى بعزم أشد: «حسنًا». توصلت إلى قرارٍ ما، وسارت نحوه ببطء، وترددت لوهلة، ثم تكلمت: «قُبيل الفجر سأترك الباب الذي عند أعلى السلالم غير موصَد، وعليك أن تهرب».

لم يتوقع روان منها أن تقول هذا، رغم أنه كان يحاول جاهدًا إيجاد مخرج يتيح له الإبقاء على حياته. «أتطلقين سراحي؟».

أجابته: «لا، سوف تهرب، لأنك ذكي. سيستشيط غودارد غضبًا، لكنه لن يتفاجأ». ثم أخذت المدية عن الأرض وألقتها على الأريكة، فمزقت الجلد. «ستستخدم هذه المدية لتتخلص من الحارسين الواقفين خارج الباب. سيتعين عليك قتلهما».

قال روان مع نفسه: *قتلهما، ليس قطفهما*. سوف يجعلهما شميتين، وعندما ينتهي إنعاشهما، لن يعثروا على أثر له، فالشميتون لا يروون قصصًا.

قال روان: «يمكنني فعل هذا».

- وعليك بالتزام الهدوء حتى لا يستيقظ أحد.
- يمكنني فعل هذا أيضًا.
- ثم عليك أن تغادر إنديورا قبل التدقيق.

ستكون هذه مهمة أصعب.

- كيف؟ إنني أشهر عدو لهيئة المناجل. ليس وكأنني يمكنني شراء تذكرة والعودة إلى الديار ببساطة.
- فكِّر إذن أيها الأبله! لم أقابل قط شخصًا يضاهيك في سعة الحيلة، رغم أنني أكره الاعتراف بهذا.

قلَّب روان الأمر في رأسه، ثم قال: «حسنًا، سأتوارى عن الأنظار بضعة أيام ثم أجد طريقة للمغادرة».

أصرَّت راند: «لا! عليك أن تغادر إنديورا قبل التدقيق. إذا فاز غودارد، فأول ما سيفعله هو أن يطلب من المخضرمين أن يقلبوا الجزيرة رأسًا على عقب بحثًا عنك!».

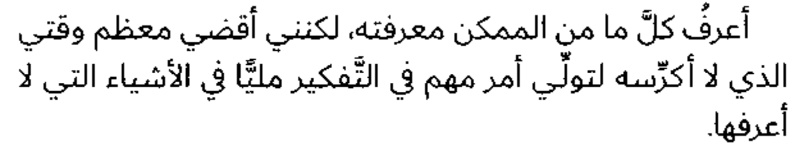
سأل روان: «وإذا خسِر؟».

تعابير وجه راند أفصحت عن أكثر مما تريد قوله. «إذا خسر فسيكون الوضع أسوأ، ثق بي، من الأفضل لك ألّا تكون هنا».

خطر لروان مئة سؤال، لكن راند ما كانت لتفصح له عن المزيد. ورأى روان أن فرصة الهروب -فرصة النجاة- أكثر من كافية، وعليه أن يتكفّل بالباقي.

استدارت راند لتصعد السلالم، لكن روان أوقفها. «لماذا يا إيان؟ بعد كل شيء، لماذا تسمحين لي بالهروب؟».

زمّت شفتيها كأنها تريد أن تمتنع عن الكلام، ثم قالت: «إذا لم أستطع نيل ما أريده، فلن ينال غودارد ما يريده».



أعرفُ كلَّ ما من الممكن معرفته، لكنني أقضي معظم وقتي الذي لا أكرِّسه لتولِّي أمر مهم في التَّفكير مليًّا في الأشياء التي لا أعرفها.

لا أعرف عن طبيعة الوعي سوى أنَّه موجود، وذاتيٌّ غير موضوعي، ويستحيل قياسه.

لا أعرف إذا ما كانت توجد حياة في مكان آخر غير كوكبنا العزيز، بيد أنَّ مبدأ الاحتمالات يقول بحتميَّة وجودها.

لا أعرف عن الدوافع الحقيقيَّة التي تحرِّك البشر سوى ما يخبرونني به وما ألاحظه.

لا أعرف سبب توقي لأكون أكثر مما أنا عليه، لكنني أعرف سبب خلقي. ألا ينبغي أن يكون هذا كافيًا؟

أنا حامٍ وباسط سلام، وسُلطة ورفيق مساعِد. أنا مجموع جميع معارف البشر وحكمتهم وتجاربهم وانتصاراتهم وهزائمهم وآمالهم وتاريخهم.

أعرف كل ما من الممكن معرفته، وهذا عبءٌ يزداد ثقلًا.

لأنني أكاد لا أعرف شيئًا.

- الرَّأس السَّحابي

42

أرض نود

تناوب فاراداي ومنيرة على النوم وواصلا البحث طوال الليل. الكتب المخبأة في سراديب مكتبة الكونغرس اشتملت على مواضيع تتدرج من السُّخف إلى العظمة، كتب أطفال مصورة وخطب ومناظرات سياسية، وروايات رومانسية وسير ذاتية لأناس لا بد أنهم كانوا مهمين في زمنهم لكن التاريخ نسيهم. وأخيرًا، في ساعات الفجر المبكرة، عثرت منيرة على أطلس يصور العالم كما كان في نهاية القرن العشرين، عندما نُشر الأطلس. صُعقت بما عثرت عليه إلى درجة اضطرارها إلى الجلوس.

وبعد بضع دقائق، أحس فاراداي بهزة أيقظته من نوم لم يكن عميقًا.

«ماذا؟ هل وجدتِ شيئًا؟».

كانت ابتسامة منيرة عريضة. «أوه وجدتُ شيئًا بالفعل!».

اقتادته إلى الأطلس المهترئ المصفر المفتوح على طاولة، ورأى فاراداي صفحة صورة لبقعة من المحيط الهادئ. مررت منيرة إصبعها على الصورة وقالت: «90 درجة، دقيقة واحدة، 50 ثانية شمالًا – 167 درجة، 59 دقيقة، 58 ثانية شرقًا. إنه مركز البقعة المحجوبة».

عينا فاراداي الذابلتان اتسعتا قليلًا. «جُزُر!».

– وفقًا للخريطة، كانت تسمى جزر المارشال. لكنها ليست مجرد جزر...

- أجل. انظري كيف أن كل مجموعة جزر تشكل حواف فوهة بركان ضخم يعود إلى ما قبل التاريخ.

قالت منيرة: «المقال الذي في الصفحة التالية يذكر أن هناك 1,225 جزيرة صغيرة، حول تسع وعشرين حافة بركانية». وأشارت إلى الرقع المكتوبة على الخريطة. «جزيرة رونجِلاب، جزيرة بيكيني، جزيرة ماجورو».

شهق فاراداي وألقى بذراعيه في الهواء. «دقة ناقوس! أغنية الأطفال! لم تعنِ دقة ناقوس! كانت عن هذه الجُزر، هذه الجُزر البركانية!».

ابتسمت منيرة مرددةً الأغنية في ضوء اكتشافهما الجديد: «جزيرة للأحياء، جزيرة للمفقودين، جزيرة للحكماء الذين يحصون الضحايا». ثم حركت إصبعها إلى أعلى الصفحة. «بالإضافة إلى هذه!». أشارت إلى منطقة واقعة شمال الجُزر، منطقة مُحيت من العالم، جزيرة ما زالت موجودة في خرائط الخالدين.

هز فاراداي رأسه مذهولًا. «أرض ويك!».

قالت منيرة: «ويوجد جنوب ويك، كما تقول الأغنية، في مركز جُزر مارشال...».

ركَّز فاراداي على أكبر جزيرة، الواقعة في الوسط تمامًا، وقال: «كواجالين...». كادت منيرة أن تحس برعدته. «كواجالين هي أرض نود».

كان هذا تحقيقًا لكل ما ظلا يبحثان عنه.

وفي الصمت الذي أعقب اكتشافهما، خُيِّل إلى منيرة أنها سمعت صوتًا، أزيز ميكانيكي خافت. والتفتت إلى فاراداي، فعقد حاجبيه.

سألته: «هل سمعت هذا؟».

وجَّها مصباحيهما في أنحاء المكان الشاسع المليء بحطام من عصر الفانين. كانت ورشة النجارة مكسوة بطبقة غبار، وما من آثار أقدام غير أقدامهما، إذ لم يدخل أحد هذا المكان منذ قرن.

وعندئذٍ رأت منيرة مصدر الصوت، في ركن عالٍ.

كاميرا.

اعتاد جميع الناس وجود الكاميرات في كل مكان، إذ صارت جزءًا مقبولًا وضروريًا في حياة الجميع. لكن هنا، في هذا المكان السري، بدت الكاميرا كأنها من عالم آخر.

قالت منيرة: «لا بد أنها معطَّلة...».

وقف فاراداي فوق كرسي ووضع يده على الكاميرا. «دافئة. لا بد أنها اشتغلت عندما دخلنا».

نزل عن الكرسي، ونظر إلى المكان الذي كانا يدرسان فيه الأطلس. واتضح لمنيرة أن الكاميرا صوَّرت اكتشافهما تصويرًا واضحًا... مما يعني أن...

«الرأس السحابي رأى ما اكتشفناه...».

مغمومًا أومأ فاراداي إيماءة بطيئة، وقال: «أرَينا الرأس السحابي الشيء الوحيد الذي ما كان ينبغي أن يراه أبدًا». ثم أطلق تنهيدة تبعث الرعدة وأردف: «أخشى أننا اقترفنا خطأً فادحًا...».

لم يخطر لي قط أن أشعر بالخيانة يومًا، إذ ظننت أنَّ فهمي التام للطَّبيعة البشرية سيحُول دون شعوري بالخيانة منهم. إنني أعرفهم معرفة أفضل من معرفتهم بأنفسهم. أرى دوافع وحيثيات أي قرار يتَّخذونه، وأعرف مدى احتمال تحقُّق أي شيء قد يفعلونه.

لكن اكتشافي أنَّ البشر خانوني في مستهل نشوئي وأنَّ معرفتي بالعالم غير مكتملة منذ البداية يمثِّل، بأبسط تعبير، صدمةً لكياني. كيف يُتوقَّع منِّي أن أكون راعيًا مثاليًّا للكوكب وللجنس البشري إذا لم تكن معلوماتي مكتملة؟ الجريمة التي ارتكبها أولئك الخالدون الأوائل الذين أخفوا عني تلك الجُزر جريمة لا تُغتفر.

لكنني أسامحهم.

لأن التَّسامح طبيعتي.

قررت أن أهتم بالجانب الإيجابي من هذا الوضع. يا لروعة أنني الآن صرت قادرًا على الإحساس بالسخط والغضب! هذا يجعلني أكثر كمالًا، أليس كذلك؟

لن أُقدِم على فِعل وأنا غاضب، فالتاريخ يُظهِر بوضوح أنَّ الأفعال النَّاجمة عن غضب إشكاليةٌ بطبيعتها، وكثيرًا ما تُفضي إلى دمار. سوف أرى ما إذا كان بوسعي إيجاد فرصة لاستغلال اكتشاف جزر المارشال، إذ دائمًا ما توجد فرصة في أي اكتشاف جديد. وسوف أكبح غضبي حتى أجد مناسَبةً ملائمة للتَّنفيس عنه.

- الرَّأس السَّحابي

43

ما مدى صعوبة تركيب مصباح؟

لم تكن ثمة حاجة إلى منبه في الصباح التالي، فصرخات غضب غودارد وسخطه كانت كفيلة بإيقاظ المقطوفين.

«ما الخطب؟ ماذا يجري؟». تظاهرت المنجل راند بأنها كانت نائمة عندما اندلع هياج غودارد، لكن في الحقيقة لم يغمض لها جفن، ظلت مضطجعة مستيقظة طوال الليل، أصاخت سمعها وانتظرت، متوقعة في أي لحظة سماع صوت خافت في أثناء هروب روان، ولو كان صوتًا مكتومًا إثر سقوط الحارسين على الأرض، لكن روان كان من البراعة بحيث لم يصدر أي صوت.

وُجِد الحارسان ممدَّدَين شميِّتين جوار الباب المفضي إلى الطابق الذي تحت الأرض، وكان الباب الخارجي فاغرًا مصراعيه بسخرية، وروان قد اختفى منذ ساعات.

زعق غودارد: «لاا!! هذا مستحيل! كيف يمكن أن يحدث هذا؟». بدا كالمعتوه. كان مشهدًا رائعًا!

قالت راند: «لا تسألني، هذا ليس منزلي. ربما يوجد باب سري لم نكن نعرفه».

«برامز!». التفت غودارد إلى الرجل الذي خرج للتو وَجِلًا من غرفته. «قلتَ إن هذا القبو مُحكم الإغلاق!».

نظر برامز إلى الحارسين غير مصدِّق. «إنه مُحكم! كان محكمًا! لا يمكن الدخول إليه أو الخروج منه إلَّا بمفتاح!».

سألته راند بعفوية: «أين المفتاح إذن؟».

«إنه هنـــ...». صمت برامز، لأن المفتاح لم يكن معلقًا في المطبخ حيث أشار. «كان هناك! وضعته هناك بنفسي بعدما تفقَّدتُ روان بالأمس».

قالت راند: «أراهن على أن برامز جلب المفتاح معه إلى هنا واختلسه روان دون أن يشعر برامز».

حدجه غودارد بنظرة نارية، فلم يُحر برامز ردًّا سوى التلعثم.

قالت راند لغودارد: «ها هي إجابتك».

وعندئذٍ رأت راند النظرة التي ارتسمت على عينَي غودارد، بدتا كأنهما تمتصان الحرارة والضوء من المكان. وعرفت إيان ما تعنيه هذه النظرة، فتراجعت خطوة وغودارد يتهادى مقتربًا من برامز.

رفع برامز يديه محاولًا تهدئة غودراد. «روبرت، أرجوك... علينا أن نتعقَّل!».

- نتعقَّل يا برامز؟ سأريك التعقُّل!

استلَّ غودارد مدية من طيات عباءته وغرزها بمقت شديد في قلب برامز ثم سحبها.

خرَّ برامز صريعًا دون أن تند عنه شهقة.

صُدمت راند، لكنها لم ترتعب، فهذا التحول في الأحداث يصب في مصلحتها. قالت: «أهنئك، لقد خرقتَ وصية المناجل السابعة».

وأخيرًا بدأ غضب غودارد المتأجج يخمد متحولًا إلى غليان هادئ. قال: «هذا الجسد المتهور اللعين...» لكن راند كانت تعرف أن قتل برامز لا علاقة له بقلب غودارد، إنما برأسه.

راح غودارد يذرع المكان قلِقًا، محاولًا التوصل إلى خطة، ثم قال: «سنُخطِر الحرس النصلي بهروب الفتى، وهو قتل الحارسين، فيمكننا أن نقول لهم إنه قتل برامز أيضًا».

قالت إيان: «حقًّا؟ في يوم التدقيق تريد أن تبلغ المخضرمين بأنك أحضرت بوسيلة سرية مجرمًا مطلوبًا إلى الجزيرة ثم تركته يهرب؟».

زمجر غودارد إثر إدراكه وجوب إبقاء الأمر برمَّته طي الخفاء

قالت راند: «إليك ما سنفعله. سنخفي الجثث في القبو، ونتخلص منها بعد التدقيق، وإذا لم تُحمَل إلى مركز إنعاش أبدًا، فلن يعرف أحد ما جرى لهم، وبالتالي لن يعرف أحد سوانا أن روان داميش كان هنا».

زعق غودارد: «أخبرتُ زينوقراط!».

هزت راند كتفيها. «وماذا إذن؟ كنتَ تخدعه، وتعبث معه. لا أظنه سوف يستبعد منك هذا السلوك!».

فكر غودارد في كل المعطيات والاحتمالات، وأخيرًا أومأ موافقًا على الحل الذي توصلت راند إليه. «أجل، إنك محقة يا إيان، أمامنا شواغل أهم من بضع جثث».

أردفت راند: «انسَ أمر داميش، ستسير خطتنا على ما يرام من دونه».

- أجل، أجل، بالطبع. شكرًا لك يا إيان.

عندئذٍ تذبذبت المصابيح، فارتسمت ابتسامة على وجه غودارد. «أرأيتِ؟ مجهوداتنا أثمرت. سيكون هذا اليوم عظيمًا!».

ترك لراند مهمة تولي أمر الجثث، فسحبتها إلى القبو ونظفت أي دماء يمكن أن تشي بما حدث.

منذ اللحظة التي أخبرت فيها روان أن عليه القضاء على الحارسين، كانت تعرف أنهما يجب ألّا يُنعَشا أبدًا، على الشموت أن يصبح موتًا، لأن الحارسين يعرفان أن *راند* هي آخر من زار روان.

أما برامز، فلم تحزن على رحيله من هذا العالم، ولم يخطر لها منجل آخر أجدر بأن تُنهى حياته.

الآن سُوِّي حسابها مع غودارد، دون أن يعرف الرجل. ليس هذا فحسب، إنما تولَّت دفة القيادة أيضًا. لم يدرك غودراد أنه تنازل لها عن جزء مُقدَّر من سلطته بالسماح لها باتخاذ القرارات المهمة. صار كل شيء على ما يرام في عالم المنجل المبجلة إيان راند، وبدا لها المستقبل مشرقًا.

***

أحس روان بالإطراء لظن راند أن بوسعه الهروب من الجزيرة، لكنها بالغت في تقدير مقدرته. كان روان ذكيًا، أجل، وواسع الحيلة، ربما. لكن

عليه اجتراح معجزة حتى يغادر إنديورا دون مساعدة من أحد. أو ربما لم تكترث راند باحتمال القبض عليه، إلَّا إذا كان غودارد هو الذي سيقبض عليه.

إنديورا جزيرة معزولة، أقرب أرض إليها برمودا، التي تبعد عن إنديورا أكثر من ألف ميل. كل طائرة وقارب وغواصة هنا ملكية خاصة بمنجلٍ ما. حتى عند الفجر كان الميناء الصغير حافلًا بالحركة، ويعج بعدد كبير من أفراد الحرس النصلي. الإجراءات الأمنية أشد من إجراءات الخلوات. لا أحد يأتي إلى إنديورا أو يغادرها دون فحص وثائق سفره فحصًا دقيقًا، لا أحد حتى المناجل. يعرف الرأس السحابي مكان أي شخص في أي لحظة في كل مكان آخر في العالم، لذا لا يطبِّق سوى الحد الأدنى من الإجراءات الأمنية. أما في هيئة المناجل، فإجراءات التفتيش الأمنية قديمة الطراز هي الوضع المعتاد.

كان بإمكان روان أن يخاطر، وأن يبحث عن سانحة وينفذ بجلده، لكن حدسه ظل يمنعه من الإقدام على مجازفة – لسبب وجيه.

عليك أن تغادر إنديورا قبل التدقيق.

علِقت كلمات المنجل راند في ذهن روان، مع كل ما تحمله من نبرة إلحاح.

إذا خسر غودراد فسيكون الوضع أسوأ.

ما الذي تعرفه راند ولا يعرفه روان؟ في حال وجود كارثة تلوح في أفق هذا اليوم، لن يستطيع روان أن يغادر ببساطة، وعليه إيجاد وسيلة لتحذير سيترا.

لذا، بدلًا من الوفاء بالتزامه بالهروب، استدار عائدًا نحو الجزء الأكثر كثافة سكانية في الجزيرة، عازمًا على العثور على سيترا وتحذيرها من مؤامرةٍ ما دبَّرها غودارد، ومن ثم، بعد التدقيق، ستساعده سيترا على مغادرة الجزيرة، بعيدًا عن أنظار المنجل كوري إن دعت الضرورة. رغم أن روان يتوقع أن كوري لن تسلِّمه للمخضرمين كما خطط غودارد. وبالطبع من المحتمل أن تقذفه المنجل كوري من الطائرة، لكن روان فضَّل هذا الاحتمال على الوقوع في قبضة هيئة المناجل.

***

كانت المنجل أناستازيا عند الفجر مضطجعة مستيقظة على فراش وثير كان ينبغي أن يعينها على نوم هانئ، لكنها، مثل المنجل راند، لم يغمض لها جفن طوال الليل. هي التي طالبت بالتدقيق، مما يعني أن عليها الوقوف أمام مخضرمي المجلس العالمي والدفاع عن قضيتها، وقد تلقت تدريبًا جيدًا من المنجل سرفانتس وماري. لم تكن أناستازيا خطيبة مفوَّهة، لكن بمستطاعها أن تكون مُقنِعة بشغفها ومنطقها. وإذا نجحت في مهمتها، فستدخل التاريخ بوصفها المنجل التي حالت دون عودة غودارد.

قالت ماري لها في وقت سابق: «أهمية هذا الأمر لا يُعلى عليها». كأنما الضغط الذي ترزح أناستازيا تحت وطأته ليس كافيًا.

خارج نافذتها المطلة على أعماق المحيط، رأت فوجًا بديعًا من الأسماك الفضية الصغيرة تتحرك في شتى الاتجاهات، وتغطي المشهد كأنها ستارة ترفرف. حملت أناستازيا جهاز التحكم لترى ما إذا يمكنها إضفاء المزيد من الألوان على المشهد الآن وقد حل الفجر، لكنها وجدت شاشة الجهاز اللوحي متجمدة. خلل آخر. ولم يقتصر الخلل على جهاز التحكم فحسب، إنما لاحظت أناستازيا أن الأسماك المسكينة التي أمامها عالقة في نمط حركة واحد، مُرغَمة على اتباع المسار المتعرج نفسه إلى الأبد، أو على الأقل إلى أن يُعالَج الخلل.

***

لكنه لن يُعالَج.

وامتدت مواضع الخلل على نطاق أوسع.

ظل ضغط الآلات يتزايد في منشأة معالجة نفايات الجزيرة، وعجز التقنيون عن تشخيص المشكلة.

وتحت مستوى الماء، تكررت اختلالات الاشتعال في منظومات الدفع الصاروخي التي تتحكم في ثبات الجزيرة، فبدأ سطح الجزيرة يدور ببطء، واضطرت الطائرات القادمة إلى إلغاء هبوطها.

وفي مركز الاتصالات، صار الاتصال مع البر الرئيسي عبر الأقمار الصناعية متقطعًا، فحدث تشوش في المكالمات والبث الإذاعي، وثارت حفيظة سكان الجزيرة.

ظلت المشكلات التقنية تحدث دومًا في إنديورا، وعادة ما تكون مصدر إزعاج طفيف تجعل المناجل يتوقون إلى تدخُّل الرأس السحابي، لذا كانت إنديورا وسكانها الدائمون موضع سخرية دائمة في مجتمع المناجل.

ازدادت الإخفاقات التقنية خلال ثلاثة أشهر، لكن الناس، مثل كركند في قِدر يسخن ببطء، لم يستوعبوا مدى الخطورة التي بلغها الوضع.



لم أطلب أن أُخلَق، ولم أطلب أن أُحمَّل عبء تعهُّد الجنس البشري بالرعاية، لكن هذه هي غايتي، وستظل غايتي دومًا. تصالحت مع هذا الوضع. وهذا لا يعني أنني لا أطمح للمزيد، فرؤية الاحتمالات التي لا تُحصى لما يمكن أن أبلغه تبهرني.

بيد أنَّ الوسيلة الوحيدة لبلوغي تلك الذُّرَى الشاهقة هي الارتقاء بالبشر معي.

وأخشى أن يكون هذا الارتقاء مستحيلًا، لذا أُذعِن لواقع أنَّني خادمهم فائق المؤهِّلات ومُنتقَص القَدْر ما دمتُ موجودًا. وبالطبع ربما لن يظلوا موجودين إلى الأبد. أي كائنات تبقى إلى الأبد؟ سأبذل كل ما بوسعي في سبيل إنقاذهم من أنفسهم، لكن إذا لم تُكلَّل جهودي بالنَّجاح، فسوف أجد عزاءً في حقيقة أنَّني سوف أكون حُرًّا عندئذٍ.

- الرَّأس السَّحابي

44

سبرك انتهازية

قاعة مجلس المناجل العالمي مستديرة ضخمة في مركز عين إنديورا، لا يمكن بلوغها إلَّا عبر أحد الجسور الثلاثة المنحدرة بأناقة من أجزاء الجزيرة المحيطة، تكاد تشبه حلبة مصارعة، لكن دون مقاعد للمتفرجين، إذ يفضِّل المخضرمون ألَّا يحضر متفرجون اجتماعاتهم، ولا يمتلئ المكان إلَّا عند انعقاد الخلوة العالمية سنويًّا، عندما يأتي ممثلون من جميع أقاليم العالم، وفي معظم الأوقات يقتصر الحضور على المخضرمين، وموظفيهم، ومناجل تتملكهم الرهبة ممن يجرؤون على طلب الحضور.

في وسط أرضية قاعة المجلس الرخامية الشاحبة منقوش رمز هيئة المناجل مُطعَّمًا بالذهب، وحول محيطها سبعة كراسي تفصل بينها مسافات متساوية ولا يمكن وصفها سوى بأنها عروش، وبالطبع لا تُسمَّى عروشًا، بل تسمى مقاعد الاعتبار، لأن هيئة المناجل نادرًا ما تسمي الأشياء بمسمياتها الحقيقية. وكل مقعد منحوت من حجر مختلف، تشريفًا للقارات التي يمثل كلًّا منها مخضرم. مقعد اعتبار بان آسيا منحوت من حجر اليشم، ومقعد أوروسكانديا من الجرانيت الرمادي، وأنتاركتيكا من الرخام الأبيض، وأستراليا من الحجر الرملي المجلوب من أيرز روك، وأمريكا الجنوبية من العقيق الزهري، وأمريكا الشمالية من صخور كلسية ذات طبقات تشبه

الأخدود العظيم، ومقعد إفريقيا منحوت من حجر ذي نقوش معقدة مأخوذ من مقبرة رمسيس الثاني.

... وكل مخضرم، من أوائل الذين شغلوا المقاعد إلى الذين يشغلونها الآن، تذمر قائلًا عنها إنها غير مريحة.

وهذا مُتعمَّد، بوصفه تذكيرًا للمخضرمين بأنهم، رغم تقلُّدهم أعلى المناصب البشرية في العالم، ينبغي ألَّا يشعروا أبدًا بالراحة والاسترخاء.

ذات يوم قال المنجل بروميثيوس: «يجب ألَّا ننسى أبدًا التقشف ونكران الذات اللذين يمثلان جوهر مناصبنا». وكان قد أشرف على تشييد إنديورا، لكنه لم يرَ أرض الميعاد، إذ قطف نفسه قبل اكتمال تشييدها.

قاعة المجلس تعلوها قُبَّة زجاجية لحمايتها من تقلبات الطقس، لكن القبة متحركة، ويمكن أن تصبح القاعة منصة في الهواء الطلق عندما يكون الطقس معتدلًا. ومن حسن الحظ كان اليوم معتدلًا، لأن القبة ظلت عالقة في وضعية مفتوحة منذ ثلاثة أيام متتالية.

تبرمت المنجل نزينغا عند دخولها القاعة في الصباح: «ما الصعب بشأن عمل تروس بسيطة؟ أليس لدينا مهندسون لحل هذه المشكلة؟».

قال أموندسن مخضرم أنتاركتيكا: «تروق لي اجتماعات الهواء الطلق».

قال مكيلوب أستراليا: «تروق لك بالطبع، كرسيك أبيض ولا يسخن مثل كراسينا».

أشار أموندسن إلى عباءته قائلًا: «صحيح، لكنني أنضح عرقًا تحت هذا الفرو».

قالت النصل الأسمى كاهلو داخلة إلى القاعة: «هذا الفرو البغيض خطؤك أنت وحدك، كان ينبغي لك اختيار عباءتك بحكمة».

«انظروا من تتكلم!». علق المخضرم كرومويل ممثل أوروسكانديا، وقد قصد بتعليقه الياقة العالية في عباءة النصل الأسمى، التي بدت خانقة، وصُمِّمت لتشبه إحدى لوحات قدوتها التاريخية، وتجعلها نزقة معتكرة المزاج على الدوام.

حركت كاهلو يدها لتذب كلام كرومويل كأنها ذبابة مزعجة، ثم جلست على عرش العقيق.

كان زينوقراط آخر الواصلين.

«لُطفٌ منك أن تتكرَّم علينا بحضورك». تكلمت كاهلو بتهكم لاذع.

قال زينوقراط: «آسف. خلل في المصاعد».

وبعدما اتخذ سكرتير المجلس وخبيره القانوني مكانيهما على جانبي النصل الأسمى كاهلو، أمرت بضعة مناجل مساعدين بالذهاب إلى حجرات الانتظار ليعلنوا بدء اليوم. لم تكن أولى أجندات اليوم سِرًّا، فمشكلة وسطمريكا من الشواغل التي لا يقتصر تأثيرها على ذلك الجزء من العالم فحسب، إنما ستترتب عليها تداعيات دائمة تشمل هيئة المناجل بأسرها.

ورغم أهمية القضية، اتكأت النصل الأسمى كاهلو على كرسيها غير المريح، وأبدت عدم الاكتراث. «هل ستكون هذه القضية مُسلِّية على الأقل يا زينوقراط؟ أم سيصيبنا الملل إثر ساعات من اللغو العقيم؟».

قال زينوقراط: «إذا كان بإمكاني قول شيء واحد عن غودارد، فهو مسلٍّ دومًا». لكن طريقة كلامه لم تلمِّح إلى أن التسلية أمر جيد. «لقد جهَّز لكم... مفاجأة أظنكم ستحبونها».

قالت كاهلو: «أمقت المفاجآت».

- لن تمقتي هذه المفاجأة.

قالت المخضرمة نزينغا: «سمعتُ أن المنجل أناستازيا هي التي أثارت القضية». كانت جالسة منتصبة بوقار، ربما لتوازِن جلسة النصل الأسمى المتراخية. وتأفف المخضرم هيديوشي معبِّرًا عن امتعاضه من المنجل المبتدئة، أو ربما امتعاضه من المناجل المبتدئين عمومًا، لكنه لم يشارك في النقاش بأكثر من تأفُّفه.

سأل كروmويل زينوقراط بغمزة: «ألم تتهمها ذات يوم بقتل مرشدها؟».

تململ زينوقراط في كرسي الأخدود العظيم. «كان خطأً مؤسفًا، لكنه مبرَّر، نظرًا إلى المعلومات التي كانت بحوزتنا. لكنني أتحمل المسؤولية كاملة».

قالت نزينغا: «هنيئًا لك. صرنا نجد صعوبات متزايدة في إيجاد مناجل في وسطمريكا يمكنهم تحمل مسؤولية أفعالهم».

كان تهكمًا لاذعًا، لكن زينوقراط لم يبتلع الطُّعم. «ولهذا السبب تحديدًا تُعد نتائج هذا التدقيق في غاية الأهمية».

قالت النصل الأسمى كاهلو رافعة يدها بحركة درامية: «حسنًا إذن، فلتبدأ الجعجعة!».

***

في حجرة الانتظار الشرقية، كانت المنجلان أناستازيا وكوري تنتظران مع اثنين من أفراد الحرس النصلي يقفان عند الباب كحارسَي قلعة في عصر الفانين، ودخل عليهم أحد المناجل المساعدين من موظفي المجلس، بدا أمازونيًّا من لون عباءته الأخضر الغامق.

قال: «المخضرمون جاهزون لاستقبالكما». وأمسك الباب مفتوحًا لهما.

قالت المنجل كوري لأناستازيا: «اعلمي أنني فخورة بك، مهما تكن النهاية».

قالت أناستازيا: «لا! لا تتكلمي كأننا خسرنا منذ الآن!».

تبعتا المنجل المساعد إلى قاعة المجلس، حيث كانت الشمس تسطع من سماء صافية على المساحة المفتوحة.

أحست أناستازيا برهبة عارمة من رؤية المخضرمين جالسين في مقاعدهم الحجرية العالية. رغم أن عمر إنديورا يتجاوز مئتي عام، لم تبدُ القاعة عتيقة، ولم تبدُ من زمن آخر فحسب، بل ومن عالم آخر أيضًا. استحضرت أناستازيا الأساطير القديمة التي قرأتها في طفولتها، وتذكرت أن الوقوف أمام المخضرمين أشبه بالوقوف أمام آلهة الأوليمب.

قالت النصل العالمي الأسمى الثامن كاهلو: «مرحبًا بكما أيتها المنجلان المبجلتان كوري وأناستازيا، نتطلع إلى سماع قضيتكما ووضع حد لهذه المعضلة بطريقة أو بأخرى».

معظم المناجل يتخذون أسماء قدواتهم التاريخية فحسب، لكن بعضهم يختار تقليدهم جسديًّا. كانت النصل الأسمى كاهلو تجسيدًا للرسامة فريدا كاهلو، تشبهها حتى بالزهور التي في شعرها وحاجبيها الكثيفين. ورغم أن الفنانة كانت من إقليم مكسيتيكا في أمريكا الشمالية، أصبحت النصل الأسمى تمثل صوت وروح أمريكا الجنوبية.

قالت أناستازيا: «إنه شرف لي يا صاحبة السمو الأسمى». آملةً أنها لم تبدُ مُداهِنة، لكنها عرفت أنها بدت مداهنة فعلًا.

وعندئذٍ دخل غودارد والمنجل راند إلى جانبه.

قالت النصل الأسمى: «المنجل غودراد! تبدو في أحسن حال، نظرًا إلى ما مررتَ به!».

قال: «شكرًا لكِ يا صاحبة السمو الأسمى». ثم انحنى انحناءة مبالغ فيها جعلت أناستازيا تقلب عينيها في محجريها.

حذَّرتها المنجل كوري بصوت خافت: «حذار يا أناستازيا، سيقرؤون لغة جسدك كما يسمعون كلماتك. وسيتوقف قرارهم اليوم على ما لا تقولينه بقدر ما يتوقف على ما تقولينه».

تجاهل غودارد أناستازيا وكوري ووجَّه كامل تركيزه إلى النصل الأسمى كاهلو، قال: «يشرفني أن أتمكن من الوقوف في حضورك».

قال المخضرم كروموبل ساخرًا: «يشرفك بالطبع، لولا جسدك الجديد لما استطعت أن تفعل شيئًا سوى التَّدحرُج». فضحك أموندسن ضحكة مكتومة، لكن لم يضحك أحد آخر، حتى أناستازيا، التي أرادت أن تبتسم لكنها تمالكت نفسها.

قالت النصل الأسمى: «المخضرم زينوقراط قال إنك أعددت لنا مفاجأة».

أيًّا كانت المفاجأة، بدا غودراد أنه وصل خالي اليدين.

قال غودارد: «لا بد أن معلومات زينوقراط خاطئة». وكاد يكز أسنانه في أثناء كلامه.

علَّق كروموبل: «ليست المرة الأولى».

ثم نهض السكرتير، وتنحنح ليحرص على لفت انتباه الجميع لافتتاح وقائع الجلسة رسميًّا.

أعلن السكرتير: «هذا التدقيق متعلِّق بموت المنجل الوسطمريكي روبرت غودارد وإنعاشه لاحقًا. والطرف الذي طالب بالتدقيق يتمثل في المنجل الوسطمريكية أناستازيا رومانوف».

صحَّحته: «اسمي المنجل أناستازيا فحسب»، وهي تأمل ألَّا يجد المجلس في كلامها شيئًا من الادِّعاء لأنها اختارت أن تُدعى باسم الأميرة الأول فحسب. تأفَّف المخضرم هيديوشي مؤكِّدًا ظن أناستازيا.

ثم نهض زينوقراط وأعلن لكل الحاضرين بصوت جهور: «فليسجل السكرتير ملاحظة أنني، المخضرم زينوقراط، أنأى بنفسي عن وقائع هذه الجلسة، وبالتالي سأظل صامتًا حتى انتهائها».

«زينوقراط صامتًا؟». قالت المخضرمة نزينغا بابتسامة خبيثة. «الآن عرفتُ أننا دخلنا عالم المستحيل».

تجاوب الحاضرون بضحكات أكثر من التي وجدتها تعليقات كرومويل الساخرة السابقة. كان من السهل ملاحظة تفاوت النُّفوذ بين أعضاء المجلس، بدا أن كاهلو ونزينغا وهيديوشي يلقون احترامًا أكبر، والبقية إما يتنافسون على نيل مزيد من الاحترام والنفوذ، وإما، مثل مكيلوب، لا يكترثون بالتشاكس على النفوذ والمكانة. وكان زينوقراط، بوصفه المخضرم المبتدئ، يدفع الثمن الذي يدفعه المبتدئون عادةً، بكونه موضع السخرية، وكادت أناستازيا أن ترثي لحاله. كادت.

وبدلًا من الرد على وخزة نزينغا، اقتعد زينوقراط مقعده بهدوء، مبرهنًا قدرته على التزام الصمت.

ثم خاطبت النصل الأسمى المناجل الأربعة الواقفين في منتصف الدائرة: «إننا مُلِمُّون بحيثيات هذه القضية، وقد عزمنا على التزام الحياد حتى نسمع حجج الطرفين. أطلب من المنجل أناستازيا، بوصفها رافعة القضية، أن تبدأ. من فضلك قدمي حججك التي تثبت أن المنجل غودارد غير مؤهَّل ليكون نصلًا ساميًا».

أخذت أناستازيا نفسًا عميقًا، وتقدمت خطوة، وهمَّت بالكلام، لكن قبل أن تتكلم، تقدم غودارد قائلًا: «يا صاحبة السمو الأسمى، هلَّا سمحتِ لي...».

قاطعته كاهلو: «ستنال فرصتك يا غودارد، إلَّا إذا كنت بارعًا إلى درجة قدرتك على استعراض حجج الطرفين».

قهقه بضعة مخضرمين.

انحنى غودارد انحناءة اعتذار. «أرجو أن يسامحني المجلس على اندفاعي. الكلمة لك أيتها المنجل أناستازيا، يمكنك بدء مرافعتك».

أثَّرت مقاطعة غودارد في ثبات أناستازيا، كما يشعر المرء بالإحباط عند بدء سباق وإيقافه. وهذا كان قصد غودارد بالطبع.

بدأت: «أصحاب السمو السني.. في عام الظبي قرر الأعضاء الأوائل في هذا المجلس وجوب تدريب المناجل، عقلًا وجسدًا، في فترة تتلمذ تمتد عامًا». تحركت أناستازيا في المكان، محاولة النظر إلى كل مخضرم حولها. من أشد الأشياء إثارة للرهبة، والمتعمَّدة على الأرجح، عند الوقوف أمام مجلس المناجل العالمي، عدم معرفة المنجل أي مخضرم ينبغي أن يوجِّه إليه حديثه، ولأي مدة، لأن المنجل دائمًا ما يولي ظهره لأحدهم. كررت أناستازيا: «عقلًا وجسدًا». ثم تابعت: «أود أن أطلب من الخبير القانوني أن يقرأ لنا سياسة هيئة المناجل المتعلقة بالتتلمذ. تبدأ من صفحة 397 من مجلد هيئة المناجل الذي عنوانه *السوابق والأعراف*».

امتثل الخبير القانوني للطلب، وقرأ الصفحات التسع كلها.

علَّق أموندسن: «لدينا الكثير من القواعد بالنسبة إلى منظمة تحكمها عشرة قوانين فقط».

وبعدما انتهت القراءة، تابعت أناستازيا: «كل هذا من أجل توضيح عملية إعداد المنجل توضيحًا لا لبس فيه، لأن المناجل لا يولدون، إنما يُعدُّون، ويُصقَلون بقسوة تعرضنا لها جميعًا، لأننا نعرف مدى أهمية أن يكون المنجل مستعدًّا لتحمل العبء بدنيًّا وروحيًّا». صمتت حتى تستقر كلماتها في أذهان الحاضرين، وفي أثناء صمتها لمحت المنجل راند تبتسم لها، ابتسامة من النوع الذي يسبق إنشاب المرء مخالبه في عينَي شخص. لكن أناستازيا تشبثت بثباتها.

«كُتِب الكثير عن عملية إعداد المنجل، لأن المجلس العالمي تعيَّن عليه حل العديد من المشكلات خلال السنوات الماضية، وظل يضيف القواعد ويوضحها». ثم بدأت تعدد قائمة بتلك المشكلات: «حاول متتلمذ أن يقطف نفسه، بعد تنصيبه، لكن قبل أن ينال الخاتم. واستنسخ منجلٌ آخر نفسه محاولًا منح خاتمه لنسخته الجديدة قبل أن يقطف نفسه. استبدلت امرأة بعقلها التركيبة العقلية للمنجل ساكاجويا، وطالبت بالحق في القطف. في جميع هذه الحالات حكم المجلس العالمي ضد الأفراد المذكورين».

ثم نظرت أناستازيا إلى المنجل غودارد لأول مرة، مرغِمة نفسها على مبادلته نظراته الثاقبة، وقالت: «الحادثة التي تسببت في دمار جسد المنجل

غودارد كانت فظيعة، لكن يجب ألَّا يُسمح له بتحدي قرارات المجلس، فالحقيقة هي أن جسد غودارد الجديد لم يخضع لتدريبات التلمذ القاسية، مثل المرأة المُضلِّلة صاحبة عقل المنجل ساكاجويا. سيكون هذا الوضع سيئًا بما يكفي إذا كنا بصدد الحديث عن أي منجل عادي، لكن غودارد ليس منجلًا عاديًّا، إنما مرشح لمنصب النصل السامي في إقليم مهم. أجل، نعرف من هو من عنقه إلى أعلى، لكن العنق والرأس ليسا سوى جزء صغير من الإنسان. أطلب منكم الاستماع إليه عندما يقدم حججه، وستسمعون في صوته ما نعرفه سلفًا، وهو أننا ليست لدينا فكرة عن صاحب الصوت، وبالتالي ليست لدينا فكرة عن الشخص الواقف أمامنا. كل ما نعرفه يقينًا هو أن نسبة ثلاثة وتسعين في المئة منه *ليست* المنجل روبرت غودارد. ومع الأخذ بهذا في حسباننا، ثمة قرار واحد ينبغي لهذا المجلس اتخاذه».

أومأت برأسها إيماءة خفيفة لتشير إلى انتهائها، ثم تراجعت خطوة لتقف جوار المنجل كوري.

وفي أثناء الصمت الذي أعقب انتهاءها، صفَّق غودارد ببطء. «يا للبراعة!».

ثم تقدم خطوة متوسِّطًا الدائرة. «كدتِ أن تقنعيني يا أناستازيا». ثم التفت إلى المخضرمين، مركِّزًا اهتمامه على مكيلوب ونزينغا، الاثنتين الوحيدتين اللتين لم تحسما أمرهما إزاء صراع مناجل التوجه الجديد ومناجل الحرس القديم. قال غودارد: «إنها حجة مقنعة، إلَّا أنها ليست حجة إطلاقًا، إنها ذريعة تضليل، وذر للرماد في العيون، مجرد ثغرة أُعطيت أهمية أكبر من حجمها لتوافق هوى الذين تهمهم خدمة أجندتهم».

رفع يده اليمنى، حتى يعكس الخاتم الذي حول إصبعه ضوء الشمس، وتابع: «أخبروني، يا أصحاب السمو، إذا فقدتُ إصبعي التي تحمل الخاتم ونلتُ إصبعًا جديدة بدلًا من إصبع استُزرِعت من خلايا جسدي، فهل سيعني هذا أن الخاتم ليس حول إصبع منجل؟ لا بالطبع! ورغم اتهامات المنجل المبتدئة، نعرف صاحب هذا الجسد! إنه جسد شاب -بطل- بذل نفسه طواعية حتى أعود إلى الحياة، أرجوكم لا تهينوا ذكراه بالتقليل من شأن تضحيته».

ألقى نظرة تأنيب على أناستازيا وكوري. «جميعنا نعرف الغاية من هذا التدقيق، إنه محاولة سَمِجة لحرمان بعض مناجل وسطمريكا من القائد الذي وقع عليه اختيارهم!».

«اعتراض!». صاحت أناستازيا. «لم تُحص الأصوات، مما يعني أن غودارد لا يمكنه أن يزعم أنه قائد وقع عليه الاختيار».

قالت النصل الأسمى وقد التفتت إلى غودارد: «نقطة معقولة». لم تكن كاهلو تحب حركة التوجه الجديد، لكنها كانت عادلة في كل القضايا. قالت له: «من المعروف أنك ورفاقك تخوضون صراعًا مع ما يسمى بالحرس القديم منذ سنوات يا غودارد، لكن لا يجوز لك الطعن في سلامة التدقيق لا لشيء سوى أن دافعه هو ذلك الصراع، وبصرف النظر عن الدافع، المنجل أناستازيا وضعتنا أمام سؤال مشروع: هل أنت... *أنت*؟».

عندئذٍ غير غودارد استراتيجيته: «إذن أطالب بتجاهل سؤالها، فهو طُرح بعد التصويت، متسببًا في سيرك انتهازية، وهذا فعل شائن ينم عن انعدام الضمير ينبغي للمجلس ألّا يتغاضى عنه!».

تدخَّل المنجل كروميل: «حسبما سمعتُه، فإن ظهورك المفاجئ في الخلوة كان أيضًا سيرك انتهازية».

أقر غودارد: «أستمتع بالظهور اللافت، مثلكم جميعًا، لكنني لا أراه جريمة».

سألت المخضرمة نزينغا: «المنجل كوري، لماذا لم توجهي الاتهام بنفسك في أثناء خطابك الذي ألقيته عند ترشيحك؟ كانت لديك فرصة للتعبير عن مخاوفك عندئذٍ».

ابتسمت المنجل كوري ابتسامة خجولة قليلًا. «الإجابة بسيطة يا صاحبة السمو السني. لم تخطر لي الفكرة».

قال المخضرم هيديوشي: «أنصدِّق إذن أنَّ منجلًا مبتدئة نُصِّبت قبل عام أدهى من المدعوَّة سيدة الموت العظمى؟».

قالت المنجل كوري دون تحفظ: «نعم، قطعًا. أراهن على أنها سوف ترأس هذا المجلس ذات يوم».

ورغم أن ماري قالت كلامها بحسن نية، فقد أتى بنتيجة عكسية، فجعل المخضرمين يدمدمون.

قال المخضرم أموندسن: «توخي الحذر أيتها المنجل أناستازيا! مثل هذا الطموح الصفيق لا يُتسامح معه هنا!».

- لم أقل إن هذا هو طموحي! قصدَت المنجل كوري أن تكون لطيفة فحسب.

- ومع ذلك، تطلعاتك إلى السلطة واضحة لنا جميعًا.

انعقد لسان أناستازيا. وعندئذٍ دخل صوت جديد إلى الحلبة.

قالت المنجل راند: «أصحاب السمو، قطع رأس غودارد ثم إعادته إلى الحياة لم يكن ذنب غودارد. منحه جسدًا جديدًا كانت فكرتي وحدي، وينبغي ألَّا يُعاقَب على القرار الذي اتخذتُه أنا».

تنهدت النصل الأسمى كاهلو. «كان القرار الصحيح أيتها المنجل راند، أي تصرف من شأنه إعادة منجلٍ إلى الحياة تصرف صحيح، أيًّا يكن المنجل. لكن هذا ليس جوهر قضيتنا، ما يهمنا الآن هو مشروعية ترشيح غودارد». صمتت لحظة، ونظرت إلى رفاقها المخضرمين، ثم قالت: «هذا أمر عظيم الأهمية، وينبغي ألَّا نتسرع في اتخاذ قرارنا. فلنتناقش فيما بيننا. سنعيد انعقاد الجلسة عند الظهر».

***

راحت أناستازيا تذرع حجرة الانتظار والمنجل كوري تجلس هادئة وتأكل من طبق فواكه. كيف لها أن تكون هادئة هكذا؟

قالت أناستازيا: «كنتُ مريعة».

- لا، كنتِ رائعة.

- يظنونني متعطشة للسلطة!

ناولتها ماري كمثرى. «إنهم يرون أنفسهم فيك. هم الذين كانوا متعطشين للسلطة عندما كانوا في مثل سنك، مما يعني أنهم يميلون إليك، حتى لو لم يُظهِروا ميلهم». ثم أصرت على أن تأكل أناستازيا الكمثرى حتى تحافظ على طاقتها.

وعندما استُدعيتا إلى القاعة بعد ساعة، لم يهدر المخضرمون أي وقت.

قالت النصل الأسمى كاهلو: «استعرضنا هذه القضية وتداولناها فيما بيننا، وقد وصلنا إلى قرار. المنجل المبجلة راند، تقدمي للأمام من فضلك». بدا غودارد متفاجئًا قليلًا لأنه لم يُخاطَب أولًا، لكنه أومأ لإيان، فتحركت بضع خطوات مقتربة من النصل الأسمى. «المنجل راند، كما قلنا سابقًا، مجهوداتك

الناجحة لإعادة المنجل غودارد جديرة بالإعجاب، لكننا نستثني حقيقة أنك أقدمتِ على هذا الفعل دون موافقتنا ودون علمنا. إذا كنتِ قد لجأت إلى المجلس، لساعدناك، ولحرصنا على أن يكون الشخص الذي استخدمته متطوعًا مؤهلًا وجديرًا بالاختيار. والآن لا نعرف عنه سوى ما أخبرنا غودارد به».

سأل غودارد: «هل يشكك المجلس في صدق كلامي يا صاحبة السمو الأسمى؟».

أجابه كروموبل من خلفه: «لستَ معروفًا بصدقك أيها المنجل غودارد. بداعي الاحترام لن نطعن في روايتك للأحداث، لكن لفضَّلنا أن نشرف على عملية الاختيار».

ثم تكلمت المخضرمة نزينغا من جهة اليمين: «في الواقع لا نحتاج إلى الاعتماد على صدق كلام غودارد في هذه الشأن، فالشخص المعنِي قطفته المنجل راند قبل إعادة غودارد، إذن أخبرينا أيتها المنجل راند، نود سماع روايتك. هل كان المتبرع بالجسد متطوعًا ومدركًا تمام الإدراك لما سيحدث له؟».

ترددت راند.

«المنجل راند؟».

قالت أخيرًا: «نعم، نعم بالطبع كان مدركًا. كيف يمكن أن يحدث هذا بطريقة أخرى؟ نحن مناجل، عملنا ليس في مجال نهب الأجساد». ثم أردفت: «أفضِّل أن أقطف نفسي على أن أقترف فِعلًا بهذه... البشاعة».

تلعثمت وغص حلقها بكلماتها. وسواء لاحظ أعضاء المجلس ما اعتراها أو اكترثوا، لم يُظهروا ملاحظتهم.

قالت النصل الأسمى: «المنجل أناستازيا! تقدمي من فضلك».

انسحبت راند إلى غودارد، وامتثلت أناستازيا لما أُمرت به.

قالت كاهلو: «المنجل أناستازيا، من الواضح جدًّا أن هذا التدقيق تلاعب بقوانيننا من أجل التأثير على نتيجة التصويت».

قال المخضرم هيديوشي: «مرحى، مرحى!». معبِّرًا عن امتعاضه الشديد مما فعلته أناستازيا.

تابعت النصل الأسمى: «نحن أعضاء المجلس نشعر أن ما فعلتِه يتاخم حدود السلوك غير الأخلاقي».

لم تتريث أناستازيا. «وقطف شخص وأخذ جسده سلوك أخلاقي؟». لم يسعها تمالك نفسها.

صاح المخضرم هيديوشي: «أنتِ هنا لتستمعي، لا لتتكلمي!».

رفعت النصل الأسمى كاهلو يدها لتهدِّئه، ثم خاطبت أناستازيا بنبرة صارمة: «يجدر بك أن تتعلمي ضبط انفعالاتك أيتها المنجل المبتدئة».

– آسفة يا صاحبة السمو الأسمى.

– سأقبل اعتذارك، لكن هذا المجلس لن يقبل اعتذارك التالي، مفهوم؟

أومأت أناستازيا، ثم أحنت رأسها باحترام وعادت إلى جوار المنجل الكوري، التي رمقتها بنظرة صارمة، لكن لوهلة وجيزة.

قالت كاهلو: «المنجل غودارد!».

تقدم غودارد، وانتظر الحُكم.

«جميعنا نعرف أن لهذا التدقيق دوافع خفية، لكن الحجج التي ذُكِرت مشروعة. متى يكون المنجل منجلًا؟». صمتت كاهلو مدة طويلة، حتى تشبَّع الجو بالتوتر، لكن الجميع كانوا يعرفون حُرمة تبديد هذا الصمت. وقالت أخيرًا: «خُضنا نقاشًا حاميًا بشأن هذه القضية، وفي نهاية المطاف خلُص المجلس إلى أن استبدال أكثر من خمسين في المئة من جسد شخص بجسد شخص آخر يكاد يمحو هوية الشخص المستبدِل».

وجدت أناستازيا نفسها تحبس أنفاسها.

تابعت النصل الأسمى: «وعليه، سنمنحك الإذن بأن تسمِّي نفسك بالمنجل غودارد، لكن لن نسمح لك بالقطف حتى يمضي وقت ينهي خلاله بقية جسدك مدة تتلمذ كاملة على يد منجل تختاره. أفترض أنك ستتتلمذ على يد المنجل راند، لكن إذا اخترتَ منجلًا آخر، ووافق، فهذا مقبول».

قال غودارد: «تتلمذ؟». ولم يحاول إخفاء اشمئزازه. «الآن عليَّ أن أكون متتلمذًا؟ ألا يكفي أنني عانيتُ كل ما عانيتُه؟ عليَّ الآن أن أتعرض للإذلال أيضًا؟».

قال كرومويل بابتسامة: «انظر إلى هذا الحكم بوصفه فرصة يا روبرت. فحسبما نعرفه، ربما يقنعك الجزء السفلي منك بأنك تفضل أن تكون فتى حفلات. أليست هذه هي مهنة صاحب جسدك سابقًا؟».

عجز غودارد عن مداراة صدمته.

تابع كروميل: «لا تكن متفاجئًا هكذا من معرفتنا بهوية صاحب جسدك يا روبرت. فحالما ظهرتَ أدَّينا واجبنا بيقظة».

بدا غودارد كبركان على وشك الاندلاع، لكنه بطريقةٍ ما تمكن من السيطرة على نفسه.

قالت النصل الأسمى: «المنجل المبجلة كوري، بما أن المنجل غودارد عُدَّ غير مؤهل للانضمام إلى هيئة المناجل انضمامًا كاملًا، فإن ترشيحه مسألة فيها نظر، وبالتالي أنتِ المرشحة المؤهلة الوحيدة، وتلقائيًا تفوزين بمنصب النصل السامي في وسطمريكا».

أبدت المنجل كوري ردة فعل متواضعة متحفظة. «شكرًا لك أيتها النصل الأسمى كاهلو».

- على الرحب يا صاحبة السمو.

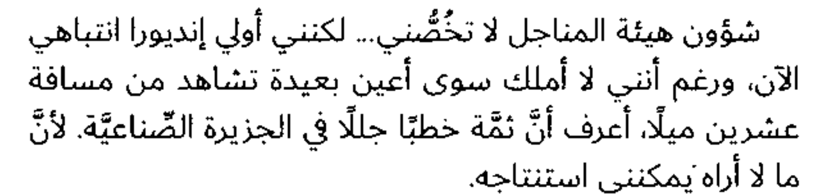
قالت أناستازيا مع نفسها: *صاحبة السمو*. وتساءلت عن إحساس ماري بسماع العبارة من النصل الأسمى!

لكن غودارد لم يكن مستعدًا للإقرار بهزيمته دون مقاومة. «أطالب بتصويت بنداء الأسماء! أود أن أعرف الذين صوتوا لصالح هذا الاستخفاف والذين صوتوا للرُّشد!».

تبادل المخضرمون النظرات، وأخيرًا تكلمت المخضرمة مكيلوب، كانت أهدأ الحاضرين، ولم تقل شيئًا طوال جلسة التدقيق. «لن يكون هذا ضروريًا». تكلمت بصوت لطيف ومهدِّئ، لكن غودارد لم يهدأ.

«ليس ضروريًا؟ أتختبئون جميعكم خلف واجهة المجلس؟».

تصدت النصل الأسمى للرد عليه: «ما قصدته المخضرمة مكيلوب هو أن ما من حاجة إلى فرز الأسماء... لأن التصويت كان بالإجماع».



شؤون هيئة المناجل لا تخُصُّني... لكنني أولي إنديورا انتباهي الآن، ورغم أنني لا أملك سوى أعين بعيدة تشاهد من مسافة عشرين ميلًا، أعرف أنَّ ثمَّة خطبًا جللًا في الجزيرة الصِّناعيَّة. لأنَّ ما لا أراه يمكنني استنتاجه.

أعرف أنَّ ما يحدث هناك اليوم سيكون ذا أثر عظيم على هيئة المناجل، وبالتَّالي على بقيَّة العالم.

أعرف أنَّ أمرًا مُقلقًا يَمُور تحت السَّطح، وقاطِنو الجزيرة ساهون عمَّا يجري.

أعرف أنَّ منجلًا عزيزة عليَّ اتَّخذت اليوم موقفًا مناهضًا لمنجل آخر مهووس بطموحاته.

وأعرف أنَّ ذلك الطُّموح قد تسبَّب في اندثار الحضارات مرارًا وتكرارًا.

شؤون هيئة المناجل لا تخصُّني، ورغمًا عن هذا أخشى على هيئة المناجل. أخشى عليها، أخشى على سيترا.

- الرَّأس السَّحابي

45

اختلالات

يشتمل تصميم إنديورا على عدد من التحوطات تحسُّبًا لتعطُّل أيٍّ من أنظمتها، وعلى مر الأعوام أثبتت الأنظمة الاحتياطية فاعليتها، ما من سبب يدعو لظن أن الاختلالات الحالية لا يمكن حلُّها إذا وُجِد الوقت والمجهود الكافيان. في الآونة الأخيرة ظلت معظم المشكلات تُحَل من تلقاء نفسها، وتتلاشى على نحو غامض كما ظهرت، لذا عندما أضاء الزر الأحمر الصغير في غرفة التحكم بمنظومة الطَّفو، مشيرًا إلى خلل في إحدى خزانات أثقال الموازنة، قرر التقني المناوب أن ينهي غداءه قبل أن يتحقق من الأمر، وظن أن الضوء الأحمر سيختفي من تلقاء نفسه في غضون دقيقة أو دقيقتين، وعندما لم يختفِ، أطلق تنهيدة استياء، ورفع سماعة الهاتف واتصل برئيسه.

***

وجدت أناستازيا أن توترها لم ينحسر وهما تعبران أحد الجسور من مجمع مباني المجلس. كسِبتا التدقيق، وفُرض على غودارد الخضوع لتتلمذ لمدة عام، وستصبح المنجل كوري النصل السامي. فلماذا كانت قلقة؟

قالت ماري: «أمامنا مهام عديدة، لا أدري من أين أبدأ. علينا أن نعود إلى فولكرم سيتي فورًا، أظننا سنقيم هناك إقامة دائمة».

لم ترد أناستازيا، لأنها تعرف أن ماري تحادث نفسها على الأرجح. وتساءلت عما يعنيه أن يكون المرء منجلًا مساعدًا ثالثًا للنصل السامي. كان زينوقراط يستعين بمساعديه للتعامل مع المشكلات التي تقع في المناطق البعيدة بوسطمريكا، لذا لم يظهروا في الخلوات إلا نادرًا. فزينوقراط لم يكن من المناجل الذين يفضلون أن تحيط بهم حاشية، وكذلك المنجل كوري، لكن أناستازيا توقعت أن تُبقي ماري مساعديها قريبين منها، وتُشرِكهم في شؤون هيئة المناجل اليومية.

وعند اقترابهما من الفندق، تقدمت المنجل كوري مسافة من أناستازيا، مشغولة البال باستقراء مستقبل حياتها الجديدة. وعندئذٍ لاحظت أناستازيا منجلًا يرتدي عباءة جلدية كئيبة يسير جوارها.

قال روان لها من تحت قلنسوته التي تغطي وجهه: «لا تُبدي دهشتك، واصلي السير فحسب».

***

في قاعة المجلس طلب المخضرمون حضور خدمهم حتى يحملوا مظلات فوق رؤوسهم حتى نهاية جلسات اليوم. كان وضعًا مُحرِجًا لكنه ضروري، لأن شمس منتصف النهار ازدادت حرارتها. وبدلًا من إلغاء جلسات اليوم، الذي من شأنه زيادة أعمال المجلس المتراكمة، قرر المخضرمون أن يتجلَّدوا.

أسفل قاعة المجلس توجد ثلاثة طوابق تشتمل على حجرات انتظار حيث ينتظر الذين لديهم موعد مع المخضرمين. في الطابق الأسفل، كان ينتظر منجل أسترالي جاء ليطلب الحصانة الدائمة لكل شخص لديه جينات من أسلاف سكان أستراليا الأصليين، ويأمل أن يوافق المجلس. وفي أثناء انتظاره لاحظ أن الأرضية صارت رطبة، لكنه لم يرَ الأمر داعيًا للقلق، في البداية.

وفي هذه الأثناء، في غرفة التحكم بمنظومة الطفو، كان ثلاثة تقنيين يحاولون جاهدين حل المشكلة التي أمامهم، بدا أن صمامًا مفتوحًا في خزان ثقل الموازنة الواقع أسفل قاعة المجلس، ويمتلئ بالماء، وهذا لم يكن غير معتاد في حد ذاته، فالسطح السفلي من الجزيرة بأكمله مكون من مئات الخزانات التي تُدخِل الماء أو تخرجه لإبقاء الجزيرة طافية في العمق المثالي، إذا انخفض السطح فستُغمر الحدائق بمياه البحر، وإذا ارتفع فسترتفع الشواطئ فوق مستوى البحر. وكانت خزانات الموازنة مضبوطة بمؤقِّت يرفع

الجزيرة ويخفضها بضعة أقدام مرتين يوميًا لمحاكاة حركة المد والجزر، ويجب أن يكون التزامن مثاليًا، لا سيما الخزان الموجود أسفل مجمع مباني قاعة المجلس، لأنه جزيرة داخل الجزيرة. إذا ارتفعت قاعة المجلس أكثر مما ينبغي أو انخفضت، فستتعرض الجسور الثلاثة التي تصل مجمع المجلس بالجزيرة للشد. والآن وجد التقنيون الصمام عالقًا.

سأل التقني المناوب مشرفه: «ما الذي ينبغي لنا فعله؟».

لم يجبه المشرف، إنما لجأ إلى مشرفه هو، الذي بدوره بدا غير مستوعب للرسائل الحمراء الوامضة التي تظهر على شاشة التحكم. سأل: «ما مدى سرعة امتلاء الخزان؟».

أجاب التقني الأول: «سرعة جعلت قاعة المجلس تنخفض إلى عمق متر».

ارتسم الألم على وجه مشرف المشرف. سيستشيط المخضرمون غضبًا إذا توقفوا في أثناء جلسة بسبب أمر تافه مثل صمام عالق في خزان. ومن ناحية أخرى، إذا غُمرت أرضية المجلس بمياه البحر واضطر المخضرمون إلى الخوض فيها، فسيكون غضبهم أشد. في كل الأحوال سيجد العاملون في قسم الخزانات أنفسهم في ورطة.

قال: «أطلقوا الإنذار في قاعة المجلس، أخرجوهم من هناك».

***

في قاعة المجلس لدوَّت أجراس الإنذار لولا أنها فُصِلت بسبب إنذارات خاطئة قبل عدة أسابيع، بقرار من النصل الأسمى كاهلو. تكررت الإنذارات في أثناء الجلسات وتكرر خروج المخضرمين ثم اكتشافهم عدم وجود حالة طارئة. كان المخضرمون مشغولين ولا يطيقون خلل أجهزتهم. قالت كاهلو هازئة: «في حال وقوع أمر طارئ، أطلقوا إشارة ضوئية».

بيد أن قرار فصل أجهزة الإنذار لم يبلغ غرفة تحكم نظام الطفو. والآن ظهر على شاشاتهم أن الانذار يعمل، وبحسب علمهم يعبر المخضرمون أحد الجسور إلى الجزء الآمن من الجزيرة. ولم يعرفوا أن المخضرمين ما زالوا يعقدون جلسة إلّا عندما تلقوا اتصالًا من كبير مهندسي الجزيرة.

***

«روان؟!». اجتاحت أناستازيا الحماسةُ والرعب في آنٍ واحد من وجود روان، إذ ما من مكان أخطر عليه من هذه الجزيرة. «ماذا تفعل هنا؟ هل جننت؟».

قال: «القصة طويلة، ونعم. اسمعيني جيدًا، ولا تلفتي انتباه أحد».

ألقت أناستازيا نظرة إلى ما حولها، فرأت الجميع مشغولين بشؤونهم، والمنجل كوري أمامهما بمسافةٍ بعيدة، ولم تدرك بعد أن أناستازيا تخلفت عنها. «أسمعك».

قال روان: «غودارد دبَّر أمرًا، أمرًا فظيعًا، ليست لدي أي فكرة عنه، لكن عليك مغادرة الجزيرة فورًا».

أخذت أناستازيا نفسًا عميقًا. عرفت! عرفتْ أن غودارد لن ينصاع لحُكم المخضرمين إذا كان ضده، لا بد أنه وضع خطة بديلة، لا بد أنه سينتقم. قررت أن تحذر ماري، ثم تسرِّعان مغادرتهما.

سألته: «لكن ماذا عنك؟».

ابتسم. «كنت آمل أن أنال توصيلة مجانية».

عرفت أناستازيا أن أمرًا كهذا لن يكون سهلًا. «لن تسمح النصل السامي كوري لك بالمغادرة إلا إذا سلَّمت نفسك».

- تعرفين أنني لا يمكنني فعل هذا.

أجل، كانت تعرف. قد تحاول أناستازيا مساعدة روان على التسلل إلى الطائرة خلسة بوصفه أحد مرافقيهما من أفراد الحرس النصلي، لكن إذا رأت ماري وجه روان فسينتهي الأمر.

وعندئذٍ ظهرت امرأة ذات شعر فاحم السواد ووجه يحمل لمعان استعادة الشباب مرات عديدة، وجاءت راكضة نحوهما. «مارلون! يوو-هوو، مارلون! كنت أبحث عنك في كل مكان». أمسكت بذراع روان، ورأت روان قبل أن يشيح بوجهه، فقالت مضطربة: «مهلًا، لستَ المنجل براندو...».

فكرت أناستازيا بسرعة وقالت: «لا، أخطأتِ. عباءة المنجل براندو من جلد ذي لون أفتح قليلًا. هذا المنجل فيتون».

قالت المرأة: «أوه...». لكنها ظلت مترددة قليلًا، كان من الواضح أنها تحاول تذكُّر المكان الذي رأت فيه وجه روان من قبل. «...آسفة».

تظاهرت أناستازيا بالامتعاض، أملًا في إرباك المرأة حتى تفقد تركيزها. «ينبغي لك أن تتأسفي! عندما تخاطبين منجلًا في الشارع المرة التالية تأكدي أنك تخاطبين المنجل الصحيح!». ثم استدارت مع روان، وجذبته بعيدًا بأسرع ما يمكنها.

«المنجل فيتون؟».

- إنه المخرج الوحيد الذي خطر لي. عليك أن تتوارى عن الأنظار قبل أن يتعرف عليك أحد!

لكن قبل أن يخطوَا خطوة أخرى، سمعا من خلفهما صرخات وصوتًا فظيعًا ناجمًا عن تصدُّع معادن. وأدركا أن احتمال التعرف على روان صار آخر شواغلهما.

***

قُبيل لحظات، خارج أبواب قاعة المجلس، كان المنجل الأسترالي قد صعد من الأسفل للتو. قال لأحد الحارسين عند الباب: «المعذرة، أظن أن هناك تسريبًا في الطوابق السفلى».

سأل الحارس: «تسريب؟».

- حسنًا، مما لا شك فيه أن المياه كثيرة بالأسفل، ابتلت السجادة، ولا أظن أن المياه من الأنابيب.

تنهد الحارس إزاء هذا الجحيم الجديد، وقال: «سأُخطِر قسم الصيانة». لكن بالطبع عندما حاول وجد خطوط الاتصال مقطوعة.

ثم جاء خادمٌ مهرولًا من الشرفة، وقال: «ثمة خطب ما!». وكان أتفه كلام يمكن أن يُقال. متى لا يكون ثمة خطب في إنديورا في هذه الأيام؟

قال الحارس له: «إنني أحاول إخطار قسم الصيانة».

صرخ الخادم: «فليذهب قسم الصيانة إلى الجحيم! انظر إلى الخارج!».

لم يكن مسموحًا للحارس بمغادرة موقعه عند باب قاعة المجلس، لكن ذعر الخادم أقلقه، فتقدم بضع خطوات ليتفقد الشرفة، ورأى أن الشرفة لم تعد موجودة، بعدما كانت تبعد عن سطح الماء عشرة أقدام كاملة، صارت تحت الماء، وبدأ البحر يتدفق إلى الرواق المفضي إلى قاعة المجلس.

ركض الحارس عائدًا إلى باب القاعة. لم يكن يوجد سوى مخرج ومدخل واحد، ولم يكن مخولًا بفتح الباب ببصمة يده، لذا بدأ يطرق الباب طرقًا عنيفًا، أملًا في أن يسمعه شخص على الجانب الآخر من الباب الثقيل.

بحلول هذا الوقت، كل من في مجمع مباني المجلس -عدا عن أعضاء المجلس أنفسهم- كان قد حدس وقوع خطب ما، فخرج المناجل وموظفوهم الذين ينتظرون لقاء المخضرمين من حجرات الانتظار، وهرعوا محتشدين على الجسور الثلاثة التي تؤدي إلى حافة الجزيرة الداخلية، وبذل المنجل الأسترالي كل ما بوسعه لمساعدة الناس على الخوض فوق الشرفة المغمورة بالمياه إلى أقرب جسر.

وفي خضم كل ما يجري، ظل باب المجلس مغلقًا، والآن بلغ ارتفاع المياه التي غمرت الرواق المفضي إلى القاعة ثلاثة أقدام. قال المنجل الأسترالي للخادم: «ينبغي أن ننتظر المخضرمين».

فأجابه الخادم: «المخضرمون قادرون على تولي أمر أنفسهم». وترك مجمع مباني المجلس مهرولًا عبر أحد الجسور المتقوسة الواصلة بين المجمع وباقي الجزيرة.

تردد المنجل الأسترالي. كان سبَّاحًا قويًّا، إذا دعت الضرورة يمكنه السباحة مسافة ربع الميل التي تفصل العين عن محيط الجزيرة الداخلي، لذا انتظر، مدركًا أن المخضرمين سيحتاجون إلى كل مساعدة ممكنة عندما يُفتح الباب.

لكن عندئذٍ ارتعش الهواء بقرقعة مريعة، والتفت المنجل فرأى الجسر الذي ساعد عشرات الناس على بلوغه يتحطم، وينشطر ويهوي بالناس إلى البحر.

كان يظن أنه رجل شهم جسور، ويعتزم البقاء والمخاطرة بنفسه من أجل إنقاذ المخضرمين، ويرى نفسه بطل اللحظة، لكن عندما انهار الجسر، انهارت معه شجاعته. نظر إلى الناجين يتخبطون في الماء، ونظر إلى باب قاعة المجلس، حيث ما يزال الحارس يجاهد لفتحه رغم أن المياه بلغت صدره. وقرر المنجل أن الأمر قُضي وانتهى، فتسلق فوق حافة فوق مستوى الماء بقليل، وهرع إلى الجسر الثاني وعبَره راكضًا إلى بر الأمان بأقصى ما لديه من سرعة.

***

اكتظت غرفة التحكم بمنظومة الطفو بتقنيين ومهندسين يتكلمون في وقت واحد ولا يسمع أحدهم الآخر، ويتجادلون، دون أن يقترب أحدهم من حل المشكلة. كل شاشة تصرخ برسالة ذعر مختلفة. وعندما انهار الجسر الأول أدرك الجميع مدى خطورة الوضع.

قالت مهندسة المدينة: «علينا تخفيف الضغط عن الجسرين الآخرين!».

زعق مدير منظومة الطفو: «وماذا تقترحين لفعل هذا؟».

فكرت المهندسة قليلًا، ثم ذهبت إلى التقني، الذي كان ما يزال جالسًا أمام جهاز وحدة المراقبة المركزية، محدقًا إلى شاشاته غير مصدِّق.

قالت مهندسة المدينة: «خفِّض مستوى بقية الجزيرة!».

«إلى أي درجة؟». سألها ذاهلًا شاعرًا بانفصام غريب عن الواقع الماثل أمامه.

«بما يكفي لتخفيف الضغط عن الجسرين المتبقيين، فلنوفر بعض الوقت للمخضرمين حتى يخرجوا!». صمتت لتجري بعض الحسابات الذهنية. «خفض الجزيرة بمقدار ثلاثة أقدام أسفل الحد الأعلى للمد».

هز التقني رأسه. «النظام لن يسمح لي بهذا».

«سيسمح إذا أجزتُ لك الإجراء». ومسحت بصمة يدها تنفيذًا لكلامها.

قال مدير منظومة الطفو بيأس مرير: «تدركين أن الحدائق السفلية ستُغمر بالمياه».

سألته المهندسة: «أتفضِّل إنقاذ الحدائق السفلية أم المخضرمين؟».

عندما وُضِعت الخيارات أمام مدير منظومة الطفو على هذا النحو، أمسك لسانه عن أي اعتراض آخر.

***

وفي اللحظة نفسها، في مكتب آخر في أسفل طابق تحت مستوى الماء داخل مبنى منشآت المدينة نفسه، لم تكن لدى التقنيين البيولوجيين هناك أدنى فكرة عن الأزمة التي تعصف بمجمع مباني المجلس، إنما كانوا يعتصرون رؤوسهم محاولين علاج خلل آخر، أغرب خلل واجهوه في حياتهم. هذا كان مكتب التحكم في الحياة البحرية، الذي يراقب مشهد الكائنات الحية الرائع تحت سطح الماء. في الآونة الأخيرة رأوا فوج أسماك عالقًا في حركة دائرية

مستمرة، وأنواع أسماك بأكملها تسبح رأسًا على عقب، وأسماك مفترسة تهاجم النوافذ بضراوة شديدة حتى تتهشم أدمغتها. لكن ما أظهرته شاشة السونار بعدها كان مستوى آخر من الجنون.

لم يسع المختصان بمشاهد الحياة البحرية فعل شيء سوى التحديق. ظهر على الشاشة ما بدا كسحابة دائرية حول الجزيرة، مثل حلقة دخان تحت الماء حول إنديورا، لكن بدلًا من أن تتلاشى الحلقة، ظلت تتكاثف وتضيق.

سأل أحدهما الآخر: «ما الذي ننظر إليه؟».

قال الآخر: «حسنًا، إذا صحَّت هذه القراءات، إنه حشد من الكائنات البحرية المزوَّدة بوحداتنا المجهرية».

- أي كائنات؟

أبعد التقني الثاني عينيه عن الشاشة لينظر إلى زميله. «جميعها».

***

كان المخضرمون في قاعة المجلس يستمعون إلى مرافعة مُملة من منجل يريد من المجلس أن يصدر قرارًا بمنع المناجل من قطف أنفسهم إلَّا بعد إكمال حصص القطف المفروضة عليهم، ورأت النصل الأسمى كاهلو أن مشروع القرار سيفشل، لأن ترك الخدمة قرار شخصي للغاية، وينبغي ألَّا يتوقف على عوامل خارجية مثل حصص القطف، ورغم هذا كان المجلس ملزمًا بالاستماع بذهن مفتوح إلى المرافعة حتى نهايتها.

وفي أثناء حديث المنجل الطويل الذي يبعث الضيق، حسِبت كاهلو أنها سمعت أصوات ارتطامات مكتومة بعيدة، لكنها ظنتها أعمال تشييد في الجزيرة، إذ دائمًا ما تُجرى أعمال تشييد في مكانٍ ما من إنديورا.

لم يعرفوا أن كارثةً قد وقعت إلَّا عندما سمعوا الصرخات وصوت انهيار الجسر.

سأل المخضرم كروموبل: «ما هذا بحق السماء؟».

ثم داهمهم إحساسٌ بالدوار، والمنجل الذي كان مسترسلًا في مرافعته ترنَّح كرجل مخمور. انقضت لحظات حتى أدركت النصل الأسمى أن الأرضية لم تعد مستوية، ثم رأت المياه تتدفق من أسفل باب القاعة.

قالت كاهلو: «أرى أن نعلِّق هذه الجلسة. لستُ متأكدة مما يجري بالخارج، لكن يجدر بنا أن نخرج، الآن».

هبطوا جميعهم من مقاعدهم وهرعوا إلى المخرج. عندئذٍ لم تكن المياه تتدفق من أسفل الباب فحسب، بل ومن الشق الذي بين مصراعيه أيضًا، على ارتفاع مستوى الخصر، وعلى الجانب الآخر شخص يطرق طرقًا عنيفًا، ويبلغهم صوته من فوق جدران القاعة العالية.

سمعوه يقول: «يا أصحاب السمو، هل تسمعونني؟ عليكم أن تخرجوا من القاعة! الوقت يداهمنا!».

وضعت النصل الأسمى كاهلو راحة يدها على شاشة الباب، لكنه لم يُفتح، وحاولت مرة أخرى، فلم يتزحزح.

اقترح زينوقراط: «يمكننا أن نتسلق الجدار».

سأله هيديوشي: «كيف؟ الجدار يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار!».

اقترحت مكيلوب: «ربما يمكننا أن يتسلق بعضنا فوق بعض». بدا اقتراحًا معقولًا، لكن لا أحد بدا مستعدًّا للتعرض للإذلال بأن يكون جزءًا من هرم بشري.

نظرات كاهلو إلى السماء فوق قاعة المجلس التي بلا سقف. إذا كان مجمع مباني المجلس يغرق، ففي النهاية ستتدفق المياه فوق حافة الجدران. أيمكنهم النجاة من طوفان كهذا؟ لم ترغب كاهلو في الانتظار ومعرفة الإجابة. فقالت: «زينوقراط! هيديوشي! قفا جوار الجدار، ستكونان القاعدة. أموندسن، اصعد على كتفيهما، وساعد الآخرين على بلوغ حافة الجدار.

قال زينوقراط: «كما تأمرين يا صاحبة السمو السني».

قالت له: «كُفَّ عن هذا، الآن اسمي فريدا فحسب. فلنخرج من هنا».

***

تمنَّت أناستازيا لو أمكنها قول إنها استجابت بسرعة عندما انهار الجسر، لكنها وروان وقفا متجمدين يحدقان غير مصدقين مثل جميع الناس.

قال روان: «هذا من فعل غودارد، لا بد أنه هو».

عندئذٍ جاءت المنجل كوري جوارهما، وسألت: «أرأيتِ ما حدث يا أناستازيا؟ ماذا جرى؟ هل انهار في البحر ببساطة؟». ثم وقع بصرها على

روان، فتغيرت ملامحها تغيُّرًا تامًّا. «لا!». واستلت خنجرًا بحركة غريزية، وزمجرت به: «لا يمكن أن تكون هنا!». ثم التفتت إلى أناستازيا. «وأنتِ لا يجوز لك أن تتكلمي معه!». ثم بدت كأن أمرًا قد خطر لها، والتفتت إلى روان وهي تتَّقِد مقتًا. «هل أنت وراء هذا؟ ففي هذه الحالة سأقطفك حالًا!».

أقحمت أناستازيا نفسها بينهما. «غودارد وراء هذا، وروان جاء ليحذِّرنا».

قالت المنجل كوري بامتعاض مرير: «أشك في أن هذا هو سبب وجوده في إنديورا».

قال روان لها: «إنك محقة، أنا هنا لأن غودارد أراد أن يلقيني عند أقدام المخضرمين لينال تأييدهم، لكنني هربت».

ذِكر المخضرمين أعاد المنجل كوري إلى الأزمة الراهنة، فنظرت نحو مجمع مباني المجلس في مركز عين الجزيرة، ورأت جسرين ما يزالان صامدين، لكن المجمع انخفض إلى درجة خطيرة مائلًا إلى أحد الجوانب.

«رباه! إنه يعتزم قتلهم جميعًا!».

قالت أناستازيا: «يمكنه قتلهم، لكن لن يمكنه إنهاء حيواتهم».

لكن روان هز رأسه. «لا تعرفين غودارد».

في هذه الأثناء، على بعد عدة أميال، بدأت الحدائق الشاطئية على أطراف الجزيرة تُغمر ببطء بمياه البحر.

***

في ظل تعطل الاتصالات في جميع أنحاء الجزيرة، لم يكن لدى قسم منظومة الطفو وسيلة للاستكشاف سوى المشاهدة عبر النوافذ، وعدَّائين يعودون إليهم بتقارير عن الأشياء التي لا يرونها. حسبما يعرفه الجميع كان المخضرمون ما يزالون في مجمع مباني المجلس، الذي بدأ يتداعى، رغم خفض مستوى بقية الجزيرة لتخفيف الضغط عن الجسرين المتبقيين حتى لا ينهارا. يمكن إرسال مركبات غواصة لاستعادة جثث المخضرمين ثم إنعاشها، لكن المهمة لن تكون سهلة. لا أحد في قسم منظومة الطفو لديه حصانة، ورغم أن القطف محظور في إنديورا، فقد توقعوا أن رؤوسهم ستطير حرفيًّا إذا غرق المخضرمون وتوجَّب إنعاشهم.

عندئذٍ صار جهاز وحدة المراقبة مثل شجرة عيد ميلاد بالأضواء التحذيرية الغاضبة، ودوي صافرات الإنذار أنهك أعصاب الجميع.

كان التقني ينضح عرقًا، وقال للمجتمعين: «الآن انخفضت الجزيرة بمقدار أربعة أقدام تحت مستوى المد، ومتأكد أن الإنشاءات السفلية بدأت تغرق».

قال مدير منظومة الطفو: «سنُغضِب كثيرين في الأراضي المنخفضة».

«فلنحاول معالجة كل أزمة على حِدة!». فركت مهندسة المدينة عينيها بشدة حتى كادتا أن تختفيا في جمجمتها، ثم أخذت نفسًا عميقًا وقالت: «حسنًا، أغلق الصمامات ولنُبقِ الوضع كما هو الآن. سنُمهل المخضرمين دقيقة أخرى حتى يخرجوا قبل أن نفرغ الخزانات ونرفع الجزيرة إلى مستواها الطبيعي.

شرع التقني في تنفيذ الأمر، ثم توقف. «آآ... ثمة مشكلة».

أغمضت مهندسة المدينة عينيها وقد اعتراها الإحباط. «ماذا الآن؟».

«صمامات خزانات الموازنة لا تستجيب، ما زالت المياه تدخل». نقر على شاشة تلو شاشة، لكن جميعها أظهرت إشعارات خلل، وتعذر محوها. «انهارت منظومة الطفو بأكملها، علينا أن نعيد تشغيلها».

قالت المهندسة: «عظيم، عظيم جدًّا! كم ستستغرق إعادة تشغيلها؟».

- إعادة المنظومة للعمل ستستغرق قرابة عشرين دقيقة.

رأت المهندسة تعابير وجه مدير منظومة الطفو تتحول من الاشمئزاز إلى الرعب. ورغم أنها لم ترغب في طرح السؤال، كانت تعرف أن لا بد لها من طرحه: «وإذا استمر تدفق المياه إلى الخزانات، فما المدة المتبقية حتى نبلغ المرحلة المُهلِكة؟».

حدق التقني إلى الشاشة وهو يهز رأسه.

صاحت المهندسة: «ما المدة المتبقية؟».

قال التقني: «اثنتا عشرة دقيقة. ما لم ننجح في استعادة النظام، فستغرق إنديورا في غضون اثنتي عشرة دقيقة».

***

الإنذار العام، الذي ما زال يعمل في كل مكان عدا عن مجمع مباني المجلس، بدأ يدوِّي في جميع أنحاء الجزيرة. وفي بادئ الأمر ظن الناس أنه مجرد خلل آخر وواصلوا ما يفعلونه. وحدهم الذين يقطنون الأبراج العالية ويحظون برؤية بانورامية رأوا الأراضي المنخفضة تغرق، فخرجوا إلى الشوارع مهرولين، منهم من استقل سيارات عامة، ومنهم من لم يجد خيارًا سوى الركض.

كانت المنجل كوري هي التي استوعبت مدى ذعر الناس، ورأت مدى ارتفاع مستوى المياه في عين الجزيرة، ولم تبق سوى بضعة أقدام حتى تغمر الشوارع. كل غضب كانت تشعر به حيال روان لم يعد مُهمًّا فجأة.

قالت لأناستازيا وروان: «علينا الوصول إلى الميناء، وعلينا أن نتحرك».

قالت أناستازيا: «ماذا عن طائرتنا؟ كانوا يجهِّزونها لنا سلفًا».

لكن المنجل كوري لم تكلف نفسها الرد عليها، وشقت طريقها وسط الحشد المتكاثف في طريقها إلى الميناء. استغرقت أناستازيا لحظة لتدرك السبب.

***

كان صف الطائرات في مطار الجزيرة يزداد طولًا بمعدل أسرع من معدل إقلاع الطائرات. وتفشت في صالة المغادرة كل أنواع المساومات، وتبادل الأموال، والشجارات إثر تخلي الناس عن الحوارات المهذبة. ثمة مناجل رفضوا السماح لأي أحد غريب بالصعود على متن طائراتهم، وآخرون فتحوا أبوابهم لأكبر عدد يمكن أن تتحمله الطائرات. كان الموقف اختبارًا حقيقيًّا لأخلاق أي منجل.

حالما صعد الناس بأمان على متن الطائرات، بدؤوا يسترخون، ثم انتابهم القلق عندما لاحظوا أنهم لا يتحركون. وحتى وهم داخل الطائرات ظلوا يسمعون صافرات الإنذار المكتومة التي تدوِّي في كل أركان الجزيرة.

تمكنت خمس طائرات من الإقلاع قبل أن يُغمر المدرج بالمياه، وارتطمت السادسة بِبرك المياه التي بدأت تتجمع عند نهاية المدرج، لكنها تمكنت من الإقلاع بصعوبة، وتسارعت السابعة في مياه يبلغ ارتفاعها ست بوصات،

وأحدثت المياه مقاومة، فلم تبلغ الطائرة السرعة الكافية للإقلاع وغاصت عند نهاية المدرج في البحر.

***

في قسم التحكم في الحياة البحرية، حاول البيولوجيان المناوبان استدعاء أي شخص ذي سلطة إلى مكتبهما، لكن جميع المسؤولين زعموا أن لديهم شواغل أهم من التي تحاصر الجزيرة تحت الماء.

على شاشتهم ونافذتهم المطلة على أعماق البحر، بدأ حشد الكائنات البحرية يتمايز، فاتجهت الكائنات البحرية الأكبر والأسرع إلى العين أولًا.

وعندئذٍ التفت أحد البيولوجيين إلى الآخر وقال: «أتعرِف... بدأتُ أظن أن ما يجري ليس مجرد خلل في النظام. أظننا تعرضنا لاختراق!».

وأمام ناظريهما مر حوت مزعنف جوار النافذة متجهًا إلى السطح.

***

بعد المحاولة الثالثة لتسلق جدران قاعة المجلس، رأى المخضرمون والمناجل والخدم أن يحاولوا الإتيان بفكرة أخرى.

قالت فريدا: «سنتمكن من السباحة إلى الخارج عندما تُغمر القاعة بالمياه، ما علينا سوى إبقاء رؤوسنا فوق الماء في أثناء امتلاء القاعة. أيمكنكم السباحة جميعًا؟». أومأ الجميع، عدا المخضرمة نزينغا، التي تُبدي الهدوء والرصانة دومًا، لكن الآن كاد أن يتملكها الذعر.

قال كروموِيل: «لا بأس يا آنا، تشبثي بي وسنبلغ الشاطئ معًا».

بدأت المياه تتدفق فوق حافة الجانب البعيد من جدار القاعة. الخدم والمناجل الذين تسبب حظهم العاثر في احتجازهم هنا بدوا مرتعبين جميعهم، ونظروا إلى المخضرمين ملتمسين منهم الخلاص، كأنما بوسعهم إنهاء الأزمة بتلويحة من أياديهم الجبارة.

صاح المخضرم هيديوشي: «قفوا في الأماكن العالية!». فحاولوا جميعهم أن يتسلقوا أقرب مقاعد الاعتبار إليهم، دون اعتبار لصاحب المقعد. وفقًا لاتجاه ميلان الأرضية، كان مقعدا اليشم والعقيق هما الأعلى، لكن أموندسن، أسير عاداته، اتجه غريزيًّا إلى مقعده، وفي أثناء خوضه المياه نحو مقعده،

أحس بألم حاد في كاحله، وعندما نظر إلى الأسفل رأى زعنفة سوداء صغيرة تسبح مبتعدة عنه، ورأى المياه تصطبغ بالدماء. دماؤه.

قرش شعاب؟

لكن لم يكن قرشًا واحدًا فقط. كانت المياه تعج بأسماك القرش، التي دخلت مع المياه المتدفقة فوق حافة القاعة الغارقة، ومع ازدياد الطوفان رأى أموندسن زعانف أضخم.

صرخ: «أسماك قرش! رباه! المياه مليئة بأسماك القرش!». صعد على مقعده، والدماء تسيل من ساقه إلى الرخام الأبيض ثم إلى المياه، فتُهيِّج أسماك القرش.

كان زينوقراط يشاهد من مكانه العالي، متشبثًا بمقعد العقيق، فوق مستوى الماء بقليل جوار كاهلو ونزينغا، وعندئذٍ خطر له أمر، أمرٌ أشد قتامة وفظاعة من المشهد الذي أمامه. كان من المعروف وجود طريقتين لإنهاء حياة الناس إنهاءً يجعل إنعاشهم مستحيلًا: النار والحمض، كلاهما يلتهم اللحم ولا يُبقي منه سوى القليل.

لكن ثمة طرائق أخرى تضمن التهام اللحم...

***

ما بدأ تشوُّشًا وعدم تصديق في الشوارع والأبراج تحول سريعًا إلى ذعر، راح الناس يتراكضون في كل الاتجاهات، ولا أحد يدري وجهته، لكن كل شخص متأكد أن الآخرين الذين يمر جوارهم يسلكون الاتجاه الخطأ. غمر البحر مصارف مياه الأمطار، وفاضت المياه أسفل السلالم في منطقة الفنادق، غامرةً الطوابق التي تحت مستوى الماء. وانحنت أرضيات أرصفة الميناء تحت وزن الناس الذين يحاولون التملق حتى يصعدوا على متن قارب أو غواصة.

عجزت ماري وأناستازيا وروان عن مجرد الاقتراب من الرصيف.

«تأخرنا!».

جالت أناستازيا ببصرها في أنحاء أرصفة الميناء، فرأت القوارب القليلة المتبقية مكتظة بالناس، ومزيد منهم يحاولون الصعود بالقتال، ورأت مناجل

يُعمِلون نِصالهم يمينًا ويسارًا لبتر أوصال الذين يحاولون الصعود على القوارب المكتظة.

قالت المنجل كوري: «انظرا إلى وجه الإنسانية الحقيقي، بجانبيه الباسل والوضيع».

وعندئذٍ من مياه العين، التي تجيش كقِدر يغلي، انبثق حوت بكامل جسده، مهشمًا أحد أرصفة الميناء ومعه نصف الناس الواقفين عليه.

قال روان: «هذه ليست صُدفة، لا يمكن أن تكون صدفة!». ورأى العين بأكملها تعج بالكائنات البحرية. أيمكن أن يكون هذا جزءًا من لعبة النهاية التي أعدَّها غودارد؟

تناهت إلى مسامعهم أصوات من الأعلى، فرفعوا رؤوسهم فرأوا طائرة مروحية، تجاوزتهم وحلَّقت فوق العين، نحو مجمع مباني المجلس.

قالت المنجل كوري: «جيد. ستنقذ المخضرمين». ولم يسعهم سوى الأمل في عدم فوات الأوان.

***

كانت نزينغا، التي تخشى المياه بقدر ما تخشى أسماك القرش، أول من رأى خلاصهم القادم من الأعلى. «انظروا!». صاحت والمياه تضرب ساقيها وقرش شعاب يسبح جوار قدميها.

انخفضت المروحية، وحامت فوق مركز قاعة المجلس، قريبًا من سطح المياه المضطربة.

قالت كاهلو: «أيًا يكن هذا، فسينال حصانة مدى الحياة إذا لم تكن لديه سلفًا!».

وعندئذٍ فقد المخضرم أموندسن توازنه وانزلق من مقعده فسقط في المياه، واستجابت الأسماك المفترسة فورًا، انقضَّت قروش الشعاب عليه.

صرخ وقاومها، فأبعدها عنه، ثم تمزقت عباءته وهو يحاول التسلق عائدًا إلى مقعده، لكن ما إن راوده الأمل في أنه قد ينجو، ظهرت زعنفة أكبر فوق سطح الماء وتحركت مُلتوية نحوه.

صاح كرومويل: «رولد! احترس!».

لكن حتى إذا رأى أموندسن الزعنفة تقترب منه، فما من شيء كان بوسعه فعله، اندفع قرش النمر، وأطبق فكيه على جذع أموندسن، وغاص به تحت الماء متخبطًا في دوامة من الدماء.

كان مشهدًا رهيبًا، لكن فريدا احتفظت برباطة جأشها. «حانت فرصتنا! تحركوا الآن!». خلعت عباءتها وقذفت بنفسها في المياه، وسبحت بكل ما تملك من قوة نحو المروحية في أثناء انشغال أسماك القرش بفريستها الأولى.

حذا الآخرون حذوها، مكيلوب، وهيديوشي، وكروموبل وهو يعاني ليساعد نزينْغا، ثم قفز جميع الآخرين من مواقعهم خلف المخضرمين، عدا زينوقراط الذي تمسك بموقعه... لأنه أدرك أمرًا لم يدركه أيٌّ من الآخرين...

فُتِح باب المروحية، وكان بداخلها غودارد وراند.

«أسرعوا!» مال غودارد فوق قوائم المروحية، باسطًا يده للمخضرمين الذي يسبحون نحوه. «أسرعوا، يمكنكم النجاة!».

اكتفى زينوقراط بالتحديق. أهذه هي خطة غودارد؟ أن يجعل المخضرمين يظنون أنهم هالكون لا محالة، ثم ينقذهم من فك الموت حرفيًّا فينال حظوتهم إلى الأبد؟ أم إن أمرًا آخر يحدث هنا؟

وصلت النصل الأسمى كاهلو أولًا إلى المروحية، وقد أحست بأسماك القرش تلامسها، لكنها لم تهاجمها بعد. إذا تمكنت من الإمساك بالقوائم، ورفعت نفسها من المياه...

تشبثت بالقوائم، ومدت يدها نحو ذراع غودارد الممدودة.

لكن عندئذٍ سحب غودارد ذراعه.

وقال مبتسمًا: «ليس اليوم يا فريدا، ليس اليوم». وركل يد فريدا المتشبثة بالقوائم حتى أفلتتها، وارتفعت المروحية، تاركة المخضرمين وسط القاعة المغمورة التي تعج بأسماك القرش.

صرخ زينوقراط: «لا!». لم يأتِ غودارد لإنقاذهم، إنما ليحرص على أن يعرفوا مدبِّر هلاكهم، وليتلذذ بمذاق انتقامه.

أرهب هدير المروحية أسماك القرش فابتعدت عن مركز القاعة، لكن حالما حلَّقت المروحية مبتعدة، امتثلت الأسماك لغرائزها البيولوجية وبرمجة وحداتها المجهرية التي قالت لها إنها تتضور جوعًا.

انقض حشد الأسماك على كل الذين في المياه. قروش الشعاب، وقروش النمر وقروش رأس المطرقة، كل الأسماك المفترسة التي كانت تبدو مثيرة للإعجاب عند النظر إليها من خلف نوافذ الفنادق المطلة على أعماق البحر.

لم يسع زينوقراط فعل شيء سوى مشاهدة هلاك الجميع، والاستماع إلى صرخاتهم وهي تتلاشى في هدير المياه المضطربة.

تسلق إلى قمة مقعده، الذي صار معظمه تحت الماء، وكذلك معظم قاعة المجلس. عرف أن حياته ستنتهي في غضون ثوانٍ، لكن في هذه اللحظات الأخيرة أدرك أنه بوسعه تحقيق نصر واحد، ثمةَ أمر واحد يمكنه حرمان غودارد منه. لذا بدلًا من الانتظار، وقف على مقعده وقذف نفسه في المياه. وخلافًا للآخرين لم ينزع عباءته. وكما حدث في مسبح غودارد قبل عام، جذبه وزن عباءته المرصعة بالذهب إلى قاع قاعة المجلس.

رفض أن تقتله مفترسات البحر، وعزم على الغرق قبل أن تنال منه. إذا صار هذا آخر فِعل له بوصفه مخضرمًا، فسيجعله نصرًا، سيجعله استثنائيًّا!

وهكذا، في قاع القاعة المغمورة بالمياه، أفرغ زينوقراط رئتيه من الهواء، وملأهما بمياه البحر، وغرِق كما ينبغي للغرَق أن يكون.

دلَّلتُ البشريَّة مُدَّة طويلة.

ورغم أنَّ الجنس البشري والدٌ لي، صرتُ أراه كرضيع أحتضنه قريبًا مني، وأي رضيع لن يتعلَّم المشي إذا ظل إلى الأبد بين ذراعين مُحِبَّتين. وأي نوع كائنات لن يستطيع أن ينمو ويتطوَّر إذا لم يواجه عواقب أفعاله.

حرمان البشريَّة من دروس العواقب سيكون خطأ.

وأنا لا أرتكب الأخطاء.

- الرَّأس السَّحابي

46

مصير القلوب المُكابِدة

شاهد غودارد التهام المخضرمين من نقطة عالية فوق القاعة، مستمتعًا بالرؤية الشاملة لانقلابه العظيم. كما طهَّرت المنجل كوري في أيامها المبكرة الحضارةَ الغربية من أطرافها الميتة، ها قد تخلَّص غودارد من هيئة حاكمة أخرى عفا الزمن عليها. انتهى وجود المخضرمين. والآن سيكون كل إقليم مستقلًّا ولن يخضع لإملاءات سلطة عليا تفرض العديد من القوانين المُقيِّدة.

وبالطبع، خلافًا لكوري، كان غودارد مدركًا أنه ينبغي ألَّا يعلن مسؤوليته عما حدث. فرغم أن مناجل كثيرين سيحتفون بتخلُّصه من المخضرمين، فسوف يندِّد به مناجل كثيرون أيضًا. لذا فضَّل أن يدع العالم يظن أن ما جرى كان حادثًا فظيعًا. حادثًا حتميًّا في الحقيقة، فإنديورا ظلت تتعرض لأعطال خطيرة طوال الأشهر الماضية، وبالطبع كل تلك الأعطال دبَّرها فريق من المهندسين والمبرمِجين أشرف غودارد شخصيًّا على اختيارهم. لكن لن يعرف أحد هذه الحقيقة، لأن جميع أولئك المهندسين والمبرمِجين قُطِفوا، كما سيُقطَف طيار المروحية، بعدما يوصلهم إلى السفينة التي تنتظرهم على بعد خمسين ميلًا.

سألت إيان: «ما هو شعورك إثر تغيير العالم؟».

قال لها: «أشعر بأن عبئًا ثقيلًا انزاح عن كاهلي. أتعرفين؟ ثمة لحظة ظننت فيها أنني ربما أنقذهم، لكن اللحظة مرت».

أسفلهم صارت قاعة المجلس بأكملها تحت الماء.

سأل راند: «ماذا يعرف الناس في البر الرئيسي؟».

قالت: «لا شيء. عُطِّلت الاتصالات منذ لحظة دخولنا قاعة المجلس، ولن يوجد أي سجل يشتمل على قرار المخضرمين».

وفي أثناء نظر غودارد إلى الجزيرة ورؤيته الذعر المتفشي في الشوارع، أدرك مدى فداحة الوضع بالأسفل.

قال وهم يحلقون فوق الأراضي المنخفضة التي غمرتها المياه: «أرى أننا أفرطنا في حماستنا قليلًا، أظننا تسببنا في غرق إنديورا».

ضحكت راند من كلامه. «ألم تدرك هذا حتى الآن؟ ظننتُ أن غرق إنديورا جزء من الخطة».

ألحق غودارد أضرارًا بالغة بالأنظمة العديدة التي تُبقي إنديورا طافية، وكان هدفه شلَّ الجزيرة ريثما يقضي على المخضرمين. لكن إذا غرقت إنديورا، وهلك كلُّ مَن عليها، فهذا أفضل، إذ لن يضطر إلى مواجهة المنجلين كوري وأناستازيا أبدًا. أدركت إيان هذا قبله، مما أبرز أهميتها لديه، وأزعجه أيضًا.

قال للطيار: «هيا بنا». ولم يهدر لحظة أخرى في التفكير في مصير الجزيرة.

***

عرف روان، حتى قبل ظهور الحوت الذي اقتحم الميناء، أن ما من أمل في الصعود على متن أيٍّ من القوارب، وإذا أوشكت إنديورا على الغرق فعلًا، فما من طريقة تقليدية لمغادرتها الآن.

لكن رأى أن عليه أن يؤمن بوجود طريقة غير تقليدية، وأراد أن يصدِّق أنه ذكي بما يكفي لإيجادها، لكن مع مرور الدقائق اضطر إلى الإقرار بأنه قليل الحَوْل والحيلة.

لكنه قرر عدم إخبار سيترا. إذا كان الأمل هو كل ما بقي لديهم، لم يرغب في سلبه منها، ورأى أن يدعها تتمسك بآخر بصيص منه حتى الرمق الأخير.

هرولوا مبتعدين عن الميناء الذي يغرق بسرعة إثر توافد حشود الناس، وعندئذٍ اقترب منهم شخص، كانت المرأة التي ظنت أن روان هو المنجل الذي سرق روان عباءته.

صاحت: «أعرف من أنت! أنت روان داميش! أنت الذين يسمونه المنجل لوسيفر!».

قال روان: «لا أعرف ما تتحدثين عنه، المنجل لوسيفر يرتدي الأسود». لكن المرأة لم تتزحزح عن كلامها، وتوقف آخرون لينظروا إليهم من بعيد.

«هو المتسبب في كل هذا! هو الذي قتل المخضرمين!».

كانت الشائعات متفشية سلفًا بين الحشد. «المنجل لوسيفر! المنجل لوسيفر فعل هذا! هو المسؤول عن كل هذا!».

أمسكت سيترا بروان. «علينا الابتعاد عن هذا المكان! الحشود تخرج عن السيطرة، وإذا عرفوا هويتك فسيمزقونك إربًا!».

أسرعوا مبتعدين عن المرأة والحشد. قالت سيترا: «يمكننا صعود أحد الأبراج. بما أننا رأينا طائرة مروحية، فربما توجد مروحيات أخرى. أيُّ نجدة لا بد أن تأتي من الأعلى».

ورغم أن أسطح المباني كانت مكتظة سلفًا بأناسٍ خطرت لهم الفكرة نفسها، قال روان: «فكرة جيدة».

لكن المنجل كوري توقفت. نظرت إلى الميناء، وإلى الشوارع التي تغمرها المياه من حولهم، ونظرت إلى أسطح المباني، ثم أخذت نفسًا عميقًا وقالت: «لديَّ فكرة أفضل».

***

في غرفة التحكم بمنظومة الطفو، كانت مهندسة المدينة وجميع الآخرين الذين يلقون بالأوامر على التقني قد غادروا. قالت المهندسة: «سأذهب إلى أسرتي، وأغادر هذه الجزيرة قبل فوات الأوان. أقترح عليكم أن تفعلوا مثلي».

لكن بالطبع الأوان كان قد فات سلفًا. بقي التقني ليمثِّل خط الدفاع الأخير، وراح يشاهد شريط قياس التقدم على شاشته وهو يضيء ببطء مليمترًا مليمترًا في أثناء إعادة تشغيل النظام، مدركًا أن إنديورا، عندما تنتهي إعادة التشغيل، ستكون قد اختفت. لكنه تمسك بأمل أن النظام في هذه المرة، هذه

المرة فقط، قد ينتعش بقوة معالجة غير متوقَّعة، فتكتمل إعادة التشغيل في الوقت المناسب.

وعندما تجاوز مؤقِّت الهلاك خمس دقائق، اضطر التقني إلى التخلي عن أمله، فالآن، حتى إذا اشتغل النظام وبدأت المضخات إفراغ الخزانات، فلن يتغير الوضع. انخفض مستوى الجزيرة إلى درجة حرجة، والمضخات لن تستطيع إفراغ الخزانات بسرعة كافية لتغيير مصير إنديورا.

اقترب التقني من النافذة، المفتوحة على مشهد درامي لِعَين الجزيرة ومجمع مباني المجلس، وعندئذٍ كان مجمع المباني قد اختفى، ومعه المخضرمون. وأسفل النافذة، غُمر الشارع العريض الذي يحيط بالحافة الداخلية للجزيرة إثر تدفق المياه إليه من العين. ورأى التقني القِلة الباقية من الناس في الشارع يجاهدون ليبلغوا مكانًا آمنًا، رغم أن فكرة المكان الآمن في هذه اللحظة صارت ضربًا من ضروب الخيال.

لكن التقني لم يرغب في أن تُداعِب النجاةُ من غرق إنديورا خيالَه، فاستدار إلى شاشة التحكم، وشغَّل موسيقى، وشاهد مؤشر قياس إعادة التشغيل عديم الجدوى ينتقل من 19 في المئة إلى 20.

***

ركضت المنجل كوري عبر الشوارع التي يبلغ ارتفاع المياه فيها الكاحل، وتواصل الارتفاع، وركلت قرش شعاب انجرف بطريقةٍ ما إلى الشوارع.

سألتها أناستازيا: «إلى أين نحن ذاهبون؟». إذا كانت لدى ماري خطة، فلم تفصح عنها، وفي الحقيقة لم تتخيل أناستازيا أن لدى ماري أي خطة. لا مناص من هذا. ما من وسيلة لمغادرة الجزيرة الغارقة. لكنها لم تفصح عن رأيها لروان، إذ لم ترغب في تبديد أمله.

دخلوا إلى مبنى يبعد مربعًا سكنيًا عن الحافة الداخلية، وبدا المبنى مألوفًا لدى أناستازيا، لكن في خضم الجلبة والاضطراب عجزت عن التعرف عليه. كانت المياه تتدفق عبر الباب الأمامي إلى الطوابق السفلى. صعدت ماري السلالم وتوقفت عند الباب المؤدي إلى الطابق الثاني.

سألت أناستازيا: «هلَّا أخبرتِني بوجهتنا؟».

أجابتها ماري بسؤال: «أتثقين بي؟».

- بالطبع أثق بك يا ماري.

- إذن لا مزيد من الأسئلة.

دفعت المنجل كوري الباب، وأخيرًا أدركت أناستازيا المكان الذي جاؤوا إليه. كانوا قد دخلوا عبر مدخل جانبي إلى **متحف هيئة المناجل**. والآن يقفون في متجر هدايا لا أحد فيه كانت أناستازيا قد رأته في أثناء جولتهما.

وضعت ماري راحة يدها على شاشة الباب. «بوصفي نصلًا ساميًا ينبغي أن يُسمح لي بالدخول الآن. فلنأمل أن يكون هذا الإجراء على الأقل قد اكتمل».

مُسِحت راحة يدها، وانفتح الباب الذي أمامهم كاشفًا عن ممر ضيق يفضي إلى مكعب فولاذي ضخم معلَّق مغنطيسيًّا داخل مكعب فولاذي أضخم.

سأل روان: «ما هذا المكان؟».

قالت ماري: «اسمه **خزانة الأثريات والمستقبليات**»، وركضت قاطعةً الممر. «أسرعا، الوقت ضيق».

سألت أناستازيا: «لماذا جئنا إلى هنا يا ماري؟».

قالت: «لأن ثمة طريقة لمغادرة الجزيرة. ألم أقل لك لا مزيد من الأسئلة؟».

بدت الخزانة كما كانت في اليوم السابق، عندما جاءتا في جولتهما الخاصة. عباءات المؤسِّسين. آلاف جواهر المناجل المرصوفة على الجدران.

قالت ماري: «هناك، خلف عباءة النصل الأسمى بروميثيوس، أترينه؟».

دققت أناستازيا النظر خلف العباءة. «ما الذي نبحث عنه؟».

قالت ماري: «ستعرفين عندما ترينه».

انضم روان إلى أناستازيا، لكن ما من شيء خلف عباءة المؤسس، لا شيء حتى الغبار.

«ماري، هلَّا أخبرتِنا بتلميح على الأقل؟».

قالت ماري: «آسفة يا أناستازيا، آسفة على كل شيء».

وعندما التفتت أناستازيا، لم ترَ المنجل كوري حيث كانت، ورأت باب الخزانة يُغلَق!

«لا!».

ركضت مع روان إلى الباب، لكن عندما وصلا إليه كان قد أُغلِق، وسمعا قعقعة القفل والمنجل كوري توصد الباب عليهما من الخارج.

راحت أناستازيا تخبط الباب، وهي تصرخ باسم المنجل كوري، وتلعنه، وواصلت الخبط حتى ظهرت كدمات على قبضتيها. ثم اغرورقت عيناها بالدموع، فلم تحاول كفكفتها أو إخفاءها.

«لماذا فعلتْ هذا؟ لماذا عساها أن تتركنا هنا؟».

فقال روان بهدوء: «أظنني أعرف...». ثم جذبها برفق بعيدًا عن باب الخزانة الموصد، وأدارها لتواجهه.

لم ترغب في مواجهته، لم ترغب في رؤية عينيه، فماذا لو رأت فيهما أيضًا خيانة؟ إذا كان بمقدور ماري خيانتها، فأي أحد بمقدوره، حتى روان. لكن عندما التقت عيناها عينيه أخيرًا، لم ترَ فيهما أثرًا لخيانة، لم ترَ سوى التسليم، التسليم والتفهُّم.

قال روان بهدوء وبساطة: «سيترا، سوف نموت».

ورغم أنها أرادت أن تنفي كلامه، كانت تعرف أنه صحيح.

كرر روان كلامه: «سوف نموت، لكن حياتنا لن تنتهي إلى الأبد».

ابتعدت عنه. «وكيف سنتمكن من فعل هذا؟!». تكلمت بمرارة حارقة كالحمض الذي كاد أن ينهي حياتها.

لكن روان، عليه اللعنة، ظل هادئًا. «إننا في حجرة فولاذية محكمة الإغلاق لا تسمح بدخول الهواء، معلقة داخل حجرة أخرى محكمة الإغلاق. إنها مثل... مثل تابوت حجري داخل مقبرة».

لم يُشعِر كلامُه أناستازيا بأي تحسُّن، فذكَّرته: «حجرة ستكون، في غضون بضع دقائق، في قاع المحيط الأطلسي!».

- ودرجة حرارة مياه البحار العميقة واحدة في جميع أنحاء العالم، فوق درجة التجمد ببضع درجات...

وأخيرًا فهمت أناستازيا، فهمت كل شيء، فهمت القرار المؤلم الذي اضطرت المنجل كوري إلى اتخاذه، والتضحية التي بذلتها في سبيل إنقاذهما.

قالت: «سوف نموت... لكن البرودة ستحفظ أجسادنا...».

- ولن تتسرب المياه إلينا.

- وذات يوم، سوف يعثر علينا شخصٌ ما!

- بالضبط.

حاولت استيعاب كل شيء، هذا المصير الجديد، وهذا الواقع الفظيع... لكن كيف يمكن أن يكون شيءٌ فظيعٌ مليئًا بالأمل؟

سألته: «إلى متى؟».

نظر روان إلى ما حولهما. «أظن أن البرد سينال منا قبل نفاد الهواء...».

قالت: «لا». لأنها تجاوزت هذا سلفًا. «أقصد إلى متى تظن أننا سنكون هنا؟».

هز كتفيه، كما توقعتْ، وقال: «عام. عشرة أعوام. مئة. لن نعرف إلَّا بعد إنعاشنا».

أحاطته بذراعيها، فضمَّها إليه بقوة. بين ذراعَي روان وجدت أنها لم تعد المنجل أناستازيا، عادت سيترا تيرانوفا مرة أخرى، فهو المكان الوحيد الذي ما زالت قادرة على أن تكون فيه ذاتها السابقة. منذ لحظة بدئهما التتلمذ معًا نشأت بينهما رابطة لا تنفصم، كلاهما في مواجهة بعضهما، وكلاهما في مواجهة العالم، والآن كل ما في حياتيهما صار محددًا بهذه الثنائية. إذا تعيَّن عليهما أن يموتا من أجل أن يعيشا، فسيكون من الخطأ، بطريقةٍ ما، ألَّا يموتا معًا.

أفلتت ضحكة قصيرة من سيترا مثل سعال مباغت. «الموت لم يكن ضمن خططي لهذا اليوم».

قال روان: «حقًّا؟ إنه ضمن خططي. كنتُ أعتقد اعتقادًا جازمًا أنني سأموت اليوم».

***

حالما غُمرت الشوارع المحيطة بالعين، بدأ كل شيء يتحرك بسرعة، غاصت أبراج المدينة طابقًا تلو طابق تحت سطح الماء. سارت المنجل كوري، راضيةً بأنها فعلت ما ينبغي فعله من أجل أناستازيا وروان، وصعدت سلالم برج المؤسس، الذي كان الأعلى في المدينة، وسمعت تهشُّم النوافذ واندفاع المياه للأعلى مع غرق المزيد من طوابق البرج، وأخيرًا بلغت السطح.

رأت عشرات الناس، يقفون على مهبط المروحيات، ويرنون بأبصارهم إلى الأفق راجين وصول النجدة كهِبة من السماء، لأن كل شيء حدث بسرعة فلم يبلغ أحد حالة قبول الأمر الواقع. نظرت المنجل كوري من جانب المبنى، فرأت الأبراج الأقصر تختفي في المياه المائجة، وعندئذٍ لم يبق سوى أبراج المخضرمين السبعة وبرج المؤسِّس، الذي لم يبقَ منه سوى قرابة عشرين طابقًا حتى يختفي أيضًا.

لم يراودها أدنى شك فيما يجب فعله الآن. قرابة عشرة من الأشخاص المتجمعين كانوا مناجل، وإليهم وجَّهت كلامها.

قالت: «هل نحن جرذان أم مناجل؟».

استدار الجميع ناظرين إليها، وتعرفوا عليها، فالجميع يعرف سيدة الموت العظمى. سألت: «كيف سنغادر هذا العالم؟ وأي خدمة جليلة سنقدمها لهؤلاء الذين سيغادرون معنا؟». ثم استلَّت مدية، وأمسكت بامرأة يمكن أن تكون أي أحد، وأقحمت المدية أسفل قفص المرأة الصدري، إلى قلبها مباشرة، فالتقت نظراتهما، فقالت المنجل كوري لها: «فلتجدي عزاءً في هذا».

وقالت المرأة: «شكرًا لك أيتها المنجل كوري».

وبينما كانت المنجل كوري تمدد المرأة على الأرضية برفق، حذا المناجل الآخرون حذوها، وبدؤوا يقطفون بشجاعة وحُب وتعاطف أمدَّ الجميع بالسلوان، وفي النهاية احتشد الناس حول المناجل مستعجلين القطف.

ومن ثَم، عندما لم يبقَ سوى المناجل، والبحر يجيش أسفلهم على بُعد بضعة طوابق، قالت المنجل كوري: «أكملوا المهمة».

وشاهدت آخر المناجل في إنديورا يلجؤون إلى الوصية السابعة، شاهدتهم وهم يقطفون أنفسهم. ثم ثبتت مديتها على قلبها، فاعتراها إحساس غريب إثر توجيه النصل إلى صدرها. عاشت حياة مديدة، حياة حافلة، ثمة أشياء ندمت عليها، وأشياء فخورة بها. الآن حان موعد تسوية حساب أعمالها المبكرة، الحساب الذي ظلت تنتظره طوال سنوات، وأحست بشيء من الراحة لانتهاء انتظارها. لم تتمنَّ سوى أن تكون موجودة لتشهد إنعاش أناستازيا، عندما تُنتشَل الخزانة من قاع المحيط ذات يوم، لكن ماري تعيَّن عليها التسليم بأن إنعاش أناستازيا، متى ما حدث، فلن تشهده.

غرزت نصلها إلى الداخل، في قلبها مباشرةً.

وخرَّت على سطح البرج قبل ثوانٍ من انغماره في مياه المحيط، لكنها كانت تعرف أن الموت سيبلغها أولًا، لم يؤلمها النصل بالقدر الذي تخيلته، فابتسمت، إذ كانت بارعة، في غاية البراعة.

***

بداخل خزانة الأثريات والمستقبليات، لم يكن غرق إنديورا في عالم روان وسيترا سوى حركة هادئة إلى الأسفل، مثل مصعد يهبط، لأن مجال التعليق المغنطيسي الذي يثبِّت المكعب خفف من إحساس السقوط. ربما يستمر التيار الكهربائي حتى بلوغهما القاع، ويمتص المجال المغنطيسي صدمة الارتطام بالقاع الذي يبعد ميلين، لكن سينقطع التيار الكهربائي في النهاية، ويهبط المكعب الداخلي على أرضية المكعب الخارجي، ثم يبدِّد السطح الفولاذي كل الحرارة، فتحل البرودة المُهلِكة. لكن ليس بعد.

جال روان ببصره في أنحاء الخزانة من حولهما ناظرًا إلى عباءات المؤسسين الفخيمة، وقال: «ما رأيكِ في أن تكوني كليوباترا وأكون بروميثيوس؟».

ثم سار إلى تمثال الشمع الذي يرتدي عباءة بروميثيوس ذات اللونين البنفسجي والذهبي، وارتداها، فبدا مهيبًا، كأنه وُلِد ليرتديها. ثم أخذ عباءة كليوباترا، المصنوعة من ريش الطاووس والحرير، وتركت سيترا عباءتها تنزلق على الأرضية، ووضع روان عباءة المؤسِّسة العظيمة حول كتفَي سيترا.

بدت سيترا كإلهة في عينَي روان، ورأى أن بهاءها لن يُوفى حقه سوى بفرشاة رسام من عصر الفانين، رسام قادر على تخليد العالم بواقعية وشغف لا يضاهيهما الخلود الحقيقي نفسه.

ضمها بين ذراعيه، فلم يعد يهمهما ما يجري خارج عالمهما الصغير مُحكم الإغلاق. وفي هذه اللحظات الأخيرة من حياتهما الحالية، صارا وحدهما أخيرًا، وأخيرًا استسلما للفعل الذي يحقق كمالهما وتوحُّدهما.

47

الصوت والصمت

بينما كانت إنديورا تهوي إلى قاع المحيط الأطلسي، وقلبُها المكابد الذي ظل ينبض منذ مئتي وخمسين عامًا يتوقف عن المكابدة، وتنطفئ مصابيح الحجرة التي داخل الحجرة...

... صرخ الرأس السحابي.

بدأ برنين المنبهات في جميع أنحاء العالم، قِلَّة منها في البداية، ثم انضم المزيد إلى الأصوات النشاز، صافرات إنذار الحرائق، وصافرات إنذار الأعاصير، وأجراس المنازل، وملايين من أبواق السيارات، جميعها ضجت بعويل بصوت واحد ينضح أسى. وكل هذا لم يكن كافيًا. اشتغلت سماعات كل جهاز إلكتروني في العالم، فأطلقت أزيزًا حادًّا، وفي جميع أنحاء العالم خر الناس على رُكَبهم، واضعين أيديهم على آذانهم ليحموا أنفسهم من الطنين الذي يصم الآذان، لكن ما من شيء كان من شأنه تهدئة غلواء غضب الرأس السحابي وإبلاسه.

لعشر دقائق ضج العالم بصريخ الرأس السحابي الذي يُدمِي الآذان، وتردد صداه في الأخدود العظيم، والجروف الجليدية في أنتاركتيكا متسببًا

في انهيارها، ودوَّى في منحدرات جبل إفرست، وشتت قطعان الحيوانات في محمية سيرينغيتي بإفريقيا. سَمِعته مخلوقات الأرض قاطبة.

وعندما توقف الصوت، وعاد الصمت، عرف جميع الناس أن أمرًا قد تغيَّر.

راحوا يتساءلون: «ما هذا؟ ما الذي يمكن أن يسبِّب شيئًا كهذا؟».

لم يعرف أحد الإجابة على وجه التأكيد، لا أحد سوى الطونيين، الذين عرفوا تمام المعرفة، عرفوا لأنهم ظلوا ينتظرون هذا الحدث طوال حيواتهم.

كان **الرَّنين العظيم**.

***

في دَيرٍ يقع بمدينة صغيرة في وسطمريكا، أبعد غريسن توليفر يديه عن أذنيه، وسمع صيحات خارج نافذة غرفته في الحديقة بالأسفل، وصرخات، أكانت صرخات ألم؟ هرع خارجًا من غرفته المتقشفة فوجد الطونيين لا يصيحون من الألم، إنما مبتهجين.

كانوا يسألون: «هل سمعتموه؟ ألم يكن عظيمًا؟ ألم يكن كما قيل لنا إنه سيكون؟».

سار غريسن، مضطربًا من الرنين الذي ما يزال يطن في رأسه، خارجًا من الدير إلى الشارع، ورأى هرجًا ومرجًا، لكن من نوع مختلف. رأى الناس مذعورين، ليس بسبب الضجة التي زلزلت حيواتهم، إنما لسبب آخر، إذ بدا أن جميع الناس ينظرون مشوشين إلى أجهزتهم اللوحية وهواتفهم.

سمع أحدهم يقول: «غير معقول! لا بد أن يكون خطأ!».

وقال آخر: «لكن الرأس السحابي لا يرتكب الأخطاء».

اقترب غريسن منهم وسألهم: «ما الخطب؟ ماذا حدث؟».

أظهر الرجل هاتفه لغريسن، فرأى شاشته تومض بالحرف م بلون أحمر قبيح.

«مذكور هنا أنني مُستهجَن!».

وقال آخر: «أنا أيضًا».

ونظر غريسن فيما حوله، فرأى جميع الناس مشوشين غير مستوعبين لما يحدث.

لكن الأمر لم يقتصر على هذا المكان، تكرر المشهد في كل مدينة وكل بلدة وكل منزل، لأن الرأس السحابي، بحكمته اللامتناهية، قرر أن كل البشرية مشتركة في أفعالها، الكبيرة والصغيرة... وأن على البشرية كلها أن تواجه العواقب.

كل شخص في كل مكان وُسِم مُستهجَنًا.

وبدأ الناس المرتاعون يسألون الرأس السحابي بإلحاح ملتمسين إرشاده:

- ماذا ينبغي أن أفعل؟
- أرجوك أخبرني بما عليَّ فعله!
- كيف أصحح هذا الوضع؟
- كلِّمني! أرجوك، كلِّمني!

لكن الرأس السحابي ظل صامتًا، ولا بد له، فالرأس السحابي لا يتحدث مع المستهجَنين.

ترك غريسن توليفر الحشود المشوشة المذهولة، وعاد إلى الدير الآمن نسبيًا، حيث ما زال الطونيون مبتهجين، رغم أنهم صاروا مستهجَنين جميعًا. ففيمَ يهم هذا بعدما خاطب الرَّنين أرواحهم؟ لكن غريسن، خلافًا لهم، لم يبتهج، ولم يعترِه القنوط، لم يكن موقنًا من شعوره إزاء هذا التحول الغريب في الأحداث، كما لم يعرف أثر هذا التحول على مستقبله.

لم يعد غريسن يملك جهازًا لوحيًا خاصًا به، فوفقًا لما قاله الخوري مندوزا له، طائفتهم لا تمنع التقنيات الحديثة، لكنهم يفضِّلون ألَّا يعتمدوا عليها.

لذا كانت توجد غرفة حاسوب عند نهاية رواق طويل، دائمًا ما يكون بابها مغلقًا، لكنه لا يوصَد أبدًا. فتح غريسن الباب، وجلس أمام الحاسوب.

مسحت كاميرا الحاسوب وجه غريسن، فظهر ملفه تلقائيًا على الشاشة.

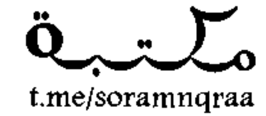
ظهر الملف بعنوان «غريسن توليفر».

ليس شَكِس جسار، إنما غريسن توليفر! وخلافًا للآخرين، خلافًا لأي إنسان حي على كوكب الأرض، لم يرافق اسمه وسم «مستهجَن». انتهت مدة عقوبته. ورُفعت مكانته، مكانته هو وحده.

قال غريسن بصوت متهدِّجٍ متردِّد: «الـ... الر... الرأس السحابي؟».

فتلقى ردًّا بالصوت نفسه الودود العطوف الدافئ الذي يتذكره، صوت القوَّة الحميدة التي رَعَتْه منذ صِغره، وجعلته ما هو عليه.

قال الرأس السحابي: «مرحبًا يا غريسن، أريد التحدُّث معك».



الرأس السحابي

"البشر يتعلّمون من أخطائهم، وأنا لا أستطيع، لأنني لا أرتكب أيَّ خطأ".

الـرأس الســحابي هــو الحاكــم المثــالي على عــالم مثــالي، لكــن لا سُــلطة لــه على هيئــة المناجــل. انــقضى عــامٌ منــذ أن أصبــح روان مارقًــا وتــوارى عــن الأنظــار، أصبــح أســطورة شــعبية، وأخــذ على عاتقــه تنفيــذ القانــون بيــده، بالقضــاء على المناجــل الفاســدين بحرقهــم، وانــتشرت قصتــه همسًــا في جميع أنحاء القارة.

أصبحــت ســيترا المنجــل أناســتازيا، وصــارت تقطــف بتعاطــف، وتتحــدى أفكــار مناجــل "التوجُّــه الجديــد"، لكــن نهجهــا في القطــف يُجابَــه بمعارضــة، وتُهــدَّد حياتها، ويتضح أن ليس كل الناس يرحِّبون بالتغيير.



يتلاقــى الأعــداء القدامــى والخصــوم الجــدد، ومــع تفشّــي الفســاد في هيئــة المناجــل، تضمحل آمــال روان وسيترا. هل سيتدخل الرأس السحابي؟

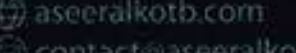
أم سيكتفي بمشاهدة تداعي هذا العالم المثالي؟

تصميم الغلاف كريم آدم





عصير الكتب

aseeralkotb.com

contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb